عبد الكريم الفيلالي

التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير

الجزء السابع

إن الأمة التي لا تعرف ماضيها تتمزق في حاضرها
وتعرف الذل والتحقير والبخس والإهانة في مستقبلها
المؤلف

التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير

عبد الكريم الفيلالي

الطبعة الأولى
20 اغسطس 2006

الجزء السابع

رقم الإيداع القانوني
2006/1287
5 يونيو 2006

الترقيم الدولي
(ردمك) 2-0-8702-9954
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة
شركة ناس للطباعة
23 ش مرشدي - عابدين - القاهرة
هاتف: 002023925376

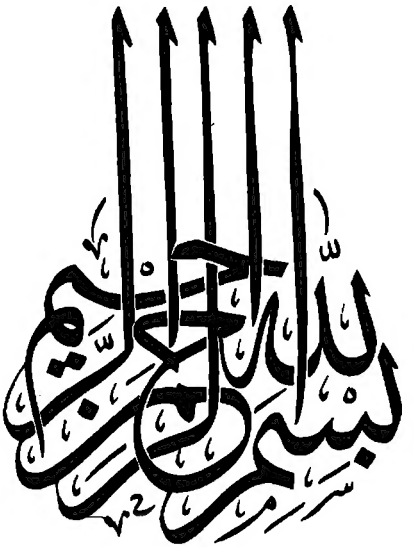
بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثاني والعشرون
تاريخ ما أهمله التاريخ

الفصل الثاني بعد المائتين

تاريخ طلائع الجهاد والمقاومة المسلحة

ضد الاستعمار الفرنسي

إنه تاريخ ما أهمله التاريخ، تاريخ المقاومة المسلحة في المغرب العربي الكبير عموما والمغرب الأقصى بالأخص.

لقد دام غزو الفرنسيين للمغرب، والمغاربة، أكثر من ثمانين سنة ذلك أنهم بدأوه عام1845 ولم يتوقف عسكريا إلا في عام 1937م.

والأدهى من كل ما في الموضوع من مآسي لاتزال معالمها معروفة في كل ركن من أركان هذا الوطن، أن الجنود الفرنسيين وغير الفرنسيين الذين كانوا يباشرون الغزو ويقاتلون المغاربة طيلة ربع قرن في عهد الحماية ثم تقاعدوا وكان عددهم عشرات الآلاف كانوا يتقاضون أجورهم من ميزانية الدولة المغربية، وحتى الذين قتلوا في تلك المعارك بقوا وربما حتى بعد الاستقلال يتقاضون هم أو زوجاتهم وأولادهم مرتبات على حساب المغرب كذلك ، في حين أن الذين حافظوا على الذاتية المغربية ثم قاوموا الاستعمار بالسلاح أو بالقلم والفكر بقوا مهمشين ومنهم من يتضورون جوعا وحرمانا، لأن الأمر أسند لغير أهله.

لعل جل الكتاب الذين تناولوا موضوع تحرشات فرنسا بالمغرب ظلما وعدوانا، لم يتعود أكثرهم البداية من سنة 1844 وبالذات معركة إيلسلي 14 غشت واستلاء الفرنسيين علي وجدة ذلك أن جهاد الأمير عبد القادر الذي دام أكثر من خمسة عشر عاما انتهى بعد كر وفر على الحدود المغربية الجزائرية، إلى جانب إنضمام قبائل بني يزناسن وبني كلال، والاحلاف، والانجاد إلى جانب المجاهدين، مما دفع نقمة الفرنسيين على المغرب إلى الاحتلال والغزو، فكانت المعركة التي أذلت المغرب والتي خسر فيها ألفا وخمسمائة رجل كما خسر الفرنسيون 375، ثم كانت الاتفاقية المشار إليها قبل في 1845/3/18م لكن

هذه الاتفاقية لم تحل دون إندفاع المغاربة في الحدود الشرقية لمحاربة قوات الفرنسيين، خصوصا في الشمال الشرقي ببني يزناسن، حيث شغلتهم هذه القبائل بالمناوشات التي أحدثت تعطيلا في مواصلاتهم التجارية وتحركاتهم الاستفزازية، وقد دامت هذه المناوشات التي تحولت إلى حروب صليبية قادها الجنرال كانتوبان والجنرال مارتينبري 1859– 1860م/ 1268–1277هـ حيث لم تقتصر على الفرنسيين بل شملت الأسبان الذين هوجموا شمالا بعد إستفزازهم لقبيلة الأنجرة، فتحول ذلك إلى حروب أثيرت فيها وصية إزابيلا وتدخل فيها توجيه الرهبان، لكنها إنتهت بعقد صلح مع الأسبان بشروط قاسية1860 أنهكت المغرب، أما حروب بني يزناسن للفرنسيين في الحدود الشرقية، والتي كان يقودها أبو عبد الله محمد اليزناسني الذي أثار حمية المغاربة ورفع معنوياتهم، حين إستولى على مجموعة من الجنود الفرنسيين وضباطهم، ثم قطع رؤوسهم وعلقها بأبراج مدينة وجدة يوم 30 غشت 1859م– 1276هـ، الأمر الذي أدّى بالفرنسيين إلى توجيه أكبر قوة لهم في المنطقة قصد إحتلال بركان كما إحتلوا تافغالت شمالا وعين سيدي ملوك جنوبا، لكنهم فقدوا 2500 جندي قيل للتغطية أنهم هلكوا بالكوليرا، وبذلك تراجع الفرنسيون خلف الحدود، لكن القبائل المغربية في الجنوب من حلفي آيت عطا وآيت يافلمان وعرب الصباح إلى بني گيل، ولعمور، ثم فجيج، حيث زناگة، والوادغيريين وبقية قصور فجيج كانت باستمرار تكبد الفرنسيين خسارات كثيرة في المناطق المتاخمة للحدود، وإذا الفرنسيون لم يتمكنوا من كسر شوكة تلك القبائل التي كانت قريبة من المواقع التي كانت فرنسا فيها تعاني ثورات في الجزائر مثل ثورة المقراني وابن مرزوق والحاج أحمد بن عيسى شرقا، ثم في الأغواط وغيرها، فإنهم أولوا وجهتهم ناحية الغرب جنوبا بتوجيه من أكبر الخونة وأحد عيونهم عبد السلام بن العربي الوزاني، ثم كبير أسرة ابن مولاي بالعين الصفراء وسليمان بن قدور(252) الذي قادهم إلى إقليم توات عن طريق البيض وعين صالح، فكان من أعمالهم العدوانية أن سيقتلون القائد حسون عامل السلطان هناك، كما أولوا وجهتهم بعد نحو عين الشعير بدعوة من العميل «محمد أفقير»

---

(252) قتله بعد أفراد من قبيلة آيت بو الشاون، راجع صورة الحرب في عين صالح بمجلة لوليستراسيون 1900/1/20 عدد 2969ص 44 -45–51–52–54. وحرب إيجلي 1900/5/2 عدد 2988 ص 317 ثم 1900/9/8 عدد 3002 ص 145–147.

بعد حرب زوزفانة 1903 حيث سادت المنطقة موجة من التحرشات الفرنسية أدت إلى مهاجمة قصور فجيج التي كانت مركز انطلاق للمجاهدين المغاربة من مختلف الجهات، الأمر الذي أدى إلى إتهامهم من الفرنسيين بل واتهام عامل السلطان من قبل المواطنين ففرّ إلى بني ونيف وقت أن هاجم الجنرال أكنور قصور فجيج يوم 1903/8/8 حيث عدد اتهاماته لسكانها ثم فرض عليهم غرامة عبارة عن ستين ألف فرنك، ومائة وخمسين بندقية، وأربعة عشر رجلا من خيارهم كرهائن نذكر منهم من تعرفنا على أسمائهم بواسطة أبناء البلد وهم من زناقة: 1) عباس بن التهامي 2) محمد بوزيان بن عمر گاگو 3) العربي زانة 4) حمو بن محمد 5) الحاج محمد بن مرزوق 6) أحمد بن وومن 7) ثم محمد بن بلخير الودغيري الخ.

وهكذا فإن المقاومة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي الاسباني بدأت منذ 1844 ولم تتوقف إلا عام 1937 كما سنرى(253).

كانت فرنسا الاستعمارية لما تمكنت من قهر أمير المجاهدين وبطل المغرب العربي الكبير، الشريف الإدريسي عبد القادر ابن محيى الدين المختاري رحمه، قد شمرت الساعد لمطاردة المقاومين الجزائريين شرقا وغربا، تلك المقاومة التي لم تخمد طيلة نصف قرن، والتي كانت تلتحم في الجانب الغربي جنوب وهران، بما كان المقاومون يستمدون من حماس وروح التضحية والفداء اللذين كانت تتوفر عليهما القبائل ذات الأرض المشتركة والإدارة المختلفة، وتلك هي قبائل بني يزناسن، والاحلاف، وبني وكيل، في الشمال الشرقي وزناگة، والوادغيريين ثم بقية قصور فجيج لمعيز وأولاد اسليمان والحمامين ثم بعض لعمور، وذوي منيع، وأولاد جرير، وبني گيل في الجنوب، ثم قبائل توات. يحمد، وسفيان، ولخنافسة، ولمحارزة، وغيرها، ولكم نتوفر اليوم على الكثير من الوثائق التي كان يرسلها علماء تافيلالت وكذا علماء قصر الوادغيريين من الرشيديين أولاد محمد وغيرهم من علماء بقية قصور فجيج، ثم عالم ال السبع بتالسينت الشريف مولاي أحمد بن الحسن السبعي لهؤلاء وأولئك، والكثير من المراسلات التي كانوا يستنهضون بها همم المواطنين في تلك القبائل من أجل الدفاع عن حوزة الوطن وإيقاف المد الاستعماري، بل نتوفر اليوم على الكثير من مراسلاتهم للسلطانيين محمد

(253) راجع ما سبق حول توات من هذا الكتاب في الباب 18.

بن عبد الرحمن وخلفه المولى الحسن، يخبرونهما بتحركات الفرنسيين، تلك المراسلات التي لم تضل طريقها، بل وصلت وسجلت ثم حصل الجواب على جلها، لكنها أجوبة كلها كانت سلبية من الإدارة المركزية ومن السلطان نفسه بعيدة عن تقرير الواقع المر الأليم الذي كانت تحياه منطقة فجيج المجاهدة ولاتزال(254) بل كانت الأجوبة فقط تحاول تسكين روح غير الآمنين بعبارات الوعظ والحث على الصبر وانتظار الحلول المرتقبة التي طال زمن إنتظارها، هذا في الوقت الذي كان الفرنسيون يتقدمون إلى الأمام في أرض المغرب التي لم يكن للمخزن المنهار وجود فيها رغم أن القبائل الموجودة فيها مغربية وتدين بالولاء للدولة المغربية، بل هي نفسها نجد من وثائق مراسلات كبارها ماكانوا يخبرون به المسؤولين في الإدارة المركزية عن تحركات واعتداءات الفرنسيين أول بأول، منذ عهد السلطان الورع المولى عبد الرحمن وخلفه محمد بن عبد الرحمن، ثم المولى الحسن أمثال ابراهيم بن علة من الزاوية « الفوقانية»، ومثله سالم بن بلخير، ومحمد بن سعيد البرساوي، والطالب محمد بن الطيب ولد المير، وأحمد بن الطيب اليگلاوي. من إيكلي، ومن لغنانمة بوادي الساورة الشيخ علّه بن منصور الحمومي، والشيخ محمد بن إبراهيم ولد حيداني الزروگي، ومن قصر شروين أحمد بن محمد، ومن بودا العليا والسفلى والقصبة وإغرم والد عامشة، ثم من قصور تيديكلت أولف الكبير وأخنوس، وسيدي ملوك، والزاوية الكبيرة التي ولى عليها المولى الحسن محمد بن مولاي هبة العلوي في فاتح جمادى الثانية عام 1309.

بل، هناك وثائق صدرت عن المستغيثين ولا مغيث، من قصور سالي، وسفيان، ولمحارزة، وبشار وأگدز والأحمر وموغار، وبوكايس، وبني گومي، والطالب أمبارك الشاذلي، وتمودة وأولاد رافع، والنصير، والقصبات، من الزاوية الكرزازية وغيرها، بل في

(254) لايزال زناقة وغيرهم ينتظرون حتى اليوم، فقد عرف زناقة فجيج ولايزالون مختلف أنواع الإعتداء على ممتلكاتهم في عهد الاستعمار الفرنسي بالجزائر، وفي عهد استقلالها أكثر رغم ما قدموه من تضحيات في سبيل استقلال الجزائر. مما يلحق العار بحكام الجزائر منذ عهدها بالاستقلال ويصفهم بعدم الوفاء، بل ويحقق فيهم «الشاوية والعسكر المسلطون ماوصفهم به آل عثمان في مراسلاتهم مع المولى إسماعيل، ومهما يكن فإن ما يعرفه المغرب والمغاربة من سوء تصرف وعدم إحترام لا للقرابة والدم والجوار مرده إلى واقع الشعب الجزائري الطيب النبيل فهو منذ استقلاله 1962 لم يعرف من الذين تسلطوا عليه غير المفلسين الذين حكموا فيه قوة الحديد والنار، بل عملوا على هدم الدين والقيم التي آمن بها الشعب الجزائري ثم كانت السبب في تحريره واستقلاله، الأمر الذي ينذرهم بأشد أنواع الهلاك للظالمين مهما طال حبل الفساد وتبين للمفلسين أنهم أقوياء بالبغي والطغيان والضلال.

عهد محمد بن عبد الرحمن وخلفه نجد المراسلات المخزنية تهتم بالخلاف الذي كان بين زناقة والوادغيريين حول الماء، أكثر من الإهتمام بالأرض والحدود التي كان الفرنسيون يعتدون عليها، منذ إنتصار الجنرال بوجو في معركة إيسلي 1844/8/14 بل من هذا التاريخ والمنطقة الشرقية للمغرب مسرحا للتهجمات من الفرنسيين الذين لم توقفهم غير حمية القبائل الوطنية وتوجيهات أمثال الشيخ محمد العربي الهاشمي الكاوزي العلوي ساكن أرض مدغرة ومؤسس الطريقة الدرقاوية بالأطلس المتوسط، والذي إكتسح المد الاستعماري حيث أوقفه بأنصاره لمدة خمسين سنة يقول ديلكاسيه وزير خارجية فرنسا حسب قوله السابق، وكما سنرى، محمد العربي هذا هو الذي كان يوجه المقاتلين إلى الحدود، حيث وجد الاستجابة من جل القبائل ورجالاتها من سوس إلى وهران.

لقد سجل التاريخ أن محاولات الغزو التي دبرها الجنرال مانتوبان 1851م والجنرال مارتنبري 1859م ضد بني يزناسن والجنرال ويمبفان 1870 ضد بني گيل وجنرال دورنبگريي 1881م ضد ثورة الشيخ أبو عمامة بن العربي تلميذ الشيخ، محمد العربي الهاشمي الدرقاوي والتي بسببها تكوّن مركز العين الصفراء.

هذه الاعتداءات كلها لم تواجهها قوات المخزن التي لم يكن لها وجود في هذه المناطق، وإنما واجهها المواطنون الذين قدموا من الشهداء العشرات بل المآت والالاف من الذين سكت عنهم التاريخ الرسمي إن لم نقل أهملوا عن قصد وسبق إصرار، خوفا من الفرنسيين وأذنابهم الذين كانوا يرون وقتها أن في ذكرهم فضيحة واحتقارا، بل حتى اليوم نجد الخونة السابقين من عملاء إدارة الحماية وجواسيسها الذين يكتبون التاريخ المصنوع أمثال الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور ربيب نعمة إدارة الشؤون السياسية بالإقامة العامة سابقا في مغرب عهد الحماية والاستعمار(255)، وما يكتب حتى

---

(255) راجع ما كتبه في أعلامه عن المغرب العربي«حول المجاهد أبو عمامة بن العربي البوشيخي البكري »،ج2/72-93 المطبعة الملكية 1979 وما لفق حوله وحول الشيخ محمد العربي ص 78 من إتهامات لا تصدر إلا عن أمثال العميل الاستعماري المشهور عبد الوهاب بن منصور أو الجاني « التلمساني» الذي سنتعرف على ترجمته بعد حين كلامنا عن نشاط الإقامة العامة ضد الوطنيين في الأربعينات والخمسينات وما قدمه هذا العميل لها بل ضد المغرب والجزائر بشهادة الشيخ البشير الابراهيمي رحمه الله وكيف انتهى به عمله المريب إلى الفرار من المغرب إلى الجزائر التي عمل بها كمعلم في مدرسة دار الحديث بتلمسان بواسطة الجنسية الفرنسية، ثم لما قامت الثورة الجزائرية هرب من الفدائيين ورجال جيش التحرير إلى المغرب بطريقة سنتعرف عليها بعد بل وحتى على الذي هربه ، ونمسك فقط عن ذكر الثمن السري الذي دفعه ولمن دفعه.

اليوم ضد الوطنيين، وأبطال المجاهدين.

في هذه المرحلة التي كان الجيش المغربي في طريقه إلى الضعف والانهيار المادي وفقد الروح المعنوية بسبب ماعرف من تعدد عناصر تكوينه التي جلبت من مختلف دول الاستعمار بإسم التدريب، الذي كان يشرف عليه الضباط من الأنجليز، والفرنسيين والألمان ، والأسبان، والطليان، أولئك الذين كان الصراع بينهم على أشده في السر والعلن، فكانوا كل يدرس ويحلل ويصف أحوال المغرب المتدهور في تقارير يوجهها إلى حكومة بلاده، حتى تتعرف على الواقع ثم تتخذ التدابير الكفيلة بضمان حقها في الغنيمة، وقتها كانت فرنسا صاحبة القوة المسيطرة في الجزائر، تضع الجميع أمام الأمر الواقع كما رأينا قبل، حيث كانت تتقدم جيوشها بقيادة دهاقنة الاستعمار من العسكريين الذين كانوا صنائع لرؤوس المال حيث كانوا يوجهون تلك الجيوش للغزو تارة هنا وأخرى هناك بدعوى أنها تعمل في الأرض المفتوحة، والغير المحددة كما بينا قبل، وقتها لم يوجد في إدارة المخزن من ينافح عن الوطن الذي لولا من ذكرنا من القبائل لعرفت الناحية الشرقية إحتلال الاستعمار منذ ما بعد معركة إيسلي، لكن من الذي كان له الفضل الأكبر في إيقاف ذلك المد الاستعماري الذي كان دهاقنته قد وضعوا لهم تخطيطا محكما بدأوا تنفيذه شرقا وغربا،

في هذه المرحلة الحرجة جدّا من تاريخ المغرب العربي الكبير، مرحلة ما بعد حرب1870 التي ذلت فيها فرنسا أمام الألمان ، والتي لم يعد لها مجال وقد تمكنت في أرض الجزائر، غير أن تتفرغ لما حول الجزائر شرقا وغربا حتى إذا ما استولت على تونس بالدس والكيد وانتقاص الأطراف كما عرفنا فإن نفس الطريق سلكته مع المغرب الذي طالما دافع عنه المتواجدون في خطوط المواجهة منذ عهد الأمير البطل عبد القادر بن محيى الدين رحمة الله عليه إلى عهد المقراني ثم عهد أبي عمامة الذي كان وبعض قومه من تلامذة الشيخ محمد العربي الهاشمي المقاوم الأول ضد المد الصليبي، ومثل أبي عمامة محمد بن مرزوق الزناكي، ومحمد بن المدني بن أبي راس، والشيخ محمد بن محمد الزناگي أيضا، ومن الوادغيريين مولاي السنوسي، وأحمد أبو مدين وغيرهم. هؤلاء من أهل فجيج الذين كانوا يتزعمون تنشيط روح الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي رغم أن الدولة باسم معاهدة حسن الجوار مع الفرنسيين أي معاهد مغنية لم تكن راضية على

ماكانت تقوم به تلك القبائل ورجالها من مقاومة كان يدفعها إليها الشيخ محمد العربي الذي سيعاديه المخزن بسبب ذلك، بل اشتد الوطيس بين الاستعمار الفرنسي في الجزائر وأهل فجيج، إلي درجة أنها استعانت عليهم بأمر السلطان لهم بمهادنة الفرنسيين، حتى قال خطيبهم يوم الجمعة، وهو غاضب طبعا كما يبدو من قوله حرفيا «لقد قال أميركم عليكم بمسالمة الجار ولو جار ..»(256)

وهكذا بعدما كانت قصور فجيج الملجأ والمنطلق للمجاهدين من أبناء المنطقة والقصور السبعة لأهل فجيج ومن ينضم إليهم من بني گيل ولعمور وغيرهم، أصبحت تلك القصور وأهلها في موقف حرج مع المخزن الذي أرسل يتوعد كل من تحرك من تلك القصور لمقاومة الفرنسيين أو إستقبل أحدا ممن يقاومونهم، وكانوا طبعا وفي الغالب من أتباع الشيخ محمد العربي الهاشمي وبأمره وتحت إشراف المقربين إليه من رجالات القبائل التي كانت تأتمر بأوامره، وفي شهر صفر من عام 1299هـ/ 1881م كانت المعارك قد اشتدت بين الفيلاليين وأهل فجيج وتوات من جانب، والفرنسيين من جانب آخر، وقتها وردت الأوامر المخزنية على أهل فجيج بأن الحكومة ستعاقب كل من ثبت عليه أنه استقبل أو استضاف أي شخص أجنبي عن قصره، وكانت الأوامر صريحة بالنسبة للمقاتلين ضد الفرنسيين الذين كانوا كلما حصلت معركة بينهم وبين المغاربة التجأوا إلى الإحتجاج متعللين بمعاهدة مغنية التي صاغوها كما أرادوا بعد معركة وادي إيسلي، كما كانوا يدّعون من الخسائر ما يريدون، وبسبب ذلك إضطر أهل قصور فجيج أن يكونوا لهم جماعة منتخبة تلتزم للمخزن بما أمر، تكون مسؤولة أمامه، أما رجال هذه الجماعة فهم كما يلي من مختلف القصور:

1) زناكة : أحمد بن الحاج، ومحمد بن إبراهيم.
2) الوادغيريين : مولاي الطاهر بوعريش ومولاي عاشور بن أبي مدين.
3) لمعيز : أحمد بن الشاذلي ومولاي إبراهيم بن اسعيد والطاهر بن حمو.
4) الحمام السفلي : الفقير الحبيب بن الطاهر.

---

(256) من خطبة جمعة ضمن وثائق خزانة المولف مخطوط خاص والعبارة مقتبسة من نص رسالة سلطانية إلى أهل فجيج راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية ملف « وثائق الحدود الشرقية».

5) أولاد سليمان : لخضر بن حمو وسيدي أحمد بن عبد الله(257).

هؤلاء وضعوا لأنفسهم ميثاق إلتزام بتنفيذ الأوامر المخزنية تحت الضغط الذي لم يكن مقبولا من أهل فجيج الذين عرفوا بالتزامهم للمجاهدين الذي كانوا يلجؤون إلى قصورهم، والذين كانوا يعتبرون عملهم ضد الغزو الفرنسب إنما هو إعانة لاهل فجيج الذين كانوا أكثر من غيرهم إضطرار للدفاع عن موطنهم ودينهم، ولكم قاسي أهل فجيج من المخزن المضلل في سبيل مقاومتهم ضد الاستعمار الفرنسي، ولذلك كانوا يلجؤون إلى جماعة الشيخ محمد العربي الهاشمي، كمريدين حتى ينضموا إلى المقاومين منهم، والذين كانت أغلب ميادينهم كمقاتلين كما سنرى ناحية وادي الساورة وتوات وغيرها، في هذه المناطق كانت الانطلاقات الأولى للمقاومة المغربية ضد الاستعمار الفرنسي، ففي هذه المناطق الشرقية من المغرب الأقصى والغربية من الجزائر، كانت المعارك الساخنة التي خلدت ذكر الشيخ محمد العربي الهاشمي الذي سجل الفرنسيون مدى عداوته للمد الصليبي(258) كما تشهد بذلك مصادر تاريخ الاستعمار الفرنسي للمغرب العربي الكبير، وكيف أن الشيخ محمد العربي نادي بالجهاد ضد الاستعمار الفرنسي منذ 1863م/ 1280هـ. وإذا من هو محمد العربي الهاشمي العلوي الدوقاوي ساكن مدغرة

---

(257) راجع الوثيقة في كتاب تاريخ ووثائق للأخ هلالي العربي الودغيري ص 68ط طنجة 1981. وأصل الوثيقة من محفوظات وثائق الرشيديين أولاد محمد.

(258) راجع مايلي وكذا العدد الأول من مجلة تاريخ المغرب بتاريخ فبراير 1981 ص105 ودائرة المعارف الإسلامية جـ 9 مادة درقاوة، ولقد حاول الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور كعادته مع كل الوطنيين خصوم الاستعمار الفرنسي أن يشوه صورة كل من أبي عمامة البوشيخي والشيخ محمد العربي الدرقاوي بالطريقة التي تعودها العاملون في ركاب الاستعمار، مما دفع بعضهم إلى أن يحسب ذلك من سياسة الدولة فيرد بما يسئ وحول محمد العربي راجع مظاهر يقظة المغرب الحديث للأستاذ محمد الهادي المنوني الحسني جـ 1 ص 350ط بيروت 1985 وكذا مخطوط خ.ع. 3353 د ص 57 - 81 والشريط المصور رقم 175-لكتاب «تحفة الراغب في الشهادة» للمرحوم أحمد بن الهاشمي الحسني دفين قصر «القصيبة» بالمعاضيد تيزيمي ارفود وفي الجزء الثاني من مظاهر يقظة المغرب الحديث جـ2/483 -88 ثم مايأتي بعد من فصول في هذا الكتاب مما يسود وجه الجاسوس المدسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور الذي تطاول على كرام المجاهدين بسفالته المكشوفة في الوقت الذي نراه ينسب المكارم إلى بقايا حثالة الجيوش الفرنسية بما فيهم أحرطان الذي نسبه الحسني ثم نسب إليه مالم يكن له وهو من أسرة أصلها من قصر تيلوين غريس تافلالت وسادتها باقين حتى اليوم هم أسرة الشيخ مصطفى بن قدور بعين سبيت من أرض زعير، بل عنده من الأبطال مزيان والدليمي ولوباريس والقباج والحسن اليوسي و"آخرون" وهم من لم يكونوا في العير ولا في النفير، بل كل رأسمالهم ماضي ضمن جيوش الاستعمار، أو في ركابه وأولئك هم الأبطال عند الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور الذي جر الأذى على المغرب ومقدساته أوسخ النعوث التي تقيأ بها بعضهم هنا وهناك. راجع أعلامه 1/340 -48 الخ و2/215 - 220.

وماهي مخططاته وما أنجزه منها في سبيل المقاومة، وكيف أمكنه أن يوقف الزحف الاستعماري لمدة خمسين سنة، بل وأن يؤجج روح المقاومة، ضد الاستعمار الفرنسي الذي عرف من درقاوة مالم يعرفه من غيرهم قبل فرض الحماية وبعدها، إذ منهم كان المقاومون الذين أوقفوا المد الاستعماري بعد معركتي ايسلي وتطوان 1845–1859، ومنهم كان الحجامي بفاس 1912/4/17 وآل عبد الكريم الريفي 1921م ثم أبطال حلفي آيت عطّا وآيت يافلمان، الاول قوامه خمسة أخماس كل خمس ينقسم إلى قبائل وبطون وأفخاذ كما سنفصل، أما الأخماس فهي آيت والاّلْ، وآيت وحليم وآيت اسفول، وآيت إيعزّا، وآيت أنبكي وغيرهم(259) وأما حلف آيت يافلمان فهو الذي تنضوي ضمنه كل القبائل الموجودة ما بين غرب واد أنكزمير بأرض ايت عياش، إلي نهاية السفالة بتافيلالت، وسنأتي على تفصيل كل منهما بعد إن شاء الله، وكيف استطاع الشيخ المربي محمد العربي أن يؤلف بين الحلفين وأن يوجههما لحرب الاستعمار الفرنسي رغم أن ذلك لم تستطعه الدولة ولو فقط أن تحقق السلم بين الحلفين اللذين دامت الحروب بينهما أكثر من مائة عام، حققه الشيخ محمد العربي ثم وجههم لقتال العدو المشترك الذي هو الاستعمار الفرنسي، الذي دفع أذنابه ليتخذوا من مزاعم حثالات مدغرة وسيلة إثارة السلطان ضد أهداف الشيخ التي كان السلطان يعرفها أكثر من غيره، لكنه إعتذر بالظروف القاهرة التي خلفتها معركة إيسلي، التي لو غض الطرف عنها لأمكن لروح الجهاد العام في عموم ربوع المغرب العربي الكبير والتي دعى إليها الشيخ محمد العربي أن تغير تلك الظروف وكما سنرى أن هذا الشيخ العظيم أراد إخراج الفرنسيين من أرض الجزائر بدعوته للجهاد العام في ربوع المغرب الكبير.

---

(259) راجع البربر ومظاهرهم الغامضة قبل ج1. ثم ما سبق من المصادر المشار إليها في التعليق قبله(258) وما يأتي كذلك.

الدولة ومشاهرة أهل تافيلالت من الاشراف ورجال الدولة لكنها قطعت عام 1918 بسبب مقاومتهم للاستعمار الفرنسي بعد توقيع معاهدة الحماية حيث استمرت المقاومة الى 20 مارس 1932

الفصل الثالث بعد المائتين

ساكن مدغرة محمد العربي الهاشمي العلوي الدرقاوي

شيخ المجاهدين وزائد المقاومين في القرن 19م

كان لابد لنا من بسطة نستشف من خلالها الظروف والدوافع التي كونت روح النضال وبعثت روح المقاومة المسلحة في الشعب المغربي ضد الاستعمار الفرنسي بين قبائل المغرب العربي الكبير وفي مدنه وقراه، فوجدنا ذلك بعد البحث الطويل يتمثل في تراجم رجال الطائفة الدرقاوية المغاربة الذين حكموا غرب الجزائر لمدة سبع سنوات كما سبق، بل والذين حرروها من ظلم الولاة الأتراك ثم كانوا القوة الفعالة إلى جانب أمير المجاهدين عبد القادر بن محي الدين المختاري الإدريسي الحسني الجزائري القادري الطريقة والذي كان وسيبقى رائد المجاهدين، ثم بعده ثورة المقراني بتاريخ 1871/3/15 والذي كان بدوره درقاويا بواسطة محمد الحداد الذي أخذ الطريقة بواسطة الرحماني الذي هو من أتباع المؤسس الأول الشيخ محمد العربي الزروالي الذي سبقت ترجمته، ومن خلاله ترجمة محمد العربي الهاشمي تلميذ تلميذه كما سنرى.

من خلال هذا الفصل نتعرف على مرحلة ما بعد ظهور الفرنسيين واحتلالهم للجزائر وما عرف المغرب منهم من طعنات غادرة، خصوصا في عهد الجمهورية الثالثة وما بعدها ، بل إن المقاومة التي عرفها المغرب في كل جهة وفي كل رقعة من أرضه كان منظموها والمشرفون عليها هم درقاوة، سواء في الشمال أو الجنوب، وهذا ما سنقف عليه بواسطة البحث والاستقراء ومن خلال الوثائق، ولقد علمتني الأيام أن المؤرخ الذي يكتب تحت تأثير عاطفة الحب أو الكراهية أولى أن يصنف مع «الرثائيين أو الهجائيين» بل المؤرخ كالطبيب يعالج ويبتر كل ما يؤلم ويؤدي إلى علة الجسم وانتشار المرض فيه، بل المؤرخ وكما سبقت إشارتنا قبل في كتاب "التاريخ المفتري عليه في المغرب" هو الذي

يقول للمحسن أحسنت وللمسيئ أسأت بل هو الذي يكشف عورات المسيئين للأمة والدين عن قصد وسابق إسرار، وهذا لا يتم له دون ميل أو هوى إلا إذا هو عرف حلاوة الاستقلال ماديا وأدبيا بل وبعد مضي الأربعين من العمر عليه أن يحاسب نفسه ويتدبر ما يكتب وقبل أن يكتب، ولعل ذلك هو ماحدا بي لتناول شخصية محمد العربي هذا الشيخ العظيم ولسوف يجد القارئ أن من أغرب التراجم ترجمة محمد العربي الهاشمي العلوي الذي أهمل عن قصد لأن الدولة بدافع صراعها مع الفرنسيين كانت تريد له ذلك كما سنرى.

كم إنسان يحصل في حياته أن يعشق ويحب وأن يكره ويصد، دون قصد واع منه ولا إدراك سليم لما يحب ويكره، وإنما يفعل في زمان معين يجتازه كل إنسان، إقتداء بالآخرين، وذلكم هو حب وكراهية المراهقة، اللذين يكون مصدرهما السماع والثقة الغير الواعية بقيمة ومكانة القائل والمقول فيه ، وذلكم هو الحب الذي لا يدوم، والكراهية التي تزول بسرعة، وإن لم تنقلب إلى حقد ومقت وتحقير، ضد صاحب القول الدافع عندما ينقضي زمن الطيش والمراهقة والتقليد، وحب الخرافات، وأحاجي المسنات من المربيات، ثم يقبل المرء على عهد الرجولة والتطلع الى المعرفة عن طريق البحث والاستقراء، والتثبت والالتزام للحق والعدل والحب والخير والجمال، وبالتالي معرفة أنه سوف يسأل عما يكتب سواء من الناس، أو خالق الناس.

كم بينا وفي كل زمان أن من يكره ويمقت لمجرد أنه أوحى إليه بما يدفع إلى الكراهية والمقت دون دافع سليم، وإنما تقليدا منه لمقلد محبوب أو مقلدين إندفعوا بدورهم كذلك، ذلك ما كنا نعيش أيام طفولة التفكير وجهالة السياسة، ورعونة التحزب الطائفي المغرض وسذاجة الوطنية واستغلال المندسين لها زمن الكفاح والنضال ضد الاستعمار واذنابه، كنا نجاهر بالعداوة لكل ما قيل عنه طريقة صوفية لمجرد أن الذين كانوا يتقدمون الصفوف زمن الغفلة وبحكم الاقدمية في السن كانوا يقولون ذلك يعممون الحكم الفاسد، وليس فقط على جهالة العيساوية وشرك التجانية(260) وانحراف الملیانية،

(260) سنفصل في ضلال بعض هذه الطرق حين كلامنا عن السلفية والوطنية إن شاء الله، وعن زندقة التيجانية، راجع كتاب جواهر المعاني ثم كتاب مشتهي الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني ط مصر 1346هـ. تأليف محمد لخضر بن مايابي.

وهمجية الحمدوشية، وزندقة الكتانية، وفسق وفجور العكاكزة، وليدة لمهاوشية الشخمانية الذين قال كبيرهم ان : المرأة كالسجاد صلى وأعطى أخاك يصلي»(261).

كان حب الظهور وروح النقمة والنقد الذي نشره بعض القوم وقت ظهور الحركة السلفية أم الوطنية في المغرب العربي الكبير، بل وظروف العمل الوطني كذلك وقتها، وماكانت الإدارة الفرنسية تقوم به من عمل مشبوه ومشجع لأصحاب بعض الطرق واستغلالهم إستغلالا مقيتا لهدم الدين الذي هو القوة الفعالة لبعث روح التحرير والخلاص بين المواطنين كل ذلك كان يدفع بعضهم إلى التهجم والنقمة على من يستحق ومن لا يستحق من أصحاب الطوائف، ولقد كانت الدرقاوية ولمدة غير قصيرة لا تختلف في تصوري جملة وتفصيلا، مثل المقلدين من المغاربة عن غيرها من الطوائف الضالة المشار إليها، وذلك تأثرا بجهل وفساد أمزجة الذين كانوا موضع ثقة وليسوا أهلا لها، لأنهم فاسدي العقول والأمزجة، وأولئك بعض الذين كنا نقتدي بهم وينعكس على عقولنا وأفكارنا الصغيرة وقتها، ماكانوا يقولون ويصورون، والعجب العجاب أن ذلك كان أحيانا بل مؤقتا من أبناء الزوايا الأخرين الذين مالبثوا أن تحولوا بعد إلى اعتزاز بضلال آبائهم وكفر أجدادهم المسجل في بطون الكتب المحفوظة بين الخزائن هنا وهناك(262) وحتى إذا ما إسترجع المغرب استقلاله عادوا ليجروا المغاربة اليوم إلى ماكانوا يستنكرونه بالأمس ولم يدركوا ماقاله صلى الله عليه وسلم « ماكان لله دام واتصل، وماكان لغير الله إنقطع وانفصل» أو ما قاله المجرب الخبير الأيام حبالي والدهر كشاف، وأن الحق حق مهما طالت أيام ظلم المجرمين في حقه والاعتداء عليه، ومهما اشتد الظلام الذي يحول دون تبيانه وظهوره، فإنه لابد لليل أن ينجلي، والشمس أن تشرق، وللحق الصادق أن يعلو ويرتفع، وذلك ما حصل عندما عشت مع تاريخ المغرب السياسي الذي

---

(261) راجع كتاب العكاكزة بالخزانة العامة 2224 وعن الطرق الرحلة المراكشية لابن الموقت ج 140/1 – 61 ط 1351. وما فيها عن شرك وكفر وضلال الكتانية وغيرها.

(262) راجع كتابنا التاريخ المفترى عليه في المغرب ط 1969، وضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الانكسار لليمنى الناصري، مع التحفظ في بعض المواقف، إذ الكتاب كتب ونشر عام 1345– 1926م أي وقت محاولة بعضهم الإنسياق ومسايرة دعوة الشيخ الإمام باعث وعي المغرب محمد بن العربي العلوي 1880– 1964م والذي سوف نتعرف عليه بعد.

أكتبه من خلال الوثائق التي أطمست والتي بحروب المجرمين كادت تزول وتصبح في طي العدم، ولولا عناية ساقتني ورغبة صادقة دفعت بي إلى الاهتمام بها والبذل بسخاء، والعمل من أجل الحصول عليها، والتفرغ لتدوينها والكتابة حولها، والتي وجب أن نقول ولو كلمة وجيزة حولها، لأن القديمة منها موزعة هنا وهناك وفي بعض البيوتات وبعض الإدارات التي إمتدت إليها أيدي الرجعيين المرجفين، ثم فعلت بما توصلت إليه منها مالم تفعله الأرضة وجهل السابقين.

لقد كان من الأجدر أن يقوم المسؤولون عن الثقافة في مغرب الاستقلال بهذا العمل الذي هو جمع الوثائق وترتيبها بطريقة يسهل على الباحث إستعمالها، خصوصا وأننا اليوم نرى شبابنا يعمل باحثا ومتلهفا على المادة التي تمكنه من تحقيق الهدف من العمل والبحث في شتى المجالات التي أصبحت ميدانا للبحوث الجامعية ومختلف الدراسات، بيد أن تلك الوثائق ما بين مطموسة مجهولة من أصحابها، ومهملة ضائعة معرضة للتلف من آخرين، وغير مكترث بها ولا بأهدافها ومقاصدها من الأغلبية الجاهلة، تركت للضياع عن قصد وسابق إصرار من الأقلية النفعية التي إندست ثم استولت بلاشرعية حتى تبقى على نفعها ويبقى ما في الوثائق من حقائق تمسها وتمس غيرها بعيدة عن الميدان الذي احتكروه بطريقة فيها تجاهل وسوء نية وفاسد مقاصد، ولقد فاتهم: أنه إذا كان للباطل جولة، فإن للحق صولة، ولو بعد حين، وهذا ما حصل للجانب السياسي من الطائفة الدرقاوية في حياتي وعملي السياسي الوطني، بحيث اكتشفت غير ما كنت أعتقد فيها بالتقليد، إكتشفت أنها طائفة الجهاد والمجاهدين، بل طريقة الوطنية التي ضمت أخلص وأصدق المواطنين، طائفة تنظيم المقاومة والجهاد ضد الاستعمار والظلم والظالمين، وعلي كثرة من كتبوا حول الاستعمار وفظائعه، وحول أحرار المغرب الذين قاوموه، لم يعرف قط ولا واحد « منهم تعرف على ما قام به أتباع الطائفة الدرقاوية إلا ما كان مما أورده الآجانب كناقمين على مشيختهم المتمثلة في محمد العربي الهاشمي « عدو المسيحية في المغرب العربي الكبير، ومحمد بن علي السنوسي» على حد قول ديلكاسيه وزير خارجية فرنسا 1898 – 1905 والكاتب الفرنسي المعروف كوتي وكما سنرى في دائرة المعارف الإسلامية جـ 9 مادة درقاوة.

إلى أوائل عهد المولى سليمان السلطان السلفي الذي يمثل عمر بن عبد العزيز في تاريخ العلويين، وما حصل من تأييده لحركة محمد بن عبد الوهاب، وما صدر من الزياني ضد هذه الحركة رغم انتصار سلطانه لها، مما يدل على حرية الرأي والتفكير في عهد الرجلين، بل وما بيّنه الزياني من تلبس التجاني وما حصل لخلفه بعد مع إبراهيم بن اليزيد الذي صادرما استولى عليه التجاني حيلة ومكرا، إلى هذه المرحلة من التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، لم أكن أعرف عن الطوائف المتصوفة باستثناء الناصرية السنية، غير ما ينفر، ولما قلبت جوانب ذلك العهد وما حصل مما فصلت قبل حول مطامح نابليون شرقا وغربا، وما وضع من تخطيط لتحويل وجهة الاستعمار الفرنسي من المشرق « مصر» إلى المغرب « الجزائر » وقتها، كان على أن أتعرف على ماضي الجزائر وحاضرها الذي أغرى نابليون حتى وضع ذلك المخطط الذي أشار به عليه حاكم مصر محمد على القولي الذي فصل مصر عن الباب العالي وحتى تنفصل بقية الأقطار غربا ، ذلك البرنامج الذي أصبح موضع تنفيذ بعد موت نابليون بثلاثة عشر سنة، ووقتها وجدت أن الجزائر عموما عرفت الإهمال من آل عثمان تعرضت للتمزيق وأبشع طرق الاستغلال من بعض الولاة المستبدين، وأن الذين أنقذوها هم طائفة درقاوة من جماعة الشيخ محمد العربي الدرقاوي الزروالي المؤسس الثاني للطائفة بعد علي الجمل كما عرفنا قبل بتفصيل، ومن وقتها أصبحت هذه الطائفة تعرف أن من مقاصدها محاربة كل تدخل أجنبي، وهذا ما تعرفت عليه عندما اعترضت طريق بحثي الطويل ضمن التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، ذلك البحث الذي امتد وقتا طويلا زاد عن نصف قرن جمعا للوثائق ثم دراسة وبحثا جلت فيه مع مختلف الطوائف، والطائفة الدرقاوية في نشأتها ومادفع زعيمها الأول من ثمن في سبيل انتصاره للحق الذي ضلل عنه المولى سليمان بدعوى أن للجزائريين بيعة سابقة لسلطان ال عثمان، ولم يعرف أن الولاة الظالمين وقتها كانت تصرفاتهم أفظع مما وصف اليوسي الحسن بن مسعود به عمال المغرب على عهد المولى اسماعيل(263) ولعله بالزروالي اقتدى صاحبنا والمؤسس الثالث الذي زاد في البنيان ومكن له، ذلكم هو محمد العربي الهاشمي الذي أريد لكل

(263) راجع الاستقصا ج 7/82-86 وعن ولاة الجزائر ما سبق من هذا الكتاب.

وطني أصيل ومتجرد أن يعيش معه ومن خلال الوثائق التي لم يتعرف ولو على بعضها(264) لهوايتي ولتاريخ هذا البلد المفترى عليه، وللشعب المغربي الطيب المضلل والمفترى عليه كذلك، وإرضاء للهوية التي تعلقت بها، بل منذ طفولتي المبكرة بذلت الكثير من الجهد والمال في سبيل الحصول على تلك الوثائق، فمن خلال ما تجمع لدي من وثائق حول هذا الموضوع جلبتها من سوس وسجلماسة وفجيج وقرى الأطلس المتوسط وفاس، ومن خلال المصادر المخطوطة «خ.ع» والمطبوعة، بل ووثائق الدولتين المغربية والفرنسية التي أفاد منها الفرنسيون أكثر فيما كتبوه حول شخص محمد العربي الهاشمي كعدو عنيد ضد الاستعمار الصليبي عموما، والفرنسي خصوصا، وماعندهم من وثائق تثبت ذلك في الخزانتين الوطنيتين بالرباط وباريز ووزارة الخارجية الفرنسية والمتحف العسكري بباريز. بل محمد العربي الهاشمي العلوي الدرقاوي هذا سيكتشف فيه المثقفون المغاربة وغير المغاربة من عشاق الروح الوطنية الصادقة، أنه أول من نادى بالجهاد ومقاومة الاستعمار الأوربي بعد الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري الذي هو الآخر ووالده كانا قادريين وما حولهما من انصار ومجاهدين درقاويين من أتباع ابن عمهما الزروالي الحسني، ومحمد العربي الهاشمي كما تؤكد ذلك الوثائق، المدرجة في هذا الكتاب هو الرجل الذي قاوم كل أنواع الشرور في زمنه، وذلك تمكينا للدين الذي يخلق في الناس غريزة حب الحق والعدل والحب والخير والجمال، وأن الرجل حياته على طولها وما عرف به من مكانة عالية بين قبائل الأطلس المتوسط خصوصا، والمغرب عموما لم يعرف بغير ما يركزه الدين السليم في المسلم الصادق الأمين، من شهامة وفضل وخلق كريم، وذلك ما جعلني أهتم بالرجل الذي لا أدعى القول أنني أول من إكتشفه أو تعرف على ما قدم لهذا الوطن من عمليتمثل في الكفاح والنضال والمقاومة بالسلاح ضد الاستعمار وقت ظهوره في المغرب

(264) أشير هنا إلى أن أسرة الشيخ المأسوف عليها لا تتوفر إلا على قليل جدا ثلاث وثائق من آثاره، بل حسب الوضع الذي إختاره لها ولد الشيخ وهو التقي الذي تحول عن جهل إلى رجل سلطة « قائد » بمجرد أن عرض عليه ذلك زمن ليوطي حيث نصب يوم 3 صفر 1334هـ 1915م لأول مرة وثانية يوم 1935/1/1 وفي نظرنا يعتبر هو المسؤول عما آل إليه مصير أسرته وليس حسد أغبياء أهل مدغرة، بل وليست المراسلة اليوسفية التي افتراها عليه ليوطي ومحمد كاباص « الجباص » كما افتريا على غيره . بل بواسطته جر أولاد أحدا من ايت عطا إلى مجال السلطة بعد ما كانوا في طليعة المقاومين للاستعمار الفرنسي ومثلهم ايت خنوش أشرف بيوت آيت مرغاد. كذلك كما سنرى. أما بقية أولاد محمد العربي الهاشمي وكما سنرى أيضا، فقد اشتغلوا بدنياهم خاملين، وبهم اقتدى خلفهم الذين لاذكر لهم باستثناء ابن يوسف ساكن ميدلت وطرماس اقتداء بوالده المهدي رحمه الله كما سنرى.

العربي الكبير، وأنه الذي نشر روح المقاومة من المغرب الأقصى إلى أرض السودان وجنوب مصر حيث ظهر البطل المعروف المهدي الذي دوخ الانجليز، بل فقط أعتبر أنني بكل اعتزاز أول من يرد له إعتباره التاريخي الذي تراكمت عليه أوزار المنافقين وذوي السلطان الذين كان المنافقون والمرجفون في مدغرة يوغرون صدورهم ضد الشيخ محمد العربي حتى ناصبوه العداء بلا سبب إلا ما كان مما أفاءه الله عليه بسبب صالح عمله وحسن قصده بعيدا عن الطمع والرياء وحب العاجلة ولذلك شاء القدر أن يحيى اليوم حياة أكرم وأعظم، لأن الحياة هي حياة التاريخ والتاريخ هو ما قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء حي مادام يذكر» وقال صلى الله عليه وسلم «من أرخ مؤمنا فكأنما أحياه».

محمد العربي الهاشمي العلوي الدرقاوي صاحب قصر جاوز بمدغرة هذا، هو أبو المجاهدين ومنظم المقاومين المغاربة في وقت عزفيه وجود الصفات التي تميز بها هو وأتباعه الذين استهدفوا لأشد المضايقات من المسؤولين وذوي السلطان في سبيل دعوتهم، وعملهم المسلح ضد الاستعمار الفرنسي الذي استغل الفراغ وجهل الشعب وغفلة المسؤولين، ولولا محمد العربي وأتباعه ما تأخر الإستعمار مدة خمسين سنة قبل أن يقتحم الحمى ويفرض الحماية كما شهد بذلك دهاقنته، وكما سنرى من خلال الوثائق ولو أن هذا الشيخ وأنصاره الذين عرفوا الاضطهاد من الدولة المغربية وقتها وعلى رأسها السلطان الذي كان ينفر من الصدام الذي لا يقدر عليه مع الفرنسيين في الجزائر كذلك، ولذلك إختاروا عيشة الدعة التي لوقبلها درقاوة لكانت لهم مع أرغد العيش وأكبر التقدير، لكنهم فضلوا الجهاد في سبيل الله نصرة للدين والوطن وحقه المعتدى عليه. إن الوثائق لتؤكد لنا أن السلطان المولى الحسن كان على إستعداد لاعطاء الشيخ وأنصاره فوق وأكثر مما يقدرون مقابل فقط أن يتركوا عنهم محاربة الفرنسيين في أرض توات ووادي الساورة وبني يزناسن، وغيرها من الجهات الشرقية للمغرب، لأن ذلك حسب التزامات الدولة التي لم يتعرف عليها الشعب مما نصت عليه معاهدة مغنية بعد حرب إيسلي 14 غشت 1844 بل كانت حروب درقاوة تجر على السلطان المتاعب حيث كان حتما على الدولة أن تدفع التعويضات عن الخسائر التي كان الفرنسيون يدعون حصولها بسبب عمل المجاهدين الذين هم في الحقيقة إنما كانوا يقاومون المد الاستعماري الذي خططت

له فرنسا بواسطة تلك المعاهدة التي أبرمت بين غالب ومغلوب، وفي ظروف قاسية على الدولة والشعب وقتها في المغرب والجزائر معا، وإذاً من هو الشيخ محمد العربي الهاشمي هذا الذي قدمنا له ولعهده بما سبق مما يعتبر إطنابا وجدتني مدفوعا إليه تكريما للرجل الذي بهرني ما عرفت عنه وما وقفت عليه من الوثائق التي لو اتخذ بعضهم جانبا منها كدراسة لأطروحة جامعية لزاد على ما قمت به نحو هذا الرجل الذي زاده عندي إكبارا أنه لم يخلف من متاع الدنيا غير بعض «الجامين» قطعة أرض تقاس بنحو مائتي متر مربع كأرض فلاحية في مزرعتي قصر الزريقات بأوفوس، وأما ما عرف بقصري رحمة الله ونعمة الله، فقد أكد أنهما تابعين لزاوية كاوز وقد سطا عليهما ولده التقي بعد دون إخوته.

أصله ونسبه:

هو : محمد بن هاشم، بن محمد، بن عمر، بن العربي، بن الحسن بن أحمد، بن عبد الله، بن عبد الرحمن، بن عمر، بن لحسن، بن يوسف، بن علي الشريف، بن الحسن، بن محمد، بن الحسن الداخل بن قاسم، بن محمد، بن أبي القاسم، بن محمد، بن الحسن، بن عبد الله، بن محمد، بن أبي محمد، بن عرفة، بن الحسن، بن أبي بكر، بن علي، بن حسن، بن أحمد، بن إسماعيل، بن قاسم، بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل، بن حسن المثنى، بن الحسن السبط، بن علي، وفاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم(265).

---

(265) لقد أسقط إدريس الفضيلي في الدرر خطا اثنين من عمود نسب الشيخ محمد العربي الهاشمي، وهما الرابع الذي هو عمر، والتاسع الذي هو عبد الله راجع الأنوار الحسنية لأحمد بن عبد العزيز تحقيق المؤلف ص 68ط 1966 وأحمد بن عبد العزيز هذا نفسه من سكان مدغرة كما عرف بنفسه، وعرف به محمد بن الطيب القادري، فهو عبد العزيز، بن عبد الصمد، بن محمد، بن يوسف، بن علي الشريف، راجع خ. ع رقم 574.ك ص 173 وعن ترجمة محمد العربي كذلك راجع بعد الدرر البهية للفضيلي، وسلوة الأنفاس 261/1، والأعلام للعباس بن إبراهيم التعارجي السوسي المراكشي 80/7ط 1977 ثم المخطوطات الواردة في هذا الكتاب، وكتاب الاشراف لابن الحاج الذي تعرض فيه لمحمد الهاشمي قاضي مدغرة الذي هو والد الشيخ محمد العربي ص 65م خ نا، وفي كتاب الاشراف لابن الحاج هذا نتعرف على أن من أبناء عمومة الشيخ محمد العربي الهاشمي، أهل قصر تيعرمت الذي إنتقل البعض منهم إلى القصبة القديمة بمدغرة وقصر أبي عبد الله بها ولهم ديار في زرهون، ومراكش، ودمنات، وقصر الجرامنة بالرتب، راجع ص 63م خ نا ومن إخوانهم كذلك سكان أبو فكران وإخوتهم أهل المنزه بمكناس « منزه مولاي عمر » والذين حولهم إليه السطان مولاي عبد الرحمن بن هشام، وأول من إنتقل منهم من قصر كاوز إلى أدخسان بأيت أمالو، ثم بوفكران، في عهد السلطان المذكور هو : محمد، بن الأمين، بن محمد، بن قاسم، بن الحسن، بن محمد، بن قاسم،=

الموطن والمولد والدراسة:

يطلق عليه خطأ «المدغرى» نسبة إلى المكان الذي نزل به آباؤه من آل عمرو بن لحسن، بسكون السين، بن يوسف بن علي الشريف، وقصرهم بأرض مدغرة هو «گاوز» بالكاف المعطشة، وبه يعرف كذلك عند بعضهم فيقال له محمد العربي الهاشمي الگاوزني، ومطغره التي عرفت بها المنطقة هي إحدى قبائل البربر البتر وأصلها عند ابن حزم من ولد تمزيت بن ضري، وهي أخت مطماطة وصدفورة ولماية وصدينة، وبطونها عند ابن خلدون كانت ما بين سجلماسة وتلمسان والتي تنطق بالطاء هي تلك التي كانت ناحية مدينة تازة يقول ابن الحاج رواية عن أحمد بن عبد العزيز الهلالي الدادسي في شرحه على ديباجة المختصر، كما تنطق بالضاد وهي تلك التي ناحية غمارة في الشمال، أما هذه التي تنطق بالدّال المهملة يقول ابن الحاج كذلك في مخطوط «الحادي المطرب» فهي تقع في الشمال الشرقي لسجلماسة تافيلالت، والتي تبعد عنها بما يقدر ب 55كم تقريبا إذا نحن اعتبرنا حدودها غربا ممتلكات قصر زاوية أمليكس وهي عبارة عن مجموعة من القصور والقرى المستجدة التي حلت مكان قصور قديمة، أما القصور القديمة فهي قصر بني مكور، وهو الذي حل مكانه قصر آيت مسعود الذي منه، التهامي المدغري الوجيهي الحسناوي، الشهير بقصائده في الشعر «الملحون» دفين أبو نافع من مدينة فاس الجديد، وقصر ابن محلي وهو القصر الذي سمى باسم أحمد بن عبد الله، بن عبد الحق، بن أبي محلي، الذي حاول الملك كما رأينا قبل عام 1019–1021هـ و الذين كان والده مؤذنا بزاوية القاضي بتافيلالت، ومن قصور مدغرة، أولاد محمد الگرواني، وقصر أولاد الحاج، إلى غير ذلك من القصور المعروفية بالكثرة التي هي عليها اليوم قبل أن يسكنها

= بن الحسن، بن محمد ، بن عبد الرحمن بن عمرو، بن لحسن، بن يوسف، بن علي الشريف الخ. وحول مدغرة بالدال فقد أشار إليها ابن الوزان في وصف إفريقياج 20/2ط بيروت والحركة الفكرية للدكتور محمد حجي 520/2 – 24 ط فضالة 1978. بغير تفصيل، ومدغرة في جمهرة نسب البربر بطن من زناتة كما هو عند ابن حزم في الجمهرة ، وعنه اخذ ابن خلدون إذ مدغرة من ولد تمزيت بن ضري، بن رجيك بن مادغيس بن بر، وبرهذا أبو برنس كما سبق لنا في أصول البربر جـ1 من هذا الكتاب ومن برنس كتامة وصنهاجة، وعجيسة، ومصمودة، وأوربة، وازداجة، وأوريغ، ومن أوريغ بن برنس هوارة، ولكل بطن من هؤلاء بطون عظيمة. راجع الجمهرة لابن حزم 495 – 498وعند القلقشندي في نهاية الأرب ص 441ط 1959 أن هوارة من ولد بر بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام راجع صبح الأعشى 363/1 – 64.

و المرجع الصحيح هو ما أوردناه في الجزء الأول من هذا الكتاب. هذا ونجد بعض المعاصرين يعرفون بـ « العلوي المدغرى» وهو ما لم نجده قط عند السابقين الخ.

بعض الأشراف السليمانيين أهل عين الحوت، أو يرحل إليها الأشراف العلويون من اليوسفيين سكان القصور الثلاثة بتافيلالت وهي: قصر تيعيرمت، وقصر بوحاميد، وقصر حمو داود، وكان سبب رحليهم ما حصل بينهم وإخوانهم من حروب، والراحلون من الأول -تيعيرمت- هم سكان القصور التالية من أرض مدغرة: أبو عبد الله والقصر الدخلاني، والقصبة القديمة، والحيبوس، والقصبة الجديدة وتيطاف.

أما أبناء الثاني، الذي هو بوحاميد، فهم: سكان قصور تازناقت، والقصر البراني، وآيت مسعود، وقصر لغروس، وأهل «لقصابي»، علي وادي ملوية وهم من آل المولى السعيد، وقد فصل فيهم صاحب الأنوار الحسنية ط 1966.

وأما أبناء الثالث الذي هو: حمو داود فهم سكان: زاوية عبد الله بن علي طاهر، وتاوريرت، ولقصيبة، والقصر الجديد، وأولاد أبو ناجي، ثم قصور أخرى هي كاريورگاز، ومسكي، وبني موسى، وبالرجوع إلى أصول هؤلاء وما عرفوا به عبر التاريخ، يمكن تمييز كل فريق منهم عن غيره بما يتميز به، خيرا أو شرا شجاعة أو جبنا، كرما أو بخلا، إتزانا أوتهورا، ولاداعي للتفصيل في ذلك.

لقد كانت بعض قصور «مدغرة» إلى عهد قريب من المواطن التي تميزت بالعلم والعلماء وبالمحافظة على الدين السليم والخلق الفاضل القويم، كما كانت إلي عهد قريب من المواطن التي حافظ المحيط فيها على النسب، وتوجد هذه القصور المبنية من التراب المضغوط بواسطة الألواح مع بساتينها التي كانت غنية بالنخيل والزيتون ومختلف أشجار الفواكه، في مساحة تقدر بحوالي مائة ك م، وسكان أرض مدغرة يعتمدون على الفلاحة والتجارة، وبعض الصناعات المحلية، أما عدد السكان وقتها في زمن الشيخ لم يكن يتجاوز العشرين ألف نسمة، وقد كانت أرض مدغرة في الأحكام المدنية منذ ما بعد السعديين والدلائيين تابعة للخليفة السلطاني في تافيلالت، وآخر خليفة هو المولى الرشيد بن محمد بن عبد الرحمن ثم ولده المهدي، أما تاريخها السياسي فهي وكما سبق منذ رحل عنها السكان الأصليون من گروان، وبني حسن، ثم حل بها بعض الأشراف ومنهم السليمانيون(258) والعلويون أصبحت موطن سلام مع ماحولها، ولم تعرف خلافا مع

(258) نسبة إلى سليمان بن عبد الله الكامل صنو إدريس الأول، وهم الذين يعرفون في غرب الجزائر بـ «مهاجة» وفي عين الحوت.

جيرانها بقدر ما عرفت من فتن وحروب بين الأخوة من أهلها، خصوصا بين أهل تازناقت والقصبة القديمة، أي أهل بوحاميد وتيعيرمت، وهي حروب طالت وامتد أمدها زمنا طويلا، كما تخبرنا رسالة الشيخ أحمد الحبيب اللمطي إلى الفريقين، وخصوصا أهل تازناقت، فقد كانت الحرب قاسية بين الفريقين ضاعت فيها عشرات الأنفس، إن لم تكن المآت تحدثت عنها الرسالة المشار إليها بمرارة والتي بلاشك كانت زمن حروب الإخوة أبناء المولى إسماعيل أما في العهود الأخيرة « فمدغرة» عاش أهلها بعيدين عن كل المنازعات التي كانت في المنطقة بين القبائل من حلفي آيت عطا وآيت يافلمان، إلا ما كان من بعض الحوادث التي لاتذكر لقلتها وعدم أهميتها، والتي سنتعرض لبعضها حين كلامنا على نفوذ الشيخ محمد العربي الهاشمي.

ومهما يكن مما آلت إليه القصور في أرض مدغرة وما حولها من تخلف وانحطاط كغيرها من جهات أخرى بسبب الظلم والاستبداد وتسلط الفحش، والفجور، فإن لها من الأمجاد مالا يتأثر تاريخها بما تعرفه اليوم، فقد عرفت قصور مدغرة عموما ومنذ أقدم العصور وإلى القرن التاسع الهجري ومابعده ببعض مشاهير العلماء المشار إليهم بالتقدير الكبير، مثل قاسم بن محمد المعروف صاحب المنظومة حول أجوبة أبي حازم في العبادات (259) ثم عبد الرحمن بن عمر المتوفى 927هـ 1520م وهو حفيد الأخير إذ هو محمد بن عبد الله بن عمر ت 970هـ /1562م وكذا الشيخ المحدث عبد الله بن علي بن طاهر(260) المتوفي 1044هـ/ 1634م وهو تلميذ عبد الجبار الفجيجي البرزوزي المعضادي الحسني وولده عبد الهادي صاحب المنظومة في علم الكلام، والمعروف بمختصراته في مختلف العلوم، وقد توفي عام 1055هـ(261) وشقيق عبد الله بن علي وهو عبد الواحد بن علي المتوفى في سجن أحمد المنصور السعدي، ومعه قاسم بن عبد العزيز، ثم محمد بن عبد الله بن طاهر المتوفي 1082هـ 1678م(262) ثم أبو بكر بن الحسن التيطافي المتوفي

---

(259) يكتب المضغري وعدد أبيات منظومته 131 انتهى منها آخر رجب عام 910هـ=1504م مطلعها (الحمد لله المهيمن الأحد سبحانه إلهنا فرد صمد) م خ نا خاص ص 1 رقم 274.

(260) راجع عنه نشر المثاني ج 321/1 والتقاط الدرر، وفهرست الحضيكي ومرآت المحاسن، ط حجر والإعلام لابن ابراهيم 30/7 حيث ترجم له بتطويل.

(261) م خ نا 142 ونشر المثاني.

(262) الحركة الفكرية د محمد حجي ج 520/1 – 524 ط 1978م.

1055هـ 1645م وهو من مشايخ أبي علي اليوسي الذين ذكرهم في المحاضرات، حين روى عن عبد الله بن علي بن طاهر ما قيل أنه علم بلا مخبر، أوكما سماه «الكشف والمكاشفة عند الصوفية(263) ثم أبو الحسن بن هارون المدغري، من أساتذة أحمد المنجور، وعبد الواحد بن أحمد العلوي آخر المحدثين بمراكش، فهو بن أحمد، بن محمد، بن الحسن، بن يوسف بن علي، الشريف، بن الحسن بن محمد بن الحسن الداخل الخ والمتوفي بمراكش يوم 25 رجب 1003 ترجم له في الجذوة، ودرة الحجال، والمرآة، والصفوة، ونزهة الحادي، والأنوار، والدر السنى، ونشر المثاني، الخ. وأحمد بن علي البوسعيدي تلميذ أبي القاسم بن عبد الجبار الفجيجي أيضا، وغيرهم، هؤلاء من الذين امتد نفسهم إلى العصر الذي نحياه والذي توجّه من يعتز بعظمته وهو شيخ الاسلام الإمام السلفي باعث نهضة المغرب، وباعث وعي الشعب محمد بن العربي العلوي الذي هو من أبناء القصر الدخلاني بمدغرة كما سنرى.

ولد الشيخ محمد العربي الهاشمي الدرقاوي تقريبا عام 1220هـ/ 1805م بالرتب وليس بقصر كاوز الذي هو مقر أسرته، والذي تقطنه الفرق الثلاث من أحفاد عمرو بن لحسن بن يوسف بن علي الشريف وهم: « العمريون» ومنهم الشيخ، و«آل عبد المومن» و«أولاد محمد» وهؤلاء كانوا على طرفي نقيض مع العمريين عموما والشيخ بالأخص، رغم رجوعهم جميعا إلى أصل واحد الذي هو عمروبن لحسن بن يوسف بن علي الشريف دفين سجلماسة.

نشأ محمد العربي برعاية والده الفقيه الورع هاشم بن محمد، الذي كان قاضيا بمدغرة مدة حياته إلى أن عجز عن مزاولة المهمة لكبر سنه فطلب الإعفاء من المولى عبد الرحمن بن هشام الذي أعفاه بظهير «مرسوم» مؤرخ ب 18جمادى الثانية عام 1259هـ 1843م(264) وإثرها عين مكانه أحمد بن محمد.(××)

نشأ محمد العربي الهاشمي وشب في بيت علم كريم، ويمكننا القول أنه لم يكن وقتها بين أهل مدغرة من هو أعلى من أبيه قدرا وعلما وإلا لما اختير لمنصب القضاء الذي كان وقتها لا يحصل عليه إلا من نال موافقة الأخيار من رجال العلم والفضل من

(263) المحاضرات 113ط 1976 مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر د.محمد حجي سلسلة1.
(264) المصدر صورة « المرسوم» الذي هو في حوزة العقيد محمد بن يوسف أحدا العطاوي، راجع الصورة.
(××) المصدر رسالة موجهة من أحمد البدوي زويتن بتاريخ 29 شعبان 1261 هـ م خ نا .

قومه وعشيرته قبل موافقة السلطان وبطانته، ناهيك وأن العهد عهد السلطان الفاضل عبد الرحمن بن هشام الذي ورثت إدارته استمرار نفس السلطان العادل المولى سليمان بن محمد بن عبد الله، فلو لم يكن محمد الهاشمي رأس القوم علما وكفاءة وسلوكا ولولا أنه إشتهر بين أهل قصور مدغرة الذين وصف سلوك بعضهم شيخ حكيم يرحمه الله إن بعضهم « كالكلاب» لا يرفع أحدهم ذيله إلا عندما يرى أخاه » مع أنه يداس بأرجل المارة ولا يفعل ذلك، وهذه حقيقة ماثلة في بعضهم حتى اليوم، يدس بعضهم للبعض، ويكيد بعضهم للبعض كذلك..

وبالتالي فإن بيتا رائدا مثل بيت محمد الهاشمي المشار إليه لابد للذي نشأ وشب فيه أن يكون على سنة أبيه، سواء في السلوك الذي كان هو كل شيء، أو في طلب العلم والتحصيل للمعارف التي رفعت الوالد، والتي كانت رائجة وقتها بين قومه وعشيرته، بل والتي كان لابد منها لكل ذي أصالة في ذلك العهد.

لم نجد مصدرا يخبرنا عن العلوم التي درسها محمد العربي قبل أن يرحل من مدغرة إلى مدينة فاس التي أرسله والده إليها لإتمام الدراسة بها، والتي كان لايرحل إليها في هذه المرحلة من التاريخ التي ضعفت فيها المعارف في تافيلالت، بسبب الفتن والحروب، إلا من حصل على مقدمات ماكان من علوم العصر ومعارفه وقتها، وهي: حفظ القرآن العظيم ومختلف المتون من علوم العصر كالرسالة، وجوهرة التوحيد، ومنظومة ابن عاشر، ومنظومة ابن مالك في النحو والصرف، والعروض، ومن أشعار العرب المعلقات وآثار المخضرمين... الخ، كذلك لم نجد من يخبرنا عن السن الذي رحل فيه محمد العربي إلى مدينة فاس إلا أننا نستنتج ذلك مما كتب المعاصرون ومن خلال الوثائق التي هي عبارة عن مراسلات أحمد البدوي الدرقاوي وما يتعلق بحياة والده الذي كتب عنه صاحب سلوة الأنفاس(265) وعنه نقل الفضيلي صاحب الدرر البهية، وعن هذا نقل المراكشي في الأعلام(266) حيث قيل إنه « توجه إلى فاس في حدود الستين بعد المائتين وألف، وعاد

---

(265) 261/1.

(266) 82/7 ثم راجع ترجمة محمد بن محمد « المدغري» في الاعلام لابن العباس ج 145/7 ط الرباط 1977 هناك سلسيلة باسماء المتصوفة الذين أخذ بعضهم عن بعض من محمد العربي إلى الإمام على(؟) مرورا بعلى الجمل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، وأخرى جمعت بين رجال المشرق والمغرب بطريقة ربما لو قام المؤرخ بتحقيق لتراجمها لما وجد لبعضهم اتصال بالبعض الأخر لكنه داء العصر وقتها.

منها في حدود السبعين» وفيما قاله الثاني ونقل عنه الثالث، لم يدلي لنا بمصدر، ونحن بين أيدينا مراسلة إليه من شيخه أحمد البدري زويتن أشركه فيها مع المولى السعيد التازنافتي، يستدل منها أنه كان للكاتب إتصال سابق بالمكتوب لهما، وأن محمد العربي وصاحبه كانا وقتها من أنصار أحمد البدوي وأن محمد العربي لم يعرف أنه إنتمى للطائفة الدرقاوية إلا بعد سفره لفاس وعودته منها وتاريخ الرسالة 28 شوال من عام 1261هـ = 1845م ومعنى هذا أنه كان قد بلغ سن الأربعين وأن والده في هذا التاريخ قد عجز وتقاعد عن العمل، بطلب منه منذ أكثر من سنتين، بل ومعنى هذا أيضا أنه ذهب وعاد من فاس التي لم تكن إقامته فيها قد بلغت العشر سنوات حسبما سبق، بل أقل من ذلك بكثير وإذا علمنا أنه لم يهاجر لطلب العلم وقتها إلا من جاوز الثلاثين سنة من العمر، فإنه يكون زمن وجوده بفاس كان قبل 1259 وهي السنة التي إستقال فيها والده، إذ بعدها نجد من الوثائق ما يدلنا أنه كان ضمن المجموعة التي كانت لها صلة بالطائفة الدرقاوية البدوية بفاس، وأنه كان للبدوي حسب المراسلات التي بين أيدينا أنصار في كل من قصور مدغرة ووادي گير، وفركلة، وفم اللعب، ولنتأكد من أنه انتمى إلى الطائفة زمن الطلب نتعرف علي كيف تم التعارف والانضمام إلى الطائفة التي كان يتزعمها أحمد البدوي زويتن(267) تلميذ محمد العربي الزروالي المؤسس الثاني للطريقة، والمعروف قبل زمن المولى سليمان كما سبق.

هناك رواية رويتها عن تلميذه الذي جاوز العقد الأول بعد المائة من عمره، وهو الشيخ محمد بن الحبيب الأمغري الدرقاوي(268) دفين داره بمدينة مكناس وهي «أن محمد العربي الهاشمي لما توجه قصد الدراسة بفاس دخل في سلك طائفة الشيخ أحمد البدوي حيث إنشغل بما كان عليه أتباعه من إقبال على دراسة كتب التصوف التي إنقطع إليها وأقبل عليها إقبالا، ثم توصل منها بما لم يحصل لأحد ممن كانوا معه، حتى أن البدوي نفسه إنبهر منه لأنه لم يكن قد حصل على ما حصل عليه تلميذه الذي طالت

(267) هو سمي دفين مدينة طنطا بمصر ومن أسرته راجع دائر المعارف الإسلامية ج 1/465-472 وقد توفي أحمد البدوي زويتن يوم 23 ذو الحجة 1275 . والبداوة قبيلة بشمال المغرب بين سكان اجبالة كما سنرى حين تناولنا لترجمة أحمد الريسوني .

(268) ولد عام 1280 هـ ومعناه أنه عاش 29 من حياة الشيخ محمد العربي الهاشمي والرواية كانت بتاريخ 1960/8/5.

إقامته بفاس، فكان والده يكتب إليه تحت ضغط والدته التي إشتاقت إليه فكان لا يرد على الكتابة ولو بمثلها، وذلك من كثرة إنشغاله، ولم يستجب إلا بعدما كتب والده إلى الشيخ البدوي رسالة كلها لوم وعتاب على عدم تنبيهه حتى يعود إلى البلد لرؤية والدته التي كادت تفقد بصرها من كثرة البكاء، وفعلا رجع الولد، ولما التقى بالوالد قال له الوالد: ماكنت تعمل بفاس؟ هل كنت تتعلم الدين وفضائله، أم العقوق ورذائله، فرد الولد كنت أتعلم الدين ياسيدي – وهل من الدين عدم الاحسان مع الوالدين، وقد قال تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسان..الآية(269) فرد الولد، كل ما مضى ياسيدي عليّ بمدينة فاس قضيته بحثا في تحقيق الشطر الأول من الآية، وأما الشطر الثاني فأرجو من الله وقد حللت بينكم أن يوفقني ويعينني عليه، ووقتها بدأ محمد العربي في سلوك القوم بين قومه» يقول الشيخ محمد بن الحبيب الذي انتهت روايته.

وإذا لم تكن هذه الرواية نفسها في شكل مغاير وبطريقة صاحبي السلوة والدرر، هي التي أوردها صاحب الأعلام المشار إليه فإن ما يقرب منها تقول الرواية أيضا أنه «لما ذهب محمد العربي للدراسة بفاس سرعان ما وقع في شراك الطائفة الدرقاوية التابعة للبدوي وأصبح « يخدمه خدمة العبيد، ولما بلغ ذلك لوالده كان يكتب له متوعدا فلم ينجح فيه شيء إلى أن تم فطامه على يديه. وأذن له بالتسلك والتلقين، ورجع إلى بلاده في حدود السبعين، هاديا مرشدا، في حياة شيخه المذكور، ثم لما مات جدد عليه أصحابه، ودخل بيعته البربر وغيرهم، وصار صيته إلى أقصى بلاد المغرب، ولم تخل حاضرة أو بادية ممن ينتمي إليه أو عن الأخذ عنه، ودخل مراكش، ودمنات، وجال بلاد المغرب(270) وقيل أيضا في حقه الكثير مما سنتعرض له بعد، وبالتالي فإن المساحة التي كان قد تمكن فيها نفوذ الشيخ محمد العربي أكثر، هي مواقع قبائل ايت إزدك وآيت صغروشن، وأيت حمو وسعيد وآيت بومريم، وآيت حديدو، وآيت مرغاد، وفي الشرق الشمالي لإقليم تافيلالت ثم بوذنيب إلى فجيج وتوات وقبائل حميان ولعمور وغيرها إلى ليبيا، مما يقدر بأكثر من مليون كيلو متر مربع ، يسكنه في ذلك العهد وحسب التقديرات غير الرسمية في تلك المنطقة وغيرها من أتباع الشيخ ما يزيد على مليون ونصف من

---

(269) سورة الإسراء الآية 23.

(270) راجع المصادر السابقة، والاعلام 7/81 ط الرباط 1977.

السكان كان النفوذ والتوجيه فيهم لأتباع الشيخ محمد العربي رحم الله الجميع أما ثروات المنطقة ذات الإمكانات الزراعية المتوسطة والتجارة التي كانت تقوى وتضعف حسب ظروف الحرب والسلم بين القبائل فإنها بشكل أقوى كانت ولا تزال مصدر الثروات الطائلة لبعضهم فيها هي تربية المواشي، خصوصا الأغنام التي لاتزال حتى اليوم موضع إهتمام وإعتبار بالنسبة لاقتصاد جنوب المغرب عموما وتلك المناطق بالخصوص مما كان يهيء لزاويته وأتباعه ظروفا أحسن وإمكانات أكبر للترابط والتراحم إمتثالا لتوجيهات الشيخ الذي كان أكبر همه نشر السلم بين القبائل وتوجيه روح القتال فيهم إلى العدو المحتل للجزائر والذي يهدد المغرب من حدوده الشرقية.

مرسوم تقاعد من السلطان عبد الرحمن هشام إلى محمد الهاشمي والد الشيخ محمد العربي بسبب شيخوخته وطعنه في السن

جواب من السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى الشيخ محمد العربي العلوي يتوسط فيه الشيخ من أجل إطلاق سراح أحد التجار من قصر أبو عام بتافيلالت وهي 1289هـ 1872م

جواب من المولى الحسن للشيخ محمد العربي الهاشمي حول مانبه عنه الشيخ من أن بعضهم أخذ يتخذ حماية الأجنبي وقاية وهي 1304هـ 1886م

الرسالة من الشيخ محمد العربي في شأن إبل أخذت لبني كيل اغتصابا تاريخها1298هـ 1880م

رسالة من الشيخ محمد العربي الهاشمي إلى المجاهدين بالأطلس يوصي نبيذ خيرا بأهل الذمة اليهود

الفصل الرابع بعد المائتين

المصلح المربي محمد العربي ومقاصده

عاد محمد العربي الهاشمي إلى موطنه، وعاش بقية حياة والده لم يظهر عليه فيها تحرك ولا عمل في مجال الطائفة الدرقاوية إلا ما كان من الاتصال الذي كان قبل بينه وبين المشار إليهم في تازناقت وفمّ اللعب، أو ما كان له من مراسلات مع الشيخ البدوي وجماعته كلما ظهرت قافلة من القوافل التجارية التي كانت لا تنقطع بين تافيلالت وفاس، وبقي الأمر كذلك حتى بعد وفاة والده رحمه الله، والذي توفي أواسط العشرة السابعة من القرن الثالث عشر.

وفي سنة 1275 وبالتحديد يوم 23 ذي الحجة توفي بفاس أحمد البدوي الذي كان قد عرف هو الآخر صراعا مع بعض أهل فاس، وخصوصا اتباع الطائفة التجانية، الأمر الذي جعله يترك وصيته بمن يخلفه في قيادة الطائفة بعيدا عن فاس، فكان هو محمد العربي الهاشمي الذي ما كاد خبر تنصيبه للمشيخة ينتشر حتى «هرع الناس ليأخذوا عنه من سائر الجهات والأقطار، وفد عليه وفود الزوار وقصده الناس مما نأى وقرب من الديار، وبعد صيته حتى بلغ جميع الامصار، فلا تجد قبيلة من قبائل المغرب حواضره وبواديه إلا وفيها من تلامذته العدد الكثير، والجم الغفير، سري سره في الأقطار المغربية من أطراف السودان إلى أقصى السوس، ترد عليه الخلائق ألوفا فيطعمهما من الطعام صنوفا، وربما وفدت عليه القبائل بخيلها ورجلها، فيطعم ويسقى جميعهم ودوابهم زيادة على ما في الزاوية من الفقراء والمساكين الملازمين لها، وربما وصل بالصلات العظيمة يقول صاحب الإعلام(271) الذي زاد أيضا» كان دائم الخدمة لمولاه عارفا به قائما بأوامره تابعا للسنة، تاركا للبدعة كثير المحبة في الناس والتودد لهم، قليل الدعوى لم

(271) راجع المصدر السابق.

يدع ولاية ولا مقاما مدة حياته(272).

ومهما يكن فإن محمد العربي الهاشمي كان في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمن قد بلغ درجة عالية في المجتمع تمكنت أكثر في عهد خلفه المولى الحسن وهو ما عبر عنه صاحب الدرر وكرره صاحب الاعلام، وإذا كان قد بلغ تلك المكانة بما ظهر عليه من سلوك ذاتي، وعمل اجتماعي وسياسي، ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وشرق المغرب، فإنه بالنسبة لمن حوله من العشيرة الأقربين سكان مدغرة لم يعرف من بعضهم غير الخبث والمكر والحسد، إلى درجة الدس والكيد له عند السلطان، ولقد صدق فيهم قول الشاعر إذ يقول :

يخونك نو القربى مرارا وربما وفى لك عند الناس من لا تناسبه

كان ذلك من بعض أهل مدغرة الذين عز عليهم أن يحققوا شيئا يذكر في الحياة، فلما رأوا ما انتهى إليه محمد العربي الذي ولد وشب بينهم، ومنهم من يشترك معه في الجد الأقرب، ساءهم ذلك وأرادوا هدمه بقوة السلطان الذي أكثروا عليه من الوشاية أن الرجل يأتي من الأعمال ما يعتبر مقدمة لتأسيس الملك، وكان هذا بشدة وعنف عنيف من إخوته الأقربين أولاد محمد من أهل كاوز الذين ينقسمون إلى فروع ثلاثة :

1) العمريون، ومنهم الشيخ محمد العربي 2) وآل عبد المومن 3) ثم أولاد محمد.

وكلهم أحفاد عمرو بن لحسن بن يوسف بن علي الشريف دفين سجلماسة وهؤلاء بالنسبة للشيخ كانوا أشد عداوة وحقدا، بلا دافع ولا سبب إلا الحسد ولئن كانوا قد استطاعوا جلب بعض الأفراد إلى حزبهم، فإن ذلك لم يدفع السلطان إلى عمل شيء ضد الشيخ ولو بمراقبة تحركاته ونوايا أنصاره إلا بعد سنة 1307هـ 1889م وذلك عندما قتل محمد والطالب اليوسي عامل السلطان على آيت يوسي ثم اشعلت فيه النار بسبب جريمته وكان القاتل هم أنصار الشيخ من حلفي آيت عطا، وآيت يا فلمان من غير أن يكون للشيخ دخل في ذلك، وإنما هي الغيرة الإسلامية ومحاربة المنكر دفعت القوم لذلك كما سنرى في فصل غادة الأطلس.

لقد كانت وشايات أولاد محمد ومفترياتهم أن الشيخ توضع على رأسه مظلة كلما

---

(272) المصدر السابق الاعلام.

خرج من داره إلى بستان من البساتين، وأنه ابتنى قصرين جلب لهما العملة من فاس، وقد سمى أحدهما «نعمة الله»، والثاني «رحمة الله» وأن عدد الملازمين له والمحيطين به يقدر بألف رجل، وأن الأموال وأفخر الهدايا ترد عليه من مختلف القبائل، وأن نفوذه على قبائل المنطقة بلغ إلى درجة أنه أصبح يوجه الفرسان المسلحين لمقاتلة الفرنسيين شرقا، وأن خيل الاتباع ومختلف البهائم تحمل أرقاما متتابعة مما لم يكن عند المخزن. وأن مراسلاته عمت قبائل المنطقة وأن أوامره مطاعة مهما كانت أهداف ومقاصد تلك الأوامر إلخ.

وإذا كان من سنن الحياة أنه حيث يوجد العدو يوجد الصديق فإن أهل القصر الجديد بمدغرة(273) كانوا من أصفياء الشيخ محمد العربي وأحبائه، ورغم مصارعة هؤلاء لأولئك، فإن الشر إذا زرع في الأرض الطيبة ينتج بسرعة أكثر، لأن الشيطان يسقيه والنفاق يضع له السماد، والنفوس الخبيثة تحرسه وترعاه، وتلك دنيا القوم وطبائعهم التي جبلوا عليها بما في ذلك حتى بعض خلف الشيخ شربوا من ماء المطر الذي ارتوى منه أهل مدغرة والذي جرعة منه كافية لنشر وباء النفاق والرياء وخبث الطوية، والتطبع بأنواع السوء حتى كأن قول الشاعر المجرب يعنيهم أكثر من غيرهم.

إذا كانت الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

إلتقت وشايات بعض أهل مدغرة، مع مكايد الفرنسيين التي تطوع بها كبار ضباطهم بالجزائر، ثم حملها أذنابهم من الذين كانوا على استعداد لنشر تلك السموم بين مختلف الأوساط، خصوصا مجتمع طنجة حيث قناصل الدول الذين كانوا يكتبون التقارير إلى حكومات بلادهم فينعكس أثر ما يكتبون على الواردين، وما ذلك من الفرنسيين ضد محمد العربي واتباعه إلا من شدة ماكانوا يلاقون منهم كما سنرى.

لقد كان محمد العربي على جانب كبير من الحلم والدهاء، وبذلك استطاع رغم طول عمره أن يعيش دون مشاكل إلا ما كان مما علمناه من تصرفات بعض قومه وعشيرته، والتي رغم كثرة مادبروا لم يجد السلطان له سبيلا.

---

(273) يوجد أيضا القصر الجديد بأوفوس، وسكانه من الأشراف هم أحفاد عبد الرحمن أبو البركات الذي هو الولد الأكبر لمحمد بن الحسن الداخل، وصنو لعلي الشريف مؤسس مجد العلويين بالمغرب، ولقد كانت بين الفريقين المحمديين واليوسفيين عداوة شديدة العنف، أشرنا إليها حين كلامنا على تأسيس الدولة العلوية قبل إلا أن أولاد أبي البركات لم يكونوا مع فريق من الفريقين، بل كانوا مسالمين مع الجميع وذلك ما عرفوا به حتى اليوم.

قيل إنه ذات يوم بلغ محمد العربي أن أحدهم وهو معروف قال في حقه «إنه كافر ظالم معتد» وذلك لمجرد أن بعض الذين يردون على الشيخ مروا ليلا بقافلتهم في بستان الرجل والذي داسته خيلهم، ورغم أن البستان لم يكن مزروعا ولا فيه ما يضيع لصاحبه، فإن الشيخ لما سمع مقالة الرجل أمر بأن يستدعى في مقدمة جماعة أهل مدغرة الذين استعد الشيخ لإكرامهم، ذلك اليوم، ولما وصل وقت الوليمة وعلم أن الرجل دخل منزل الشيخ مع الجماعة، أرسل إلى منزله أكثر مما ينتج بستانه من الزرع والتمر، ولما انتهت الوليمة وأراد القوم أن ينصرفوا بعد حديث طويل وممتع، تارة من الشيخ نفسه، وأخرى من بعض علماء مجلسه، وقف الشيخ قبل قيام القوم وكأنه يريد أن يلقى فيهم خطابا ثم قال : سادتي لقد جمعتكم اليوم لمهمة كبيرة وكبيرة جدا تتوقف عليها حياتي ومماتي وهي " أنني أريد أن أشهدكم الله أنني محمد العربي بن محمد الهاشمي ولدت مسلما من أبوين مسلمين، وأنني أقول أمامكم لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم... إلخ (274) وقد قيل إن القوم دخلهم رعب وقتها، و ا ودعهم ثم خرجوا أخذ القوم يستفسرون بعضهم بعضا ولما يمضي قليل من الوقت ح تى عرف الرجل وعرف الدافع، لكن ذلك لم يضع حدا لكل الذين كانوا يتطوعون حسدا لعمل كل ما يؤذي الشيخ ولو بالإساءة إلى الذين كانوا منقطعين بالقرب منه، إذ كان بعضهم يقول لبعض الاتباع : من أين خرجت أو من أين جئت وبالطبع كان عليه أن يجيب إن كان قبل بأحد قصري الشيخ رحمة الله أو نعمة الله : فيقول عدت أو خرجت إلخ

وكان ذلك منهم أقل أنواع الأذى، والعجب أنه لم يغادر الحياة حتى كان القوم كلهم يتمسحون بأقدامه حماية لأنفسهم وقد اشتدت نيران الحروب بين حلفى آيت عطا وآيت يافلمان منذ عهد المولى سليمان ولم يوقفها كما سنرى إلا محمد العربي في الوقت الذي لم يستطع أحد ذلك بما فيهم المولى الحسن السلطان الذي اعتدى على عمه سرور وأكثر من خمسين رجلا معه أرسلهم إلى آيت شخمان فقتلوا جميعا كما سبق بعد غزوه لآيت مجيلد 1305.

لم يكن الشيخ محمد العربي كما قرر ذلك معاصره الفضيلي لم يدع ولاية ولا

---

(274) الراوي من أهل المعرفة ممن يثاق بقوله لسلامة دينه ومروءته، وقد روى عن والده ولم يرد ذكر اسمه لأنه من أهل كاوز الذي هو قصر الشيخ لكنه من فرع غير فرع الشيخ.

مقاما مدة حياته، بل كان وحسب مالدينا من الوثائق المتعددة في شكل رسائل توجيهية سواء التي كتبها بخط يمينه أو التي أمر بكتابتها وهي بخط العالم الجليل أحمد بن الحسن السبعي، كلها ليس فيها قط ما يمكن للمعارض للوضع الذي وإن كان قد تأزم بين بعض رجال السلطة وطائفة درقاوة في منطقة الأطلس الكبير والمتوسط، أن يؤوله وينسبه إلى أن فيه من المعنى ما يوجه ضد أحد، بل كان محمد العربي وحسب معطيات أفكاره الدينية، في مستوى رسالة الإسلام التي إلتزم بأدائها ونشرها والتمسك بما جاءت به من حث على فضيلة الثبات والالتزام للفضيلة والخلق الكريم، وما كان لصاحب تلك المبادئ أن يخرج على سلطان تمت بيعته شرعا، ثم هو لم يصدر عنه ما يستوجب الخروج عليه، أو ينطبق عليه قوله صلى الله عليه وسلم "لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق" وهو ما يفسر به الأمر بالطاعة وعدمها في قوله تعالى"ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم(275) وقوله تعالى: إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله.." الاية(276) والحديث" إذا بويع أمير ثم خرج عليه أمير، فاقطعوا رأس الذي خرج ومن بايع الثاني فقد كفر".

لقد امتد نفوذ الشيخ محمد العربي إلى درجة أصبح معها يضايق نوي السلطان الذين أصبحوا يضايقون أنصاره ويضيقون عليهم حينما علموا أن السلطان أظهر التضايق من عملهم المسلح ضد الفرنسيين شرقا، ذلك أن محمد العربي كما قال صاحب السلوة، ومثله صاحب الدرر، والاعلام، أصبح كثير الاتباع في المغرب إلى درجة «لم تخل حاضرة أو بادية ممن ينتمي إليه، أو عن الأخذ عنه». بل من عرب الجزائر وعموم ناحية وهران، حيث كان مريدوه ومقدم زاويته المجاهد المعمر أبو عمامة البوشيخي إلى سوس، حيث مقدم زاويته السيد لعناية، والحسن التيمكدشتي، وغيرهما في دمنات ومراكش(277)

---

(275) النساء : 59 .

(276) المائدة الآية 33.

(277) تعرض لذكر أولاد سيدي الشيخ أبو سالم العياشي في رحلته 43/1 ط حجرية 1316 إذ هم من سلالة عبد القادر الذي كان بالقليعة، فهو عبد القادر بن محمد، بن سليمان، بن بوسماحة، ويعرف عند أهل بلده بسيدي الشيخ وأولاده حتى الآن يدعون بذلك، وله حرمة وصيت في هذه النواحي كلها، خصوصا ولده أبو حفص، فله هدى وسمت حسن ونسك، مثابر على فعل الخيرات من جهاد وحج، فقد أفنى غالب عمره في التردد إلى الحرمين الشريفين، وربما رجع من الطريق قبل أن يصل، ولم يزل ذلك دأبه إلى أن توفي سنة 1071هـ 1660 م ودفن عند والده = بمقبرتهم بالأبيض قرب بوسمغون.

ومن أولاد سيدي الشيخ طائفة في ضواحي ميسور أقطعهم المولى الحسن أرضا ثم تملكوا وتفرعوا بين أولاد خاوة في المنطقة.

والسراغنة حيث محمد بن علي التدغي، بل كان نفوذ الشيخ قويا على اتباعه إلى درجة أن المشاكل بينهم كادت تنعدم بسبب امتثالهم لأوامره فيما يرجع إلى حلها كلما عرفت التعقيد لسبب من الأسباب، ومثال ذلك ما حصل بين ابراهيم بن الحسن الماغوسي، والمهدي بن محمد بن عبد الرحمن وخصوصا الأول، والثالث اللذين، قال لهما في إحدى مراسلاته بسبب ما بلغه عنهما من خلاف، وذلك في رسالة تاريخها 9 ذي الحجة عام 1283 "1866" «واعلموا إخواني أني قد واخيت بين البركتين الكبيرتين الواضحتين الشهيرتين، الوليين لله تعالى ، والدالين عليه جل وعلا، المقدمين المعظمين، سيدي محمد بن علي، والشريف سيدنا ومولانا المهدي بن محمد بن عبد الرحمن أخوة لا افتراق بعدها، وألفة لا خلاف معها، فكلاهما مقدم الآخر ووزيره، ليتعاونا على عبودية الله تعالى ثم عبودية إخواننا في الله ساداتنا وموالينا الفقراء، إذ الدين ما قام إلا بالمعاونة» ثم قال "واعلموا إخواني أنه بحسب ما علمني الله تبارك وتعالى ما جاد وتكرم وتفضل علي إلا بالإخوان الصادقين المصدقين، المشتغلين بما يعنيهم، التاريكين لما لا يعنيهم، الفارين عما سوى أهل فنهم، المشتغلين به سبحانه في سائر أوقاتهم التاركين الفضول وأهلها القاطعين نظرهم عما سوى مولاهم، فهما منهم أن كل ما سواه يفنى ويزول ولا يبقى إلا هو سبحانه، لله الحمد ثم له الشكر». ثم أكد على المقدمين المذكورين تعيين وقت لسرد الرسائل على الفقراء وتلاوتها بترتيل كبير وصوت عال "؟" فإن في ذلك مددا عظيما وسرا كبيرا ثم يذكرون عقب تلاوتها اللطيف الكبير، وعدده "116.487" ثم فدية الهيللة وهي 70786 ثم فدية الحوقلة وهي 1000 وهذه الأسماء الشريفة : يا الله ياستار، ياباق، يابر، ياخالق، ياخلاق، يامالك، يالطيف، ياخبير، ياغالب، يارحمان، يبدأ أول كل عدد باللاهم، ويختم بلا إله إلا الله، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، قد تحيرت في أمري فخذ بيدي إنك على كل شيء قدير.

والله يتولى هدايتنا وهداكم بفضله، وعاملونا بصالح دعائكم والوقت وأهله، وخصوصا السلطان نصره الله والسلام في 4 من محرم الحرام عام 1284هـ 1867(278)

(278) راجع بعض المراسلات في الأعلام للمراكشي حسب التاريخ أعلاه ج 85/7ط الرباط 1977 ومراسلة منه لعمر الصقلي وهي عبارة عن موعظة مطولة بتاريخ 1284 وللعناية بسوس 1289 ولمحمد البكري بن عبد الرحمن التواتي 1297 وكلها من مخطوطات خزانتنا، وجلها بخط يده أو خط العالم الجليل أحمد بن لحسن السبعي صاحب تالسينت.

بدأ بعض الذين كانوا يتملقون ذوي النفوذ ينتقدون على الشيخ وأتباعه عملهم السياسي الذي هو مقاومة الفرنسيين، بدعوى أن عملهم كان من الوراء أي بدون إذن من الأمير الذي لا يجوز الجهاد إلا بإذنه وموافقته، كما قال آخرون أن مايتسببون فيه من المشاكل ويخلقون من المتاعب يجعل عملهم غير مقبول، ولقد أجاب بعض علماء فجيج على هذا، وهو الفقيه الجليل أحمد امحمد الرشيدي الحسيني في رسالة مطولة حيث قال : هل تلك المتاعب أخطر، أم غزو كفار الفرنسيين أرض الإسلام ومحاربة ديار المسلمين أشد خطرا، وقد أمر الله بمقاومة ذلك وإعلان الجهاد لحماية أرض الإسلام ومحاربة الكافرين..(279) كما أمر الشيخ الفاضل أحمد بن الحسن السبعي بكتابة رسائل توجيهية رد بها أباطيل كل الذين حاولوا التعريض بأعمال الشيخ وغيره من الذين كانوا متحمسين، سواء للطائفة الدرقاوية أو للجهاد والمقاومة(280) وحتى إذا ما اشتد كيد خصومه وتأثر نوو السلطان بكيد المنافقين الذين أكثروا من الوشاية ضد الشيخ، فإن تنظيمه لأتباعه الذي يعتبر عملا سياسيا محكما وتربيته الدينية لهم، كانا من أقوى الوسائل التي مكنت الشيخ وأتباعه من الحماية ضد ظلم الولاة وذوي السلطان والنفوذ، رغم الصراع الذي اشتد بين الفريقين زمنا غير قصير، وذلك ما سنتعرف عليه من خلال حياة الشيخ وأثر مدرسته.

---

(279) ضمن وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي.

(280) المراكشي نفس المصدر السابق جـ 58/7

الفصل الخامس بعد المائتين

مشيخة محمد العربي الدرقاوي

بين التنظيم السياسي والتربية الدينية

لقد قيل في حق محمد العربي الهاشمي أنه رجل "لم يأت المغرب من أدرك الصيت، الذي أدركه وعمل الأبهة للمشيخة كأبهة الملوك، من عهد أحمد بن موسى السملالي(281) الذي زاره عبد الله السعدي إلى وقته مثله، فهو الذي نظم الزوايا بطريقة جد لم تعرف لمن سبقه، وآخا بين أنصاره بطريقة جعلت منهم حزبا منظما له مراكز تتوفر على مداخيل للصيانة والاستمرار هي الزوايا(282) التي أنشأها الاتباع في مختلف الجهات، ثم أوقفوا عليها العقارات التي كان الفائض من ريعها يوجه إلى الزاوية الأم، ومما يستدل به على دهاء الخطة ودقة تنظيم أصحابها أن تلك الزوايا والأوقاف ذابت في محيطها ثم رجعت إلى أصحابها بطريقة من السرية جد عجيبة، وذلك عندما دخلت الطائفة في صراع مع الحكم، بعد موت الشيخ مباشرة، حتى إننا لنجد أن أوقاف القوم هي التي لم تستولي عليها وزارة الأوقاف عندما دخلت في طور التنظيم ثم أخذت تستولي على أوقاف الزوايا التابعة للطوائف المتصوفة، وما ذلك إلا بسبب عدم إطلاع الإدارة المركزية على ما كان للقوم من تدبير محكم، حتى إننا لنجد أن بعض الزوايا كانت ملتصقة بدار تابعة لاحدهم ولها باب يربطها بتلك الدار، وبمجرد ما بدأ الصراع المشار إليه اختفت الزاوية وأصبحت من حساب الدار المجاورة عن قصد وسابق تدبير، مما يستدل به على يقظة القوم ومدى التنظيم الذي كانوا عليه وشعارهم الذي تمثل في

---

(281) حول ترجمة السملالي المتوفى عام 971 هـ/1563م راجع الاعلام 233/2 وإيليغ قديما وحديثا ص 19 ونوحة الناشر ص 83 ط ودرة الحجال ج 165/1 ع 191 وطبقات الحضيكي 32/I.

(282) راجع الاعلام 84/7.

العمامة الخضراء الذي هو شعار العلويين قديما(283) ولسوف نرى بعد عدد الزوايا بالعشرات ومع ذلك لم نعرف للدولة سلطانا عليها.

كان محمد العربي الهاشمي قد اختار لاتباعه العمامة الخضراء كزي يتميزون به، وذلك قصدا منه، ولقد اختار لهم ذلك عندما تمكن التنظيم وأصبح له اتباع منتشرون في مختلف الجهات، ولقد كان يقصد بالإضافة إلى التمييز للقوم بين القبائل التي كانت سائبة في كثير من المناطق وقتها، حتى يتعرف الناس على الطائفة الدرقاوية التي ذاع وانتشر أن اتباعها يقاومون الاستعمار الفرنسي في الجزائر ويوقفون المد الذي تحاوله الجيوش الفرنسية في شرق المغرب، وحتى إذا ما كانت العمامة الخضراء سببا في جلب الاحترام لأصحابها الذين هم أتباع الطائفة الدرقاوية بشكل جد كبير، وبذلك أصبح الشيخ وأتباعه في مأمن مما حصل لمحمد العربي الدرقاوي الحسني دفين بني زروال الذي أدخل السجن ظلما بسبب الوصف الذي لم يدرك صاحبه واقع ظلم الترك وبغيهم والذي هو الطاهر بادو الذي رافق الشيخ محمد العربي الزروالي في سفارته للمولى سليمان من أجل أن يرد أتباعه لحكم ولاة الترك بعدما كانوا- أي الاتباع- حرروا غرب الجزائر من ظلم الولاة، ثم قدم بعضهم لبيعة المولى سليمان بالمغرب فرفضها لكونهم كانوا تابعين لآل عثمان وبيعة سلاطينهم في أعناق أهل تلمسان الذين تزعموا تلك الحركة، الخ ما سبق أن بيناه قبل، لكن محمد العربي لما اطلع على ظلم الولاة أمرهم بعدم التراجع، في الوقت الذي أرسله السلطان سليمان لردهم عن ذلك، ولما رجع كان في

---

(283) كانت العمامة الخضراء شعار العلويين أيام المامون العباسي 170-207 786-822م الذي أمر بها في رمضان عام 201هـ 816م كما استعملها البكتاشية وهم طائفة من متصوفة الأتراك نسبة إلى بكتاش المتوفى 718 هـ 1336 كما أمر بها السلطان الأشرف شعبان 764-778 هـ 1363 - 1376م كشعار للعلويين بمصر حيث أصدر أمره بذلك سنة 773هـ 1371م وقد استمر استعمالها بمصر وعنها اقتبسها الشيخ رواية عن بعض الحجيج من اتباعه الذين كتبوا يصفون مراحل رحلتهم كما وقفت على تلك المراسلات التي ما ترك أصحابها شيئا مما وقفوا عليه إلا وصفوه ومن ذلك اتصالهم ببعض الطوائف .. ولقد كان المغاربة قبل يرتدون العمامة السوداء إلى أن أمر المولى اسماعيل بإستبدالها بالبيضاء بسبب الانتصارات في تحرير الشواطئ المغربية من حكم الاسبان والأنجليز راجع حول العمامة الخضراء بدائع الزهور لابن إياس ج 277/1 ط 1311هـ وكتاب المصريون المحدثون لإدوارد وليم لين ص 195ط القاهرة 1950م كما أننا نجد العمامة الخضراء من لبس النقباء في العراق وحراس قبر موسى الكاظم بها رضي الله عنه.

تقرير بادو من الواقع ما جعل الوداية والشراردة يكبرون موقف الشيخ ويتمسكون به عندما علموا ما سيحصل له فما كان من المولى سليمان إلا أن أمر بعودة الذين جاؤا لبيعته من تلمسان أن يحافظوا على العهد بعدم خروجهم علي السلطان التركي الذي هو وليهم من قبل، لكن الشيخ الزروالي وقد أصبح له ضلع في السياسة غير المركزة لما ظهرت فتنة ابراهيم بن اليزيد ثم انجر إليها بدافع لم يكن مما يتفق ومذهب الشيخ وما يجب أن يكون عليه من سلوك بعيد عن الفوضى والانتهازية التي سلكتها طبقة البلديين من أهل فاس لما قيل أن المولى سليمان انهزم في حربه مع آيت أمالو والتي كان قبل خروجه إليها قد أقرض أهل فاس 250000 مائتان وخمسون ألف ريال أرادوا التخلص منها حيث كان ذلك كشرط منهم حتى يبايعوا ابراهيم بن اليزيد الذي دفعوا الشيخ العربي الزروالي يجلب لهم بيعة جيش الشراردة فما كان منهم أن القوا عليه القبض ثم ادخلوه السجن، ولم يخرج منه إلا في عهد المولى عبد الرحمن بن هشام إلخ.

لقد سلك محمد العربي الهاشمي، بأتباعه سلوكا دفعهم إلى التوادد والتراحم والتعاون، عُرف ذلك بشكل واضح جلي بين سكان البادية من مريديه الذين كانوا يتعاونون بشكل عجيب، إلى درجة أنهم كانوا لا يتهاونون في مساعدة من لم يتمكن من حرث ماله من أرض لسبب من الأسباب حتى يتم حرثها، ومن حلت به ضائقة وعلم الآخرين بها بادروا لمساعدته على اجتيازها كل بما في طاقته، وهكذا وحسب مالدينا من وثائق تتمثل في المراسلات المتبادلة، سواء بين الشيخ ومقدمي الزوايا أو بين اتباع الطائفة فيما بينهم، نجد أن هؤلاء الاتباع كانوا على جانب مهم من التنظيم السياسي والتربية الدينية والتعاون الاجتماعي فأهل البادية إلى جانب ما سبق من تعاونهم المادي والاجتماعي وتواددهم الديني كانوا دوما على اتصال وتماسك من أجل أمنهم ومحاربة الفوضى فيمن حولهم، بالتوجيه والموعظة الحسنة، ومثلهم كان سكان المدن في تواددهم وتواصلهم، حتى يكون الكل على اتصال مباشر ودائم، ومن أجل ذلك وجههم الشيخ للاهتمام بالزوايا التي كانت عبارة عن أندية يجتمعون فيها لمعرفة أحوال بعضهم القريب والبعيد، بل ولاستقبال ما يرد من توجيهات الشيخ التي كانت لاتنقطع عن أية زاوية مهما

بعدت، ولو ما بين تالسينت ودمنات، ومراكش، وسوس، وتادلة (284) وما كان بينها من اتصال ثقافي مصدره العلامة المجاهد أحمد بن الحسن السبعي رحمة الله عليه، والذي كانت توجيهاته السليمة المستمدة من كفاءاته العالية جدا لا تنقطع عن مختلف الزوايا التي كان موعد اجتماع أصحابها يوم الخميس ليلا من كل أسبوع.

وقد عرف لإتباع الطائفة الدرقاوية ذكر حسب الذي وقفنا عليه مما سماه "الحافظة" مستمد من الكتاب والسنة يؤدونه في حلقات مربعة في شكل مستطيل، وأحيانا ينتهي الذكر مع الأسف ببدعة يقولون عنها العمارة، والتي لما تمكنت بررها الشيخ نفسه بما قال عنه الذكر قياما استمدادا من قوله تعالى : "قياما وقعودا، وعلى جنوبهم، ويتفكرون في خلق السموات والأرض "الاية، وهو بتلك الشطحة قد حمل الآية غير ما تحتمل، ولقد كان أول من ابتدع هذه "العمارة" هو الشيخ محمد العربي الزروالي الذي نقلها مع تعديل أدخله عليها، وهو ما عرف من رقص للدراويش عند الأتراك(285) بل كان رقص درقاوة(286) قوامه نغمات وطبوع راقصة مستمدة من أشعار تستهوي

---

(284) راجع الاعلام 85/7 إن أول من أطلق إسم الزاوية على مكان الضيافة هم عرب برقة فتحول إلى مكان التقاء اتباع طائفة معينة من الطوائف المتصوفة وفي الشرق تعرف باسم " التكايا، والخوانق، راجع رباط وزاوية في دائرة المعارف الإسلامية ج 10 : 19ـ24ـ331ـ33 بل إن الدرقاوية في ثوبها النظيف وسلوكها القويم السليم هي التي مكنت الدين في الجزائر قبل أن تظهر جمعية العلماء المسلمين التي وجدت في رجالها السند القوي عكس التجانية التي تفرنست من أول وهلة بل إن أسرة الزعيم الريفي محمد عبد الكريم الخطابي كانت من اتباع الطريقة الدرقاوية، وقد بقي عمه عبد السلام يرتدي العمامة الخضراء بل كان الرجل قد اتخذها شعارا المجاهدين بين رجاله، وما تمزيقه لرئيس زاوية درقاوي بني زروال إلا بسبب خيانته. ثم أفرغت أهداف الاستعمار من محتواها وجعلتها تتعرض للإنهيار، ذلك أن الدرقاوية تمكنت في المنطقة خصوصا من وهران إلى بني يزناسن والريف حتى إن الزعيم مصالي الحاج يخبرنا في مذاكراته 1898ـ1938 ص 23 ط باريز فبراير 1982 عن أسرته الدرقاوية التي استمدت تربيتها من الحاج الهبري ببني يزناسن، ثم راجع ما كتبه المرحوم شكيب أرسلان على صورة له بالمذكرات المشار إليها، حيث قال ما يستدل به على حقيقة عقيدة الرجل الذي قال عنه : «ولو كانت الشبيبة الإسلامية كلها على نمطه لتحرر الإسلام من زمن طويل" شكيب أرسلان.

(285) درويش كلمة فارسية= فقير أي الزاهد المنتسب لطائفة متصوفة ما، ثم راجع مادة شطح في دائرة المعارف الإسلامية 291/13ـ93 وهي طبعا لا تعني الرقص الدرقاوي.

(286) راجع ما كتبه المولى سليمان السلطان، حول الرقص والدندة عموما خ ع أو التاريخ المفترى عليه للمؤلف وما كتبه الزياني حول محمد العربي الزروالي ولبس المرقعة التي ابتدعها هو واتباعه في نظرنا لغاية سياسية لم يدركها الزياني إلخ ـ وذلك في الترجمانة الكبرى وللشيخ محمد العربي الهاشمي دراسة حول موضوع الذكر=

الراقصين وتجلب السامعين، وفي طي تلك الأشعار والنغمات والطبوع، من المعاني السامية الرفيعة ذات التأثير اللامحدود في الوجدان بشكل يتذوقه أتباع الطائفة بالدرجة الأولى، وفي طي تلك الأشعار والنغمات والطبوع كان المهرة من الاتباع والمتسيسين المتذمرين، يدسون أفكارهم وانتقادهم وسياستهم التي كان الاتباع يفهمونها بوضوح أكثر، والتي كانوا كثيرا ما ينسبون قولها إلى الذي لا تناله سلطة الحاكم الظالم المقصود بالنقد، فكنت تسمع من الأسماء التي تردد كثيرا بينهم إسم المولى عبد السلام بن مشيش دفين جبل العلم، وصاحب الحزب الرمزي، ثم إسم الشاذلي، وابن عطاء الله، وأبو العباس المرسى، وأبو العباس السبتي، وأحمد زروق، وغيرهم من الذين عرفوا بالرمزية في أقوالهم، فقد كان المسمعون الذين ينشطون الراقصين الذاكرين، يرددون أشعارا فيها نوع من النقد السياسي بالكناية ضد الأوضاع والتعريض بالظلم، وكان في ذلك ما يكفي لمعرفة الظالم والتشهير به، وإذا كان في الغالب يعني به العمال ورجال السلطة من المستبدين الذين كانوا بسلوكهم و ظلمهم أقرب، والذين كانوا مثال الإستبداد الفاحش والمقوت، فإن بعضهم ولكي يتوصل إلى الانتقام من اتباع محمد العربي الهاشمي الذي قيل إن السلطان كان في نفسه شيء ضده - كانوا يؤولون تلك الأشعار النقدية إلى أنها تعني السلطان، حتى ولو كانت واضحة المقاصد في تنبيه الشعب ضد الغزو الفرنسي الذي ظهر وقتها في شرق المغرب وأرض توات، ولكم وقفت على الكثير من افتراءات خفافيش المجتمع في ذلك العهد والذين كانوايدسون ضد القوم، لكنهم جميعا انتهوا إلى نهاية التحقير، وسوء المنقلب وأقبح المصير شأن أمثالهم من المعاصرين.

= قياما وقعودا وما ينشأ عن السماع من حركة ورقص مصدرهما الوجدان، توجد بخزانتنا رقم 532 وثيقة لا بد سلك في الموضوع مسلكا ضعيفا اعتمد فيه استنتاجات متكلفة، كما أورد فيه أحاديث وروايات حملها غير ما تحمل، مما كتبه يوسف بن محمد بن يوسف الفاسي ص 5 والذي قال متطاولا إن لم يكن مفتريا على ماورد في الحديث حيث قال روى الإمام أحمد أي ابن حنبل «رقص جعفر بن أبي طالب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال له "أشبهت خلقي وخلقي وحلمي» وذلك من لذة الخطاب ولم ينكر عليه، وكان ذلك أصلا في رقص الصوفية يقول الفاسي؟؟ وما حصل الغلو في البدع إلا من آل الفاسي راجع كتابنا التاريخ المفترى عليه في المغرب فصل "الإسلام بمنقد آل الفاسي، ص 129-141 ط الرباط 1969ثم راجع مرآة المحاسن للعربي بن يوسف وابتهاج القلوب لعبد الرحمن الفاسي إلخ، وما فيها من شرك وكفر وضلال بعضه ما ورد في جواهر المعاني للتجاني والبغية للعربي بن الساسح.

كانت زوايا محمد العربي الهاشمي وحسب النظام الذي أدخله عليها قد أصبحت تختلف عما عرف به القديم من تلك الزوايا في البادية، والتي أصبحت في مختلف الجهات، خصوصا مناطق ما سمي بالبربرية، لا تخلو من علماء يقومون فيها بإلقاء دروس مختلفة بلهجة القوم، في التصوف وفقه العبادات والمعاملات، وكذا ما عرف لإبن عطاء الله من حكم، وما عرف لأحمد زروق من شروح، وأحيانا نجد كل ذلك بأسلوب عربي بسيط يكون في متناول الجميع، هو أسلوب العالم المصلح أحمد بن الحسن السبعي الذي سنتعرف بعد على ترجمته وما قام به من مقاومة مسلحة ضد فرنسا لمدة ست وثلاثين سنة أو تزيد 1880-1916م راجع كتاب العقيد فوانو» الأيام المجيدة لفاتحي المغرب.

وإذ ما استطاع محمد العربي الهاشمي أن يمكن لنفسه ويأمن جانب الاعتداء عليه من المخزن الذي كان يتربص به، بل أصبح الملجأ لكثير ممن اضطهدوا في جهات مختلفة، سواء من أجل أفكارهم أو لأسباب أخرى ما لم تكن إجرامية، فإنهم بذلك تكاثروا إلى درجة أن قيل إنهم كانوا فقط يعدون بألف رجل ما بين قصريه" رحمة الله، ونعمة الله" كما استطاع أن يكون لهم ثروة طائلة ليس لنفسه وإنما سخرها لصالح اتباعه الذين نظمهم تنظيما بديعا، ربما استمد مما كان للمخزن المعاصر وقتها في بعض الجوانب. والذي أمده به بعض أتباعه الذين كانت لهم سابقة مع المخزن ثم اعتزلوه وراموا جانب الشيخ.

لقد كان أتباع الطائفة الدرقاوية في قصري الشيخ محمد العربي منظمين تنظيما يدل على أن الرجل وإن لم يكن يقصد غير العمل الديني، فإنه بسبب ما كان عليه أتباعه من نظام يدعو الحاسدين ومرضى القلوب من بني قومه والاقربين إليه من حسدة النعم في مدغرة أن يفتروا في وشاياتهم ما يدفع السلطان إلى الشك في ذلك حتى يهدمه ويستريحوا هم مما أكل قلوبهم من حسد، وما نغص عليهم عيشهم من صعود الشيخ وتمكين قوته، وما هو غير ابن عم لهم كان بالأمس القريب وهو طفل يجري ويلعب بينهم، كان تنظيم الشيخ لاتباعه كما يلي :

في الطليعة العلماء، وكانوا في مختلف جهات المغرب والذين استطاعوا المقام آمنين بالقرب من الشيخ الذي كانت جل قبائل الأطلس تتنافس في التبرع له بالزكاة، والعطايا

ومختلف الهدايا، وعلى المنقطعين للعلم والذكر والعبادة، وكانت أكثر القبائل في ذلك آيت إزدك، التي فاتها ما كان لجارتها آيت عياش مع زاوية آل عبد الله بن أبي بكر العياشي الودغيري المعروفة بالحمزاوية(287) ومثلهم آيت مرغاد الذي كانوا يمدون الشيخ محمد العربي بالكثير من المواد، شأنهم في ذلك شأن عرب الصباح بتزيمي الكبرى وآيت شخمان، وآيت صغروشن، الذين كان الشيخ مصاهرا للسبعين منهم بتالسينت.

الطبقة الثانية هم الطلبة المقيمون، ولهم شروط هي : حفظ القرآن العظيم عن ظهر قلب، وحفظ الضروري من المتون مثل جوهرتي التوحيد لمحمد بن يوسف بن عمر السنوسي، والرسالة لأبي زيد القيرواني ومنظومة إبن عاشر، ثم منظومة ابن عاصم، والكثير من ديوان أحمد بن عبد العزيز الهلالي، الذي منه قوله في التوسل بأسماء الله الحسنى وهي القصيدة التي عم حفظها منطقة الجنوب عموما هي :

إذا نابني خطب وضاق به صدري ... تلافاه حكم الله من حيث لا أدري(288)
ولا سيما إذ جئته متوسلا ... بأسمائه الحسني المعظمة القدر
فيا الله يارحمان إني لذو فقر ... وأنت رحيم مالك الخلق والأمر
بقدسك قدوس سلام ومومن ... مهيمن قدسي لدى السر والجهر
عزيز، وجبار، ويامكتبر ... وياخالق، الخلق، اكفني أزمة الدهر
ويابارئ مالي سواك مصور ... وغفار، ياقهار جبرا لذى كسرى
وهب لي ياوهاب رزاق مطلبي ... وفتاح إشرق ياعليم دجا فكري

---

(287) جاء في عمود نسب آل الحمزاوي المحتفظ به في زاويتهم المعروفة بالأطلس المتوسط من أرض آيت إزدك أنهم من أبناء محمد بن أبي بكر بن يوسف بن محمد، بن يوسف بن عبد الله، الخارج من فجيج فرارا من أخيه زيان حيث كان متجها إلى درعة، وهو ابن عبد الرحمن بن يعلي بن عبد العالي، بن إبراهيم، بن إسحاق، بن أحمد «بن سعيد، بن عامر، بن عمر، بن سليمان»، بن محمد، بن ادريس، بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعل بعضهم زادوا في العمود ما قيل عن سعيد وعامر وعمرو وسليمان، والذي يهمنا هو أنهم من الودغيريين أهل فجيج وعمود نسب هؤلاء أوردناه قبل حين كلامنا عن الأدارسة ورسالتهم بعد زوال ملكهم، كما أننا لا نجد من أبناء محمد بن إدريس الستة من اسمه سعيد.

(288) مطلعا : بدأت ببسم الله في أول السطر ... فأسماؤه حصن منيع من الضر

راجع ديوان أحمد بن عبد العزيز الهلالي م خ نا ص 391. وهو ديوان عجيب في بابه تناول جل أغراض الشعر، وللشيخ محمد العربي حول استعمال هذه الأشعار في حلقة الذكر بالألحان المطربة دراية مطولة أباح=

ويا قابض، يا باسط، خافض، العدا ... ويارافع ارفع بإتباع الهدى ذكرى
معز، مذل، ياسميع بصير جد ... على ما ترى من فادح العيب بالستر
وياحكم عدل لطيف خبير ما ... لنا وزر إلاك في الضيق والعسر
حليم عظيم ياغفور شكور لن ... يخيب إمرؤ يرجوك للحلم والغفر
علي، كبير، ياحفيظ، مغيث، هب ... لنا حفظك الأحمى لدى الحادث الوعر
حسيب جليل ياكريم رقيب من ... سواك نرجيه لخلة دي فقر
مجيب، أجب ياواسع، ياحكيم، يا ... ودود، دعا داع لفضلك مضطر
مجيد فجديا باعث ياشهيد با ... لذى نرتجى ياحق من جودك الغمر
وكيل، قوي، يامتين، ولي كن ... وليا لعبد من خطاياه في أسر
حميد ومحص مبدئ يا معيد لا ... يزل منك جود ينتحينا بلا حصر

= فيها لاتباعه ما عرفوا به من حلقة الذكر : مستمدا الإباحة حسب استدلاله من أقوال بعض المتصوفة من قوله تعالى : إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم "الاية ٪ وقوله تعالى فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم "الاية إلخ والدراسة ضمن مجموع بخزانتنا في 32 ص ملف 532 ص 4.

وأثناء اللقاءات يكون بعضهم يردد منشدا أبياتا من شعر التصوف على طريقة ابن الفارض، ومنها ما وجدته مقيدا عند بعضهم هذه الابيات.

ياساقي القوم من شذاه ... هل كل من قد ساقيت تاهو
غابوا وبالسكر فيك طابوا ... وصرحوا في الهوى وتاهو
ياعاذلي خليني وشربي ... فلست تدري شرابي ماهو
قف واستمع صفوة المعاني ... في صفوة الكأس إذ جلاه
واسمع إذا عنت المثاني ... تقول ياهولبيك ياهو
ما قلت للقلب أين حبي ... إلا وقال الضمير هاهو

بل تقول الرواية المحلية إن الشيخ محمد العربي في كل ما كان يقوم به من توجيه لاتباعه وأهله ونويه كان يحثهم على التمسك بالدين والإخلاص في العمل، وتذكر الموت، وحتى في المناسبات التي كن النساء فيها يحتفلن بمولود أو زفة، كن يرددن في نغمات حادي الابل الكلمات التالية : ما كناش وكنا وكنا وما نكنوش

أي جئنا إلى هذه الحياة ولا إرادة لنا، بل الذي أوجدنا من العدم هو الذي قيد أجلنا الذي ستنتهي فيه حياتنا يحتاج المرء إلى الزاد، ولا يكون بغير اليقين الصادق والإيمان الاصدق والإيمان لنا وجود ووجدنا وجودنا حتما سيلحقه عدم.

ومحيي مميت حي قيوم واحد ... ويا ماجد لا تولني الخزي في النشر
ويا أحد نرجوك يا صمد إذا ... تضيق بنا يا قادر فسحة العمر
ومقتدر ارفع يا مقدم رتبتي ... مؤخر أخر كل من يبتغي ضرى
ويا أول يا آخر ظاهر ويا ... طن وال اجذبني إلى حضرة الطهر
ويا متعال بر تواب جد وتب ... ومنتقم حل بيننا وذوي الشر
عفو، رؤوف، مالك، الملك أنت ذو ... الجلال والإكرام أعف عن كل ما وزر
ومقسط جامع غني فأغننا ... غنى القلب يا مغن لتغني عن الوفر
ويا مانع، ياضار، يانافع، اهدنا ... بنورك يانور، وهاد، إلى اليسر
بديع، وباق، وارث، يارشيديا ... صبور، أتح لي الرشد للشكر والصبر
بأسمائك الحسنى دعوتك نبتغي ... رضاك ولطفا في الحياة وفي القبر
وفي الحشر ثم النشر والموقف الذي ... تحاسب فيه الخلق يا عالم السر
وفي حال أخذ الصحف والوزن بعدها ... كذلك في حال المرور على الجسر

وعافية دينا ودنيا ورحمة ... بفضلك في الدارين ياواسع البر
وختما بحسنى مع جوار نبينا ... محمد المحمود في موقف الحشر
عليه صلاة الله ثم سلامه ... بلا منتهى والآل مع صحبه الغر
وللناظم اغفر يا إلهي وأهله ... وأحبابه واسترهم دائم الستر
وقارئها والمسلمين جميعهم ... ولله رب دائم الحمد والشكر

ثم أيضا لنفس الشاعر في التوسل كذلك

يارحمة الله جدي السير عن عجل لدفع ما حل بالإسلام من وجل
وبعدي الشر عن قربان ساحتنا ودافعي كل داء مختف وجلى
وبدلي خوفنا أمنا وعافية طول الحياة ويوم الخوف والزلل
وألبسينا من البر الجميل ومن تقوى الإله جميل الحلي والحلل
وأصلحى الدين والدنيا لنا كرما وزينينا بوصف العلم والعمل
وبلغينا من الخير العميم ومن رضوان خالقنا نهاية الأمل
بحرمة المصطفى وجاه بضعته والصحب والحسين والإمام علي
يارب صلى وسلم بالدوام على من ارتجى أن يجيرني ويشفع لي
وآله الغر والأصحاب كلهم والتابعين لهم جدا بلا عمال

ولقد كان للطلبة الفقراء من أتباع الشيخ حلبات دروس منتظمة أفاد منها أكثر بعض أبناء المناطق المتبربرة.

أما الطبقة الثالثة فهي طبقة الفقراء الذين قال صاحبا الدرر والأعلام، أنهم بلغوا الألف فقط في قصريه رحمة الله ونعمة الله، وأولئك الذين لما لم يجد الشيخ منهم مفرا لم يتركهم للبطالة، بل دفعهم للاحتراف بعدما أحصى ذوي المهارة في المهن التي كانت غير معروفة بالمنطقة، والتي قدم أصحابها من فاس، ومكناس، ومراكش، فكان منهم الحداد، والنجار، والنساج، وصانعو الفخار، والجلد، والخياطين، أما الفلاحين والذين كانوا بكثرة فقد كان الإنتاج للاستهلاك بينهم يعتمد على عملهم الذي كان منه إنتاج الحبوب، وتربية المواشي، بل كان يرسل بعضهم إلى جهات مختلفة حيث الأراضي التي خصص إنتاجها للزاوية الأم أو الفروع في قرية من القرى، وهم الذين حفروا الخطارة التي جلب بها الماء إلى قصر رحمة الله وما حوله من زراعة.

لقد كانت دروس الشيخ التي كان يلقيها في أتباعه قاصرة على التصوف الذي كان له فيه إطلاع واسع، وفهم أعمق، حسبما بين أيدينا من إنتاج له في هذا المجال، ولنسمع

إليه مخاطبا محمد البكري بن عبد الرحمن التواتي في رسالة توجيهية «قال تبارك وتعالى "إن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة"، فيرفض المال، والعز، والجاه، والراحة، والشهوة وغير ذلك من كل وصف محبوب للنفس عادة ملائم للطبع، ويستبدل ذلك بأضداده طلبا للمحبوب الذي هو خيرا وأبقى ورفضا لما سواه الذي هو نفسه فقط، لأن ما دونها راجع لرفضها في المعنى والحقيقة، وخرق لعوائدها الحسية والمعنوية وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»(289).

ثم قال أيضا الحقيقة فسبب نيل المحبة بذل النفوس الذي هو ظاهره بوس المتسبب عليه لمتنع، فكان في الحقيقة نعمة لمآله إليها. قال سيدي أبو الطيب رضي الله عنه وعنى به.

بذا مضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

وقال غيره :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت

ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

وفي هذا الكلام مجال آخر، وقلنا أيضا في المعنى يقول محمد العربي :

عليك ببذل النفس والصبر والتقى

ولا تسع في أمر يعوق عن اللقا

وكل سوى المحبوب دونه عائق

(ففر إليه وارتقى مع من رقى)، إلخ ص 9.

---

(289) له رسائل توجيهية متعددة ومطولة، حصلنا منها على 1) ما كتبه لعمر بن محمد الصقلي بفاس، صفحاتها 22 بتاريخ 27 شعبان 1284 2) أخرى إلى أهل سوس بإسم السيد العناية صفحاتها 25 بتاريخ 8 حجة 1283 3) إلى أهل توات باسم الشيخ محمد البكري بن عبد الرحمن التواتي صفحاتها 11 بتاريخ 10 رمضان1297 ص 9.8.

الفصل السادس بعد المائتين

الزوايا الدرقاوية مراكز للتكوين السياسي وللمقاومين

أما الذين عرفوا بنشاطهم إلى جانب الشيخ محمد العربي في قصر كاوز وغيره من أهل مدغرة من الشرفاء وغيرهم فهم : 1) محمد الصديق وولده عبد الرحمن، وهاشم بن العربي، والكبير بن الغالي، والفقيه علي بن محمد، ومحمد بن عمرو، والحسن بن عبد الله، والتهامي بن محمد، ومحمد الزكاري ومحمد بن عبد الله الأمني، وأحمد بن عبد القادر اليطوي، والمقدم عبد القادر بن عبد الله السعداني، والطاهر السهلي، ومحمد بن الطاهر البوري، ومبارك المرغادي، والسعيد بن أحمد العلوي الحسني من تازناقت وأحمد بن الشعراوي، ومحمد بن يش العزاوي، والطيب بن علي من القصر الجديد، ثم لوزيمي الذي كان من أنشط المقربين إلى الشيخ.

وإذا كان المنطلق الجديد من كاوز، القصر الذي اشتهر به الشيخ وعرف به في مختلف المصادر محمد العربي الجاوزي، فإن الزوايا التي أنشئت بمختلف الجهات كانت كثيرة ومتعددة، نذكر منها ما توصلنا إليه من خلال مراسلات الشيخ وماورد فيها من أسماء المقدمين المشرفين عليها، وهم بعد مدغرة، طبعا حيث زوايا كاوز ونعمة الله ورحمة الله.

المولى الطيب بقصر لمطاهرة
2) أم اللعب: أحمد القرش
يوسف ازروروـ ومحمد ازروروـ
عمرو ومحمد
احمد اللوه
3) تنجداد: آيت ختوش بقصر آيت السات
4) فركلة : محمد بن أحمد الفركلي

وبقصر ويغلان السفلة تافيلالت محمد بن الحبيب أب خيي
وبقصر عمار : الحاج محمد وجماعته
وبتاحسونت : المولى عبد الرحمن الحسنوني الذي شرده التزونوني اليهودي الأصل فكان ذلك سبب موت اليهودي الذي ادعى النسب وأصبح (سلطانا) في

بإسم مولاي محمد حين ظهر الفرنسيون(290) في المنطقة.	تافيلالت من 1918 إلى 1922 حيث قتله أبو القاسم النجادي الزروالي
وخيرة العزاوية مقدمة	
عائشة لغريسية مقدمة	
5) تافيلالت من تابع صامت الحاج محمد بن أبي بكر	تينغراس
	تبع صامت
إسماعيل بن الشريف	هوارة
القصر الفوقاني الفقيه عبد الله	شرفت بحاج يوسف ابن أبناء الحاج
على من أولاد ولان	يوسف وهم من الأدارسة
6) زوايا الرتب وتيزيمي	الغرفة
أولاد شاكر	محمد بن العربي
أولاد عيسى	عبد الله بن العربي
أربيت	محمد أوراغ
الزريقات	علي أوراغ
لمعاضيدالقصيبة	محمد أممي
لعشورية	محمد الحسين
الجرف	محمد بن علي
لجلاجلة وأولاد حسين بالسيفة	
7) تالسينت دويرت السبع	
العلامة مولاي أحمد بن الحسن السبعي محمد بن علي بن القاضي	أحمد الحسني المولى التهامي
هاشم الحسني	احمد بن عبد الله
8) زاوية آيت شخمان	محمد بن عبد الجبار
محمد المكي، بن محمد أطلحة امهيوش، الطيب بن عبد المالك الهواري.	محمد الطالب
	محمد أيوسف
	وزوجته عائشة
	أحمد أموسى
9) توات	محمد البكري بن عبد الرحمن
علي وحساين من آيت اليمين	
10) البيض : أبو عمامة البوشيخي البكري	
11) حميان ابن المبخوت	

(290) راجع المعسول 310/16 . وبعد في هذا الكتاب معارك : حركة الرجل وأفوس المعاضيد.

12) فاس العربي المشرفي صاحب كتاب : "درء الشقاوة عن السادة درقاوة (291)

13) سوس الحسن التمكدشتي : الحاج علي الشيخ أحمد بن محمد التيوتي، وفي الساقية الدرقاوي والد الأستاذ محمد المختار الحمراء، آل البصير، وقد هدم الاسبان السوسي. زاويتهم 1957 بدعوى تجمع رجال المقاومة وعلال بن أحمد الرجراجي، بزاوية سيدي فيها. بآيت أكاس.

14) مراكش وناحيتها : محمد بن عبد الرحمن

المهدي بن محمد بن عبد الرحمن الحاج محمد بن يش

محمد بن الحاج الصويري الحاج محمد بن موسى

الحاج الصديق بن علي عبد الرحمن بن العباس

عبد الرحمن بن الصالح أحمد بن عبد الرحمن الجلميمي

الحسن بن محمد الحاج محمد السكرتي

إدريس بن محمد بن عبد الرحمن البعمراني محمد المزميزي

الحاج أحمد بن العباس. عمر بن الصديق العلوي

الطاهر بن عبد الملك لحسن بن علي

عبد العزيز بن الصديق العلوي أحمد لكبير

الحاج عبد القادر

إبراهيم بن الحسن الماغوشي الطاهر بن عبد الملك

الحاج عبد السلام الطرنباطي الجلالي اللباد

مولاي المهدي بن عبد الرحمن الفقيه أحمد العادل

محمد بن علي المرخى عبد الرحمن البارودي

الحاج أحمد بن العباس أحمد بن عمرو

الصديق اللباد وهناك زوايا في :

عبد الرحمن بن لحسن وادي درعة في : تمتك ولكنزطة، واداوفيل ـ

أحمد بن عمارة مزكيطة.

15) فجيج(292)

---

(291) ذكره المراكشي في الاعلام 27/9 ط الرباط وله كذلك الحسام المشرفي الرد على العجر في أكنسوس الذي كان تيجانيا، وهو مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 2270 الفه عام 1285.

(292) ولقد رأينا أن نثبت الملاحظة التالية وهي أن كثرة أهل فجيج الذين كان علماؤهم وذوي الشأن منهم كما يظهر لنا من خلال الأسماء كلهم انضموا إلى طائفة محمد العربي الهاشمي، رغبة في العمل من أجل المقاومة التي كان يتزعمها ضد الفرنسيين، وقد كانت فجيج بحكم موقعها وما تعاني دوما يميل أهلها إلى نصرة كل قوة وطنية نبيا وحديثا.

أبو القاسم بن أحمد بن أبي زيان، وهو من العلماء المعروفين
مَ أحمد امعلي
م عبد الرحمن امعلي
محمد بن الصغير
عبد القار بن أبي مدين

مَ أحمد بن أبي العيد
وأخوه مَ سليمان
مِ محمد بن معروف
م محمد بن علي بن معلي
أحمد بن الركاد
محمد بن عبد الله بن احسين

الطاهر بوعريش
الشيخ بن عزي بكسر الزاي المشددة
بوفلجة بن حيدة
محمد بن جبور بن عبد الله
أحمد بن جبور بن قادة
بوعزيز بن جبور
محمد بن محمد اللحياني من زناقة
الحبيب اجبور واخوه محمد
عبد القادر بن محمد
مَ الحاج بن عبد الحق وكان من الملازمين للشيخ محمد العربي

عبدُ القادر بن جبور
محمد بن كاسو
محمد بن امعلي بن زازو
محمد بن أبي الخير بن عبد الحق
محمد بن أم أح بن أبي العيد واخوه عبد الكريم
محمد بن بلقاسم بن عزي
الطاهر بن المكي
عبد الرحمن بن البشير بن جبور
محمد بن محمد بن أبي العيد وابن عمه محمد بن أبي العيد.

16) ثم زوايا :
زناكة لمعيز، وبالتالي فإن زوايا الشيخ محمد العربي انتشرت من جاوز عبر الشرق حتى الجزائر وتلمسان، وقد كان الاستعمار الفرنسي كما يخبرنا صاحب المغرب المجهول ص 105 يعتبرها العدو اللدود ويخشاها كما كانت اروبا تطرب رعبا من الجمعيات السرية.

وهكذا فلقد ظهر لنا من حياة محمد العربي الهاشمي وما كان عليه في حياته وسلوكه أن التصوف عنده لم يكن كما حاول بعضهم من المغاربة النظر إليه خصوصا سلفه(293).

(293)راجع كتاب التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات التادلي ت627 ط الرباط 1954وما فيه من مزاعم ثم راجع كتاب الاحياء وطب القلوب لأبي حامد الغزالي ود الإسلامية ج 5/265.298 ووجدي 5/585.87 ثم =

الذين كانوا يميلون إلى التجرد من الدنيا ومباهج الحياة بلبس المرقعات في الوقت الذي نجدهم ينكرون علي ذوي السلطان ظلمهم واستبدادهم بل محمد العربي كان عمله دين ودنيا، تربية وسلوك وعمل صالح في الحياة التي لا تستقيم بلا إنتاج، فالتفرغ للعبادة لا يقتضي القعود عن العمران وعدم العمل المنتج، بل كان التصوف في زوايا محمد العربي الهاشمي وعددها في المغرب حسب المسجل منها 97"؟" دين وعمل لأنه لا عبادة لمن جاع أو كما قال أبو علي بن سينا "عجبت لمن يعبد الله وبطنه جائع" فالتصوف كما رأينا من خلال الوثائق المكتوبة بخط يمين محمد العربي الهاشمي هو حياة المرء بين الخوف والرجاء، هو العمل بإيمان مع التطلع إلى الإحسان، هو عدم الخوف من المخلوق مادام الكل من الله خالق كل شيء، وهو التقوى والإخلاص في العمل والإقدام بإيمان صادق على كل عمل يعلم المرء أنه صالح، ولذلك لم نعرف في طريقة عمله وتربيته لأتباعه غير ذكر الله، بعثا لاطمئنان القلوب، وكثيرا ما يردد قوله تعالى "ألا بذكر الله تطمئن القلوب" وكثيرا ما نجده يختم بها مراسلاته التي لم تنقطع ولو قليلا إلى كل الجهات، وللشيخ محمد العربي ذكر خاص وتسبيح رتبه لأتباعه صباح مساء(294) وهو كما يلي :

1) اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، عدد خلقك ورضى نفسك وزنة عرشك.

2) أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

3) ثم استغفر الله 100.

4) اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه

= حول وحدة الوجود 585 والبستاني 6/133-36 وما عرف لأحمد زروق واللجائي ثم أعلام التصوف لأحمد عبد الباقي سرور، وما سبق مما عرف لمحمد العربي الزروالي من رسائل، وقصيدة الله الصمد للعلامة أحمد بن الحسن السبعي م خ ثم كتاب منهاج العابدين لأبي حامد الغزالي ط 1 القاهرة 1954.

(294) ونحن لا نوافقه بل نختلف معه في الرأي ونقول ما قاله عبد الله بن عباس للذين وجدهم يذكرون الله يكبرون ويسبحون جماعة وباصوات عالية بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بعد المغرب، فوصف عملهم بالبدعة، راجع الترجمانة الكبرى لابي القاسم الزياني ص 463 ط 1967 وكذا الرحلة المراكشية لابن الموقت ص 132 ط القاهرة 1351هـ ثم راجع بعد ترجمة شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي من هذا الكتاب، ومنهاج العابدين مصدر سابق.

وسلم100.

5) لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير 100.

6) سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم 100.

7) سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم100.

8) الحمد لله والشكر لله 100.

9) صورة الاخلاص بالبسملة3.

10) تبارك الله 10

11) فاتحة الكتاب بالبسملة والتأمين 7 سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم صلى على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، عدد خلقك ورضى نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك على أنه لا تفوتنا ملاحظة الشيخ أن المائة يمكن تحويلها إلى 10 إن كان ثمة عذر، وهذا الذكر كان الاتباع يتلونه بعد صلاة الصبح، وبعد صلاة المغرب، وهو كما نرى ليس فيه بدعة على السنة.

ولقد وجدت وثيقة من مراسلات الشيخ أحمد امحمد الرشيدي الحسيني الودغيري الفجيجي الذي كان من المحافظين على السنة إلى الشيخ بن الطيب البكري(295) في موضوع العبادات، وما يقال من ذكر في كل وقت من الأوقات ليلا ونهارا جاء فيها مايلي:

الحمد لله : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

---

(295) والبكري هذا من آل سيدي الشيخ كانوا تابعين للطائفة الدرقاوية، ومقدم زاويتها منهم هو الشيخ المجاهد أبو عمامة البوشيخي رحمه الله، وضمن المراسلة أن هذا الذكر كان هو نهج اتباع الشيخ محمد العربي الهاشمي. ولقد أوردت ما وجدت بالوثيقة الرشيدية للدلالة على أن سلوك أنصار الطائفة الدرقاوية بفجيج كان نهجا سنيا.

1) ما يقال عند النوم بعد الوضوء والاضطجاع على الجانب الأيمن. اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، والجأت ظهري إليك، رهبة ورغبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، باسمك أحيا وأموت التسبيح والتكبير والتهليل من كل 33.

2) ما يقال عند الانتباه في الليل : اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي بصري نورا، وفي سمعي نورا، وعن يميني نورا وعن يساوي نورا، وفوقي نورا، وتحتي نورا، وأمامي نورا، وخلفي نورا، واجعل لي نورا.

اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك حق، وقولك حق، ولقاؤك حق والجنة حق، والنار حق والساعة حق، والنبيئون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت وإليك أنبت وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وأنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت وقد كان صلى الله عليه وسلم، إذا أخذ مضجعه نفث في يده وقرأ بالمعوذات ومسح بها جسده.

عن أبي هريرة رفعه إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينقض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول، بإسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين.

3) ما يقال عند الانتباه من النوم : الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور.

4) ما يقال عند الخلاء : اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث.

5) الدعاء في الصلاة :اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

6) ما يقال بعد الصلاة : سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، من كل عشرة، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

7) الدعاء عند الكرب : لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات

والأرض رب العرش العظيم، وفي لفظ آخر، لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم.

اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد...

وفي لفظ آخر، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم.

وفي لفظ آخر : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل ابراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال، اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر.

اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات.

اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، اللهم إغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب.

8) دعاء الاستخارة : إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول اللهم إني أستخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرا في ديني ومعاشي وعاقبة أمرى أو قال في عاجل أمرى وآجله فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه، وأصرفني عنه وأقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمي حاجته.

9) ما يقال إذا أتى أهله : اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا.

10) ذكر الطلب والرجاء : اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اهزمهم وزلزلهم.

رب اغفر خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله وما أنت أعلم به مني، اللهم إغفر لي خطاياي وعمدي، وجهلي، وهزلي ، كل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، وأنت المقدم، وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، من قالها في يوم وليلة مائة مرة كانت له عتق عشره رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذاك، حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا رجلا عمل أكثر منه.

سبحان الله وبحمده من قالها في يوم مائة مرة حطمت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر«؟» لا حول ولا قوة إلا بالله، كنز من كنوز الجنة، كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم(296).

وهكذا لم يكن التنظيم الذي استحدثه الشيخ محمد العربي في الزوايا التابعة لطائفته وكذا التربية الدينية التي علمت الأتباع الطاعة والانضباط، إلا وسيلة لما أقدم عليه الشيخ بعد من تنظيم لمقاومة خصوم الإسلام وأعدائه من المستعمرين الفرنسيين الذين تطلعوا للمغرب بعد انقضاضهم على تونس عام 1881م وهي بعد السنة التي نظم فيها درقاوة المغرب أول كتيبة أعطت للفرنسيين درسا قاسيا كما سنرى، في كل من توات والناحية الشرقية للمغرب، وإن كانت مقاومتهم للاستعمار الفرنسي بدأت بإتحاد مع إخوانهم أتباع محمد العربي الزروالي منذ 1863م كما نجد ذلك مدونا فيما كتبه العسكريون من الفرنسيين والوثائق المغربية على السواء ولقد أوردت ما سبق من ذكر كان القوم وقتها يشغلون به أوقاتهم زمن السيبة حيث كانت لهم كوسيلة من وسائل التربية الدينية السياسية التي كان لها تأثير جد مفيد، ليس في التمكين للأمن واستتبابه، بل وفي التوجيه لمقاومة الاستعمار الفرنسي بل ومحاولة إخراجه من الجزائر كما سنرى.

---

(296) هناك توجيهات تتعلق بتعلم الرماية كانت تلقى في شكل دروس سنتعرض لها بعد.

الفصل السابع بعد المائتين

محاربة السيبة والدعوة إلى تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي عام 1305هـ /1887

استطاع محمد العربي الهاشمي بفضل تلك التربية التي كان يركز لها بسلوكه الذاتي وفي وقت وجيز، أن يمكن لنفوذه الروحي، في جهات مختلفة من المغرب، وليس فقط في الأطلس المتوسط والقبائل القريبة من رباطيه رحمة الله ونعمة الله، خصوصا بين الذين كانوا منذ عهود خالية قد رفضوا الخضوع للدولة مثل قبيلة آيت عطا التي لم تعرف منها مناطق الأطلس المتوسط، والكبير غير الحروب والمتاعب(297) والتي رام كبارها في منطقة سجلماسة وما حولها للشيخ بعد وقعة تلوين 1304 التي انتهت على غير العادة بانتصار آيت مرغاد على أيت عطا، ذلك الانتصار الذي دشن السلم بين الحلفين آيت يافلمان وآيت عطا بعد أكثر من مائتي عام من الحروب منذ عهد المولى إسماعيل(298) وما بعده، إستطاع آيت عطا أثناءها أن يحتلوا الكثير من المواقع داخل أرض آيت يافلمان، ويتركزوا فيها، ومنها قصر أولاد الشاكر لله وغيره من قصور أوفوس، وهي القصور التي احتلوها يوم 29 صفر 1239 هـ1823م، وذلك بعد موت المولى سليمان الذي

(297) راجع قصيدة الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي والتي مطلعها : لك أشكوا ياقاهر المسر فينا، ولقد كان أكبر الحروب الطاحنة ماشنه العطاويون على عرب الصباح بتيلوين زمن المولى سليمان عام 1219هـ 1804م، والذي أرسل وقتها محمد الصريدي عاملا على تافيلالت في جيش جرار لمحاربة العطاويين، كما قطعت رؤوس مائة منهم، وعلقت باب المحروق من مدينة فاس عام 1231 هـ 1815م حين حاربهم ولد المولى سليمان وولي عهده المولى ابراهيم الذي صارعهم زمنا والذي سيقتل أيضا بأيدي العطاويين في حرب والده لايت أمالوا، راجع الترجمان المعرب والبستان والروضة م خ نا بل العطاويين هم الذين قتلوا علي ابن عم السلطان محمد بن عبد الله حين أرسله في مهمة إليهم ومثلهم فعل آيت شخمان زمن المولى الحسن عام 1305 كما سبق.

(298) كان المولى اسماعيل قد أرسل إليهم أخاه علي فقتلوه.

كابد في سبيل معالجة مواقف آيت عطا من غير أن يحقق في ذلك ما كان يريد تحقيقه من السلم بل ولا خلفه المولى عبد الرحمن بن هشام، إلى أن انتهى بهم الموقف إلى عهد محمد بن عبد الرحمن الذي عرفت أيامه من حروب آيت عطا ما لم توقفها مراسلاته ولا تدخلات الصالحين من رجال القبائل وذوي الصلاح من أشراف المنطقة، الى أن استنصر آيت مرغاد وعرب الصباح سكان قصر تلوين بالشيخ محمد العربي فكان لهم النصر الساحق ضد آيت عطا.(299) وبذلك واعتقادا منهم بفعالية السلوك الذين أشار به الشيخ وتمسك به المرغاديون مما مكنهم من النصر، رجع العطاويون إلى العمل برأي الشيخ وتوجيهاته.

وبتحقيق ذلك الانتصار شاعت وذاعت بين المواطنين فكرة السلم في المنطقة، حتى أصبحت مضرب المثل على "كرامات" الشيخ، ذلك أن آيت مرغاد وهم أحلاف عرب الصباح ضمن حلف آيت بافلمان، كان عليهم أن يقفوا مع بقية قبائل الحلف إلى جانب سكان قصر تيلوين الذين كانوا من حين لآخر يتعرضون لهجوم آيت عطا ظلما واعتداء، والذين كانوا يرمون إلى احتلال بعض قصور المنطقة زمن تحول بعضهم من حالة الرحل إلى الاستقرار في القصور وبعدما أعيت الحروب آيت مرغاد واستعملوا كل الوسائل لإيقاف تلك الحروب، التجأوا إلى الشيخ الذي كان وقته قد أخذ يتمكن من محبة الكثير من القبائل، خصوصا المنضوية في حلف آيت يافلمان وفعلا سعى الشيخ محمد العربي بما لديه من الوسائل للوصول إلي ما يحقق الصلح بين الفريقين. لكنه رغم كل المحاولات لم يجد قبولا من بعض أشرار آيت عطا الذين رفضوا الصلح بعدما حضروا المؤتمر الذي عقده الشيخ لكبار رجال الحلفين عام 1304هـ في المكان المعروف بـ "إيواليون" وهو عبارة عن فج في الطريق إلى كلميمة بالقرب من قصر تاركة، وإذا هم رفضوا الحل الذي اقترحه الشيخ فإنه وبطريقة تدل على ما كان للرجل من دهاء ومعرفة بنفسية القوم الذين كان إحساسهم الديني يؤمن بالمشاهدة ويرضخ متأثرا بما يسمع ويرى أكثر من المغيبات التي يعتمد الالتزام لها على صحة الإيمان ومدى قوته، وتلك عادة غالبية سكان المغرب حتى اليوم، تأثرا بماضي الجاهلية التي تتقوى كلما وجدت من يغذيها ولو بأبسط

(299) راجع الفصول التالية بعد.

مظاهر التدجيل والشرك. كما هو الحال حتى اليوم، ونحن على مشارف نهاية القرن الرابع عشر الهجري حيث لا يزال الشعب يعرف الاحتفالات حول القبور "المواسيم" ويطلب المدد من القبور وهو ما عمل المسؤولون بعد الاستقلال على نشره كوسيلة من الوسائل التي برمجوها في سياسة التمزيق والتفريق. مثل المخدرات وكثرة التنظيمات الموجهة ونشر الخمور والفجور.

لقد قام الشيخ بحركة نفسية مستمدة من أثر السلف الصالح أدخلت الضعف والوهن في قلوب العطاويين دون أن يزعم الشيخ شيئا من ذلك، ذلك أنه نزع كساءه الذي غطى به بعض ممثلي آيت مرغاد وعرب الصباح وآيت صغروشن ثم آيت ازدك، من حلف آيت يافلمان الذين استجابوا لفكرة الصلح حسب الشريعة وربما فعل ذلك حتى يتمسكوا بفكرة الصلح ولا يقدموا على سفك الدماء، ثم طوى الكساء وجلس عليه وهو يقول موجها الخطاب للجميع، "هذه تلوين - يعني ممثلة في الكساء المطوي - جلست عليها وحمايتها قول الله تعالى "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفئ إلى أمر الله.." الحجرات الاية 9. وختم الشيخ بقوله : هذا نصحي لكم ومن بغي وتجبر يحاربه أهل الله وتكون نهايته الذلة إن شاء الله".

وفعلا إنفض الجمع على غير اتفاق واستعد العطاويون كعادتهم للهجوم حتى يكونوا السابقين كعادتهم في الوقت الذي كان المرغاديون كعادتهم أيضا في موقف، الدفاع لكنهم ولأول مرة وعلى غير العادة لم يقتصروا على الدفاع وتمديد الوقت، مما كان يدفع إلى ملل العطاويين فيعودوا من حيث أتوا إلي فصل آخر ثم يعودوا للحصار، وهذه المرة انتصر المرغاديون وعرب الصباح وانهزم العطاويون هزيمة لم يسبق لهم مثلها قط، لأن صفوف المرغاديين والصباحيين تعززت بجموع ايت يافمان بشكل فيه حدة لم تعرف قبل، حيث شارك في المعركة الكثير من آيت إزدك وآيت حديدو، وآيت صغروشن، وما ذلك منهم إلا تحقيقا لكلمة الشيخ الذي لم يستجب كبار العطاويين لفكرة الصلح الذي أراده بين الطائفتين من المسلمين، وهي فكرة انتشرت بين القبائل كما انتشر رد الفعل ضد العطاويين معها.

انهزم العطاويون هزيمة لم يسبق لها مثيل قط في تاريخ حروبهم في المنطقة، وذلك أيضا لأنهم في هذه الحرب كانوا قبل دخولهم اختلفوا فيما بينهم خلافا أدى إلى تفرقة

الصفوف وتراجع بعضهم من الذين كانوا يودون النزول عند رغبة الشيخ محمد العربي، لأن قتلى المهاجمين مصيرهم إلى النار وبئس القرار، كما بين لهم الشيخ وفسر لهم العلماء الذين استفتوهم في الموضوع.

وهكذا فإن الهزيمة من جانب، وما أفتى به العلماء الذين اتفق القوم على استفتائهم، وكذا رغبة آيت عطا في عدم الخلاف والفرقة فيما بينهم، كل ذلك دفع كبارهم وذوي الرأي فيهم إلى الإقبال على الشيخ الذي نصح لهم، وإذا ما عرفنا التاريخ أن قبائل آيت عطا التي تتكون فيما بينها من خمسة أخماس، وهي: آيت والال، وآيت انير، ثم آيت واحليم، وآيت اسفول، وآيت علوان، وآيت إعزا وآيت خليفة، وآيت الفرسي، وأخيرا آيت انبكي، وآيت خباش، وآيت امناصف، هذه الجموع الممتدة من غرب سجلماسة إلى وادي درعة وغيره، كانت وقبل أن تجرد من السلاح ويركز الفرنسيون علي إذلالهم إن هم أقبلوا يقبلون جميعا، وإن نفروا ينفرون جميعا.

كان في مقدمة الذين أقبلوا على الشيخ منهم جماعة ايت احدا فرع آيت يحى اموسى من خمس ايت انبگى ولربما كان منهم ذلك قبل غيرهم لأسباب سياسية هي أنهم كانوا قبل قد استولوا على قصر أولاد الشاكر لله بالرتب، بتاريخ 29 صفر 1239هـ 1823م(300) وكانوا مهددين بقوات القصور المجاورة قبل أن يسندوا ظهورهم إلى الشيخ، ولذلك ماكادوا يستشعرون رغبة قومهم في الاقبال على الشيخ محمد العربي حتى كانوا السابقين إليه، فكان ذلك من عوامل التمكين لهم، وسيصبح أحدا وأولاده الأربعة محمد ولحسن وعلي ويوسف بعد في طليعة المقاومين للاستعمار الفرنسي كما سنرى من خلال الوثائق(301) وذلك عندما بدأت قوات الفرنسيين تتقدم في أرض توات.

كانت تلك الوقعة أوائل القرن الرابع عشر الهجري وآخرالتاسع عشر الميلادي 1304هـ 1886م(302) ولربما في نظرنا كانت من أهم عوال التمكين للشيخ محمد العربي

---

(300) أشرنا قبل إلى أن مصدر هذا التاريخ ماكتبه بعضهم على ظهر كتاب مخطوط، كتب الخبر في حينه، وهو التاريخ الذي توفي فيه المولي سليمان الذي لم تكن علاقته بهم طيبة.

(301) راجع دائرة المعارف الإسلامية ج 203/9 ووثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية بالرباط، ثم وثائق الشيخ محمد العربي من هذا الكتاب ومقدمة كتاب الأنوار الحسنية لأحمد بن عبد العزيزط 1966 والتي كتبها المؤلف، وما فيها عن يورسف أحدا من خلال مذاكرت المؤلف.

(302) راجع تحفة الرغب في الشهادة لأحمد بن الهاشمي ج 234/1م خ ع ميكروفيلم رقم 475.

الذي أصبح من وقتها معرضا للصراع الخفي مع قومه الذين أخذوا يستعينون على هدمه بإثارة المخزن فأصبح بذلك معرضا للوشايات الكاذبة التي في الواقع زادته قوة بقدر ما أصبح للمخزن من اهتمام به وبأفكاره تجاه المقاومة بل وأعماله الاجتماعية والتربوية بحيث أصبحت المراسلات متبادلة بينه وبين السلطان مولاي الحسن الذي أصبح يخاطبه بعبارات التودد والتقدير.

لقد كان الشيخ محمد العربي بلاشك على جانب كبير من الدهاء وأنه إلى جانب عمله لنصرة الدين كان رجل دنيا ولم ينس نصيبه منها، كما قال تعالى ولذلك ماكاد ايت عطا يقبلون عليه حتى استعملهم في ما يتناسب مع الظروف التي حاول القوم خلقها لمتاعبه ومتاعب أتباعه، وباستعمالهم ذلك سيزداد قوة ويتوصل الى الإجماع على محبته ماعدا قلة ضئيلة من أهل مدغرة قومه وعشيرته عرفت المقت والتحقير بسبب ذلك.

بعد وقعة تلوين تكاثرت الجموع من كل حدب وصوب على رباطي محمد العربي «رحمة الله ، ونعمة الله» وإذا علمنا أن حروب آيت عطا ضد حلف آيت يافلمان كانت من عوامل انشغال القبائل المتواجدة في الأطلسين المتوسط، والكبير، وأنها حينما توقفت بدأت تظهر مكانها تحركات فردية هنا وهناك، للسطو و الانتقام من أطراف الحلفين، بعضهم ضد البعض من وراء القيادة، حتى أصبحت قصور الموالين للمخزن من سكان المنطقة عموما، وتافيلالت بالأخص لاتخلوا أبراجها من حراسة مسلحة باستمرار، وبتناوب مفروض، لمواجهة من كانوا يطلقون عليهم « الفتانة» ومع ذلك فكم قتل من أبرياء وكم صودرت من أبقار وأنعام، وكم أبيدت من عائلات بسبب السطو على متاعها أو بدافع الشر والانتقام الذي كان قد تحكم في النفوس، ثم ركزت له فروسية التطاحن بين الحلفين اللذين استمرت الحروب بينهما أجيالا وأجيالا منذ عهد ما قبل العالم الجليل أحمد بن عبد العزيز الهلالي 1159هـ 1746م الذي خلد شرور آيت عطا في قصيدة مطولة عدد فيها أعمالهم وماكانوا عليه من بغي وفساد(303) استمر إلى أن حصل ما عرفنا من الشيخ

---

(303) لأحمد بن عبد العزيز الهلالي رحمه الله مؤلفات متعددة راجع الخزانة العامة مخطوطات رقم 627-628-951-1280-1581-1752 وله ديوان شعر تناول فيه جل أغراض الشعر ومنه هجو آيت عطا الذين قال فيهم =

محمد العربي الذي ألف بين الحلفين ومع ذلك بقيت كراهية العطاويين للموالين للمخزن مستمرة بل وغيرهم مثل ايت شخمان وآيت امجيلد كما رأينا ونرى بعد.

وهنا كان على الشيخ محمد العربي أن يفعل شيئا، خصوصا وقد أعيته الكتابة إلى مختلف الجهات في شأن استرداد ما كان ينهب لبعض القوافل التجارية وغير التجارية هنا وهناك، حتى أصبح رسل الشيخ كلما شوهدوا بعمائمهم الخضر، إلا ويحسب أن هناك ما يخل بالأمن أو فتنة يراد إخمادها خارج تدخل السلطة المخزنية التي لم يكن لها اعتبار في تلك المناطق ذات الوعر.

وأخيرا اهتدى الشيخ الى فكرة أقل ما يقال في حق صاحبها أنه شيخ المجاهدين وإمام المقاومين في وقت أصبح الكل مشغول بنفسه، كما أصبح العدو شرقا وفي المدن الساحلية يقتحم الحمى بطريقة الكيد والدس والخديعة، وهي طريقة الهجوم على أطراف البلد واستيراد الحمايات التي أخذ يعتنقها بعضهم في أطراف البلاد، وفي مدن الساحل حماية للنفس والمال كما سبق ففي هذه المرحلة تنبه الشيخ محمد العربي لرد غزو الفرنسيين كما يشهد بذلك كتاب « تحفة الراغب في السعادة » لرفيقه وتلميذه العلامة

= قصيدة من 24 بيتا مطلعها:

لك أشكوا ياقاهر المسرفينا — من بغاة بغوا على المسلمين
بدلوا الدين ظلة واعتداء — وعن الحق أصبحوا ناكسينا
نبذوا سنة النبي جهارا — وأضاعوا كتابه المستبينا

إلى أن يقول:

قطعوا الطرق بالحرابة عدوا — وأخافوا الضعيف والمسكينا
ثم صالوا على القرى واستباحوا — المال والعرض والدم مهرقينا
هتكوا الحرمة العظيمة بغيا — واستخفوا بقدرها معتدينا
حاربوا آل المصطفى وتعدّوا — كل حد لسيد المرسلينا
واستطالوا عليهم باعتداء — وجيوش كثيرة صائلينا
قتلوا ثم سلبوهم رجالا؟ — ونساء وصبيانا أصغرينا
مالنا طاقة بهم فدعونا — مستغيثين ناظر الأضعفين
كم بغات لما صمدنا إليه — أصبح الناس منهم آمنينا
لك أشكوا يامهلك المجرمين — من جنود قد روعوا المؤمنين
فانتقم من قبيل عطّ سريعا — وارحم من أذاهم العالمينا الخ

المرحوم ربيب نعمة جدنا للأم، هو وولده من بعده أحمد بن الهاشمي الحسني(304) كما سنرى من خلال كتابه المذكور.

فكر محمد العربي الهاشمي في شغل العطاويين، والمرغاديين، والصغروشنيين، والزدگيين، وغيرهم من قبائل الحلفين بعضهم عن بعض، وحتى تتقارب أفهامهم وعواطف الذين لم يكونوا منهم قد أقبلوا على الإنخراط في سلك الطائفة، حتى يتأثروا بما أصبح عليه القوم من تربية إسلامية وخلق كريم، وحتى يرضي غريزة الفروسية فيهم، ويحقق رغبتهم في القتال الذي تطبعوا به وأصبح جزءا من حياتهم التي لاطعم لها بدونه، والذين حين فقدوا ماكانوا عليه أخذوا يتجهون نحو السلب والنهب في المنطقة، وحتى يبعدهم عن الشر ويدفعهم نحو الخير، جمع كبارهم من كل قبيلة من قبائل الحلفين في رباطه المعروف ب "رحمة الله " ثم اقترح عليهم فكرة التطوع للجهاد في سبيل الله ضد الغزو الفرنسي الغادر حيث كانت قبل، وردت على الشيخ مراسلات متعددة من أتباع الطائفة الدرقاوية بأرض توات متضامنين مع إخوانهم من الناصريين والوزانيين التهاميين يستنجدون، وقد أخذ العدو يتربص بهم ويقتحم مواطنهم وفيها أنهم استغاثوا بالمخزن ولم يستجب لاستغاثتهم(305) رغم ما حل بهم من المضايقة وماسقط منهم من ضحايا بسبب خيانة العميل المجرم عبد السلام بن العربي الوزاني، الذي تطوع لفائدة الاستعمار الفرنسي والتمكين له في منطقة توات كما سبق. وفعلا اختمرت الفكرة التي تحمست لها جموع آيت عطا أكثر من الجميع كما تشهد بذلك الوثائق وماسنعرف بعد من استمرار عملهم وقتالهم المستميت في جبل صاغرو عام 1933، وإذا هم تطوعوا للجهاد فإن تمويل بعضهم وتجهيز البعض الآخر من الذين ليس لهم إلا أرواحهم التي تطوعوا بها وكانوا في حاجة إلى سلاح وعون لهم ولأسرهم، وهنا أيضا بدأ التخطيط الذي لانعلم هل

---

(304) راجع ترجمته في المعسول للمرحوم محمد المختار السوسي ج 357/16 وكتابه تحفة الراغب وهو على البكو فيلم بالخزانة العامة بالرباط شريط رقم 475 ومظاهر يقظة المغرب للأستاذ محمد الهادي المنوني الحسني 274/1-79-ط 1973. ولقد كان من الاحسان الكبير الذي أسداه جد المؤلف للأم محمد بن كروم رحمه الله لهذا العالم الجليل مامكنه من التفرغ للعلم وللرسالة التي أداها إلي جانب محمد العربي ورفيقه العالم الجليل أحمد بن الحسن السبعي صاحب تلسينت بحيث كان من المرتبين للدراسة على نفقته في قصره نحو الخمسة والعشرون منهم أحمد بن الهاشمي ثم ولده من وبعده .

(305) راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية بالرباط.

كان مصدره الشيخ أم بعض الذين انضموا إليه وقتها وكانوا من مختلف الجهات، ذلك أننا وجدنا الشيخ في هذه المرحلة قد انتقل عمله إلى تنظيم جديد لمرافق الحياة بين أتباعه الذين أصبحنا نجد المراسلات المتعددة من الشيخ الى مختلف الجهات وبغير خط يده وكأنه أصبح يتوفر على ديوان للمراسلات وسجل تدون به تلك المراسلات(306) التي نجد الكثير منها في هذه المرحلة يتعلق بنتاج الأراضي التابعة للزوايا في المدن والقرى من سوس ومراكش غربا إلى بني يزناتن شرقا، ومدى إقبال سكان تلك الجهات المكاتب مقدّموا زواياها حسب إخبار المقدمين على دعوة الشيخ للجهاد ضد الفرنسيين سواء من الوجهة النظرية أو العملية.

وعن هذه المرحلة يخبرنا الشريف محمد السبعي في ترجمته لوالده المشار إليه قبل وهو الشيخ أحمد بن الحسن السبعي(307) وذلك حين كلامه عن شيخ والده الذي هو الشيخ محمد العربي حيث قال « وتوفي شيخ شيخنا قدوة الأنام وبهجة الأيام، أستاذ الوقت وسراج الدين، أبو عبد الله سيدي محمد العربي بن سيدي محمد الهاشمي «المدغري» ليلة الجمعة التي هي عشرون من جمادى الثاني من عام تسعة وثلاثمائة وألف(308) وهو رحمه الله عالي الشأن، بعيد الصيت، في قطر المغرب ونواحيه، وأمصاره، وبواديه، من حكومة تلمسان وأعراب الصحاري من تاجكانت، وتوات، ونواحيها، وقطر السوس وما اشتمل عليه، وموانئ المغرب، وبلاد تامسنا، وتادلا، وجبال المصامدة، ودرن وغير ذلك، وأتته الوفود بالهدايا المعتبرة والنفائس والذخائر شيء لا يكيف وانتشرت الطائفة الدرقاوية بوقته، وتناقل الناس حديثه في بلاد المغرب، وكثرت الخيرات، ولهج الناس بذكر الله في كل بلاد، نساء ورجالا وشبانا وكهولا، واجتمع في حضرته طوائف الفقراء، وفيهم العلماء والأعلام، والجهابذة الحفاظ وأهل الخطط

---

(306) وجد طرف من هذا السجل في حوزة الأستاذ محمد أبلخير الجمالي بفجيج، وقد قال إن قسما منه انتهى إلى عين الشعير وآخر كان في حوزة أحد قضاة مدغرة في عهد الحماية؟

(307) ص 6 ترجمة غير كاملة م خ نا

(308) لعله أخذ تاريخ الوفاة من رسالة وجهها إلى والده وقت الوفاة المسمى علي بن المعطي وقد حصلت عليها بواسطة ولد الكاتب الذي هو المولى إدريس بن محمد بن أحمد السبعي ساكن بولمان عمالة ميسور والذي أمدني بكثير من مخلفات والده وجده، وهي اليوم مع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية ومديرية الوثائق.

والصنائع..(309) رجل هذا مقامه وما انتهى إليه بين القوم في الوقت الذي طالما صاح بعضهم من أهل مدغرة وادعى، فلم يكن من أمر أكبرهم من أولاد عبد الهادي بن عبد الله بن علي بن طاهر الذين الفوا التجوال بين القبائل ركوبا على الحمير لا يعرفون غير الوقوف بأبواب دور الأثرياء من البربر يستجدون الأعشار ويتكففون الصدقات باسم أنهم من آل البيت الذين هم براء مما انتهى إليه بعضهم من ذلة ومهانة وسقوط، قاومها الشيخ محمد العربي الهاشمي قديما، ولما توفي عادت حليمة إلى عادتها القديمة إلى أن قضى عليها أخيرا « نسبيا » شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي في عهده السلفي أيام البعث الوطني والدعوة إلى التحرير سياسيا في الثلاثينات والأربعينات كما سنرى ذلك بعد حين جر بعضهم إلى التعلم و التعليم بالمدارس الحرة كما سجل التاريخ أن بعض أهل مدغرة دون غيرهم وفي منطقة الجنوب هم الذين لم يشاركوا ولو في معركة واحدة ضد الاستعمار الفرنسي.

انتهى محمد العربي الهاشمي إلى ما سبق مما قرره السبعي والفضيلي وأكثر، مما جعل الوشاة ودعاة الشر والهزيمة ينشطون في الكتابة والدعاية أنه إنما يريد بعمله ضد الفرنسيين والجهاد الذي يدعو إليه الوصول الى تأسيس الملك، وطبيعة التاريخ السياسي في مغربنا ومعطياته تؤكد الثقة في مثل هذه الظروف بمزاعم القوم وما يفترون، فبالإضافة إلى ما قرره ابن خلدون أن العرب لاسلطان لهم بغير الدين، فقد كانت تلك الحقيقة هي ما أكده تاريخ المغرب السياسي، فالدين هو القوة والوسيلة التي توصل بها المؤسسون لكل الدول التي تعاقبت على المغرب منذ عهد صالح بن طريف إلى المولى إدريس بن عبد الله الكامل الى عبد الله بن ياسين الى المهدي بن تومرت إلى أبي عبد الله السعدي، ثم ابن محلى وأبو بكر الدلائي وأبو عبد الله العياشي المالكي، وأبو زكريا الحاحي، وأبو حسون السملالي حفيد أحمد بن موسى، والشريف ابن علي بسجلماسة إلى غير هؤلاء ممن حاولوا الثورات في عهد العلويين وهم أبناء الزوايا من أمهاوش والمهدي الشرادي والخمسي وغيرهم.

على هذه الوتر وماقدر للضرب عليه من نغمات تزعج المولى الحسن، كان مرضى

---

(309) المصدر مخطوط خاص.

النفوس من بعض أهل مدغرة يرددون صيحاتهم ضد الشيخ محمد العربي، والتي تحولت إلى ما يشبه نهيق الحمير ونباح الكلاب ، عندما اتفقت مع ماأخذ الفرنسيون يشيعون ضد الشيخ بل أشار بعضهم اعتمادا على ما وجده من تاريخ الشيخ محمد العربي الزروالي وأتباعه الذين استولوا على غرب الجزائر ثم حكموه مدة سبع سنوات. كما سبق(310)، وكما أشرنا إلى حيث تقارير العسكريين حتى اليوم بمكتبة وزارة الخارجية الفرنسية والمتحف العسكري بفرنسا، في حين أن الذي كان يهم السلطان ويزعجه بالنسبة لتحركات الشيخ وأتباعه إنما هو عملهم ضد الفرنسيين من غير أن يوافق لهم السلطان على ذلك، حيث كانوا يقومون بهجمات ناجحة، كانت تدفع الفرنسيين في الجزائر إلى تقديم الاحتجاجات مطالبين بالتعويضات التي كانوا يقولون إنها لفائدة القبائل الموالية لهم غرب الجزائر، ولقد بلغ مجموع القضايا التي كان على المغرب قبول المداولة فيها وحلها بما يرضي الفرنسيين بعد زمن الضعف والانهيار قبل موت أحمد بن موسى حوالي 449 قضية(311) ذلك ما كان يزعج السلطان ، وازداد التوتر حين استشعر الشيخ أن روح المقاومة ضد الفرنسيين قد تمكنت وأصبح الدعاة لها في كل ناحية، فوجه بذلك تعليماته إلى كل مقدمي الزوايا حتى يقوموا بدعوة المغاربة جميعا إلى الجهاد العام

---

(310) خصوصا عندما أصبح أتباعه يقفون في وجه المد العسكري للفرنسيين شرقا، فكانت معاركهم بواسطة درقاوة حميان، وذلك إلى جانب أولاد سيدي الشيخ في ثورتهم عام 1281هـ 1864م ومواجهتهم للزحف الذي حاوله الضابط كونيو1285هـ 1868م والجنرال فامفين بأعالي وادي گير 1287هـ 1870م ودوكاسترى صاحب الموسوعة 1880/1298م وفي سنة 1300هـ 1882م قام أهل تافيلالت وما حولها بقراءة مائة ختمة من القرآن وإطعام جميع فقراء المنطقة و التوجه إلى الله حتى يهلك الظالمين المعتدين المتربصين من الفرنسيين فاستجاب الله وسلط الوباء على معسكراتهم في العين الصفرا وماحولها، ولما بلغ خبر ذلك إلى المنطقة كان له أكبر الأثر في حماس المترددين حول فكرة الجهاد ضد الفرنسيين فأخذ رجال قبائل الجنوب ينتظمون في جماعات هنا وهناك من أجل محاربة مد الاستعمار الفرنسي فكانت المعارك الطاحنة التي يحفظها التاريخ لأبائنا والتي امتدت إلى 1932م في تافيلالت كما سنرى

(311) دونت باسماء مدعيها في سجل خاص وقعه مندوب فرنسا ، بمدينة مشرية ومحمد العربي الطريس نيابة عن المغرب، راجع السجل ضمن وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية وهو عبارة عن مجلد أسود مختوم بطابع خزانة عبد الكريم الفيلالي وطابع المسؤول الفرنسي ثم توقيع المسؤول المغربي وقتها، ولقد كان بودي أن أسجل تلك الوقائع للتاريخ حتى يعرف الناس كيف كان الفرنسيون يتربصون بالمغرب ويدعون ضد المجاورين لهم في الحدود ماشاؤا ولولا تلك المقاومة لتم لهم استعمار جزء كبير من المغرب قبل أن يفرضوا عليه الحماية بأكثر من أربعين سنة.

من أجل تحرير الجزائر، وليس فقط سواحل المغرب التي بدأت تعرف وجود الكفار الذين أخذوا يشاركون المسلمين أرضهم وديارهم» وهذا هو موضوع الكتاب الذي أشرنا إليه « تحفة الراغب في الشهادة» والذي سنتناوله بعد.

على كثرة ما وقفت عليه من أثر الشيخ محمد العربي الهاشمي والذي يتمثل في المراسلات والتوجيهات، لم أقف ولو على عبارة واحدة يكون الشيخ بها ممن ينفثون ما في صدورهم ضد الوضع الذي كان له الكثيرون جدا من النقاد، بل في كل رسائله كان يختم بالدعاء للسلطان إلى درجة أنه أحيانا يظهر للقارئ أنه يتكلف، مادامت الرسالة تعني جمع محصول أرض زاوية من الزوايا أو عمل يعني العلاقة بين شخصين أو أشخاص يريد التأليف بينهم، ولهذا كانت التهمة التي أراد بعض أهل مدغرة إلصاقها به وأنه يريد تأسيس ملك، لم تكن تتوفر على قليل ولا كثير من الصدق، ناهيك وأن الشيخ محمد العربي لم يصله أذى من السلطان، ثم هو يلتقي معه في الجد العاشر للسلطان، التاسع بالنسبة للشيخ، والذي هو يوسف بن علي الشريف، وهذه حقيقة لم تغب حتى عن الأجانب(312) الذي كتبوا عن الشيخ ولا عن الفرنسيين الذين كانوا لا ينعتونه بغير

---

(312) راجع تاريخ المغرب الكبير د. جلال يحيى 455/3 ط 1981 ثم ما كتبه كوتى الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية معلمة الصحراء ملحق1ص158 ط 1976 وهو ما يبطل إدعاء السفير أورديجا وما زوده به عبد السلام بن العربي الوزاني العميل المعروف بدجله وخيانته ثم راجع رسالة دبلوم للدرسات العليا باسم « المجتمع الواحي... الفجيجي ج 517/2 ت 2 ط « ستانسيل» ص 540-41 والمصدر وثيقة من متروك القاضي محمد بن محمد الرشيدي الحسيني. الودغيري رحمه الله أغفل ذكرها صاحب الدراسة كما أغفل غيرها فلم يشر إلى أصحابها وهو ما نستوجبه الأمانة العلمية، ويقتضيه الوفاء لأولئك الكرام الذين احتفظوا لنا بتلك الوثائق أحسن الله إليهم. بل خطبة الجمعة التي أوردها صاحب الدراسة بنصها ص 562 هي من وضع وخط الشريف أحمد أمحمد الرشيدى الذي سماه صاحب المساهمة « الراشدي» بيد أن النسبة المحتفظ بها ترجع إلي المكان وهو أرشيده... بل هو صاحب الوثيقة التي نال عنها صاحب المساهمة في دراسة « المجتمع الواحي» وثيقتان خاصتان ص 561ت1 و هي التي يقف عليها القارئ بعدما ردها المعارة إليه ولم يحسن الاستفادة منها، ولا من غيرها من الوثائق التي أدرجناها هنا والتي وضعتها تحت تصرفه وقت اعداده لدراسته الواحية». وللأسف أن صاحب الدراسة وقع في خلط بين عبد السلام بن العربي الوزاني الذي كان له ارتباط مع الفرنسيين وبين جهاد الشيخ محمد العربي الدرقاوي الذي نسب إليه في نفس الصفحة 541 هامش2 ما لم يقصده الخطيب في خطبة الجمعة وهو المشار إليه من آل الرشيديين حيث قال « واعلموا أن أميركم المؤيد بالله لازال مع الدولة الجزائرية في عهد الله علي المهادنة والمسالمة.. ولم يأذن قط في الجهاد، ولارخص في حربه لأحد.. ولاجهاد يصح إلا بإذن الإمام مع توفر شروط حرروها (؟) الأيمة الاعلام الخ ولا تحلوا عراها بحكم ناسك أو زاهد(؟) وهنا علق ثم أورد اسم الشيخ محمد العربي في موضوع قديم كان قد زعمه =

ابن عم السلطان، بل إن محمد العربي كان محترما جدا من سلف المولى الحسن الذي هو السلطان محمد بن عبد الرحمن، الذي كان لايرد شفاعته وما كان يتقدم به من وساطة لحل مشكل من يتعلق به كما تخبرنا الوثائق المنشورة في الكتاب.

حقا إن بعض العمال كان يتضايق من انتشار أنصاره وارتباط بعضهم البعض، إلى درجة أن الجبايات كانت تجمع باسم الزكاة والاعشار لفائدته وأتباعه الذين كانوا بالآلاف من سوس، حيث الحسن التمكدشتي الى الحدود الشرقية فجيج، وتوات، وقبائل لعمور، وحميان، كما تؤكد ذلك الوثائق والمراسلات، بل كان ما انتهى إليه محمد العربي من تنظيم لشؤون زواياه وأتباعه الذين نظم لهم الرواتب للقيام بشؤون الزوايا والمنقطعين فيها من الذين كانوا يتوصلون بالفرش والأغطية والملابس التي كانت تصنع من أصواف الماشية الموقوف ريعها على الزوايا في مختلف الجهات حيث كانت كل من فجيج، وتالسينت، تختص بالنسيج الذي كان توزيعه ينطلق من أولئك الذين كانوا برباطي رحمة الله ونعمة الله وكان عددهم قد بلغ الألف يقول الفضيلي صاحب الدرر، وعنه أخذ المراكشي صاحب الأعلام(313) كما كانت جموع أخرى تتطوع بجمع الخيل والبغال التي كانت لها أرقام مسلسلة للقيام بمهام الزوايا وجمع ريع أوقافها كما كانت الخيل والبغال تجمع كذلك لفائدة المجاهدين شرقا ضد الغزو الفرنسي، بل إن الشيخ لم يترك أولئك الذين تجمعوا حوله للكسل والبطالة التي ورد النص بكراهية الله لها بنص الحديث « إن الله يحب العبد المحترف ويكره البطال» بل جلب إليهم مختلف الحرف بواسطة المهرة من رجالها، بما في ذلك صناعة الأسلحة التقليدية، زيادة على مختلف الصناعات المشار إليها قبل، هذا بالإضافة إلى الزراعة التي لم يقتصر الاتباع فيها على ماكان من أراضي حول قصرى رحمة الله ، ونعمة الله وهم الذين جروا ماء الخطارة بطريقة بعث

= عبد السلام بن العربي الوزاني الذي كان علينا أن نورد صورته وسترته الأوروبية في ذلك العهد وقد وسمه الفرنسيون الذين كانوا يريدون أن يتخذوا منه قرقوز يحكمون به منطقة توات... الخ ولو فقط أن صاحب الدراسة الواحية ميز بين كلمة الجهاد وما جاء في حقها من تعليق الخطيب لما اتجه بقصور إلى ذكرمحمد العربي وأنه ربما وبصفته « الشريف المنتسب للبيت العلوي » الخ في حين أن رسائل الشيخ داعيا إلى الجهاد وجهت شرقا وغربا من سوس إلى وهرانو مثل هذه الشطحات هي التي تشوه التاريخ.

(313) 83/7.

الحياة فيما حول قصر رحمة الله من أرض خلاء، بل كانت هناك أراضي في جهات متعددة تعطي لينتفع بها أصحاب الشيخ، ويكون مردودها للأتباع الذين كانوا منتشرين في كل من الأطلسين المتوسط والكبير، من توات إلى دمنات وسوس ودرعة وغيرها، الأمر الذي مكن لنفوذ الشيخ السياسي فأصبح بحق وبالنسبة لذوي السلطان، محل إشكال وإزعاج بشخصه ونفوذه، ناهيك وأن وسوسة بعضهم شياطين أهل مدغرة كانت تدغدغ حاسة الاندفاع نحو الشر في نفوس الذين لم تخل منهم القصور الملكية في كل زمان، وكان هؤلاء اقتداء بمرضى النفوس الذين أكل الحسد قلوبهم مما أصبح عليه الشيخ محمد العربي وما كان يتمتع به من شخصية ونفوذ عم صداه المشرق والمغرب، خصوصا ربوع المغرب العربي الكبير(314) .

كان الشيخ محمد العربي الهاشمي يتسم بشخصية لها هبة ووقار، سواء عند من عرفه عن قرب أو الذين تعرفوا عليه فقط بالمراسلة، كما رأينا من إدريس الفضيلي صاحب « الدرر البهية»، بل إن محمد العربي الهاشمي حل من قلوب وعقول أتباعه درجة عالية كما سنرى من كتاب أحد تلامذته العلامة الفاضل، والوطني الغيور السيد أحمد بن الهاشمي الحسني، المتوفي عام 1327 وهو صاحب كتاب «تحفة الراغب في السعادة، في الترغيب لطالب الشهادة» المشار إليه، والذي سنلخص منه بعدما يعنينا.

لقد وصف بعضهم الشيخ محمد العربي الهاشمي في رسالة بعث بها إلى رفيق له من أتباع الطائفة قال فيها إنه «متوسط القامة، ذو بياض مشرب بحمرة، واسع الجبهة، أقنى الأنف، ضيق الفم، واسع العينين مستدير اللحية، وشعرها أبيض ذو عمامة خضراء وثياب من الصوف بنسج دقيق، ذو نظرات نافذة إلى الأعماق، كل من إتصل به يحبه ولايزيغ عن حبه...» وثيقة خاصة.

ومهما يكن فقد كبرت قوة محمد العربي الهاشمي الذي أصبح نافذ الكلمة في أخريات عمره بطريقة قربت إليه رؤساء قبائل البربر وطغاتهم من حلفي ايت عطا ويافلمان الذين

---

(314) راجع ترجمة بوعمامة البوشيخي في غرب الجزائر وشرق المغرب وجهاده ضد الاستعمار الفرنسي الذي حاول تشويهه الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور في أعلامه كما سبق، ثم راجع ترجمة التمجد شتي الحسن بن أحمد بن محمد الأقصوي الذي ترجم لوالده أحمد المرحوم الزركلي في أعلامه 234/1.

تمنعوا حتى على السلطان في بعض المناطق خصوصا الحلف الأول الذي امتدت قبائلة من بوذنيب إلى جبل صاغرو، والتي لم يصل الكثير منها نفوذ الدولة ماديا، ومنذ عهد قديم وبهم اقتدى بعض عمال المخزن في الفوضى بين القبائل إلى درجة أن بعض العمال الكبار في منطقة الأطلس المتوسط مثلا يفعل مايريد ويرتكب من الجرائم مايشاء إلى درجة الاغتصاب والقتل أحيانا، ولاحسيب ولارقيب، مثل محمد والطالب اليوسي، والذي سنرى نهايته بعد، ثم حل محله ولده عمر. فقط كان على العامل الظالم مثله أن يقر للسلطان بالولاء في مراسلاته، وأن يؤمن ذلك بمد الحاشية وبعض المقربين بما عرفت به منطقته من إنتاج حيواني أو زراعي، بل وحتى ما كان يصاد من سمك البحر كما عرف ذلك لبعضهم من السويرة وآسفي، وبذلك كان المرتشون يصورون القبيلة في نظر السلطان بما شاؤوا من الألوان إلى درجة أنه كان أحيانا يرى بعضها وكأنها تستعد لحربه والقضاء عليه فيأمر بعمل ما يناسب في الوقت الذي لم يكن لها علم بشيء مما نسج حولها، وإنما هي فقط على خلاف مع العامل أو قبيلته التي استطاع كبارها الوصول بالرشوة إلى تمكين ما يدبّرون ضد خصومهم في الدوائر العليا –وهو ما يحصل اليوم و بشكل يتفق والعصر في دائرة الأحزاب السياسية والشخصيات السياسية كذلك– الأمر الذي كان يدفع بعض القبائل في الأطلس المتوسط مثل ايت شخمان، وآيت إزدك، وآيت مرغاد، وفي الناحية الشرقية توات، وفجيج، وأولاد سيدي الشيخ بالبيض إلى إتخاذ الشيخ محمد العربي واسطة بينهم وبين السلطان، ولما كان يكتب بشيء من ذلك منبها إلي براءة القبيلة المتهمة بعيدا عن كل ما يتعلق بالعامل حتى لايدخل معه في نزاع مكشوف(315)، كانت النتيجة تنقلب وكعادة المندسين في كل زمان إلى استنتاج أن الشيخ أصبح ينافس السلطان حتى أخذ الناس يلجؤون إليه ويتظلمون في بابه ويطلبون مدده، وبذلك كان المسؤولون يتمكنون من انتزاع أوامر السلطان بمهاجمة القبيلة المتظلمة و المفترى عليها لكونها التجأت إلى الشيخ أو لكونها تتوفر على كثير من أتباعه الذين يشهد التاريخ أنهم كانوا بحق مصدر توعية وتكوين، وتربية إسلامية، وأن المتحمسين

(315) راجع الوثائق المنشورة في الكتاب ثم وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية أو مديرية الوثائق الملكية.

منهم كانوا يتوجهون إلى القبائل السائبة التي لم يكن أكبر العمال قوة ولا من حوله يستطيعون التفاهم معها أو القرب منها، حتى رأينا كيف أمكن لمحمد العربي أن يجمع بين الحلفين المتخاصمين اللذين دامت الحرب بينهما أكثر من مائتي عام، لم تنقطع منذ عهد المولى إسماعيل إلى زمن السلاطين، محمد بن عبد الله و المولى سليمان، والمولى عبد الرحمن، وخلفه محمد بن عبد الرحمن ، ثم المولى الحسن، الذي في أوائل عهده ظهرت قوة محمد العربي الذي مكن للسلم بين الحلفين بعد عام 1304هـ1884م، ذلك أنه في عهده تمكنت فكرة الشيخ ودعوته إلى السلم بين الإخوة والجهاد ضد الغزو الذي مصدره الكفار، بل أصبحت العمامة الخضراء تستطيع التوغل في التخوم والادغال التي لم يستطع القرب منها أصحاب المخزن بسلاحهم ومالهم من قوة إلا إذا كانوا ضمن قافلة السلطان المسلح بأنواع الأسلحة، لأن العمامة الخضراء كانت في مفهوم أهل البادية عنوان الدين و الدعوة إلى السلم والاخوة والحب والأمن بين القبائل، بل كانت تمثل جواز الإذن بالمرور حتى في الأرض المحرمة على أتباع حلف ضد آخر، مما كان بين جل قبائل المغرب وقتها، بل قطاع الطريق على قوافل التجارة بين القبائل وفي الطريق الواصل بين الأطلس المتوسط وتافيلالت وفاس، لم توقف الغارات الموسمية على التجار في العهد الحسني، إلا عندما وضع الشيخ عليها حراسا باسم الأخوة الاسلامية التي كان الشيخ الوقور والعالم الفاضل م أحمد(316) بن الحسن السبعي من آل علي بن عمرو من سلالة عبد الله بن إدريس يمكن لها، والذي كان مركزه المناسب في تالسينت، وهو الذي ستتحدث المصادر الفرنسية عنه زمن فرض الحماية وقبلها وعن قيادته لعشرين ألف من المجاهدين كما سنرى من ملاحم العقيد «الكولونيل فوانو» «الأيام المجيدة لفاتحي المغرب».

وإذا كان الشيخ محمد العربي قد انتهى إلى ما سبق من القوة والنفوذ، وإذا ماشاع وانتشر ما افتراه المرجفون من بعض أهل مدغرة الذين أكل الحسد قلوبهم، فإن بعض المؤرخين اتخذ من ذلك وسيلة نسج حولها ما أصبح يتردد هنا وهناك من أقوال

---

(316) ولد عام 1240هـ 1824م وتوفي رحمه الله يوم الأحد 28 قعدة 1335هـ 1916م .

مبالغ فيها، تعني العلاقة بين الشيخ والسلطان، بل تلك الأقوال الواضحة الأفتعال، نسب بعضها إلى أكرم رجل عرفته مدغرة وهو القاضي بن محمد المعروف بخلقه ونزاهته، وذلك حتى تستمد منه قوة التصديق، ومن ذلك ماأورده العباس بن إبراهيم في أعلامه(317) وربما نقلا عن الدرر الذي اعتمده فيما كتب عن الشيخ محمد العربي، إذ يقول حول تلك العلاقة «وكان مولاي الحسن شديد الانحراف عنه، وكان يكتب له في رسائله إلى أكابر مجرميها«؟» فكان المترجم – يعني محمد العربي– يعد كسوة فاخرة ويعطيها لمن يقرأ الرسالة على فقراء زاويته كما حدث بذلك الفقيه ابن القاضي العلوي؟؟ وكان من غرضه في التوجه إلى سجلماسة إلقاء القبض عليه فقيل له ذلك، فقال لانراه ولايرانا، فكان موته من أعظم ماقوبل به المولى الحسن من المسرات وتوفي قبل وروده إليها سنة عشر«؟»(318) « وسبب ذلك الانحراف اجتماع قبائل المغرب على حبه وامتثال أوامره، وكان يعلن بالجهاد، وكان المولى الحسن لا يحب ذلك، وسجن كثيرا من أصحابه.(319) وهذا صحيح كما سنرى من خلال الوثائق.

أشرنا إلى أن ما سبق أخذه العباس بن إبراهيم من الدرر وصاحب الدرر لاندري من أين استقى، وإن كان قد نسب إلى ابن محمد ما هو براء منه حسب مكانته وما عرف به من حب للشيخ واله حتى إن الشيخ أطلق اسمه على أحد المحبوبين من ابنائه سماه «سيدي بن محمد» بل سنورد من الوثائق ما يكذب ذلك، ونحن بدافع سلامة الاعتقاد في الفضيلي نقول.

---

(317) 83/7.

(318) المصدر السابق والواقع أنه كان ليلة الجمعة التي هي عشرون من جمادى الثاني من عام تسعة وثلاثمائة وألف كما أرخ ذلك من حضر والمصدر رسالة علي بن المعطي إلى والده كما سبق أن أشرنا، وبالتالي فإن ما في هذا الكتاب من المراسلات السلطانية للشيخ بل ومن المولى الحسن بالذات كافية لدحض ما ورد من البهتان والضلال ضد الشيخ محمد العربي و الذي مصدره مرضى النفوس من أهل مدغرة والذين حتى اليوم نجد بينهم ذلك النوع الحقير من مرضى النفوس الذين شبههم بعضهم بالكلاب حين قال « إن الكلب يضرب وتدوسه الأرجل ولا يرفع ذيله إلا إذا رأى كلبا مثله، وذلك شأن بعضهم من سكان أرض مدغرة» خصوصا ساقطي النفوس الذين يتجولون بين القبائل لبيع صكوك الغفران باسم آل البيت.

(319) المصدر السابق الأعلام 83/7 ويظهر من الأسلوب أن صاحبه ربما كان موتورا من الوضع الذي كان مترديا وقتها، وأنه يريد التشهير به على ذلك النحو، فالذي بلغ ذلك المستوى من النفوذ ثم هو يأمر بالجهاد لا يستحق تلك المعاملة من السلطان ، وإذا هو فعل ماذا يقصد بتلك النعوت؟.

لقد أورد الفضيلي ذلك دون أن يكون له قصد غير تدوين ماشاع وانتشر لأنه بدوره كان يحب الشيخ ويتبادل معه التوادد بالمراسلة كما أخبر بذلك « كان رحمه الله » يحبنا ويكاتبنا ويثني على جهتنا من غير رؤية سبقت ولا معرفة تقدمت، وجزاه المولى أحسن جزائه..»(320) ومما يستدل به علي أن هذا المؤرخ رحمه الله إنما كان يستقي أخباره مما يردده غير العارفين بماجريات الحوادث في الأطلس ما قاله كذلك حول قضية محمد والطالب اليوسي "ولما ورد عليه(؟) القائد الطالب(321) محمد اليوسي والد عمر ليغتنم قتله حيث أمر به، أمر المترجم آيت عطا بالتعرض له فقتلوه وجزؤوه أجزاء»(322) وهذا غير صحيح والقصة سوف نتناولها بتفصيل بعد في الفصل العاشر بعد المائتين من هذا الكتاب بعنوان «غادة الأطلس»

ومهما يكن فإنه مما ورد في هذين النصين يستدل به على حقيقة ما كان يروج بين الناس من كذب وبهتان لا علاقة لهما بالواقع، وإنما مصدره في الغالب شياطين الإنس من جبناء بعض أهل مدغرة.

يمكن أن يقال إن السلطان كان يغضبه عمل الشيخ وأتباعه كما أشرنا خصوصا ما يتعلق بمواجهة الفرنسيين شرقا، لكن حتى يأمر السلطان بقتل الشيخ ويسجل ذلك في صحيفته، هذا ما لم تؤكده لنا الوثائق ولعل الناشر لمثل هذه الترهات كان موثورا من السلطان ويريد الإساءة إليه، أما قتل محمد و الطالب وأسبابه فله قصة عجيبة وطريفة(323) وسنتناولها بعد الفصل الذي يلي فصل الجهاد العام والدعوة إليه من طرف الشيخ محمد العربي ضد الفرنسيين وغزوهم للمغرب، خصوصا ومحاربة وجودهم في المغرب العربي الكبير عموما، إلى درجة أنه تطلع لطرد الفرنسيين من الجزائر، لولا أنه وجد معارضة من السلطان الذي أنكر عليه دعوته إلى الجهاد العام حين طلب ذلك من مجموع حواضر المغرب وباديه عام 1305هـ/1887م وذلك من السلطان بدعوى أن للمغرب

---

(320) نفس المصدر 7/81 الأعلام.

(321) بل اسمه محمد والطالب.

(322) نفس المصدر 7/84. انها حكايات باهتة ومشوهة وليست من التاريخ والواقع في شيء كما سنرى.

(323) إنها قصة عجيبة تشخص واقع المغرب وطغيان الإستبداد الذي كان سببا في السيبة وقتها. وهي قابلة لتكون فلما سينمائيا جد مثير.

معاهدة حسن الجوار مع فرنسا هي معاهدة مغنية 1845 التي كانت نتيجة لهزيمة إيسلي 14 غشت 1844 المعروفة قبل، والتي كان السلطان يحترمها في الوقت الذي لا يفعل الفرنسيون مثل ذلك ويقومون بغزو مناطق توات ومابعدها كما كانوا يعملون دفعا لاثارة الفتن حتى ينتزعوا من الدول الأوروبية الإعتراف بالوجوب على فرنسا العمل على نشر الأمن في المغرب وأنها أولى وأحق بذلك الأمر الذي مهد لها الطريق إلى فرض الحماية كما سبق، والواقع أن الذي كان يزعج فرنسا ويقض مضاجعها هو الرعب من اعلان الجهاد العام في ربوع المغرب العربي عموما والأقصى بالأخص وهو ما كان يهدف إليه الشيخ محمد العربي حتى يخرج الفرنسيون من الجزائر، ولقد كان في الإمكان ذلك لو تمكنت فكرة الشيخ ولم تجد مقاومة من السلطان الذي كان الشيخ يؤكد أن الخروج عليه كفر...الخ.

الكيد للاسلام وقت ظهور الفرنسيين في الجزائر راجع مجلة لوسيتري ص 152ت 10 1862/4/10 الرقم 205

الفصل الثامن بعد المائتين

الدعوة إلى الجهاد ضد الاستعمار
ومقاومة فساد الوضع من خلال كتاب تحفة الراغب

لقد حصل لشيخ المقاومين ومربي المجاهدين ضد المستعمرين الغزاة من الفرنسيين ما حصل لكثيرين غيره من رجال المقاومة الذين أهملهم المؤرخون المعاصرون بدافع الخوف من سلطة المخزن وقتها، ثم من سلطة الحماية بعد ، ذلك لأن الشيخ محمد العربي بصفة خاصة، ودرقاوة بصفة عامة، وكما سنرى من خلال الوثائق تعرضوا في عهد المولى الحسن كما أشار صاحب الدرر قبل وخصوصا السنوات الأخيرة من حياة هذا السلطان، إلى أنواع من المضايقات أدت ببعضهم إلي الاختفاء وبعضهم إلي السجن حتى الموت، كما أدت ببعضهم إلى البعد عن سلطة المخزن والإلتجاء إلى الحمادة جنوبا حيث كونوا لهم قرية في مكان بعيد عن العمران لا تزال قائمة حتى اليوم قرب مرزوگة جنوب مدينة أرفود. وتعرف بنفس الاسم «الدرقاوة» كما اضطر آخرون إلى الفرار خارج المغرب، ومن هؤلاء رجل مجاهد « ثقة عرف بين مواطنيه بالدين والخلق وصدق المقاصد في جهاده وعمله، وهو أحمد ابن الهاشمي الحسني وكتابه الذي خلد لنا تاريخ تلك المرحلة ثم صور لنا موقف الشيخ محمد العربي الهاشمي من الاستعمار الفرنسي ونضاله من أجل الدفاع عن الدين والوطن، وبالتالي مدرسته التي أنتجت الكثير من الأبطال فكان منها:

عالم المجاهدين بالأطلس المتوسط، المولى أحمد بن لحسن السبعي الإدريسي من آل علي بن عمرو آل عبد الله بن إدريس الذين عرفنا بهم قبل(324) ثم الشيخ علي أمهاوش من آيت سخمان، ومحا وسعيد الوراوي صاحب المعارك الطاحنة مع الجنرال مانجان، والحجامي صاحب ملحمة فاس17/4/ 1912، ومحمد عبد الكريم الريفي وجماعته

(324) راجع ما مضى من تعاليق سبقت قبل في هذا الكتاب حول الأدارسة.

الذين كانوا كلهم من أتباع الطائفة الدرقاوية(325) ومثلهم رجال المقاومة الذين أذلوا المستعمرين الفرنسيين لعشرات السنين من رجال ايت عطا وآيت مرغاد ثم آيت احديدو كما سنرى بعد أسماءهم في ترجمة المولى أحمد بن لحسن السبعي، أمثال سيدي بن احماد الإدريسي قائد معارك جبل بادو، وسيدي علي الهواري، وايت ختوش من آيت مرغاد، وزايد أسكنتى، وعسو باسلام، ومحا أزكاغ، وآيت احدا محمد أولاده الأربعة وغيرهم، كما سنرى بعد، بل بفضل مواقف الشيخ محمد العربي الذي كان من أنصاره أيضا محمد بن علي السنوسي بليبيا، والمهدي بالسودان، وأن كثيرا من هؤلاء وغيرهم بالعشرات من الذين سنتعرض لبعضهم أهملهم تاريخ المغرب المعاصر، ومن المعاصرين وقتها عن خوف، ومن بعض المتأخرين عن جهل، ومن خلال ما سيقف عليه القارئ لهذه الترجمة، وكذا التراجم التي سنتعرض لها يعرف مدى التزييف والطمس اللذين تعرض لهما تاريخ المغرب السياسي، واللذين كان في إمكان بعضهم عدم الوقوع فيما وقعوا فيه ثم ضللوا غيرهم كذلك، لكن مما يبعث على الارتياح اليوم وفي ما يستقبل، هو أن الدراسات الجامعية في مغرب ما بعد السبعينات أي عهد الفتن المؤامرات والاختطافات والقتل بزعامة محمد أفقير وأحمد الدليمي وزبانيتهما بعدها أخذت قوافل الباحثين تشق طريقها نحو البحث التاريخي الميداني والمعتمد على الوثائق، وإن كان بعضهم وحسب إمكاناته يعتمد أكثر ما يعتمد حتى في ما يتعلق بتراثنا الحضاري- على ما أنتجه المستعمرون الذين لاأمانة لبعضهم وهو ما تتضرر منه كثير من الدراسات التي تعني الشعوب التي استهدفت للاستعمار(326) الأوربي الحاقد على الإسلام والمسلمين.

مهما يكن فإن تاريخ هذه المرحلة أي مرحلة القرن13هـ19م قرن إنطلاقة الاستعمار

---

(325) لقد كانت العمامة الخضراء هي لباس عبد الكريم الريفي المفضل أيام ثورته، وقد بقيت لباس عمه عبد السلام إلى أن توفي بالقاهرة كما رأينا رأى العين رحم الله الجميع. بل كان عبد السلام وهو رجل خلق ودين كثيرا ما يسألني « هل لايزال من أثر الشيخ محمد العربي الهاشمي بقية أولاد..».

(326) راجع الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي للدكتور محمد البهي ط 4 خصوصا ص 528- 53 . حيث أورد أسماء المستشرقين الهادفين قصد الإساءة إلى تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية العربية . وهم من مختلف الجنسيات الأوروبية ذات الأفكار المريضة، أمثال ماسينيون المحتفى به من طرف بعض المسؤولين المغاربة في أول عهد الاستقلال « العميل أحمد بناني».

الأوروبي الذي اندفع بإمكاناته المادية وماجد في حياته العلمية نحو استعمار الشعوب في مختلف القارات ومنها شعب المغرب كما رأينا، لم يجد الطريق مفروشا أمامه بالورود ولا هو ترك يرتع كما أرادت له الأوضاع الفاسدة التي ساهم في خلقها تمهيدا لتحقيق أهدافه ومقاصده، بل وجد رجالا مومنين برسالة الدين والوطن قاوموه بقوة قاسية وعنف عنيف، ومن هولاء محمد العربي الذي يحدثنا عنه كتاب تحفة الراغب(327) الذي دون

(327) للكتاب عدة أسماء كما أشار كاتبه الشريف أحمد بن الهاشمي رحمه الله.1) تحفة الراغب في السعادة في الترغيب لطلب الشهادة، 2) آداب الغزو وحكمه وفضل الشجاعة. 3) تحفة الصابر المحتسب المجاهد، وقمع العدو الكافر المعاند 4) بيضة الكرنيس، وضوء النبراس في فضيلة الشجاعة ومقاتلة الكافر وشدة الباس، وذم الوهن والضعف وموالات الكفار الأرجاس" والكتاب مخطوط له صورة بالخزانة العامة أخذت من النسخة الأصلية التي هي في ملك ولده ورقم الشريط خ ع 475وهو من جزأين مجموع صفحاتهما 649 ويتكون الأول من مقدمة وثمانية عشر بابا، ومن الأبواب 102 إفتتحه بقوله « الحمد الله الرابط على قلب المرابط باليقين والإيمان، وأول الأبواب في إخلاص النية ص6 وآخرها في الأبطال ص 267 ومجموع صفحاته 280 مقياس 11 18 سطوره 22.

وفي الجزء الثاني نفس العدد من الأبواب وخاتمة، ومن الفصول 122 وصفحاته 369 ومقياسه كالأول، وقد ذكر المؤلف المصادر التي استقى منها آخر الكتابة 2 ص 366. مما يستدل به على تمكن ونزاهة المؤلف.

أما موطن المؤلف فهو تافيلالت وقد ترجم له المرحوم محمد المختار السوسي الذي كان له الفضل في اقتراح تصوير الكتاب بالخزانة العامة، بعدما كاد ينتهي إلى ضياع في خزانة المرحوم علال الفاسي الذي أخذه من ابن المؤلف قصد طبعه أيام كان وزيرا للأوقاف والشؤون الإسلامية، إلى أن غادرها ثم بقي عنده مدة خمس سنوات لم يسترجع منه إلا بشدة، وأقول ترجم صاحب المعسول للمؤلف في ج 357/16 – 60 وهو الذي قال لنا إنه ولد رحمه الله 1260 وتوفي 1327هـ 1844– 1909م قضى منها عشر سنوات مغتربا فرارا من الظلم الذي كان يطارد أمثاله من أتباع محمد العربي الهاشمي بسبب حماسهم ودعوتهم للجهاد ضد الفرنسيين الذين حاول المؤلف التعريف بهم وبأخس وسائلهم التي كانوا يلجؤون إليها لاستعمار المغرب بعدما استعمروا الجزائر ج54/1 – 55 خصوصا بعد معاهدة 1844 التي حطمت المغرب وجرت عليه ما عرف بعد من الإنهزام والويلات وفي هذه المرحلة كان الشيخ محمد العربي الهاشمي قد انتهى إلى قوة روحية ومادية كان لها سلطانها في مختلف جهات المغرب ، وذلك في الوقت الذي كانت الدولة قد عرفت نوعا من الانحطاط لم تعرفه منذ مابعد نهاية السعديين، وما عرفته شواطئ المغرب من أطماع الإسبانيين والبرتغاليين بل إن ما عرفه المغرب أواخر عهد السلطان محمد بن عبد الرحمن وخلفه المولى الحسن الذي عاش نتائج معاهدة ما بعد موقعة إيسلي والتي وقعت بعد حرب 1944/8/14 بل والتي فرضت على المغرب من أنواع الإهانة ما اشرنا إلى تفاصيلها قبل، حتى إن المولى الحسن الذي بالغ في إحترام ماورد فيها ولو على حسابه وحساب شعبه، في الوقت الذي لم يحترم الفرنسيون شيئا مما ورد فيها، وما ذلك إلا بدافع ما كانت عليه الأوضاع المتردية، الأمر الذي دفع بالشيخ وأتباعه إلى الذود عن الكيان والدفاع عن الكرامة، فكان السلطان لا يريد ذلك ويسمح للفرنسيين بحق مطاردة المجاهدين، نزولا عند رغبة القنصل أورديجا الذي طلب منه ذلك بعد رحلة قام بها إلى مدينة مراكش، حيث كان السلطان « راجع فصل مؤتمر مدريد وأبعاده قبل من هذا الكتاب» فكان الشيخ محمد =

جانبا من حياة الشيخ محمد العربي الذي كان صاحب الكتاب من أتباعه الملازمين له، والذي سجل لنا ماعاش ورأى دون أن يكون له من قصد غير إذكاء روح الحماس في الذين كانوا وقتها مستهدفين دينا ودنيا لكيد الاستعمار الفرنسي الخبيث، ومن قراءتنا للكتاب نلمس روح الصدق بلا نفاق ولارياء ولا تملق، ولنسمع لأحد الذين قرضوا كتابه من معاصريه إذ يقول فيه وقد أورد المؤلف ذلك في أول الكتاب وذلك لما في التقريظ من تعريض بالوضع وقتها كما أبان فيه عن أسباب ودوافع المولف إلى تأليف كتابه حيث قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لن تغلب اثنى عشر ألف عن قلة ولجيوشهم الحافة بهم ضاق بها السهل » ثم يضيف وهذا كله وأكثر مشاهد محسوس، نسأل الله السلامة والعافية، ولما زاحم العدو المسلمين ببلاد الصحراء وجهة سجلماسة(328) عمرها الله بالإسلام، وضاق منه الخناق وأشرف الناس علي موت أحمر وقيل من راق، ندب الشيخ الإمام العارف سيدي محمد العربي الحسني المسلمين إلى دفعه بما أمكن ، إذ فجأهم، وصدع كثيرا من قبائلهم ، وللمعاقل الجأهم، فكان الناس بين خفيف وثقيل، وداع للتعسف لكونه إلى الملاذ يميل، ندبت نفسه مولف هذا الكتاب، إلى وضع جزء من ذلك، موضحا الاشكال ومحررا المسالك، فنقل فيه أنقالا واضحة، وأقوالا عن العلماء راجحة، فجاء كتابه في ذلك تحفة راغب السعادة، حاضا على الحياة الدائمة التي هي الشهادة، ويشهد مطالعه بتلقى الأنوار من شيخه المتقدم العظيم الجاه والمقدار،(329).

=العربي وأتباعه يقاومون ذلك المد، بروح وطنية عالية، كما سيخبرنا بذلك ديلكاسيه وزير خارجية فرنسا، وكما سنرى بعد تطبيقا لمعاهدة 1303هـ 1885م وديلكاسيه وزير خارجية فرنسا هذا هو الذي صرح أنه لاعدو للمسيحيين غير محمد العربي الهاشمي في غرب شمال إفريقيا ، ومحمد بن علي السنوسي في شرقها، راجع مادة درقاوة جـ 9 من دائرة المعارف الإسلامية ومهما يكن فإن مؤلف كتاب تحفة الراغب لم يكن مسلما عربيا صادق الغيرة على المغرب فحسب، بل كان مسلما عالميا كما نرى من خلال كتابه ولاجل ذلك كان موضع تكريم من جدنا للام محمد بن كروم رحمه الله والذي تولى تربية ولده الذي ولد بعد موته وبالرعاية إلى أن بلغ سن الرجولة وأحمد بن الهاشمي هذا دفين قصر لقصيبة جوار قصر المعاضيد تيزيمي أرفود حيث له من الحرمة والمكانة في نفوس المواطنين ما يليق بذكره رحمه الله .

(328) كانت مناطق توات ووادي الساورة كلها تابعة في الحكم للخليفة السلطاني بتافيلالت وكان حاكم المنطقة وقتها المولي الرشيد ابن السلطان محمد عبد الرحمن الذي هو صنو المولى الحسن، وقد ترجم له باختصار في المعسول 16/347-56 جهة سجلماسة، ثم راجع الاتحاف لابن زايدان 380/1 و جـ 271/2.

(329) التقريظ لأحد علماء تافيلالت المعروفين بنضالهم وقتها وهو الحبيب بن عمر بن الحسن وقد أرخه ب 11جمادى الثانية عام 1316هـ 1888م ص 1 - ب - ج .

ولقد كان مؤلف كتاب تحفة الراغب، مسلما عالميا صادق الغيرة على المسلمين شرقا وغربا، بقدر ما كان كذلك في حق وطنه ومواطنيه ولنسمع إليه معلقا على قول الشعراني في العهود المحمدية، ومنبها المغاربة إلى أن جيوش الدولة وحدها لا تحمي الأوطان « تأمل رحمك الله ما حل بمصر وكانت وقتها قد إحتلها الانجليز – حيث أهملوا الجهاد، فقد تملك رقابهم الروم دمرهم الله ، ولم يغن عنهم عسكر السلطان شيئا، نسأل الله العافية» ومثل هذا الانتقاد وجهه إلى المغاربة الذين أطنب في حق شجاعتهم حيث قال : « وتلك الشجاعة والحرب لازالت ظاهرة فيهم، لكنهم فيما بينهم، فلو اجتمعت كلمتهم على النصارى دمرهم الله لأيدهم الله عليهم وظفروا بمطلوبهم، وغاية مطلوبهم المخاصمة بينهم طلبا للغنى والعز، وذلك كله موجود في الجهاد وزيادة رضى الله سبحانه»(330) وهذا ما دفع الشيخ محمد العربي الى إنشاء الكثير من الرسائل يخبرنا المؤلف(331) في الترغيب في الجهاد، والتنبيه والتحذير على غرة الكفار، ومنها أول منشور سياسي ظهر ضد الاستعمار الفرنسي وقتها، كان من الشيخ محمد العربي، محذرا من عواقب الإمتيازات، والحمايات، وتملكهم الأراضي، مما نبه قبيلة بني يدر إلى عمل الأسبان بجانب مليلية، إقتداء بالفرنسيين في السواحل والجنوب الشرقي، فكانت حرب تطوان التي شارك فيها رجال الجنوب من تافيلالت إلى فجيج، حيث لاتزال بعض الأسر التي تكونت ثم تفرعت في منطقة الشمال وقبائلها منذ ذلك العهد الذي هو سنة 1277هـ 1860م، محتفظة بأسمائها العائلية.

في تلك المرحلة القائمة، كان الإشعاع من الجنوب حيث كانت المعارك الطاحنة ضد الفرنسيين، يشعل نيرانها رجالات من آيت عطا، وتافيلالت وفجيج، التي كانت مهارة رجالاتها في الألغام دافعا للأمير العباس بن عبد الرحمن إلى أن يطلب من صنوه السلطان محمد بن عبد الرحمن إرسال مجموعة منهم إلى ميدان المعارك حول تطوان كما سبق، ومما جاء في المنشور المشار إليه يقول الشيخ محمد العربي:

«فتعين بهذا ووجب علينا النصح لكافة الموحدين وأعلام الفضلاء مما حل في

(330) راجع خ – ع 475. ص26.
(331) ص 29.

أقطار المومنين، وذلك أنه ورد علينا نبأ يقين يصمي الأسماع، وينعقد على شناعته الإجماع، وهو ما وقع في سواحل أهل الدين من تكالب طغات الروم وخدع المسلمين، والسعي في مضرة وإهانة وإذلال أهل التوحيد في قطرهم المكين ، وأخذهم في البناء والاستيلاء على أهل المراسي والمدن والقرى، وخروجهم للبر والشروع في الحرث فيه والكسب وغير ذلك مما يضيق به صدر العالمين، فإن نالوا ماهمّوا به وسعوا في تحصيله، من إدخال المومنين تحت إيالة الكفر، فذاك أمر عظيم على الإسلام وأهله، وتضعضع لأركانه ولشمله فحينئذ يحرم في هذا الوقت السكوت، وآيات القرآن الوعيدية، وحديث الرسول باللفظ المنعوت، فكيف يذهب الإسلام ويضمحل أمره دون قتال أو جلاد، والقطر معمور بالموحدين وأهل الدين في سائر البلاد، والأمر للجهاد شملهم عند حلول عدو الدين بأرض المسلمين، فأي دين لأهل الدين بعد إستيلاء عبادة الأوثان، وأي حياة للمسلمين في قطر استولى فيه ذو الجرأة والطغيان، فما هذه إلا مصيبة عمت وتراكمت، وما هذه إلا غفلة طمت وتفاقمت.

ومعلوم أن ملتي الإسلام والكفر ضدان، وهما لا يجتمعان بالقوة والفعل في قطر واحد، لاستحالة اجتماع الضدين، ولابد من استهلاك أحدهما في عين الآخر، بحسب الاستيلاء والغلبة، ولاشك أن الحكم للغالب فلهذا أمرنا بأخذ الحذر في قوله سبحانه «يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم»(332) وقوله تعالى « وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم» ولامنفعة لأخذ الحذر إلا قبل الاستيلاء، والمسلمون لامندوحة لهم على القتال، إما أن يقاتلوا الكفرة لنصرة دين الله، وإما أن يستولوا فيحملوا المسلمين على قتل إخوانهم قصرا ولابد لنا من أحدهما وقد إختارت لنا الشريعة المطهرة التي بها صلاح الدنيا والدين، مقاتلتهم ومنازلتهم وإغراء طائفة منا في كل سنة إلى بلادهم تدعوهم إلى الإسلام، ترغبهم فيه، وتكف أذاهم، قال الله العظيم. «يايها الذين آمنوا مالكم إذا قيل انفروا في سبيل الله إثاقلتم إلى الأرض... إلى قليل» وقال تعالى «قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر»(333).

---

(332) سورة النساء الآية 71. وهذا ما حصل للجزائريين ضد التونسيين ثم لهؤلاء وأولئك ضد إخوانهم في المغرب الأقصى.

(333) ج 1 ص 29 – 30.

ويخبرنا صاحب تحفة الراغب، أن الشيخ محمد العربي الهاشمي، كان كل سنة يدعو للجهاد « فإن فيه حكم كثيرة منها الاستعداد للجهاد، وتنافس الناس في شراء السلاح وخزن البارود وغيره» (334) وإذا كان بعض وشاة أهل مدغرة تملقا للمخزن ينكرون على الشيخ دعوته إلى الجهاد فإن صاحب تحفة الراغب أشار إلى ذلك بأسلوب فيه شدة قاسية وعنف، كله تهكم وتحقير لاولئك الجبناء « إن استيلاء النصارى بسبب الجهاد الذي لا يقول به بعض الرجعيين ويرون أنه الطامة الكبرى ويختارون دفعه بالصبر على الذل، والمدارات بما أمكن، فهذا كمن يدفع العار بمذلة، قال الشاعر.

ولست بمن يدفع العار بذلة كما دفع يوما بسوءته عمرو(335)

ويسترسل قائلا « ما الأحسن تجاهد ضد العدو وتنتصر أو تستشهد، أو تبقى ذليلا والحالة أن الذي خفت منه رآك، ومن كلام علي رضي الله عنه «الناس في الذلة من مخافة الذل وفي الفقر من مخافة الفقر» ولعله إقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم « من خاف من شيء سلط عليه» عجبت لمن يصغى لعدوه سمعا وهو لا يرجى منه نفعا.

إذا كانت الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

وحتى يسفه الكاتب رأي الذين ينكرون الدعوة للجهاد أورد ما يقوم به الفرنسيون من أعمال الترغيب والترهيب في الذين هم أصبحوا تحت حكمهم شرقا بالجزائر(336) وفعلا فإن الشيخ محمد العربي نظم لأتباعه الذين كانوا ملازمين له في قصري رحمة الله، ونعمة الله، دروسا في الجهاد وجدنا بعضها مكتوبا بخط أحد طلبة العالم المجاهد

---

(334) ص 52 أخبرنا الشريف السليماني حمزة الحوتي نقلا عن والدته وهو ما تواتر عند أهل قصر المعاضيد بتزيمي تافيلالت، أن والده رحمة الله عليه وهو أول شهيد نقل عنه عقل نفسه بعمامته وقت مواجهة الفرنسيين في شهر نوفمبر 1916 مقابل قصر المعاضيد المذكور، وذلك حتى لا تضعف نفسه ويتراجع نقل عنه أنه كان يتوفر على 16 بندقية ذات خمس عيارات وثلاث صناديق للشاي ملأي بالخرطوش وزعه وقتها على المجاهدين لقتال الفرنسيين الذين قتل من جنودهم المرتزقة من الأوروبيين والسنغاليين في المعركة ما قدر ب 600 ومن أهل البلد ما قيل عنه 45 جمعنا من أسمائهم ما تيسر لنا جمعه بواسطة ذاكرة بعض الذين حضروا المعركة من أهل تيزيمي والجرف و المعاضيد ولسوف يقف عليهم القارئ بعد.

(335) ص 53–54 وقصة كشف عمرو بن العاص لعورته، لما انتصر علي بن أبي طالب عليه السلام في موقعة الجمل مقولة تاريخيا عام 37هـ.

(336) ج 1/54 – 55 .

أحمد بن الحسن السبعي رحمه الله، ومما ورد في تلك الدروس من حث على تعلم الرماية وتقوية روح الجهاد والاقبال عليه.

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم الرماية من الصبح إلى وقت الضحى بنية الجهاد بنى الله له قصرا في الجنة، ومن تعلمها بنية ظلم المسلمين، فقد ظلم نفسه، وقال صلى الله عليه وسلم من توجه للموضع الذي يضرب فيه للرماية، فله بكل خطوة قصرا في الجنة، ويغفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه وسلم من ضرب في حجارة فأصابها فكأنما قتل كافرا والله أعلم، وقال صلى الله عليه وسلم من تعلم الرماية وتركها فكأنما أتلف شيئا من دينه، أو كمن أتلف القرآن والله أعلم، الخ، وقال تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدكم»(337) واتقنوا رحمكم الله الرماية، وقال عليه السلام «أرموا واركبوا» وقال عليه السلام إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرء ما نرى، ومن لانية له، لا عمل له، قال تعالى «يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور»، «إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء،» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتاني جبريل عليه السلام فقال لي يامحمد، ربك يقرئك السلام، وخصك بالتحية والإكرام، ويقول لك يامحمد علم أمتك الرماية، والفروسية، يستعينوا بها على الجهاد، فقلت له يا حبيبي ياجبريل ماجزاء من تعلم الرماية بنية الجهاد ولم يدركه، فقال له جزاؤه كمن حضر معك في سبعين غزوة، ويكون مع المجاهدين يوم القيامة الخ الحديث، ومن دخل الرماية وخرج منها فإن الله تعالى تبرأ منه، وخرج من رحمته، وكان له الشيطان قرينا، ومن سب في طريق الرماية كمن سب فيك يامحمد ، ومن سب فيك فجزاؤه جهنم ولو علم الناس فضل الرماية لتعلمها كبيرهم وصغيرهم، قال تعالى: « فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة، وكلا وعد الله الحسنى، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما» «يأيها النبيء حرض المومنين على القتال» وقال تعالى: ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار الآية(338).

---

(337) سورة الأنفال 60.

(338) المصدر مخطوط خاص وثيقة 32 من ملف الشيخ محمد العربي الهاشمي رقم 532م خ نا وقد أوردنا ماورد في الموضوع كما هو دون تدخل، لان ماورد من أسلوب يتفق والبيئة التي كتب فيها.

ومن خلال ما سبق نتبين كيف كان أتباع الشيخ محمد العربي يتلقون التوجيهات الكفيلة بدفعهم الى محاربة الاستعمارالفرنسي الذي كان وقتها قد تركز، بل كان يلقنهم وكما يخبرنا صاحب تحفة الراغب عن دروسه في التربية السياسية وضد الاستبداد والحث على التشاور(339) وحتى إذا إطمأن المربى إلى التمكن من قلوبهم وعقولهم من الناحية الدينية، تحول الى الناحية العلمية وماتتطلبه من شجاعة وإقدام وبذل، وذلك بأسلوب عجيب يتفق والبيئة التي تحيط بالقوم، وإن كان قد إختار ذلك من كتب السابقين إلا أنه صاغه في أسلوب تدركه وتتعمق فيه أفكار الأتباع الذين كان المرحوم أحمد بن الهاشمي قد خبرهم، وخبر ما يتأثرون به، فقد أورد في الفصل الأول من الباب الثالث من الجزء الأول ص 71 مانسبه لأبي الليث السمر قندي ض: ينبغي للغازي أن يلزم عشرة أشياء في الحرب:

1) أن يكون في قلب الأسد لايجبن.
2) وفي كبر النمر لايتواضع لعدو.
3) وفي شجاعة الذئب يقاتل بجميع جوارحه.
4) وفي حملة الخنزير فلا يولي دبره إذا حمل عليه.
5) وفي غارة الثعلب إذا يئس من وجه أغار من وجه آخر.
6) وفي تحامل الأثقال كالنملة تحمل أضعاف وزنها.
7) وفي ثبات الحجر لايزول من مكانه.
8) وفي يسر الحمار إذا أثقلته نصول السهام وضرب السيوف.
9) وفي وفاء الكلب لو دخل سيده النار تبعه.
10) وفي إلتماس الفريسة كالديك.

وكتب أبو بكر الصديق ض إلى خالد بن الوليد، إعلم أن عليك عيونا من الله ترعاك وتراك، فإذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك السلامة، ولا تغسل الشهداء من دمائهم، فإن دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة(340).

---

(339) ج 1 / 67.
(340) ج1/71.

لقد كان الشيخ محمد العربي يحبب لأصحابه الجهاد بطريقة جد مؤثرة، ولنسمع إلى تلميذه أحمد بن الهاشمي يقول والمصدر عنده هو شرح الشبراخيتي وذلك في الفصل الثالث من الباب الرابع(341) حول الرباط في الجهاد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أربعة يجرى عليهم أجرهم من بعد موتهم:

1) من مات مرابطا في سبيل الله.

2) من علم علما فعلم للناس، فله أجر من عمل به.

3) من تصدق بصدقة أجرى له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

4) من ترك ولدا يدعو له من بعده.

ثم أتبعها بأبيات للسيوطي:

إذا مات ابن آدم ليس يجرى ... عليه من خصال غير عشر

علوم بثها ودعاء نجل ... وغرس النخل والصدقات تجرى

وراثة مصحف ورباط ثغر ... وحفر البئر وإجراء نهر

وبيت للغريب بناه يأوى ... إليه أو بناء محل ذكر

وتعليم لقرآن عظيم ... فخذها من أحاديث بحصر

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: لأن أقف وقفة في سبيل الله مواجها للعدو، ولا أضرب بسيف، ولاأطعن برمح، ولا أرم بسهم، أحب إلي من عبادة سبعين سنة»، ولعل عبد الله ما قال ذلك إلا استنتاجا من قوله صلى الله عليه وسلم « وقوف ساعة في سبيل الله ، أفضل من شهود ليلة القدر عند الحجر الأسود(342) وحتى يقبل أتباع الشيخ على الجهاد كان لابد لهم من تربية سياسية إلى جانب التربية الدينية ومما يعجب منه المرء وهو يراجع ما كان يلقى من دروس لاتباع الشيخ محمد العربي الهاشمي، خصوصا في موضوع التربية السياسية التي كان يركز فيها على ما ينتج عن إهمال الشورى وركوب أهوال الاستبداد، كما كان يؤكد لأتباعه أن من الشهداء رجل قال كلمة حق عند سلطان

---

(341) ج1/88.

(342) ج 1/160

(343) نفس المصدر.

جائر(343) ولعله كان يقصد بذلك دفع الناس الى عدم الرضوخ لما استسلم إليه السلطان ودائرته بالنسبة لمضمون معاهدة ما بعد حرب إيسلي، في الوقت الذي كان الشيخ محمد العربي يدعو إلى الجهاد، فكأنه بذلك كان مخالفا لاتجاه رغبة السلطان ، خصوصا وأن هذا الأخير كان يوجه الرسائل إلى مختلف الجهات آمرا محذرا من إتباع دعوة « بعض درقاوة إلى الجهاد » وذلك بدعوى وجوب التمسك بالمعاهدة المبرمة، ولم يكن ذلك خافيا على أمثال الشيخ أحمد بن الهاشمي الذي لاشك كان يقصد ما يقصد حين تطرق إلى موضوع شروط الصلح حيث قال:

« قال في القوانين 1) الحاجة إليه، فإن كان لغير مصلحة لم يجز ولو بذل العدو المال، وإن كان لمصلحة كالعجز عن القتال مطلقا، أو في وقت خاص، فيجوز بعوض، أو بغير عوض، على مايكون سدادا للمسلمين.

2) أن لا يتولاه إلا الإمام.

3) خلوه عن شروط فساد، كترك مسلم في أيديهم أو بذل مال لهم من غير خوف، ويجوز مع الخوف.

4) ألا يزيد على المدة التي تدعو إليها الحاجة على حسب الاجتهاد. وقال أبو عمران، يستحب ألا يزيد على أربعة أشهر إلا مع العجز» (344).

ومما يستدل به على أن المؤلف كان هادفا حين أخذ يفصل لنا عن شروط الصلح، خصوصا وأنه إثر ذلك أخذ يحذر من الفرنسيين، وما لهم من وسائل الكيد والدس، وأنهم بذلك تمكنوا من نشر حمايتهم بين ذوي العقول السخيفة(345) ومن أقبح القبائح أن يأمن العدو في عدوه ولو كان من ملته فأحرى عند اختلاف الملل والله يقول: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم(346) ويقول «ولايزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا»(347) وانظر كيف رد الله كيد النصارى إلى الوسوسة والاغراء والتزين فكأنهم لم يستطيعوا الضرب والمقاتلة، فجعلوا يوسوسون لسخفاء العقول والمرجفين ويضلونهم ويمنونهم

---

(344) نفس المصدر.

(345) ج1/54.

(346) أل عمران 13.

(347) النور 39.

الآماني، ويعاهدونهم بكل جميل «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة(348) "فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور». ولقد كان العلامة الجليل أحمد بن الهاشمي الحسني رحمه الله عجيبا في طريقة نقده للوضع الذي كثيرا مانجده يوجه إليه الضربات الدالة على ما تردى فيه الوضع من استبداد انتهى بالمغرب وقتها وكما يشير لذلك بطريقة لا تخفى على القارئ مهما كان مستواه، ولعله كان يهدف تنبيه زملائه أتباع الشيخ الذين كانوا مجندين للجهاد، وحتى يعلموا أنهم على صواب وغيرهم على خطأ ولنسمع إليه إذ يقول:

« وفي عنوان البيان للشبراوي : قيل لملك بعد ذهاب ملكه: مالذي أذهب ملكك، فقال: ثقتي بدولتي ، واستبدادي بمعرفتي، وإغفالي عن استشارتي، وإعجابي بشدتي، واضاعة الحيلة وقت حاجتي، والتأني عن احتياجي إلى عجلتي.

وقد قيل: العاقل يقدم التجريب، على التقريب، والاختبار، على الاختيار، والثقة على المقة(349) العاقل لايركب مطية قراها العدوان، ولايتبوأ منزلا عمره الطغيان، وقال آخر: أربعة ترفع عنهم الرحمة إذا نزل بهم المكروه: من كذّب طبيبه فيما يصف له من دائه ، ومن تعاطي مالا يستقل بأعبائه، ومن أضاع ماله في حداثته، ومن أقدم على ما حذر من آفاته.

فتأمل رحمك الله غفلة الناس على الكفار دمرهم الله ، وهم شارعون بالبناء و التجارة معهم(350)، وقد سحروا قلوب المنافقين منهم بالأطماع، وإظهارهم العدل والإنصاف لهم حتى يأخذوهم على غرة ويصير دمهم هدرا .

قال الشبلي(351) في قوله تعالى: "وأعدوا لهم ماإستطعتم من قوة ومن رباط

---

(348) ج 1/ 218 – 19.

(349) المقة من الناس الذي يهيم على وجهه لايدري اني يتوجه المعجم الوسيط ج 887/2 ط مصر 1961.

(350) كان هذا من المؤلف عام 1306هـ 1888م أي قبل 24 سنة على فرض الحماية، ولو كتب هذا النوع من النقد السياسي رباطي أو تطواني أو فاسي لقيل في حقه من أنواع التعظيم وألوان الإكبارما يحفظه الكبار والصغار، ومع ذلك يقال، ليس في تاريخ المغرب وبين مؤرخيه عنصريه؟؟

(351) هو أبو بكر دلف بن جحدر، صوفي ولد ببغداد 247هـ 861م وتوفي فيها أيضا 334هـ 945م كان كثير الإعجاب بآراء الجنيد واضطر إلى إستنكار موقف الحلاج الحسن بن المنصور 244هـ 858م 310هـ 922م وإن كان قد أقره باطنا، وأصيب بصدمة انتهت به إلى الجنون، راجع من أعلام التصوف لطه عبد الباقي سرور ص 129 ط مصر 1956 والأعلام ز20/3 ووفيات الأعيان 180/9 والنجوم الزاهرة 281/3 وصفة الصفوة 258/2 وحلية الأولياء 366/10 وتاريخ بغداد 389/14 والمنتظم 347/6.

الخيل(352) هذا إحتراس لما يتوهم من التي قبلها، عدم المبالاة بهم والاستعداد لهم، لضعفهم، قال صلى الله عليه وسلم « الحزم سوء الظن»، وسئل حكيم من أحزم الناس قال: من ملك جده هزله، وقهر له هواه، وأعرب لسانه عن ضميره ولم يخدعه رضاه عن سخطه، ولا غضبه عن صدقه.

وقيل لآخر ماالحزم؟ قال سوء الظن، قيل مالصواب، قال المشاورة، قيل فما يجمع القلوب، قال المودة، قيل له فما الاحتياط، قال الاقتصاد في الحب والبغض، ثم أنشد شعرا:

إجعل يقينك سوء الظن تنج به ... من عاش مستيقظا قلت مصائبه
ولن جوابا وكن كالأفعوان إذا ... لانت ملامسه أعيت مضاربه
والق العدو بوجه لاخطوب به ... واجعل له في الحشا جيشا يحاربه

وقد قيل كثرة الوفاق نفاق، وكثرة الخلاف شقاق، رب رجاء يؤدي إلى حرمان، ورب ألم يؤدي إلى خسران، أكثر مصارع العقول عند بروق الأطماع، الحزم صناعة، والتوكل بضاعة، من امارات الخذلان، معاداة الإخوان، ومن علامات الإقبال، إصطناع الرجال، ثم أورد شعرا.

من الحزم أن تكرم الأرذلين ... وأن تهاب الذي لايهاب
فما أخرج الأسد من غابها ... لتلقي المنية إلا الكلاب

وزيادة في الإفصاح عن أسباب ودوافع تعريضه بالوضع إشادته بشيخه الذي إعتبره عديم القرين « كنا نرى غيرة شيخنا أبي عبد الله المربي محمد العربي على معالم الدين مع غيره من أهل وقته فلم نجد واحدا يدانيه، ثم نجعله في كفة فيرجح بهم « إن إبراهيم كان أمة(353) فأما تربية المريدين فقد جمعها باتفاق الداعين والمدعين، وأما النصح للمسلمين والذب على بيضة الإسلام، فلا يقربه أحد، ولايماثله، وأما إعلامه بقوة الكافرين، فكأنه حي بين المقبورين، أو صابر من وراء الفارين، فلم يأل جهده من النداء

(352) الانقال.60.
(353) «إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا» سورة النحل 120.

عليهم في كل نادي ونصحهم ولكن لاحياة لمن تنادى:

يمثل نو اللب في نفسه مصائبه قبل أن تنزلا
فإن نزلت بغتة لم تدع لما كان في نفسه مثلا
رأى الأمر يفضي إلى آخر فصيره آخره أو لا

ولقد كان بعضهم أمثال مؤلف تحفة الراغب، على جانب مهم من الدراية ومعرفة أثر التفكك السياسي في الجانب الاقتصادي، الذي لاقوة للدولة بدون سلامته، ولاقدرة للمواطنين علي تحقيق ما يهدف إليه أمثال الشيخ من مقاومة الغزو الخارجي بدون الاتفاق على مقاطعة البضائع الأوربية الغير النافعة ، وفي مقدمتها السكر والشاي، وما يتبعه من أواني فاخرة،(354) وصينيات فضية، وكؤوس بلورية.

ولنسمع إليه وهو يضرب المثل بما حصل لبعض رجال وادي غريس بعدما أشار إلى ما حصل لأهل الأندلس بسبب البذخ وماعرفوه من رفاهية وسفه في المطعم والملبس والمسكن، في الوقت الذي كان العدو يتربص بهم، والذي دفعهم لذلك دفعا، ولو من بعيد، حتى يحقق فيهم بالكيد ما لم يحققه بالسلاح وطول زمن الاستنزاف هو الرفاهية والبذخ، يقول صاحب تحفة الراغب:

«حكى لي بعض أهل غريس(355) أن بعض الأنجاد من قبائل البربر، كان سنة أربع وثلاثمائة لما قصدهم آيت يافلمان بالحركة، كل يوم يشتري نصف رطل سكر، فلما حانت المبارزة، لم يجدوا عنده شيئا من البارود وتشكى لهم قلة ذات اليد، فهذه مصيبة عظمى، وقد كان الناس قديما يتنافسون في جياد الخيل والأسلحة، وتعليم الرمى، والفروسية، واليوم صاروا يتفاخرون بالصنية الجيدة و«الكيسان» الكؤوس(356) وشراء

(354) كان المغاربة ولايزالون يتفاخرون بامتلاك الصينيات المستورد من بريطانيا صنع منشسطر الرايط، والكؤوس البلورية المستوردة من سان لوي بفرنسا، حتى أنها في مرحلة من التاريخ استنفدت القوى وأرهقت المغاربة اقتصاديا.

(355) غريس واد في الشمال الشرقي من سجلماسة وحوله الكثير من قرى البربر والعرب ومدا شرهم، من آيت مرغاد وبعض الاشراف الأدراسة، والحراثين وغريس المغرب هو الأصل في تسمية تلك التي بالجزائر، والتي منها أمير المجاهدين عبد القادر بن محي الدين الإدريسي رحمه الله.

(356) الجمع كؤوس: الكأس مؤنثة والجمع أكؤس وكؤوس وماعبر به الكاتب لهجة محلية يراد به الكؤوس وكيسان في اللغة بالسكون والفتح: اسم للغدر وكنيته أبو كيسان أو كيسان لقب للركبة واسم للضرب على مؤخر الانسان بظهر القدم.

ذلك بغلاء الأثماء، فشاهدنا من الناس من خرج عن أملاكه بتتبع هذه الأحوال وتعاطيها، وصار خراج الأرض لايفي بضرورة المباح، فضلا عن شراء فرس أو سلاح ولو قدر أن سلطانا عدلا يأخذ من الناس في كل عام ما يدخل بيد الروم بسببها في شهر واحد، لشكوا منه الأضرار وضجوا عليه بالدعاء والفرار، فكانوا كمن حفر على حتفه بظلفه «ثم يستمر صاحب تحفة الراغب.

«كان الرجل في القديم يطوي ويعلف فرسه، وصار الآن يبيع الفرس ويقضي بثمنه وطره، فلو هندس(357) مايدخل على الروم بسببه في العام، لقوم به الجيش العرمرم، ومن عجيب أمر «أتاي» كأنه ينادي للويل آتي «؟» ولحكماء الروم في صنعة أوانيه عجب العجاب، إذ تصوروا الصينية(358) على أذن الإنسان كأنها لا تشبع من الكلام والالحان، ودوروا عليها رسم حية مقلوبة على ظهرها، كأنها تقول إن لمسي رطب قاتل لمن ضجعني، وجعلوا المقراج(359) على عنق الثعبان وفمه، ويخرج منه الدخان كأنه لسان، وجعلوا مخزنة(360) في صفة أسد ملجم ينتظر الفرصة كاد أن يهجم، ولو لم يكن فيه الافساد المال والصحة وضعف النسل لكفى »(361).

---

(357) يقصد أحصى أو قوم

(358) الصينية ماعون من الخزف الصيني أو نحوه يقدم عليه أواني الطعام والشراب جمع صينيات م ع الوسيط 534/1 وتحولت في المغرب إلى أنواع من الفضة أو المعدن النفيس كالنحاس وغيره

(359) يطلق المقراج في المغرب على الإبريق الذي يغلى فيه الماء إعدادا لصنع الشاي كما يطلق عليه كذلك الغلاي.

(360) من اختزن لا من خزن، ولذلك كان عليه أن يقول الخزانة قال تعالى «إن من شيء إلا عندنا خزائنه الآية/ : الحجر.

(361) ج 243/1.

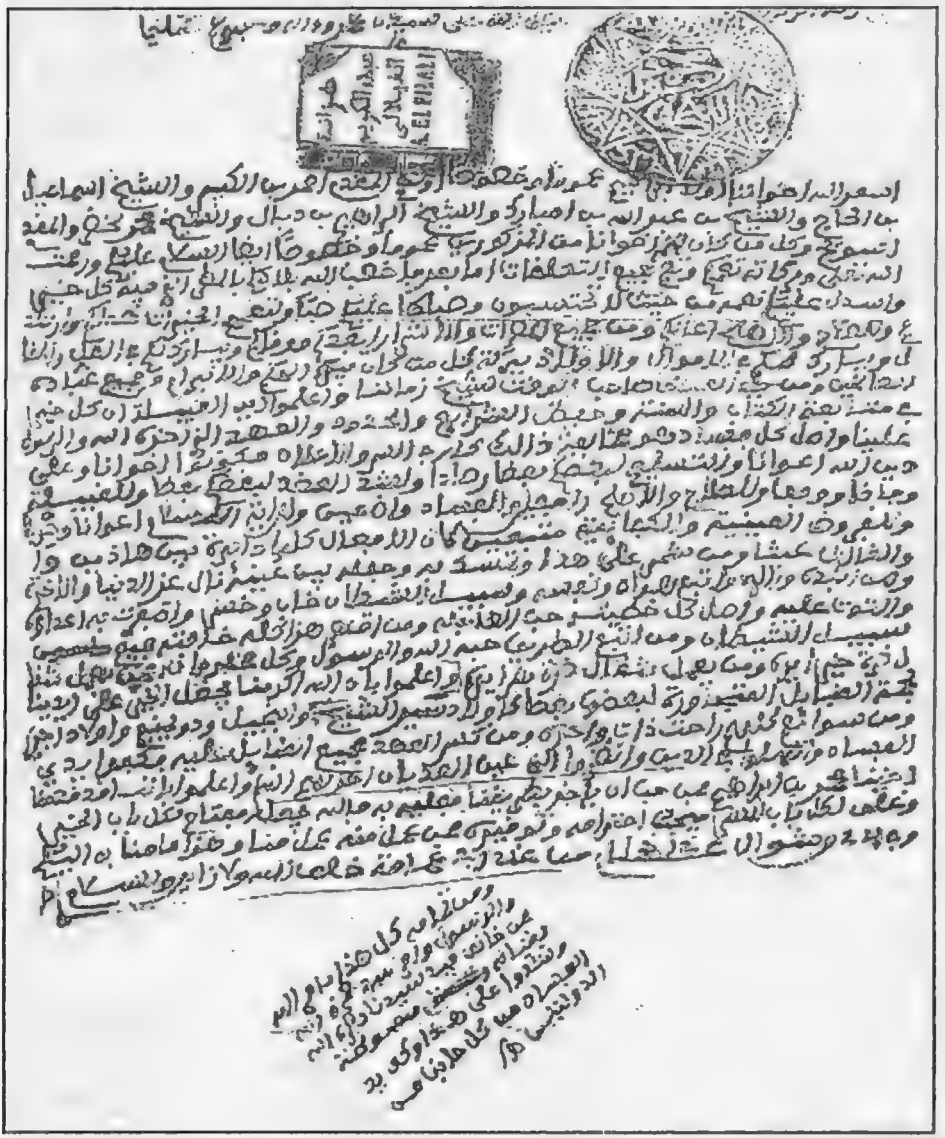

رسالة توجيهية من أبي عمامة خلف الله البكري نيابة عن أبي عمامة حمزة إلى قبيلة أولاد ابراهيم يوصيهم فيها بالاتحاد وأن يطيعوا أوامر محمد بن ابراهيم كما يخبرهم أنه وحد بين أولاد سيدي الشيخ وأولاد علي وبني جيل ونوي منيع وأولاد جرير تاريخها 1312-1894م

رسالة بتاريخ 1316هـ 1898م من القائد المخزني لفجيج محمد بن عمر المراكشي إلى المجاهد البطل بوعمامة البوشيخي البكري الذي خونه الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور في اعلامه الواضحة الفجور جـ1/359 ثم راجع الحقيقة عند ابن زيدان في الاتحاف 1/407-10 بل أبو حمارة اغترت به كثير من القبائل المغربية حتى من مدينة فاس على أنه محمد بن السلطان المولى الحسن وما تقيأ به الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور في حق أبي عمامة جر من الأذى ما لانرضى بترديده في حق مقدساتنا

المجاهد العظيم أبو عمامة البوشيخي البكري الذي تطاول عليه موسخ المملكة الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور في أعلامه التي ليس لها مصادر وبذلك حقق ضد المغاربة والجزائريين ما كان المستعمرون يعملون جاهدين لتحقيقه بواسطة أمثال الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور لكن هيهات ثم هيهات

الفصل التاسع بعد المائتين

منشور الدعوة إلى الجهاد ضد فرنسا

1305هـ - 1887

كان ذلك من الشيخ محمد العربي عام 1305هـ 1887 أي بعد سنة من إتمام الصلح بين ايت عطا وآيت يافلمان والنص الكامل للمنشور يوجد بالخزانة العامة بالرباط قسم المخطوطات في مجموع رقم 3353د. ص 57-81 إذ في هذا العقد عرفت المنطقة الشرقية من المغرب التي هي منطقة توات بعض التحرشات من الفرنسيين، وفي هذه السنة أيضا كان السلطان المولى الحسن قد أرسل سفارة إلى توات على رأسها الكاتب السلطاني محمد الرشيدي الودغيري الفجيجي ومعه القائد الدليمي كما أرسل بوعزة السريفي والطالب العربي المنيعي، واستدعى ممثلي قصور توات وكورارة، وتيديكلت للحضور إلى حيث السلطان الذي نبههم إلى ما كان يدبره عبد السلام ابن العربي الوزاني من خيانة ضد بلاده تحقيقا لرغبة فرنسا، وما كان لها من الأطماع التي كان يدبرها أورديجا وزير فرنسا المفوض في المغرب، والمقيم بمدينة طنجة، والذي أشرنا في غير هذا المكان إلى أنه استطاع أن ينتزع من السلطان الاعتراف بمطاردة المقاومين وتعقبهم بحجة أنهم من العناصر المشاغبة عبر الحدود، بل تقول بعض المصادر إن السلطان «كتب إلى القبائل الشرقية يأمرها بحسن استقبال القوات الفرنسية، وبمعاملتهم معاملة الأصدقاء وأثبت بذلك حقوقه على هذه المناطق مادام لا يقدر على منع زحف القوات الفرنسية، ولكنه رفض في نفس الوقت مرور خط السكك الحديدية الصحراوية في منطقة توات، مدعيا بأنها ستعمد إلى تحطيم العلاقات الاقتصادية الموجودة بين المغرب والسودان، وكان يخشى في نفس الوقت من أن يكون بناء هذا الخط حقا ثابتا لفرنسا على المنطقة أو تستغله على الأقل في إستمالة الأهالي إليها بطريقة أو أخرى، وعمد السلطان في نفس الوقت إلى

تدعيم حكمه في كل من وجدة وفجيج(362) حيث كان القائد المحلي هو عمر المراكشي المعروف «السي مو» وما جاء بعده منذ رحلة الخليفة عرفة بن محمد 1301هـ 1883م وهو صنو السلطان إلى تلك المناطق حتى يؤكد حضور المخزن، لكن الفرنسيين لم يزدهم ذلك إلا تنطعا وتماديا في تخطيط ماكانوا يدبرون، كما أشرنا سابقا، حتى إنهم أخذوا وعن طريق أورديجا يتصلون برجال الطوائف الصوفية مثل التجاني وآل المبخوت الذين ربطوا لهم الصلة مع عبد السلام بن العربي الوازني المشار إليه، وذلك قصد أن يؤسسوا شبه دويلة في المنطقة تعلن إنضمامها إلى الجزائر حيث أصبح الفرنسيون هم المسيطرون.

في هذه الفترة قام الشيخ محمد العربي الهاشمي بدعوته إلى الجهاد بواسطة المنشور الذي أثار الضجة ضده حتى إن السلطان أخذ يكاتب سكان تلك المناطق محذرا لهم من دعوة الشيخ إلى الجهاد، ويقول صاحب تحفة الراغب حول المنشور الذي أصدره الشيخ محمد العربي الهاشمي:

«ولقد أفصح رضي الله عنه هذه السنة التي هي سنة خمسة وثلاثمائة وألف، وأرسل الرسائل الى مختلف الجهات وجميع قبائل الصحراء، بل أهل المغرب كافة، وجعل لهم عامين عافية « هدنة» ليكونوا أمة واحدة ويدا متحدة على من سواهم من الكفار، يهدمون الصليب والدير، ويستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، فأجابوه لذلك واستعد أهل الجد منهم لما يحتاجوه من عدة وخيل وسلاح، وآنست نفوسهم بالظفر والنجاح، فلما رأى رضي الله عنه من الحزم أن يشارك مولانا السلطان بالرأي السديد أرسل له بعض أصحابه الملحوظين عنده بالتأييد، بعد أن عول على الخروج في أول فصل الربيع، فبقي الرسول يقلب يديه على ما فيها من العزم والرجوع، فأضافه السلطان نحو شهرين «؟» ولم يرجع من عنده إلا بخف حنين، والناس من أهل الجد يتجسسون الأخبار، والشيخ يأمرهم بالتأني وانتظار الفرج، ولم ييأس من روح الله وإصابة المخرج، فكأنه لصدق فراسته وجد ريح الصديق قبل انفصال العير في الطريق، فلما أن جاء البشير وجده بما في ضميره بصير. فأجابه بقوله تعالى «فنعم المولى ونعم النصير» فجعل يجاوب العازمين على النفير، أن لاتحلوا من عزمكم فتيلا ولا قطميرا ويبشرهم بحصول المقصود في النية

(362) راجع المغرب العربي الكبير د. جلال يحيى ج 3/454 -55- 60.

ويملي عليهم إنما الأعمال بالنية الخ »(363).

ولقد كان من المتحمسين لفكرة الجهاد ضد الغزو الفرنسي العلامة الفاضل المرحوم الهاشمي بن المدني الأنصاري قاضي تافيلالت وكبير علمائها كما يخبرنا صاحب تحفة الراغب(364) وهو الذي وقفنا على بعض خطبه الجمعية وفيها يدعو مواطنيه إلى المبادرة والتوجه لقتال العدو في أرض توات. ومثله كان علماء فجيج يتقدمهم العالم الجليل أحمد امحمد الرشيدي قبل أن تصله أوامر السلطان بعدم محاربة « الجار ولوجار كما عبر ؟!

مهما يكن فعلى الذي يريد الزيادة في معرفة تاريخ هذه المرحلة أن يراجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية بالرباط، ففيها من فتاوى العلماء، وحول هذه الفترة من تاريخ المغرب مايكفي، ذلك أن الكثير من الذين بلغهم منشور الشيخ محمد العربي ولم يكونوا من أتباعه كان عليهم أن يتوجهوا باسئلتهم إلى بعض العلماء حتى يعرفوا حكم الشرع فيما لو لم يستجيبوا، وتعددت الفتاوي والدراسات في هذا الموضوع، فكان من المؤلفات ما كتبه محمد بن التهامي جنون الذي ألف حول أربعين حديثا في الجهاد «ط حجر» ثم «سبيل المحسنين» لمحمد بن إدريس القادري الحسني ثم «تذكرة نافعة» لاثني عشر من العلماء ط حجر الخ، وإذا كان هذا المنشور قد وجد مقاومة من المخزن، فإنه كذلك دشن مرحلة من الصراع(365) بين الولاة وكثير من القبائل في مختلف مناطق المغرب عموما، والأطلس المتوسط خصوصا حتى انتهى الأمر إلى إحراق محمد

---

(363) ج 1/235-36.

(364) ج1/236 والسيد الهاشمي الأنصاري من القصر «الفوقاني» كان قاضيا بتافيلالت منذ ما قبل 1291هـ 1874م وقد بقي يباشر مهمته إلى أن أعجزته الشيخوخة ثم توفي رحمه الله عام 1315م وهو الذي اشتهر بعدله واستقامته، من ذلك أنه لما ذهب إلى الحج ثم ترك ولده عبد الواحد نائبا عنه، ولما رجع وجده اشترى بستانا فلما سأله عن مصدر المال ولم يجبه بما يقنع، أمره بالتنازل عن البستان ورده لأوقاف المسجد ويعرف حتى اليوم ب « جنان القاضي » ولقد سلك ولده عبد الواحد رحمه الله بعد نفس النهج، وهو الذي قتله اليهودي التوزو الذي أصبح سلطانا في تافيلالت عام 1337هـ 1918 كما سنرى بعد ، كما قتل معه عبد الله بن الرشيد بن خليفة السلطان وابن خالة المولى عبد الحفيظ ولخلافة مقدم ضريح المولى على الشريف، ثم حاخام اليهود أبو حصيرة الذي حاول اليهود وزنه حتى يتركه فلم يقبل التزونوني.

(365) كما كان من الذين لم يستحسنوا فكرة الجهاد والمقاومة المسلحة، المرحوم أحمد بن خالد الناصري الذي تعلل بضعف الدولة وعدم قدرتها على المواجهة إذا ما حصل مايدعو لذلك راجع الاستقصا 9/103-8ط البيضاء، ومظاهر يقظة المغرب الحديث لمحمد الهادي المنوني الحسني ج1 ص 348 ط 2 شركة النشر والتوزيع.

والطالب العامل على قبائل آيت يوسي، وهو حي يتكلم ويصيح، وقطع رأس عم السلطان سرور بن إدريس بن عبد الرحمن بن المولى سليمان وخمسة وخمسين رجلا معه من رجال المخزن، بايت شخمان ، كما سنرى حول ما يتعلق بمحمد والطالب اليوسي في الفصل التالي مما يستدل به على فساد الوضع واستبداد الولاة وتذمر الشعب الذي أدى إلى الإنفجار بتلك الطريقة التي انتهت بإشعال النار في جسم عامل السلطان على ايت يوسى محمد والطالب في المكان الذي اختطفت منه الفتاه اليتيمة يطو لقضيب.

كتاب السلطان المولى الحسن إلى مختلف القبائل حتى لا يعملوا بمنشور الجهاد الذي دعى إليه الشيخ محمد العربي الهاشمي ضد الغزو الفرنسي لشرق المغرب بل وضد وجودهم في أرض الإسلام الجزائر التي كان يحث المسلمين على طردهم منها بواسطة المنشور الذي وجهه لمختلف جهات المغرب 1305هـ تاريخه 1305هـ1887م والوثيقة من مخلفات آل الرشيديين المعروفين بـ أولاد محمد بقيت محفوظة وغيرها عند خلفه مولاي بوعلام وولده الرشيدي محمد.

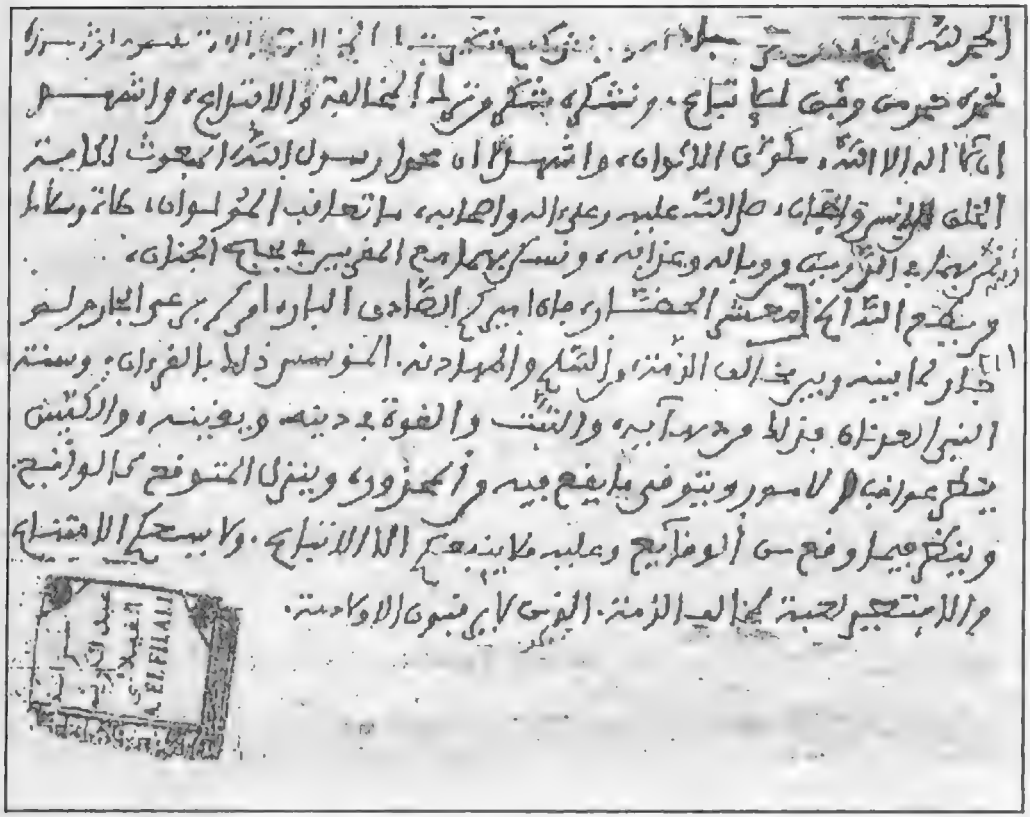

خطبة يوم الجمعة اقتداء برسالة السلطان في عدم المحاربة للجار الذين هم الفرنسيون بالجزائر

رسالة من عامل المنطقة الشرقية عبد الملك بن علي السعيدي إلى أهل فجيج حول استجابتهم لرسالة السلطان التي أكد فيها عدم استجابتهم لمنشور الجهاد وكذا على عدم قتالهم للفرنسيين في الجزائر

خطبة الجمعة بأحد مساجد تافيلالت أيام قتالهم للفرنسيين دفاعا عن الوطن وقد وردت رسالة باسم المولى الحسن أيام صدارة الشيخ محمد العربي الهاشمي ودعوته عام 1305 هـ للجهاد. والرسالة توكد أنه يجب على الفيلاليين أن لايقاتلوا وأن لايحسبوا أنهم يجاهدون اذ لاجهاد بدون أمر من السلطان. ومثلها في عهد المولى يوسف. وكان الذي أصدرها باسمه هو العميل الاستعماري "كاباص" المعروف بـ محمد الجباص الذي كان وقتها 1916م هو الصدر.

التنبيه من خطيب الجمعة في الجنوب الشرقي للمغرب على نفس النهج في عدم الأقدام على الجهاد حسب أوامر السلطان المولى الحسن

الفصل العاشر بعد المائتين

غادة الأطلس يطو لقضيب

وقصة محمد والطالب اليوسي

العامل الظالم الذي أحرق حيا

كتبت هذه القصة قبل منفصلة وبشكل آخر فيه دعوة إلى الديمقراطية ضد الاستبداد لكنها صودرت عام 1968 مع غيرها من كتب المؤلف التي قيل إنها تخل بالأمن العام وقتها وقبل أن تنشر والسبب قصص الشياطين الخمس" الأعور والأقرع والأعرج والأسود وقزم الرباط.

انتهى الشيخ محمد العربي الهاشمي إلى قوة روحية في منطقة الأطلس المتوسط أصبحت الملجأ لكثير من المتظلمين المستهدفين لترامي اللصوص وقطاع الطرق، الذين كانوا بكثرة في الطريق التجاري ما بين فاس وتافيلالت، أو المعرضين لظلم وغطرسة بعض الحكام من ولاة المخزن الذين كانوا السبب في تكاثر العابثين من أفراد القبائل السائبة التي لم تكن تعرف نفوذ المخزن إلا إذا خرج السلطان إليها بقواته وجيوشه التي كان يعززها باستنفار القبائل الموالية، ولذلك كان العمال والولاة أمثال محمد والطالب اليوسي وقبائله التي تعودت الفوضى تحت ستار الولاء للسلطان، ولا تعرف للأخلاق مقاييس ولا للنظام قوانين، بل كان العامل نفسه يرتكب أقبح الفظائع باسم السلطان، ولا يحتاج لتغطيتها والزيادة في الإذلال لمن هم تحت سلطانه ونفوذه، أكثر من عبارات الولاء المتصنع المعزز بإرسال ما كانت تعرف به قبائله من إنتاج فلاحي أو صناعات محلية، مما كان يجمع قسرا، وباسم الزكاة أو الخراج، والذي لم يكن العامل يعتمد فيه على النصاب القانوني شرعا، بقدر ما كان يعتمد على هواه وهوى من حوله والمؤيد ببعض حاشية السلطان ونفوذها، ومن هؤلاء العمال الذين عرفوا بالظلم والفساد الفاحش

والعنف، محمد والطالب اليوسي الذي كان عاملا من قبل السلطان على قبائل آيت يوسى التي يبتدئ وجودها من صفرو إلى بولمان وما حوله إلى حدود قبائل ايت مجيلد وايت وافلا ثم ايت ازدك، بحيث كان نفوذه يغطي ما يزيد على ثمانين ألف كيلو متر مربع.

كان محمد والطالب اليوسي قد عرف واشتهر بظلمه واعتدائه على أعراض المستضعفين الذين تحت حكمه ولارقيب ولاحسيب، ويكفي أن نورد له القصة التالية مختصرة حتى نتعرف على الأسباب والدوافع التي أدت إلى قتله ثم إحراقه حيا، وكيف تم ذلك.

إنها قصة لم يعرف المؤرخون المعاصرون غير ختامها الذي هو القتل والإحراق الذي ليس كما رواه: إدريس بن أحمد الفضيلي في الدرر، والذي نقل عنه المراكشي السوسي في الأعلام(366) وابن زيدان(367) في الإتحاف، بل هي قصة الشرف الذي تغنى به الشاعر القائل :

لايسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

إنها قصة لم يعرف لها في تاريخ المغرب نظير، تلكم هي قصة الفتاة البربرية اليتيمة التي إعتدى عليها وعلى شرفها العامل محمد والطالب اليوسي فكلفته حياته وحياة مائتين وأربعين من رجال قبيلته، وبعض جند السلطان الذين كانوا بمركز «لقصابي» التابع لنفوذ العامل المذكور وتحت سلطته، إنها قصة « يطو لقضيب» التي اغتصبها العامل، فكانت السبب في الحرب التي روعت أعالي ملوية بما عرفته من قبائل آيت صغروشن، وآيت حمو وسعيد، وايت ازدك ثم ايت مجيلد بالإضافة إلى ايت مرغاد وايت عطا وآيت حديدو، تلك القبائل التي عرفت الغيرة الدينية بفضل التربية التي أشاعها فيها أتباع الشيخ محمد العربي الهاشمي.

إنها قصة من جانب الفروسية شبيهة بتلك التي أثارتها البسوس في الجاهلية بين قبيلتي بكر، وتغلب، بشعرها والتي خاطبت به عاطفة سعد بعدما وضعت فيه مانالها من حيف يحمل جساس مغبته ب « الموثبات» لأنه كان السبب في قتل جساس لكليب،

---

(366) ج 7/80 – 85 ط الرباط.

(367) اتحاف اعلام الناس 2/268 – 69.

والحرب التي أذلت قبائل ايت يوسى ثم أحرقت عاملهم وأساءت إلى هيبة المخزن الذي كان قد عرف الكثير من عصيان القبائل في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، هذه الحرب أثارها تظلم أرملة اعتدي على ابنتها الجميلة بعد ماتزوجت فاستغاثت بالشيخ محمد العربي الذي لم يأمر بشيء مما حصل، وإنما فقط تعرض للاستهانة بتدخله الأدبي من العامل المخزني الذي هو محمد والطالب اليوسي، فاندفعت القبائل التي سنتعرف عليها بعد ، غيرة على الدين وحماية لأخلاقه إلى ردع الشر ورفع الظلم، حيث لم يكن للشر من يردعه ولا للظلم من يرفعه في تلك الديار، غير العصبيات وسلطان القبيلة، والقصة كما يلي:

هنالك في الأطلس المتوسط وبين أحضان جبل العياشي يبتدئ وجود قبيلة ايت ازدك، التي هي بلهجة صنهاجة «المزديين» وهم خليط من العرب والبربر حلوا بالمنطقة بعدما أخلاها المولى إسماعيل بن الشريف من قبيلتي كروان وتولال اللتين لايزال اسمهما يطلق على أماكن كثيرة من ميدلت إلى قصر السوق وذلك بعد حربه لآيت أمالو عام 1104هـ 1692م كما سبق ولقد أصبحت قبيلة ايت إزدك مكونة من نحو أربعين فخذا قسموها عرفا وفي عهد المولى الحسن وما قبله إلى ثلاثة أصول هي :

1) آيت يحيى وخليفة، وآيت موسى وعلي، وقد كانت قيادتهما في فرع تواجيت وقائدهم يدير، ثم حدو وراس من قصر أسليم.

2) آيت فركان بالكاف المعطشة، وفيه كانت القيادة التي تولاها إبراهيم نايت السومر المعروف بقصته مع المولى عبد الرحمن بن هشام(368)

3) آيت مومو ومنه آيت إبراهيم، وايت عتو، آيت حاحو، ثم آيت بلال، الذين منهم أهل قصر طيط ورماس التي هي في الأصل « عين أرماس(369) وفي هذا القصر تسكن

---

(368) راجع الاستقصا 9 / 67 وهي محرفة عما عند ابن زيدان في الاتحاف.

(369) آرماس بالبربرية نوع من النبات يعرف اليوم عندهم ب «لقطف» بالكاف المعطشة، ويوجد بهذا القصر حتى اليوم حفيد الشيخ محمد العربي الهاشمي الذي هو بن يوسف بن المهدي بن محمد بن الشيخ محمد العربي، وفي نفس الوقت هو نقيب الأشراف في المنطقة وبيده منصب الحسبة بمدينة ميدلت الى جانب قاضي الجماعة ، وكلها مناصب سعت إليها ولم يطلبها كما رأينا وعشنا لأنه الوحيد من الأفاضل الذي لم يتلوث من أسرة الشيخ ثم هو لايزال يتمتع بمكانة عالية بين المواطنين.

فخذة آيت بلال، التي منها يطو لقضيب، والتي كانت قيادتها بيد «علي بو» كما كان إلى جانب القواد المذكورين رجال عينتهم القبيلة للمشورة، وهم عن آيت «التلوت» محا وسعيد من قصر عثمان وموسى، وعبد الله اللوهام، من قصر فليلو، ثم محا وعلي نعلى وسعيد، وفرع ايت موسى وعلي، من قصر افليلو كذلك، والحسن نعلى وابراهيم، بقصر أسليم، ثم حدّو وراس فخذ ايت يحيى وخليفة بقصر أسليم كذلك ، ثم محا وحيون، من قصر برم ايت حديدو ميدلت، هؤلاء مع باقي رجال القبائل الأخرى ايت صغروشن، وايت مرغاد وايت حمو وسعيد وآيت وافلا هم الذين قادوا المعركة التي انتهت بمحمد والطالب الى المصير الذي انتهي إليه، ذلك لأنهم الذين استنفروا قومهم ثم لحقت بهم القبائل التي سبق ذكرها والتي سنتعرف عليها، ذلك لأن الجريمة التي إرتكبها محمد والطالب في حق الفتاة اليتيمة كانت بأرض آيت إزدك المعروفة حتى اليوم. ومنطقة قبيلة ايت إزدك حتي اليوم تمتد من جنوب واد انجزمير جنوب آيت عياش في الأعلى، إلى حدود قصر السوق، حيث قصر تاركة، وهي المنطقة التي كانت تسكنها قبائل گروان قبل أن ينقلها المولى إسماعيل إلى ناحية مكناس – كما أشرنا، وذلك بعدما قطع منهم المولى إسماعيل إثنى عشر ألف رأس عام 1104هـ 1692م(370) في الشمال الشرقي لقبيلة آيت ازدك وفي الحدود الفاصلة بينهما وبين آيت وافلا، ثم آيت يوسي يوجد قصر « طيط ورماس» الذي يحمل حتى اليوم هذا الاسم ، والذي هو من آثار إبراهيم اعتو الذي كان أول من بنى حول العين الجارية حتى اليوم، كما فعل أحد أبناء عمومتهم ايت على نيطو شمالا.

في هذا القصر كانت توجد يطو لقضيب التي عقد عليها أحد أبناء عمومتها وهو «سعيد وعلي» من آيت بلال، والذي كان متزوجا من فتاة بكماء، فاختار التثنية بيطو لقضيب الفتاة اليتيمة الأب، والتي ليس لها غير أمها خدّجي بنت يدير.

كانت يطو لقضيب في الخامسة عشر من عمرها عام 1307هـ 1889م(371) وكانت

---

(370) راجع فصل السلطان إسماعيل وحرب قبائل ايت أمالو ومأساة قبائل جروان فصل 127 من هذا الكتاب أعلى وكذلك كتب أبي القاسم الزياني المذكورة قبل.

(371) لقد عمرت ولم تتوفى إلا سنة 1374هـ 1954م يقول مخبر من قصر طيط ورماس هو علي بوهدادة وغيره من جماعة طيط ورماس.

طويلة بضة جميلة، جمعت من المحاسن شكلا، ما جعل الحديث عنها موضوع سمر بين مختلف قصور المنطقة التي منها مركز لقصابي حيث فرقة جند السلطان والإدارة التابعة للعامل محمد والطالب، وبذلك انتهى الحديث حول يطو لقضيب وجمالها إلى مجلس العامل الذي كان وقتها جلاوى زمانه في الفسق واختطاف الحرائر، بل المجرم المفضوح في هتك الحرمات والاعتداء على المحارم، والذي وإن فاته الركب وقتها، ولم يعد في مقدوره اللحاق والاغتصاب بالقوة والعنف كما تعود وسجل التاريخ في حقه وحق بعض ذوي السلطان من أمثاله، فإن عليه أن يشتهي لولده عمر الذي كان على سنة أبيه ظلما واعتداء واغتصابا للحرائر، من بنات قومه وليهوديات مدينة صفرو واللائي قيل بأنه خلف مع إحداهن، فهو في نظر أبيه أحق بيطو لقضيب التي اشتهرت بجمالها وما قيل عنها بدلا من سعيد وعلي الذي تزوجها، ولم يحتج العامل وهو صاحب أعلى سلطة في المنطقة لتحقيق جريمته واعتدائه على شريعة الإسلام ودوس ماورد في الكتاب والسنة، ومكن له العرف، أكثر من الأمر بإحضار الفتاة وحملها من بيت الزوجية بقصر طيط ورماس، إلى قصره بآيت يوسى، وفعلا أخذت الفتاة قهرا بقوة الزبانية التي كان العامل قد صنعها لتلك الفظائع بعدما زودها بسلطانه ثم بقوة الحديد والنار، وإذا لم يكن للفتاة غير أمها خدجي بنت يدير، وإذا لم يكن لقوم خدجي الذين هم آيت بلال، قوة تقف في وجه عصابة العامل، وإذا كان الذي تزوج يطو لقضيب رجل ضعيف ماديا، ولاقدرة له علي الوقوف أمام أقل خدم العامل المتغطرس، فإنه لم يكن ثمت من تجب عليه حماية يطو والدفاع عنها غير أمها، لكن والأمر يعني عامل السلطان وصاحب أكبر قوة في المنطقة ماذا تفعل، والى أين تتجه، إنه لم يكن أمامها غير ملجأ واحد عرف بالتجاء المتظلمين إليه، لا ليحميهم بسلطانه، ولكن ليتوسط للمتظلمين، حتى يرفع عنهم الظلم بشفاعته، وذلكم هو الشيخ محمد العربي الدرقاوي، الذي ماكان يبخل على من قصده سواء كان الأمر يتعلق بالأفراد أو القبائل فيما بينها، أو مع المخزن كما نتبين ذلك من خلال الوثائق المدرجة في هذا الكتاب.

أشار جماعة طيط ورماس، على الأم خدجي بنت يدير، بالتوجه إلى الشيخ بمدغرة تعرض عليه مظلمتها لأنه وحده فقط الذي يستطيع أن يكلم محمد والطالب أو يرفع

أمرها إلى السلطان، ونسي القوم أو لم يكونوا يعرفون، أن الشيخ نفسه وقتها كان موضع نقمة من بعض عمال المنطقة بدافع وشايات بعض فجار أهل مدغرة من جانب، وبدافع تقارير الوزير المفوض الفرنسي أورديجا المستمدة من تقارير العسكريين الفرنسيين بغرب الجزائر من جانب آخر، بل وحتى من حاشية السلطان لأن الشيخ قبل أقل من سنتين كان قد دعى المغاربة قاطبة 1305هـ 1887م إلى الجهاد ضد الفرنسيين الذين تطاولوا على أرض الإسلام بالجزائر، وأصبحوا يشيدون المباني لأنفسهم في السواحل، وفي شرق المغرب ، وداخل حدوده، وإذا هو كتب بذلك إلى مختلف القبائل مما يعد إحراجا للسلطان، فإن هذا الأخير كتب بدوره إلى مختلف الولاة ورجالات القبائل يحذرهم من الجهاد الذي دعى إليه الشيخ وضمنهم لامحالة محمد والطالب عامل آيت يوسي، مادامت المراسلات سواء من الشيخ بالدعوة للجهاد أومن السلطان بعدم الأقدام قد عمت من سوس غربا إلى فجيج ثم أرض الجزائر شرقا، ولذلك إذا كانت خدجي بنت يدير، قد وجهت من قومها للاستغاثة بالشيخ، فإنها حسب فهم العامل الفرصة التي ستمكنه من تحقيق أهداف رسالة السلطان بإظهار نقمته عليهم، وعلى الشيخ، وأنصاره الذين عرفوا بدعوتهم للجهاد، والذين كانوا يوجدون بكثرة ليس في القبائل المضادة لمحمد و الطالب فحسب، بل وفي قبيلة آيت يوسي نفسها وهم ذرية محمد بن محمد السبع بن أحمد بن ابراهيم بن علي بن عمرو الخ النسب وهم إخوان سكان دويرت السبع بتالسينت لكنهم سيرحلون وينزلون على ايت يوسى ويعرفون بينهم بآيت محمد بجبل أم أجنيبة فرقة منهم أيضا بالرتب يعرفون بينهم بآيت بلخير، وفرقة ببلاد تانفخت قرب فاس تابعه لموزار في شعب عند مدخل المدينة.

توجهت خدجي بنت يدير إلى الشيخ محمد العربي الذي كان وقتها يقيم بقصر جاوز بمدغرة، وإذا كانت المسافة الفاصلة بينه وبين طيط ورماس، تقريبا تقدر بـ 150 كيلومتر، تقطعها المرأة على بغل في أكثر من أسبوعين فإنها لم تحمل معها من الزاد غير الأمل في نفوذ الشيخ وماكان له بين القبائل من مكانة قوامها التعلق بالدين وحب أهله.

كانت المرأة كلما حلت بقرية من القرى أو "دشرة من المداشر" إلا وتقصد المدخل الذي هو النادي، وحسب عادة قرى الأطلسي المسورة عبارة عن فسحة مغطاة بعد المدخل

الرئيسي مباشرة، مهمتها بعد اجتماع كبار القوم، إيواء العابرين الغرباء وحمايتهم من القرشتاء والحر صيفا، هناك وفي كل قرية كانت خدجي بنت يدير وفي الوقت الذي يوجد بالمكان كبار الجماعة تنزع برذعة بغلها ثم تضعها مقلوبة وسط القوم بعدما تكون قد جددت طلاء وجهها بزبل البقر، وتلك عادة المستغيث المتظلم في مناطق البربر وذلك ما فعله السلطان عبد الله بن إسماعيل بسرج حصانه قبل في خيمة واعزيز وبني حكم ، بعدما حمل السيف بفمه كما سبق. والمرأة خدجي لم تكن تقتصر على ذلك، وإنما كانت تحدث ضجة بعويلها وعبارات استغاثتها التي كانت ترددها في شكل نحيب منغم، وفيه حنين أليم بما ينطوي عليه من عبارات التظلم باللهجة البربرية تبين فيها ما لحقها من ظلم محمد والطالب اليوسي الذي اغتصب وحيدتها اليتيمة، الأمر الذي كان يثير فضول نساء القصور التي تمر عليها خدجي، فكن يتجمعن حولها وهي تغرد وتنتحب بطريقة لايلبثن النساء أن يشاركنها البكاء والنحيب، وكأن كل واحدة منهن تتذكر ما يدعوها إلى إنتحال شخص خدجي بنت يدير، وحتى إذا ماتدخل بعضهم ليهدئ من روعهن عدن إلى الهمس فيما بينهن بعبارات التحقير والنقمة على محمد والطالب اليوسي، وإذا ما رحلت المرأة ورحل معها بعض الذين تأثروا بما كانت عليه إشفاقا ومواساة لها في طريقها، فإن حديث الرجال والنساء صباح مساء وحيثما مرت ووجد إثنان في منطقة الأطلس المتوسط، لم يكن غير مأساة يطو لقضيب، بل ولم يكن غير ما يركز الكراهية والبغض ويشحن النفوس بالحقد على محمد والطالب اليوسي، ونشط الشيوخ من ذوي الرأي وأيمة المساجد، وكل ذي وعي في الدعاية المثيرة واستنكار ما ارتكبه عامل السلطان محمد والطالب، بل ماكادت المرأة خدجي تصل زاوية أبو وكيل موطن الأشراف الأدارسة قرب الريش وهي نصف مسافة الطريق إلى زاوية الشيخ محمد العربي بجاوز حتى تضخم وفدها وأصبح يعد بعشرات النساء والرجال، وما بلغوا سمورة قصر ايت السومر، حيث كان كبير آيت إزدت محمد ابراهيم(372) حتى أمروا بالعودة، كل إلى حيث

(372) إبراهيم هو الثائر المعروف الذي غدر به قومه ثم قطعوا رأسه وحملوها إلى السلطان المولى عبد الرحمن بمراكش، فأقام عليها الاحتفالات أياما، راجع الاستقصا 67/9 ط البيضاء وماكتبناه عنه قبل في هذا الكتاب.
وقد كتب عنه الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور في أعلامه جـ170/1 . المطبعة المكشوفة في القبائل المسروقة التي سيقرأ الناس فضيحته فيما كتب عنها.

انطلق وبقيت المرأة لتكمل رحلتها إلى حيث الشيخ ومعها عدد قليل من الأشراف البوكيليين، والذين أدبيا لم يكن للقائد عليهم سلطان.

تحولت قضية يطو لقضيب في كل قرية وعبر جبال الأطلس المتوسط، إلى مشكل الساعة الذي يجب حتما على كل ذي نخوة وشهامة أن يشارك في حله، وتبلورت روح النقمة بشكل دفع كل أصحاب القصور القريبة والبعيدة، خصوصا قصور آيت صغروشن التي كانت تدين بالطاعة الكبيرة للشيخ أحمد بن الحسن السبعي الحسني من آل علي بن عمرو من ذرية عبد الله بن إدريس والذي كان وقتها قد اشتهر بجولاته الجهادية ضد الاستعمار الفرنسي كما سنرى بعد ، بل والذي كان من أكبر المريدين أتباع الشيخ محمد العربي، ولذلك بدأ رجال قبائل ايت صغرشن يستعدون بالسلاح في انتظار أوامر الشيخ المصاهر لهم بام ولده محمد والذي كانوا يحسبون أنه سيفعل عندما تعرض عليه المرأة مظلمتها، ومثل ايت صغروشن كانت كل القبائل المحيطة ايت إزدك ، وآيت حمو وسعيد، وآيت مرغاد، بل وحتى آيت عطا التي كانت قد عرفت بعدم ولائها للمخزن والتي أقبلت على الشيخ منذ معركة تيلوين 1304هـ 1886م، بل وفي قضية يطو لقضيب ستجد متنفسا تندفع به لإرضاء غريزة حب الفروسية التي عاشت عليها منذ عشرات السنين حتى أصبحت الطبيعة المميزة لبعض أفخاذها نقمة هي السلب والنهب وقطع الطرقات(373)، بل هذه دافعها النخوة والنجدة ورفع الظلم، خصوصا من آيت عطا سكان الرتب.

في شهر ذي الحجة من سنة 1307هـ 1889م عرفت قبائل الأطلس المتوسط حركة غير عادية حول الاستعداد للقتال ضد آيت يوسى وعاملها من قبل المخزن محمد والطالب، وإذا مابلغ الخبر للعامل فإنه اندفع بعداوة أكثر تجاه عناصر أشراف آيت

(373) آيت تغلا، وآيت بورگ بالكاف المعطشة وهم غير آيت بورك بالكاف سكان كرامة إخوة السبعيين بتالسينت والحنصاليين بواويزغت هؤلاء آيت بورگ من خمس آيت أنبكى، وإخوتهم: ألحيان وازوالا وآيت أعلى، وآيت الغازي، والأوائل سكناهم قصر الدوار بالسيفة تافيلالت، والطاوس، وبوذنيب، والآخرين بالطاوس، والخملية، فيهم الرحل، وقد كانوا يعرفون ب « الفتانة» لأنهم كانوا يهاجمون الموالين للمخزن قبل غزو الفرنسيين ولما نزل الفرنسيون بالمنطقة أصبحوا يهاجمون كل من والاهم أو قبل نفوذهم، ولسوف يظهر في المنطقة من يستغل هذه الروح كما سنرى بعد حين كلامنا عن امبارك التوزونوني وأبي القاسم النجادي.

صغروشن من آل على بن عمرو الذين كان بعضهم ضمن نفوذه، حيث صب عليهم نقمته، ولما بلغ ذلك إلى السلطان أمر صنوه وهو خليفته بفاس المولى عرفة بن محمد كي يكاتب محمد والطالب يكفه عما أقدم عليه ضد ايت ضغروشن الذين دفعتهم الغيرة على ماحل باليتيمة يطو لقضيب وأمها خدجي بنت يدير، فإن كل ما تملق به ابن خلدون جنس البربر وما نسب إليهم من صفات النجدة والنخوة وروح الفروسية وشدة البأس كلها ظهرت بالأخص في قبيلة ايت صغروشن التي جمعت في جوفها الآلاف من الأشراف الأدارسة من آل علي بن عمرو، وإذا كان للموضوع جانب من الدين المعتدى عليه، فإن ذلك ماركز عليه العلامة أحمد بن الحسن السبعي رضي الله عنه «من رأى منكم منكرا فليغيره «الحديث» وما أكثر مواقف هذا العالم الشريف من هذا القبيل.

حلت المرأة برحاب الشيخ محمد العربي الذي كان خبر ماحل بابنتها قد بلغه بعد حصوله مباشرة، وإذا كان الشيخ قبل قد استطاع حل المشاكل التي لم يستطع الولاة حلها في تلك الجهات خصوصا تلك التي تتعلق بالأمن والسلم بين القبائل، وكذا استرجاع ما كان ينهب للقوافل إلى قبيلة لعمور شرقا وغير ذلك من مشاكل الأفراد والجماعات التي كان يتدخل فيها باسم رابطة الدين ووجوب الاهتمام بشؤون المسلمين، فإنه بالنسبة لتعلق قضية يطو لقضيب بعامل السلطان، لم يفعل الشيخ أكثر من أنه يكتب رسالة وعظ تحملها المرأة إلى كبار قومها ويحملها النقيب محمد بن قاسم(374) من آل هاشم بن السعيد دفين لقصابي إلى محمد والطالب.

ذلك مافعله الشيخ عندما قدمت المرأة عليه وهي في حالة تبعث على الحسرة وأشد الألم، والتي بعدما أقامت في دار الشيخ وبين أهله عدة أيام كانت كلها رثاء وحسرة وألم من الجميع طلبت منه الإذن بالرحيل والعودة إلى قومها الذين لحوا عليها كي تفيدهم بما سيفضي به الشيخ، ومن أجل ذلك طلبوا منها العودة من نفس الطريق.

وفعلا زودها الشيخ بما يطيب خاطرها، وحتى يشعرها بإهتمامه ألبسها من الثياب الكثير، وأعطاها من الزاد أكثر، وألقى في سمعها بالبربرية من الحديث الشريف ما

(374) كان من سكان قصر بوعياش حيث لايزال أولاده حتى اليوم يتوفرون على بعض الوثائق التي وقفت عليها.

جعلها تفارقه وهي شبه راضية ولها أمل، ذلك أنه ترجم لها قول الله تعالى في الحديثين القدسيين «إن لم آخذ حق المظلوم من الظالم فأنا الظالم» وقوله «الخلق عيال الله من آذى لله عياله آذاه الله». وهذا ما وعاه بعض العمريين رواية عن أبيه.

لقد زود الشيخ خدجي بنت يدير برسالة حبية إلى العامل محمد والطالب اليوسي، كلها وعظ وإرشاد وتذكير بما يجب على الحاكم نحو المحكومين، ثم ختمها بالرجاء منه رفع الظلم الذي لحق بالمرأة وبنتها، وقبل أن يودع المرأة أمر الحسن العلوي التازناقتي بمرافقتها صحبة بعض أهل جاوز لبعض الطريق، ثم حدد له المكان الذي يتركها فيه بعدما يؤذن ثم يعود، فعلا رافقها إلى المكان المعروف «إباغاطن»(375) حيث ودعها ثم أذن ورجع في حالة نفسية كلها تحسر وألم كاد يفقده صوابه، أما المرأة خدجي فإنها لما تركت وحدها ولم يرجع معها حتى الذين رافقوها من ايت صغروشن سوى ثلاثة من أتباع الشيخ تطوعوا للدعاية ضد محمد والطالب، وفي الطريق حيث رجعت نفس خدجي إلى همومها وما تختزن من ذكريات الشوق إلى ابنتها الوحيدة اليتيمة، لم تجد من يواسيها غير النوح والبكاء، ناهيك وأنها حسب إدراكها وواقع أمرها حين تنبهت أدركت أنها عادت كما ذهبت، وكان هذا هو جوابها كلما حلت بقرية من القرى التي مرت عليها قبل، بل تضيف إلى ذلك ما سمعته عن الحسن التازناقتي الذي ودعها بالأذان والذي هو الآخر لما رجع إلى قصر جاوز وقبل أن يدخل على الشيخ، قام هو الآخر بدور عاطفي معبر ومثير تردد صداه في قبائل الأطلس المتوسط والجنوب عموما، حتى انتهي إلى قصور فجيج بواسطة مولاي الحاج كما رويت أيضا من آل السني دودّ وجبور والقاضي محمد اعبو الوادغيري رحم الله الجميع 1960، ذلك أن المولى الحسن العلوي التازناقتي من أثر إنفعاله بتظلم المرأة بعد توديعها قصد مرجة ذات وحل، ثم تمرغ فيها بثيابه الأبيض كما مرغ فيها حصانه وتوجه إلى حيث الشيخ الذي ماكاد يقرب من مكانه حتى كان حوله العشرات من الأتباع الملازمين، الذين بلغهم الخبر، فكان ذلك منه أوضح تصوير وأبلغ تعبير عما انتهى إليه الوضع من فساد، والظلم من طغيان، بلغ إلى حد

(375) هو اسم بطن من بطون ايت عطا أطلق على مكان شعب مرتفع يقع في منتصف سد الحسن الداخل اليوم ناحية الغرب الشمالي، يفصل بينهما الطريق المعبد .

انتهاك حرمات الدين والشريعة، ومع ذلك لاقدرة للشيخ علي دفعه لأن الأمر يتعلق بعامل السلطان الذي أسيئ إلى سمعته بين قبائل آيت شخمان وآيت بو مريم كما رأينا أثر ذلك قبل بقتل عمه سرور ومعه 55 نفرا.

لقد كانت هذه الحركة من الحسن التازناقتي إلي جانب ما مر من دور خدجي بنت يدير بمثابة وقود في فتيل لإشعال نار الحماس وتحريك الغيرة الدينية في نفوس كل الذين كانوا يرتقبون مايصدر عن الشيخ من أوامر ضد محمد والطالب الذي انتهي إليه خبر كل ما سبق، كما بلغه استعداد آيت صغروشن، وآيت ازدك، لمقاومة شروره ودفع ماحل بيطو لقضيب وزوجها سعيد وعلي، والأم خدجي بنت يدير.

لقد ثارت ثائرة عامل السلطان الذي استنفر قومه الذين مكنهم بكل ما لديه من زاد وسلاح، ثم تقدمهم قاصدا قصبة المخزن «لقصابي» حيث «الإدالة» فرقة من الجيش السلطاني(376) والتي هي وقائدها « أبو گرين» بكاف معطشة تحت أمر ونفوذ العامل لكن في مثل غير هذا الموقف.

ما كاد العامل يتحرك حتى كانت الرسالة التي تحملها خدجي بنت يدير من الشيخ محمد العربي قد حلت بأيدي كبار قبيلة ايت ازدك الذين اختاروا النقيب محمد بن قاسم من آل المولى هاشم بن السعيد ليقدمها إلى العامل عندما حل بمركز القصابي، وفعلا حملها ومعه بعض الأشراف، ولما دخلوا عليه وجدوه في حالة فحش مع بعض اليهوديات وبائعات الهوى من الراقصات(377) اللائي كان يجلبهن إليه بعض اليهود من التجار المحليين كلما حل بالمركز.

لما استلم العامل الرسالة من النقيب ثم فتحها طلبه أن يقرأها عليه، وما كاد يأتي

---

(376) الادالة في الاصطلاح المخزني، عبارة عن الفرقة من الجيش، تكون في إحدى القصبات لحفظ الأمن في المنطقة، وغالبا ما يكون تعدادها أكثر من 600.

(377) لقد كان وجود الجيش بهذا المركز منذ عهد المولى إسماعيل من العوامل التي دفعت اليهود إلى اتخاذه مركزا للتجارة والاستيطان، وحتى يتمكنوا من ذوي النفوذ كانوا يقربون لهم ماشاؤا من الملذات، وبذلك عرف هذا المركز منذ ذلك العهد، وحتى اليوم، أحط أنواع الرذائل التي تطبع بها ساكنوه، وأما نوى الشهامة من آل هاشم بن السعيد فقد ابتعدوا عن المركز الذي بقربه أولاد علي بن هاشم بن السعيد والذين طغوا باستغلالهم لمعدن الغاسول لكنهم دون غيرهم انتهوا إلى أسوإ مصير، وعن أصولهم وفروعهم راجع الأنوار الحسنية تحقيق المولف مصدر سابق.

على نهايتها حتى أتبعها النقيب بكلمات خير وتوسل، ثم لاينه عله يقدر الموقف ويتراجع ، بل انتزع العامل منه الرسالة نتشا ثم مزقها وهو يقهقه بصوت عال يريد به ممن حوله أن يفهموا: أنه لاحول ولاقوة لأحد في المنطقة سواه، ثم ختم تمثيله بإلقاء الرسالة الممزقة في نار «المجمر» الذي كان أمامه تقول الرواية المحلية.؟

وهنا جاء دور الأتباع من درقاوة الذين وضعوا لما حصل قصة عجيبة ومثيرة، يستدل بها كيف كان القوم يواجهون أمثال هذا العامل المغرور ويقضون على شراسته بإثارة الفتن التي تقض مضجعه وتدفع به إلى التهور الذي سيكون وسيلة تحقيق الحكم الذي سينفذ عليه من الجماهير، وذلك أنهم أشاعوا بين قبائل الأطلس أن العامل لما ألقي برسالة الشيخ في النار وبلغ الخبر إلى الشيخ قال: اللاهم أحرقه بها في الدنيا وفي الآخرة، وإذا كان هذا من اختلاق المريدين العارفين لدواخل سكان الأطلس المتوسط، والمتمرسين بأساليب الدعاية لصالح شيخهم ومكانته، حتى لا تتأثر بتصرفات العامل الطائشة، فإن زملاءهم الذين كانوا بكثرة في المنطقة ما كادت القولة تبلغ مسامعهم حتى أذاعوها بشكل عجيب تجاوز قبيلة ايت يوسي وجارتها القريبة ايت امجيلد التي طرب كبارها لسماع مايكدر صفو محمد والطالب، الذي كان لهم معه حساب، تحركوا وقتها لتصفيته عندما علموا بتورطه فيما أقدم عليه وتحركات القبائل المعادية له على قدم وساق،إذ قبل سنتين وبالضبط في شهر شوال من سنة 1305هـ وكما رأينا كان قد خرج إليهم السلطان المولى الحسن غازيا بعدما استنفر القبائل المجاورة، ثم أطلق فيهم الجيوش للنهب الذي بالغ فيه آيت يوسي حرقا وتدميرا واقتلاعا للأشجار في أرض آيت امجيلد، بل أباحوا لأنفسهم كل شيء حتى الأعراض، ومثلهم فعل الجيش كما نصت على ذلك رسالة الإعلام التي بعث بها السلطان نفسه الى مختلف الجهات(378) عام 1305هـ جمع محمد والطالب حشوده لحرب آيت إزدك الذين كانوا أقل تحمسا لحربه من آيت

(378) واجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية بالرباط ثم ماسبق من هذا الكتاب، والاتحاف لابن زيدان 2/253-59 ووقتها دبرت قبيلة اشقيرن الكمين الذي نفذته قبيلة ايت شخمان، وراح ضحيته خمسة وخمسون من رجال المخزن المكلفين بجمع الزكاة على رأسهم عم السلطان المولى سرور بن إدريس بن عبد الرحمن بن المولى سليمان الذي ذبح مع الذين معه ذبحا بالمدى.

صغروشن وآيت حمو وسعيد ثم آيت مرغاد، ذلك لأن حقد محمد والطالب على آيت ازدك ناتج عن كونها قبيلة يطو لقضيب، ولأن قصر طيط ورماس موطن يطو التي من أجلها قامت الضجة يقع في تراب آيت ازدك.

كان الحد الفاصل بين آيت يافلمان كحلف وآيت يوسي، هو المكان المسمى بلهجتهم «يفري نشبار» وهو عبارة عن كهف عرف قبل بتبادل القوافل زمن «السيبة» وهو مقابل القصر المعروف حتى اليوم ب « تاوردة» الواقع بعد تمايوست في طريق ميدلت بولمان، وهو لايت بن عمرو من آيت يوسي، هنالك تجمعت قوات محمد والطالب التي جرها كرها من بين القبائل الخاضعة لحكمه، والتي هي الأخرى كان من رجالها من استنكر أعمال الحاكم المستبد، وكثير منهم بدأوا يتذمرون خصوصا عندما بلغهم خبر لهوه بمركز لقصابي، تاركا أمرهم لولده عمر الذي كان مثل أبيه قسوة وفجورا واستهتارا بالحقوق، والذي إليه زفت يطو لقضيب مع فتاة أخرى في ليلة واحدة مبالغة في البغي والطغيان والاستهتار.

عندما بلغ خبر ما قام به محمد وطالب من حشد وقتها، تحركت قبائل حلف ايت يافلمان هنا وهناك دون أن تتلقى الأمر بالاستعداد من أحد، إلا ما كان مما ذاع وانتشر مما سبقت الإشارة إليه، وإذا كانت قبيلة آيت امجيلد لاتدخل في حلف ايت يافلمان، والموضوع نسبيا لايعنيها فإنها تحركت بطريقة أسرع للانتقام حيث انتهزت فرصة الفراغ الذي عرفته منطقة آيت يوسي ثم توجهت لإشعال النار في قصر العامل محمد والطالب(379) الأمر الذي دفع السلطان إلى إرسال كوكبة من الجيش بقيادة محمد لمراني العلوي، وهو ما يؤكد أنّ السلطان كان على علم بما يجري في المنطقة.

كان محمد والطالب كبقية عمال المخزن يسمع مايردد هنا وهناك، حول الشيخ محمد العربي وأتباعه الذين كانوا يسببون المتاعب للمخزن بقتالهم للفرنسيين شرقا وفي أرض توات، وكان دس بعض أهل مدغرة خصوصا من تاوريرت الزاوية الذين كانوا ولايزالون وغيرهم حتى اليوم يترددون على آيت يوسي للارتزاق كما احترف ذلك بعض الأراذل من آل الشيخ محمد العربي أنفسهم حتى اليوم خصوصا ولد اليوسية بل كان

(379) المصدر رسالة من القائد العسكريّ محمد لمراني م خ نا بتاريخ 18 حجة 1307هـ .

بعض أهل مدغرة من الحاسدين للشيخ، يزيدون النار إشتعالا، والطبخ بهارات، بما كانوا يلقون في سمع محمد والطالب وقومه من أخبار كاذبة انتقلت إلى سمع المخزن وأن الشيخ يريد تأسيس مملكة..؟ فكان ذلك في نظر محمد والطالب مما يبرر كل عنف ضد الشيخ وأتباعه، وأنه لامحالة سيجد القبول والعون من السلطان إن هو استطاع قتل الشيخ محمد العربي بعدما يكون قد انتصر على أتباعه في كل من ايت صغروشن وايت ازدك وقد حسبها العامل الفاسق المعتوه جولة خاطفة تنتهي بانتصاره وهذا ما خطط له وأشاعه وبدأ في تنفيذه بالحملة التي قادها من آيت يوسي إلى مركز جيش المخزن ب « لقصابي» وحركة كهذه في نظرنا وحسب معطيات الوثائق لايمكن أن تكون بغير إذن المخزن، وهذا ما دفع صاحب الدرر الذي نقل عنه ابن ابراهيم المراكشي صاحب الاعلام(380) إلى القول: إن محمد والطالب أمر بقتل الشيخ، وإن كنا لم نعثر، ورغم البحث الطويل على ما يؤكد هذه القولة المزعومة، والتي وإن بلغ الموقف حد التوتر بين المخزن وأتباع الشيخ محمد العربي بسبب كثرة احتجاجات الوزير الفرنسي المفوض أورديجا، فإنه من المستبعد أن يأمر السلطان بقتل الشيخ، ناهيك وأن لدينا من المراسلات بين الطرفين ما يؤكد السلطان فيها احترامه للشيخ وتقديره الموروث منذ عهد والده محمد بن عبد الرحمن، وإنما هي تهمة من اختلاق الأتباع الذين كانوا يريدون من ورائها إما جر الأذى على الشيخ وأتباعه أو الإساءة إلى المخزن والتنفير منه، وتأكيدا لرأينا هذا نجد أخبار التنافر بين المخزن والشيخ من رواية منسوبة للقاضي بن محمد كما يقول صاحب الدرر وينقل عنه صاحب الإعلام كما سبق في الوقت الذي كان القاضي محمد بن محمد مقربا من السلطان ومن الشيخ كذلك.

كان خبر نوايا عامل المخزن محمد والطالب اليوسي نحو الشيخ محمد العربي قد ذاع وانتشر بين مختلف القبائل في الأطلس المتوسط، وكانت القبيلة التي تزعمت دحر محمد والطالب ومن معه، هي قبيلة آيت صغروشن المتأثرة بتوجيه العلامة المولى أحمد بن الحسن السبعي، تليها حماسا قبيلة ايت مرغاد بزعامة علي بن يحيى الذي كان من أتباع الشيخ والذي سيلقي عليه السلطان القبض في آخر زيارة له للمنطقة بعد في ذي

(380) راجع ج 86/7 ط 1977 الرباط.

الحجة عام 1310هـ ثم يرسله مصفدا في الأغلال إلى حبس مراكش(381) حيث بقي في قيده 7 سنوات إلى أن أعيد فاقدا عقله ثم مات، تليهما ايت إزدك التي ستقع المعارك في أرضها، ورغم كل محاولات بعض سكان مركز لقصابي ومن حولهم من آل م هاشم بن سعيد التهدئة فإن محمد والطالب لم يزدد إلا عتوا ولم يستجب لكل المحاولات التي بلغت من بعضهم إلى حد تقديم الذبائح توسلا، لكنه لم يزدد إلا تعنتا وطغيانا حتى أنه أخذ يتقدم في أرض ايت إزدك الأمر الذي دفع إلى اعتراضه بالمكان المعروف « تالهوايت» ومع ذلك انتقل معززا بقواته من مركز لقصابي إلى قصر «أمرصيض» كمرحلة في طريق استيلائه على قصر «طيط ورماس»، ووقتها وقع إتفاق ذوي الرأي على إخلاء القصر من النساء والأطفال ونقلهم إلى قصري بوكمة وبوعياش القريبين من طيط ورماس ثم تركه لمحمد والطالب ومن معه حتى يمكن تطويقهم، وإذا كانت الفكرة قد طرأت، فإن العمل على إخلاء قصر طيط ورماس كلف الكثير من الضحايا ذلك أن بعضهم حاولوا الاختفاء في بئر مسجد القصر لكنهم تعرضوا للسقوط والغرق وكان عددهم ثمانية عشر رجلا من سكان القصر لاداعي لذكر أسمائهم التي يحفظها المسنون خصوصا المعلم أسعيد وعلي بوهدادة من أهل طيط ورماس الذين عايشو يطو لقضيب وأمها خدجي بنت إيدير.

عندما نزل محمد والطالب في مركز لقصابي أدرك أهل طيط ورماس أنهم المقصودون بغزوه ومن وقتها بدأوا في حفر الخنادق التي اختبأ فيها حوالي أربع عشر رجلا، ومعهم بعض الطعام الذي يكفيهم لمدة غير طويلة، وكن من بينهم بعض النساء، وما كاد العامل يحتل القصر حتى بدأت المناوشات بين رجاله والزدگيين من آيت حاحوا، ودامت المناوشات مدة أسبوع قبل أن تتجمع حشود ايت صغروشن وأبطالهم المغاوير.

عندما انتقل محمد والطالب إلى طيط ورماس كان ينتظر بعد اتخاذها مركزا لانطلاق الكتائب التي ستغزوا آيت إزدك، أن تمده قبائل آيت يوسي بما يكفي من الرجال والمدد لإذلال خصومه، لكن العكس ماحصل، فقد بادر بعض الصغروشنيين أهل ميس بولمان إلى قطع الطريق على الذين كانوا قد تجمعوا بالمكان المعروف «يفرى نيشبار» قرب

---

(381) راجع فصل المصلح المربي قبل من هذا الكتاب ثم راجع الاتحاف 270/2.

قصر تاوردة، وذلك في نفس الوقت الذي قامت فيه فتن في صفرو، وإيموزار، قوامها بعض آيت يوسي ضد محمد والطالب، حيث قطعوا الطريق وأحدثوا من الفتن ما شغل جل قبائل ايت يوسي ثم حول الأنظار عن العامل، وخيب مقاصده، وبذلك لم يبق له غير انتظار ما يقدمه له ولده عمر الذي كان قد جمع من قومه المآت من الرجال ثم انتقل بهم إلى مركز لقصابي حتى يكونوا رديفا للذين هم مع أبيه، ولكنهم سوف ينتهون إلى حطب تشعل فيه قبائل اللفيف النار التي سوف يحرق بها العامل كذلك.

لقد اشتدت المعارك حول طيط ورماس، واهتزت جنبات الأطلس المتوسط حتى انتهي الأمر إلى بعض بطون آيت عطا الذين كانوا في المنطقة والذين اتفقوا على أن كل فخذة من الأفخاذ الموجودين بها يقدم البعض من رجاله حتى يشاركوا في تلك المعارك التي تدور حول طيط ورماس، مادامت من أجل رفع الظلم، وبالتالي مادامت ضد عامل المخزن محمد والطالب اليوسي، وبالفعل تكونت كتيبة شارك فيها الرجال من ايت واحليل، وايت سفول، وايت علوان، وايت ايعزا، آيت خليفة، وايت الفرسي، وايت أونبگي التي منها آيت خباش، وايت امناصف(382) وبذلك اكتمل الجمع بين الحلفين، آيت يافلمان وايت عطا، ضد عامل المخزن، وذلك في الوقت الذي ماثبت قط أنهما اجتمعا منذ عهد المولى سليمان وما قبله، وهذا ما أزعج السلطان أكثر، لكن الشيخ محمد العربي منع ايت عطا من المشاركة بحكم أن الاعتداء وقع من محمد والطالب على فريق من حلف ايت بافلمان، وبالتالي فإن بعد المسافة وتنقل ايت عطا وسط أرض ايت يافلمان ، غير مأمون، وبذلك انحل ماعقده العطاويون ولم يشاركوا ، بل كان الفصل لآيت صغروشن الذين وضعوا شبه خريطة لميدان القتال الذي غطوه من صفرو وإيموزار مرموشة إلى طيط ورماس وما حولها إلى ميسور، حتى يتحقق عزل العامل الظالم والحيلولة بينه وبين ما ينتظر من نجدة عندما حل بطيط ورماس.

كانت الحرب قاسية حول طيط ورماس وخلف أسوارها، وكان تخطيط الصغروشنيين وهم رجال حرب من الدرجة الأولي محكما، ذلك أنهم قطعوا كل الطرق التي ينتظر أن يصل منها المدد إلى العامل الذي كان خصومه يعملون بكل الوسائل حتى

(382) أشرنا قبل إلى أن آيت معناها نوي.

يقبض حيا لينفذوا فيه القولة التي ذاعت وانتشرت عندما أحرقت رسالة شيخهم، ولكم قدّم الصغروشنيون من الضحايا في سبيل اقتحام السور الذي كان رجال آيت يوسي خلفه وعلى أبراجه بالعشرات يسقطون كل من اقترب إليهم، فكان الرجال كلما سقط واحد حل مكانه آخر مندفعين بروح الفداء بشكل عجيب ومثير ورغم كثرتهم وحفظ أسماء الكثيرين منهم حتى اليوم بين أهل طيط ورماس. فإنهم تركوا للإهمال، وكم نتمنى أن ينال أحفادهم حظهم من الثقافة فيقومون بأبحاث ودراسات ميدانية في هذا الموضوع وغيره مما عرفته بلادهم من معارك ضد الاحتلال الفرنسي، وهي كثيرة وعنيفة ومشوقة تناول بعضها أمثال هنري دوبوردو في ترجمته لابن أخيه بورنازيل، والعقيد فوانو في الملاحم المغربية وغيرهما.

كان ذلك من أبناء طيط ورماس وغيرهم من الصغروشيين وآيت حاحو من آيت ازدك حتى يحققوا ماوعد الله به أمثال الفاسد الفاجر المغتصب للأعراض قبل أن تدركه النجدة التي كان يحاولها ولده عمر بمن معه من رجال آيت يوسي الذين كانوا قد تجمعوا بمركز لقصابي، أما قوات المخزن التي كانت بقيادة بوگرين، فإنها لم تتحرك مادام الأمر لم يعد يعني قبيلة واحدة خصوصا وأنها لم تؤمر بذلك ، بل دخلت فيه قبائل متعددة، بل وقوات المخزن إن تحركت وليس لها رديف قوي بالرجال والعتاد يكون مآلها الدمار، وإذا ما اشتدت المعارك وحمي الوطيس بين قوات العامل وقبائل ايت صغروشن وايت ازدك التي تحرك كبيرها محمد والسومر، فإن عامل الزمن أصبح هو المتحكم في الموقف مادام الرجال يتساقطون من الجانبين، خصوصا جماعة العامل الذين كلما سقط منهم فرد لايعوض بغيره، وبذلك أصبحوا يتآكلون كما تأكل النار الحطب، ذلك أنه في حساب المدافعين لم يعد لموت الرجال أي اعتبار قبل أن يقبض محمد والطالب باليد حيا، وذلك ما سيحصل عندما أصيب برصاصة في ذراعه صوبها نحوه مُح أُمُح من آيت ابلال عندما كان واقفا يتفرج بين الأبراج، وماكاد الخبر ينتشر حتى قامت إحدى النساء من اللائي اختبأن مع بعض الرجال في الخنادق وهي يطو بنت يدير تساعدها يطو بنت الطاهر، بفتح ثقبين في نفق بجانب برج الطاهر مع صور آيت الحاج، ووقتها اقتحمت عليه البرج الذي كان فيه هو وبطانته، جماعة من الرجال ملثمين بعمائمهم للوقاية من دخان البارود

الكثيف الذي أصبح في تلك الدروب الضيقة حائلا دون مد البصر.

كان محمد والطالب لما جرح في ذراعه قد نزل إلي أسفل البرج حيث اختبأ في بيت للتبن تعب رجال آيت بلال أهل قصر طيط ورماس في البحث عليه دون جدوى، وذلك رغبة منهم وبالحاح في قبضه حيا حتى يساق إلى المذبحة كما تساق الخراف، أما الرجال الذين غرر بهم فإن عدد القتلى منهم بلغ مائتين وأربعين(240) نفراً، وأما الذين بقوا على قيد الحياة فإن معنوياتهم إنهارت عندما افتقدوه ثم قيل إنه قتل، ولذلك فر من نجى منهم بين راكب وراجل الى مركز لقصابي للاحتماء بحامية المخزن حيث تبين بعد أنهم جميعا كانوا من قبائل آيت علي وآيت حمزة وعلي من آيت يوسي، أما الذين كانوا في البرج مع العامل من أتباعه ومقربي شهواته، فإنهم أبيدوا جميعا برصاص رجال آيت ابلال، أما العامل الذي كان البحث عنه مستمرا فقد اكتشفه رجل اسمه ويسعدن من قصر جروان آيت ازدك، ولما رفع عنه التبن دون قصد بادره محمد والطالب بطعنة حيث ضربه بمدية شرم بها أنفه، وقد بقي ويسعدن حيا إلى عهد قريب، لكن ذلك لم يحل بين العامل ومصيره المظلم، إذ ماكاد ويسعدن يصيح مستنجداً حتى أدركه الذين كانوا مثله يفتشون عن العامل المختفي، ثم أحاطوا به وأخرجوه مجرورا إلى ساحة القصر طيط ورماس الذي كان قد أخلى من جميع آيت يوسي، ولم يعد فيه غير رجال آيت بلال، وآيت حاحو من آيت ازدك ثم آيت صغروشن، وقتها قيدوه بعمامته قبل أن يحضروا الحبال ثم جاء بعضهم بحبال بئر الجامع الذي كان قد تعطل بسبب الثمانية عشر رجلا غرقوا فيه.

وفي الوقت الذي أخذ بعضهم يقيده بالحبال، توجه آخرون إلى إخبار أم يطو لقضيب التي هي خدجي بنت يدير التي كانت قد فرت إلى قصر بوگما عندما أقبل محمد والطالب غازيا لقصر طيط ورماس، وفعلا ماكاد الخبر يطرق مسمع خدجي حتى نهضت مسرعة لتعود والنسوة اللائي كن معها إلى حيث كانت جماعة آيت ابلال قد تجمعت برجالها وشبابها على شكل دائرة كبيرة، وقد أوقدوا النار في كومة من الحطب بلغ ارتفاعها ما يقرب من منتصف برج الشيخ باعمر.

عادت خدجي ومعها بعض النسوة من بوگما، وطول الطريق 5 كم قطعنها جريا على الأقدام، ومن حين لاخر تقف واحدة منهن لتزغرد فترد عليها أخرى، ثم أخرى

وكأنهن يحملن جهاز عروس من قصر بوكما إلى قصر طيط ورماس، ولما وصلن نادى رجل من بين القوم على خدجي كي تقدم على المجتمعين حول النار الموقدة حتى ترى العامل محمد والطالب الذي فعل بابنتها ما فعل وهو يبكي بصوت مرتفع في حالته المزرية، مغير الوجه، ممزق الثياب، وقد تغيرت سحنته من أثر البصاق والرجم بالتراب الذي كان يتهاطل على وجهه رميا من بعض الناس المتفرجين، حتى إن خدجي لم تتعرف عليه لولا أن دلها عليه مح واحسين، ابن عم سعيد وعلي، زوج ابنتها يطو لقضيب، لم تكتف خدجي بالنظر إلى محمد والطالب، وقد احمر وجهها وانشرح صدرها من أثر الفرح ، بل انقضت على لحيته نتفا وكأنها لبؤة كشرت عن أنيابها ولم يخلصه الحاضرون منها إلا ولفة من شعر لحيته قد انكمشت عليها اليد اليمنى لخدجى بشكل عصبي أليم ومرعب، وهي تصيح أقتلوا الفاجر... أشعلوا فيه النار، ولما تركوها جلست وسط القوم ثم فرقت ساقيها وأخذت تضرب بكفيها على الأرض ثم تمررهما على وجهها وهي تصيح : ابنتي يطو، وماكادت تفعل حتى أحاط بها نسوة قصر طيط ورماس، ثم أخذن يرددن قولها وتغريدها على ابنتها يطو لقضيب.

كانت يطو لقضيب العروس المغتصبة، قد تركها ولد العامل الذي هو عمر مع مجموعة من نسائه بمركز لقصابي، وهي الأخرى نسج حولها أنصار الحق من الخصوم قصة ملخصها: أن عمر أتى بها إلى مركز لقصابي شماتة في قومها ايت ازدك، وأثناء مقامه أمرها أن تصنع له الثريد وسط جمع من النسوة، بعدما أمرها أن تكشف عن ضفائرها الطويلة المزينة بحلق من فضة وقد أسدلت على ظهرها كما أسدل عقد من دنانير الذهب كان قد حلاها به عمر على صدرها وليس عليها من الثياب كعادة البربريات وقتها، غير المئزر الأسود بخلالتيه الفضيتين، مما زادها فتنة، فظهرت وكأنها فينوس إلهة الجمال عند الإغريق، وبينما هي كذلك إذا بإحدى رفيقاتها تقول لقرينتها أو بعد هذا من بغي وافتراء وطغيان، الحرب قائمة من أجلها وتؤمر بصنع الثريد، فأجابتها الأخرى « «ربما لا يطهي الثريد، إلا ويفعل الله ما يريد».

وربما قبل أكل الثريد أقبل بعض المقاتلين مع محمد والطالب والد عمر فراراً من رصاص الذين اعترضوا جماعة عمر حتى لا ينجد أباه حيث وضعوا له قوة من الرجال

في المكان المعروف «تالهواريت» بين طيط ورماس وأمر صيض، ولما علم خبر ما حصل لم يفعل أكثر من أخذ فرسه ثم لاذ بالفرار في بعض من رجاله تاركا الزوجات والبنات في مركز لقصابي ظنا منه أن الحامية المخزنية ستحميهن، لكنه لم يمض من الزمان أكثر من بعض النهار حتى كانت كوكبة من أبطال آيت حاحو من آيت ازدك وآيت بلال ثم آيت صغروشن قد أقبلوا على مركز لقصابي حيث يطو لقضيب التي حملها القوم ومن معها من النساء، زوجات العامل وزوجات ولده وقيل حتى البنات، حملوهن إلى طيط ورماس، حيث ينعقد مؤتمر كبار القبائل المحاربة إلى جانب آيت بلال، وقد وقفوا في شكل دائرة أمام البرج الواقع في الشمال الشرقي من قصر طيط ورماس، وهو برج الشيخ باعمر، وبعدما جمعوا كل ما كان في الدور من حطب ليزيد النار اشتعالا وكأنهم الهندوس في تقاليدهم مع موتاهم، وكلما زاد لهيبها علوا زادوها حطبا ، والعامل المقيد بالحبال على مقربة منها وقد، أخذ شاعرهم البربري «امدغاز» يقرأ عليه سجل جرائمه، ويعدد ما عرف الناس منها ، وفجأة تقدم ثلاثة من بينهم ويسعدن الكرواني الزدكي والذي جرح أنفه بمدية العامل ، وسعيد وعلي، من ايت بلال، الذي اغتصب زوجته العامل ، ثم ثالثهم من آيت صغروشن لم يتذكر المخبرون اسمه، تقدموا نحو محمد والطالب المشوه شكله ليلقوا به في زمهرير تلك النار الموقدة، لكن آخر صاح عليهم أن قفوا ، فظن الحاضرون أنه أراد إنقاذه بيد أنه أخرج خنجرا من غمده ثم تناول رأس محمد والطالب ليحزه من قفاه بسرعة خاطفة، ثم فربه على حصانه ليظهر بعد معلقا على سور «قصر بوزملة» حيث السوق العام للمنطقة، أما الجثة ، فقد ألقيت في النار ولم يتم إحتراقها كلية إلا بعد ثلاثة أيام، بل لايزال أثر سواد دهنها عالقا بحجارة المكان حتى اليوم وقد وقفت عليه 1975 ثم فحصته بواسطة الدليل الذي هو علي بوهدادة والمعلم سعيد، من سكان قصر طيط ورماس وذلك يوم 1975/2/1 . حيث لاتزال القصة بين أهل طيط ورماس وكأنها حصلت بالأمس القريب.

لقد كان رأي محمد والسومر كبير آيت ازدك، وصاحب الرأي الأول في تدبير شؤونها، أن يترك محمد والطالب المجرم حيا ثم يقدم للمحاكمة أمام محكمة يشارك فيها الكبار من جميع القبائل وبعض الأشراف الذين احتقر العامل توسلاتهم، كما كان الرأي

الذي أشار به الشريف المجاهد عالم الأطلس المتوسط مولاي أحمد بن الحسن السبعي أن يترك لحاله بعد استرجاع الفتاة يطو لقضيب، التي رفع عنها وعن زوجها الظلم، ورغم تعدد الآراء التي منها أن يقدم إلى قيادة حامية المخزن مقيدا في حباله ومعه تقرير مفصل بما ارتكب من جرائم ليقدم إلى السلطان، لكن الجماهير الهائجة بسبب ما سقط من القتلي وكان عددهم من آيت يوسي مائتين واربعين 240، ومن الجانب الآخر مائة وسبعة وعشرون 127 عبرت عن حكمها بالطريقة التي نفذها وبسعدن وسعيد وعلي ورفيقهما، أمّا نساء العامل وبناته ونساء ولده عمر الذي كان قبلها قد دخل باثنتين منهما يطو لقضيب، فقد اتفق الجميع على تركهن يذهبن إلى حال سبيلهم وإذا ما حاول بعض المنتقمين بهن شرا في الطريق، فإنهم تعرضوا لردع بعض الأشراف السبعيين الذين حرروهم بعدما أدبوا الذين حاولوا الغدر بالعهد الذي اتفق عليه الجميع، وهكذا طويت قصة العامل الفاجر محمد والطالب اليوسي وبقي ولده عمر حيا يعيش الذل والتحقير طيلة حياته حيث أصبحت قصة غادة الأطلس يطو لقضيب حديث الرائح والغادي بين جنبات الأطلس المتوسط ولفترة طويلة.

الفصل الحادي عشر بعد المائتين

أتباع محمد العربي وجواسيس أهل مدغرة

انتهى خبر ما حصل إلى الشيخ محمد العربي بقصر جاوز، والذي ربما قال وقتها «لم آمر بها ولم تسؤني» وربما كان معه نفر منهم المولى الحسن التازناقتي الذي كان قبل قد ودّع خدجي بالآذان عند شعب إباغاضن، ولما عاد تمرغ في الوحل، ومرغ حصانه بسرجه في الطين، حسرة وألما على رجوع المرأة المتظلمة من غير أن يرفع عنها مالحقها من ظلم محمد والطالب، واليوم هاهو يقف وسط الجميع وأمام الشيخ ثم يرفع عمامته الخضراء من على رأسه وهو يكبر بصوت مرتفع: الله أكبر، قالها مرات ثم زاد والحمد لله رافع الظلم كاشف الغم، قالها وعبرات النشوة بانتصار الحق تسيل على ذقنه بعدما بللت وجنتيه حسب رواية الراوي وهو أحد العمريين من أسرة الشيخ محمد العربي والذي روى عن أبيه وقومه وهم يتسامرون.

أما الشيخ محمد العربي فإنه لم يزد على كلمة قالها وهو يهز رأسه في تأمل «إن هذا اليوم له ما بعده يامولاي الحسن» لكن ماذا كان من أمر شياطين أهل مدغرة والجواسيس الذين دخلهم الرعب والفزع عندما علموا بخبر إحراق عامل السلطان وفيهم من يستحق مثل ذلك، خصوصاوأن بعض كبار القوم الذين شاركوا في المعركة كان لابد من مرورهم على زاوية جاوز لزيارة الشيخ وإطلاعه على ما حصل وقت عودتهم، الأمر الذي هزّ كيان كل الذين كانوا مع الشيخ على طرفي نقيض.

لقد أقبل المنافقون منهم على جمع الشيخ الذي أصبحوا يترددون عليه صباح مساء، وكأنهم من المحبين له المومنين بسلوكه، وما ذلك إلا من خوفهم من تعميم الحملة وشمولها لكل الذين كانوا يسيئون إلى الشيخ، ومن جهة أخرى كانوا يسترقون السمع لما الشيخ يتكلم مع الجموع الذين أصبحوا يتوافدون عليه بكثرة ومن مختلف الجهات

ليكتشفوا المجهول مما قيل إنه الذي أمر بما حصل لمحمد والطالب وربما يكون ذلك هو المنطلق للجهاد الذي مضى على الدعوة إليه من الشيخ نحو السّنتين وأن المخزن سوف لا يسكت على ذلك، ومن أجل ذلك أيضا كان بعض أهل مدغرة يترددون على مجلس الشيخ لربما يتكلم بما تشم منه رائحة كراهية المخزن، بيد أن الشيخ في تلك الأيام اكتفي بتذكير القوم أن الظلم ظلمات، ولما حرمه الله على نفسه، حرمه على عباده، حتى لا يتظالموا، ومن بغى واعتدى فإنه لايضر إلا نفسه، وبالنسبة لما كان يبلغه عن الحاقدين الحاسدين من أهل مدغرة كان الشيخ يحث على التراحم والتوادد والتعاون، كما كان يردد قول الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

ومع ذلك فقد كتبت الرسائل تلو الرسائل، من بعض أهل مدغرة وكلها تقول إفتراء أن أيام الشيخ وأتباعه بعد مقتل عامل السلطان محمد ' الطالب اليوسي كلها أصبحت أفراح، مع أن شيئا من ذلك لم يحصل.

وإذا ما انتهت جل المراسلات وهي من بعضهم إلى بعض خدم المولى الرشيد(383) الخليفة السلطاني بتافيلالت، والذي كان في حرب وقتها مع أهل السفلة، وخلاف شديد مع أهل السيفة لجلاجلة أولاد حسين من أجل السد، وهي الحرب التي طالت وقتل فيها من الفريقين 1800 نفر وجرح 2300، ومن بين أهل السفلة وأهل السيفة الكثير من أتباع محمد العربي، ومثل هذه الأخبار هي التي كان التجار من أهل فاس أمثال واعراب . وعبد القادر التازي، وإدريس البناني الذين كانوا يتاجرون في إنتاج الفيلاليين ويتعاطون النخاسة فيما كان يجلب من «العبيد والإيماء» هؤلاء كانوا يتلهفون على ما يشاع من الأخبار ضد المخزن، حتى يتحفوا بها الحاشية التي كانت تتقرب بذلك ولو على حساب الدين والأخلاق وراحة الآمنين المتظلمين، بل بعضهم كان يحمل وشايات بعض أهل مدغرة ضد محمد العربي وأتباعه وكأنها حقائق دون أن يتعرفوا على مصدرها والدوافع

(383) توفي ليلة الأربعاء 19 محرم 1330هـ 1911م ودفن بضريح المولى علي الشريف والمرسل إليه هو الميموني راجع المعسول ج 16/347-56 تولى بعده ولده المهدي وقد توفي بالرباط 1345هـ 1926 ودفن بالزاوية الوزانية.

التي دفعت الناشرين لها، وإذا ما كثر تردد بعضهم من أهل تافيلالت على دار الكاتب المخزني محمد الميموني(384) وقد كان من أنصار الشيخ يحبه ويحب الذين يحبونه، حتى ولو كانوا في أرض سوس، مثل الشيخ الإلغي الذي يخبرنا صاحب المعسول أنه كان يتراسل معه، وما منع الميموني وغيره ممن كانوا بالقرب من الرشيد صنو السلطان وخليفته من الانضمام لطائفة الشيخ، إلا ما كان يذاع ويشاع من زور وبهتان، بل نفوره من المخزن أدى بالقوم إلى صراع طالما وجه السلطان من أجله الرسائل الى أخيه مستفسرا عن الحقيقة التي لم يتوصل اليها المولى الرشيد الذي كان يلطف من غلوائه الميموني رحم الله الجميع.

في تلك المرحلة التي اشتد فيها كيد بعض أهل مدغرة ضد الشيخ محمد العربي الدرقاوي استطاع بعضهم وهو ابن اليسع(385) من قصر تاورير وكان من أنصار الشيخ أن يلاحق أحد المجرمين في حق الشيخ، وكان أيضا من أهل تاورير، وهو ولد عبد الهادي الذي اشتد حقده وكثر غتبه ونميمته ضد الشيخ وأنصاره وليس له من دافع غير الحسد على النعمة و ما آل إليه أمر الشيخ بين القبائل التي كان ابن عبد الهادي يتردد عليها طلبا للرزق بين خيامها لكنها تحولت عنه وعن غيره إلى تزويد المجاهدين ضد الغزاة في أرض توات، وبسبب ذلك كان يسعى بالوشاية ظلما وبهتانا عند بعض الذين خصصهم الخليفة السلطاني المولى الرشيد لجمع الأخبار التي تتعلق بالمخزن، وذات يوم وهو في طريق سعايته إلى تافيلات تبعه ابن اليسع إلى قصر أولاد شاكر بالرتب أو فوس، وفيه نبه من بلاحقه ثم رجع، ومثله فعل محمد احدا الذي لاحقه إلى قصر لمعاضيد(386) ثم رجع بعدما وكل به الشريف السليماني حمزة الحوتي الذي كان من أقوى أنصار الشيخ محمد العربي ومن الرجال المجاهدين الذين خاضوا المعارك الطاحنة في أرض

(384) توفي 1331- راجع المعسول 353/13 ط البيضاء 1961ثم راجع وثائق خزانة، عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية ملف تافيلالت قديما وحديثا، أو مديرية الوثائق الملكية.

(385) أولاد ابن اليسع هم بقية العباسيين من أسرة ابن محطى الذين انتقلوا لزاوية القاضي بتافيلالت ، ومنهم فرقة في سوس ومنها المرحوم محمد المختار السوسي.

(386) لقد قيل إن العالم الجليل الشريف الحسني عبد الجبار البرزوزي دفين قصر لمعيز بفجيج يرجع إلى قصر لمعاضيد ولذلك يقال له المعضاضي، كما يقال له الفيلالي كذلك.

توات، وفعلا قام حمزة الحوتي(387) بما تبقى من المهمة بكل صدق وأمانة، وإذا كان للحوتي رفاق من أتباع الطائفة الدرقاوية في قصور كل من بني محمد، وأبو عام، وتاحسنونت وكرينفود، وويغلان، والماطى، وأبار مولاي المهدي، فإن ما في هذه القصور من رفاق الطائفة، ما كادوا يعلمون الخبر ويعرفون أنه حل بقصر أبار مولي المهدي(388) حتى قصده الكثير منهم ليتعرفوا على أخبار الجهاد، وكذا عن الشيخ، وما قيل عن علاقته بإحراق عامل المخزن محمد والطالب، ناهيك وأن أهل جل القصور المشار إليها وغيرها كانوا على خلاف مع المخزن، وهنا كان دور الحوتي مهم ومهم جدا، بالنسبة للمنطقة مادامت تافيلالت منها تنطلق القوافل إلى مختلف الاتجاهات شرقا وغربا، فكان ما أخبربه الحوتي عن الشيخ وحقيقة ما حصل في موضوع الجهاد، وقتل محمد والطالب، وأنه بالنسبة للأول لم يجد استجابة من السلطان، وبالنسبة إلى الثاني نال جزاء ماقام به من أعمال إجرامية كما أخبرهم الحوتي أنه قدم من أجل التاوريرتي الذي بلغهم أنه يحمل من المزاعم ما يدس لشيخهم بها من إشاعته الكذب وإيغار صدر الخليفة السلطاني بواسطة حاشيته.

لم تمض ثلاثة أيام على مقام الحوتي بتافيلالت حتى تعرف على كل ما كان يشاع ويذاع فيها، وما قيل عن محمد والطالب، وفكرة الجهاد، ومن مفتريات ضد الشيخ، وماتولد عن ذلك من صراع بين أصحاب المخزن وأتباع الشيخ، وأن من عوامل تلك الفتن ماكان يقوم به بعض أهل مدغرة من وسوسة وآخرها الرسائل التي يحملها المنافق المفتري التاوريرتي من آل عبد الهادي الذي تحقق الحوتي من كل ما نسب إليه، ولذلك أنهى رحلته لتافيلالت ثم عاد ليبلغ رفاقه بكل ما تعرف عليه، ثم يتبع ذلك بمراسلاته إلى

---

(387) لعله من الواجب الوطني أن نحتفظ باسم هذا الرجل العظيم إلى حين نؤرخ للغزو الفرنسي بتافيلالت، حيث استشهد في معركة يوم 1916/11/16 يوم وقف في وجه الزاحفين الاستعماريين ثم عقل نفسه بعمامته وبقي يقاتل إلى أن استشهد ضمن جماعة سنتعرض لذكرهم بعد إن شاء الله .

(388) مكانه بجانب أبار المخزن الذي هو من بناء مولاي عبد الرحمن بن هشام، وبجانبه أبار م المهدي و لقد كان للاحتكاك الذي عرف بين كل من مولاي المهدي ومولاي عبد الرحمن بن هشام بحكم الجوار أثر في حياة الرجلين حتى إن الثاني بعدما تولى الملك بوصية من المولى سلمان، لم ينس ذلك وسجن جاره بتهمة التآمر عليه والتي ربما كان لها شيء من الصحة حيث ساهم فيها إبراهيم نايت السومر الزدكي، راجع الإتحاف لابن زيدان والاستقصا مصدر سابق.

مدغرة حيث هو أصلا من قصر أبي عبد الله الذي بناه آباؤه من السليمانيين قديما، وفيه بقية حب أهله ونوي قرباه، وبالتالي يحاول أن يرد بعضهم إلى الرشد ويخبرهم أن نتيجة ما ينقل إلى حاشية الخليفة بتافيلالت ومنها إلى غيرها، لم يكن غير الخزي والافتراء من الذين أكل الحسد والبغض قلوبهم، ومنهم... ولد عبد الهادي من آل زاوية م عبد الله، الذين يعرفون بأهل درب الظلام.

ماكادت الحقائق التي توصل اليها الحوتي تنتشر بين أهل مدغرة حتى تبلورت فكرة الانتقام في خيال بن اليسع الذي دس خنجراً في محزمه جهة إبطه، ثم خرج إلى صلاة الجمعة بمسجد قصر الزاوية بمدغرة.

كان لصلاة الجمعة وقتها مظهر طيب الذكر وجميل، حيث يترك الناس كل مشاغلهم قبل الصلاة بساعتين أو أكثر، ثم يذهبون إلى حمى الجامع بعدما يكونون قد آرتدوا أحسن ماعندهم من الثياب البيض، ومن تأخر في نظرهم بل وفي نظر نفسه، يكون كمن ارتكب من الذنب ما يعد في الكبائر، حتى إن بعضهم لما انشغل مرة في حقله عن صلاة الجمعة من غير قصد، ولما تنبه وجد أن الوقت الضروري قد مضى، أدركه الندم ونذر أن يوقف كل أملاكه على الجامع بعد موته، فكان ذلك ما فعله عمرو البربري المعروف عقاره « قصيرت عمرو» بمدغرة.

في تلك الأيام أيام علو الهمم والتمسك بالدين والنخوة والعزة والكرامة، كان القوم في كل جهات المغرب يلتقي بعضهم مع البعض في إنتظار وقت الصلاة حيث يكون حديث كل منهم ما يشغله مع من يناسبه ، ثم يتجمع الكل داخل المسجد أوحول عالم موجه وواعظ لمدة ساعة، ويومها لم يكن حديث القوم على غير ما فعله ولد عبد الهادي، حتى إذا ما اشتد انفعال ابن اليسع ولم يكن قبل قد فاتح أحدا أو أخبره بما يقصد وقت أن دس الخنجر في محزمه حتى لايحول بينه وبين ما فكر ودبر ثم يرده إلى الرشد، بل وإذا هو ترك لانفعالاته وتخيلاته فإنه ماكاد بصره يقع على ولد عبد الهادي الذي توجه نحو ميضات المسجد حتى تابعه ببصره إلى أن دخل المسخن وهو عبارة عن بيت مربع يعلق في وسطه جردل كبير من نحاس بواسطة سلسلة ممتدة من سقفه، ثم توقد تحته النار بواسطة الحطب الموقوف لذلك بمشاركة من أهل القرية، وهو المعمول به في كل قرى

المنطقة، ولما خرج ولد عبد الهادي وبيده جردل صغير من خشب يطلقون عليه «حلاب» به ماء ساخن للوضوء، كما شمر ثيابه بيسراه، والكل ينظر إليه بامتعاض بسبب ما علموا حول وشاياته الكاذبة ضد الشيخ محمد العربي الهاشمي التي كان قد زود بها قبل بعض آيت يوسي الذين كان يستجدى بينهم الأعشار ثم أهل المخزن في تافيلالت، الأمر الذي زاد من حماس ابن اليسع الذي اندفع نحو فريسته، حيث سل خنجره ثم أغمده في ترقوة ولد عبد الهادي، ولما خلخله بشدة سقط إثرها القتيل مضرجا في دمائه بعد صيحة رعب عالية أثارت انتباه القريب والبعيد، فتجمع القوم واشتد الزحام على باب الميضأة وحول جثة القتيل الذي ما كاد الخبر يصل أهله من أولاد العابد المعروفين بآل درب الظلام في تاوريرت الزاوية حتى لاذوا جميعا بالفرار من مدغرة إلى منطقة المرجة بآيت عيسى إلتحاقا بآيت العابد بها، أما الذبيح ضحية جرمه فقد تولى بعضهم جره كالبهيمة دون أن يشفق عليه أحد من الحاضرين، وأما ابن اليسع فقد توضأ ثم دخل إلى مسجد تاوريرت ليؤدي صلاة الجمعة مع المصلين دون ملاحظة من أحد، مع العلم أن ابن اليسع لم يكن يحمل غير الخنجر الذي بعدما غسله رده إلي غمده ثم تحرف به، وما ذلك إلا من هلهلة عصبية ولد عبد الهادي وأهل درب الظلام من قصر تاوريرت المحقرين من الجميع الذين سنوا التجوال بين القبائل متكففين ومرتزقين بين البربر باسم ال البيت الخ

لقد كان هذا إنذار للمنافقين والمرجفين الذين أطفئ مصباحهم في مدغرة، وأطفئت معه الفتن التي كان مصدرها جماعة باعوا ضميرهم للشيطان، منهم ولد عبد الهادي ومن على شاكلته، وكل ذلك بدعوى أن الشيخ وأصحابه قطعوا الطريق على ما كان يصلهم من صدقات بعض البربر باسم أنهم ورثة ضريح عبد الله بن علي بن طاهر، الذي شوهوا ترجمته رحمه الله، بل ونسبوا له رضي الله عنه الدجل والبهتان وما هو منه براء(389).

---

(389) لقد عرفنا به رحمه الله قبل ثم عرف به أحمد بن عبد العزيز في كتابه الأنوار الحسنية الذي حققناه ثم نشر عام 1966 كما سبق. ثم راجع كذلك كتابنا التاريخ المفترى عليه وما زعمه في حقه بعض ال الفاسي مما فندناه، وكذلك نشر المثاني للقادري ج 1.

الفصل الثاني عشر بعد المائتين

نهاية الشيخ قبل نقمة السلطان عليه

وعلى المقاومين من انصاره

كانت هذه الواقعة فقط واقعة قتل ولد عبد الهادي من آيت العابد اهل درب الظلام في تاوريرت الزاوية هي التي وقعت في المدغرة، اثر ما حصل لمحمد والطالب اليوسي الذي لما انتشرخبر ما حل به في مختلف جهات المغرب وبين قبائله شرقا وغربا اشتد فزع العمال الذين كانوا على شاكلته ، واخذوا يتساءلون ماذا سيفعل السلطان والامر لا يتعلق بقبيلة واحدة ، وإنما بقبائل متعددة ، ثم هو بعد لم يتخلص من ذيول ما فعل بآيت مجيلد 1305هـ التي جيش ضدها جل القبائل المجاورة لنهبها ، وقد كلفه ذلك من الجهد ما لم يكن في مقدوره ، وشاعت فكرة أن السلطان سينتقم للعامل الذي حل مكانه ولده عمر، وربما كان يقصد من ذلك رد الاعتبار وحفظ هيبة المخزن الذي دخل مع كثير من القبائل في صراع رأينا نتائجه قبل فيما كتبناه حول مرحلة المولى عبد العزيز لكن سرعان ما تبدلت أساليب الدعاية الى توجيه الاهتمام بما حصل الى رجل واحد بدل تلك القبائل التي كانت قد عرفت انها السبب فيما حصل لمحمد والطالب ،وليكن الرجل هو الشيخ محمد العربي الهاشمي صاحب الدعوة الى الجهاد والمنادي بتحريرالجزائر نفسها من فرنسا ، ذلك أن افكاره هي التي دفعت الذين تحمسوا من رجال قبائل آيت ازدك وآيت صغروشن وغيرهم ممن عرفنا الى حرب محمد والطالب ، وربما قبل ذلك وهو ما ركزت عليه تقارير العسكريين الفرنسيين، أن الشيخ محمد العربي ما كان يوجه كتائب المقاومة ضد الفرنسيين لا بموافقة السلطان ، وحتى تنفى هذه التهمة وجب ان يوجه الاتهام بما حل بمحمد الطالب أيضا، الى الشيخ الذي هو علوي وابن عم للسلطان ، وحتي إذا ما ألقى عليه السلطان القبض فإن اتباعه سوف لا يفعلون أكثر من الاستسلام مادام

المشكل سيصبح عائلياً .

كل هذه الافتراضات والاختلاقات اشيعت وأذيعت خصوصا في منطقة الاطلس المتوسط حتي تفعل مفعولها في النفوس ، وحتي لا يندفع رجال القبائل للشر ضد المخزن، وبقيت تلك الاشاعات تروج لمدة سنة، بل ألقي القبض اثناءها على كثير من أتباع الشيخ في جهات متعددة كما إختفي بعضهم، وبعضهم هاجر من المغرب الى الحجاز ثم القدس ومصر وبلاد الترك مثل صاحب تحفة الراغب وغيره اما السكان في الناحية الشرقية من أتباع الشيخ فقد تعرضوا لمضايقة أكثر سواء من جانب الفرنسيين أو رجال سلطة المخزن، وحتى إذا ما حاول بعض المغتمين والمحبين على السواء أن يبلغوا للشيخ ما هو حاصل ، وذلك بواسطة المراسلات التي كاتبه بها بعضهم من سوس ومراكش وفاس ، بل ان بعض المراسلين من أصحاب السلطان كتب الى رجل سلطة في فجيج يخبره ان السلطان يستعد للرحلة قصد رد اعتبار المخزن المهان في شخص محمد والطالب، وربما سيكون بالقاء القبض على الشيخ محمد العربي الدرقاوي كما حصل للمولى سليمان مع المسمي بهذا الاسم قبل ، وهو محمد العربي الزروالي وكما سبق له مع درقاوة الجزائر 1238هـ 1822، وهنا ايضا تحركت دعاية الاتباع الذين اختلقوا قولة شاعت ثم ذاعت وهي أن الشيخ قال وقتها: أو لربما يكون قد قالها بحكم السن الذي بلغه 89 إذ أشرف على التسعين من عمره ، ولذلك قيل إنه قال "لما يأتي السلطان على وجه الارض يجدنا في باطنها" "وما تدري نفس ماتكسب غدا" الاية :

وفعلا فقد توفي الشيخ محمد العربي الهاشمي رحمة الله عليه ليلة يوم الجمعة 20 جمادي الثانية من عام 1309هـ فبراير 1892م ولقد قيل إنه لما كان يحتضر لم يهتم بشئ غير توجيه أتباعه للمحافظة علي الدين وقتال الفرنسيين دفاعا عن الاسلام وحماية لارض المسلمين ،أما السلطان فقد زعموا في حقه وربما من خصومه ليثيروا ضده الانصار وقد حصل حيث قيل أنه قال "إن موت الشيخ :كان من أعظم ما قوبل به المولى الحسن من المسرات(390) وبعدها لم يقم السلطان برحلته الى المنطقة "تافيلالت "مرورا بأيت يوسي

(390) راجع الأعلام للمراكشي 7/83ط الرباط 1977ثم راجع قبل « شخصيته ونفوذه ». ولعل من خلال ما أوردناه من وثائق تؤكد اهتمام السلطان بأولاد الشيخ بعد موته ما يفند الزعم الذي أورده المراكشي في الإعلام.

ثم آيت صغروشن وآيت ازدك الا بعد أكثر من سنة ونصف حيث رحل من فاس يوم الخميس 14 ذي الحجة 1310هـ ويقال إنه كان في عزمه الانتقام من آيت ازدك بطريقة أو باخرى ، لكنه لما حل بها وجد من تعلق وحب اهلها ماأذهله وأثار تعجبه الى درجة ان قيل أنه لم يعرف ذلك التعلق والحب من قبيلة قبل الى درجة أن شيئا من اثقاله وأمتعته لم تمس بمكروه ، على خلاف عادة جل القبائل مع مؤخرة جيوشه التي كانت في الغالب تتعرض للنهب ولما نزل بالمكان المعروف ب " تيزي اگليد " بتعطيش الكاف وتشديد اللام المكسورة(391) وهي مكان ثانوية ميدلت في حي "اخرمجيون"، حيث التقى مع كبار القبائل المتهمة ومنها ايت ازدك التي تولي حراسته كبيرها الذي هو القائد محمد السومر، ثم وضحوا له عكس ما كان يصله من تقارير كاذبة ، وخصوصا حول سلوك محمد والطالب الذي كان مؤيدا من آل الجامعي عكس ما كان لأحمد بن موسي فيه من رأي سئ، وأخيرا قال لهم يقول من روى عن والده(392)"لقد نال جزاء فعله، لكن كنا نود أن لو كان بغير تلك الطريقة وبحكم الشرع . ."ورغم محاولات انصار العامل المحروق حتي تعاقب قبيلة آيت ازدك، فإن السلطان الذي قيل انه كان يريد ارضاء رغبة عمر ولد محمد والطالب ـ رأي من الخير له أن يتظاهر بالاقتناع برأي خصومه من آيت ازدك وآيت صغروشن وآيت مرغاد الذين لم يكونوا قلة والذين لا خير للمخزن في جر عداوتهم التي كانت تتمناها قبائل آيت عطا خصوصا وهو أقرب ما يكون الى الحدود الشرقية حيث كان الفرنسيون يراقبون كل التحركات. لكن حتى يشعركبار القبائل المذكورة أن للمخزن قوة وسلطانا، كان عليه أن يلقي القبض على بعضهم ، وفعلا كانوا جماعة منهم كبير آيت مرغاد على بن يحيى المرغادي من تاديغوست الذي قضي 7سنوات ثم أعيد بعدها وقد فقد عقله لانه من الذين قيدوا بالسلاسل ثم حملهم جيش ولد السلطان الذي هو المولى محمد "ولي العهد وقتها "والذي كان قد أمره قبل ان يقدم عليه من مراكش الى قصر السوق بجنوده ورجال القبائل التي تحت نفوذه ، وفعلا ذلك ما حصل حيث كان

(391) معناه بالعربية: ربوة السلطان ومنهم من ينطقها » تيزين مولاي الحسن».

(392) رواية اتفق فيها كل من م عبد الرحمن بن العابد ، ورحال من آيت علي انيطو، وزايدنايت علي من فرع تاموسى وعليت « آيت موسى وعلي» وهم أصلا من كوليمين تبررت لهجتهم .

الأمير في المكان المعين له قبل دخول والده الى تافيلالت التي دخلها مثل سلفه عن طريق تروك والتي كان في استقباله بها أعمامه وصنوه المولى الرشيد محفوفا بالأعمام ابو الغيث والحسين والصديق وغيرهم ، وكأنه قدم لوداعهم لانه بعد الرحيل عن تافيلالت ومروره بالاطلس الكبير ثم مراكش ، توفي بدار ولد زيدوح في الساعة الحادية عشر من ليلة الخميس 2 نو القعدة متم 1311هـ = 6 يونيو1894م مخلفا وراءه تركة هائلة من التنظيمات حافظ عليها أحمد بن موسي بقية حياته التي انتهت عام 1318هـ 1900م ولله الامر من قبل ومن بعد ، بقي لنا ان نشير أن الشيخ محمد العربي لما توفي يوم 20جمادي 2 عام 1309هـ ترك اربعة من الاولاد هم كما يلي :

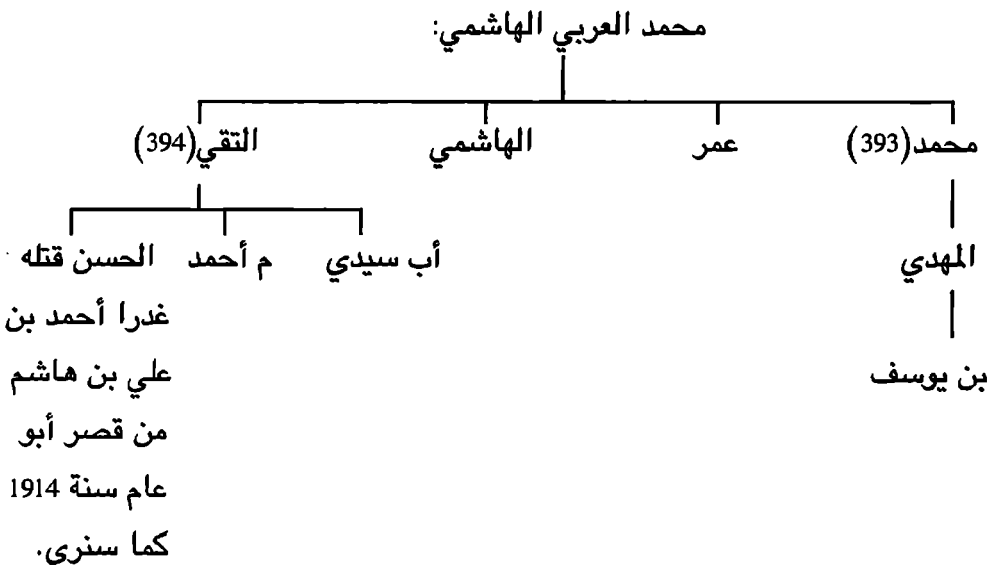

(393) تعتبر سلالة محمد هذا هي أنبل ما ترك الشيخ محمد العربي.

(394) التقي هو الذي وضع حدا لاستمرار فكرة الشيخ محمد العربي إذ هو الذي تولي "عمدة" القيادة بعدما إتصل به الجنرال ليوطي بواسطة الكولونيل بوامير والذي قدم عليه مع القائد الغالي لمراني الذي كان في بوذنيب قدم عليه قبل المعركة المعروفة ب حركة الرجل الذي قبلها كان قد تولي منصب القيادة بظهير يوسفي مؤرخ في 3 صفر 1334هـ 1915م جدد له عام 1924 وتوفي يوم 23 جمادي الاولي 1354هـ 1935م تولي بعده ولده المسمى "أب سيدي " الذي توفي بالحاجب وهو في طريق عودته من مستشفى مكناس الى قصر السوق ميؤوسا منه وذلك يوم 1955/7/8 أي قبل عودة محمد الخامس من منفاه باربعة اشهر ومع ذلك حوكم ميتا وصودرت =

اما متاع الدنيا فإنه لم يترك منه أو بالاحري لم يمتلك غير بقعة تقاس بالامتار في قصر الزريكات بأوفوس الرتب .

= ممتلكاته بتدخلات الجبناء الحاقدين من بعض أهل مدغرة يتقدمهم امثال الهاشمي ولد الصافية المعروف مولاي هاشم العلوي حفيد الذي قتله ابن اليسع وهو مضحك مجالس مسعود أحرضان وإدريس المحمدي والذي عرف بعمله مع القوي الغالب في كل زمان فهو صاحب عريضة بيعة بعض رجال التعليم الحر لابن عرفة وهو الذي ساعد أوفقير في محاكمة مراكش. كما أكدت ذلك جريدة العلم. الخ على أن ما ارتكبه هذا المريض نفسا وخلقا من الفظائع في سبيل الحصول على الثروة التي في حوزته اليوم والتي استعان عليها بأفقير وبنفوذ الدولة الذي استعمله في ازاحة امبارك السكوري والسطو على ارض مدام بيري اربع هكتارات بالرباط طريق زعير بابخس ثمن 13 مليون سنتيم ارسلت اليها في نيس بفرنسا بواسطة افقير وعبد السلام الصغير الودغيري الفجيجي وهو حي يرزق وأخزى من ذلك ما فعله مع ساكن طنجة حسن الورياش الذي استدرجه لشراء ارض في سلا بواسطة بوزيد السلاوي ولما لم يتفقا وتراجع الورياش بعد تسبيق اغتصب منه وبالتهديد شيك بنكي به خمسة ملايين سنتيم كعربون محول على البنك الاسباني رقم 562107 بتاريخ 1975/12/9 وغيرها من الفظائع و الفضائح التي يضيق المجال عن عدها والتي تسئ الى الدولة أكثر من كل شئ وهي الفظائع التي لم يرتكب منها المسمي أب سيدي بن التقي حفيد الشيخ محمد العربي الذي ارتمي في احضان الاستعمار الفرنسي برجولة واخلص اليه ، قليل ولا كثير، فقد كان هذا من الذين قاتلوا الى جانب جده علي أمهاوش ضد الاستعمار الفرنسي الى أن توصل والده التقي برسالة من ليوطي باسم المولى يوسف وفيها الانكار على كل من يقاتل الفرنسيين بعدما وقع السلطان عبد الحفيظ معهم معاهدة الحماية ، وأن من يقاتل بغير إذن الامام إن هو مات لا يحسب على المسلمين وبسبب ذلك إنضم الرجل الى صف الاستعمار الذي أخلص اليه إخلاصا قويا ، وفيه عنف عنيف ضد كل الذين كانوا يقاومونه من المواطنين في مدغرة باستثناء شيخ الاسلام وزعيم النهضة المغربية أبو المكارم محمد العربي العلوي الذي لقي منه التكريم يوم أبعدته فرنسا الى موطنه إثر عريضة الاستقلال عام 1944م الذي يؤكد هذه الحقيقة هو ولد الشيخ مصطفي بن العربي الذي يشغل اليوم منصب عامل بمدينة الدارالبيضاء ،أما الهاشمي ولد الصافية العيساوي فقد ارتكب من الفظائع قبل وفي عهد الاستقلال ما تشهد عليها الثروة التي كونها بمختلف الوسائل التي منها ليس فقط ما كان السبب في القضاء على الاحرار أيام كان الجنرال أفقير يبحث على من يضع له الوسائل التي تمكنه من المحاكمات الكبرى التي كانت تجر العشرات من المقاومين والمناضلين ، مثل محاكمة مراكش التي صنعها العساوي بواسطة شخص قتل بعد ، وقد تعرضت لها الصحافة الوطنية بتفصيل أثبتنا ذلك في كتابنا المصادر عام 1968 بعنوان "الشيطان الأعرج" ضمن الشياطين الخمس راجع كتابنا التاريخ المفتري عليه في المغرب ص 218 ط 1969م وبالتالي لولا خيط من خجل لنشرت ما خلده المرحوم أحمد بن الحسن العلوي في هاشم من قصائد سافرة نتوفر عليها. لكنها بلا شك ستنشر حين يليق نشرها لأنها من ذلك النوع الذي تجرأ به بودلير من الفرنسيين والقاضي ادريس بن علي السناني من المغاربة، وقبلهما عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي في نواظر الأيك في قواعد النيك.

اهتمام السلطان المولى الحسن بأسرة الشيخ محمد العربي بعد موته ووضعهم محل والدهم فيما ترك تاريخه 1310هـ1892م

اهتمام المولى الحسن بأبناء الشيخ محمد العربي بعد موته والتوصية بهم خيرا موجهة إلى قبيلة أيت صغروشن

"الأشراف السبعيين" وفيها ما يكفي لابطال ما ورد في أعلام ابن العباس التعارجي

محمد والطالب اليوسي العامل الذي انتهى به هتكه للحرمات إلى أن أشعلت فيه النار حيا عام 1307 بالأطلس المتوسط بقصر تيط ورماس كما ورد في القصة المدرجة في الكتاب تاريخه 1307هـ -1889م.

أيت بلمان ضد محمد والطالب اليوسي الذي احرقوه حيا بسبب فسقه وفجوره واعتدائه على يطو لقضيب اليتيمة

الفصل الثالث عشر بعد المائتين

درقاوة و محمد العربي الهاشمي

في نظر الأوربيين و مؤرخيهم

كان درقاوة أتباع المؤسس الأول محمد العربي الدرقاوي دفين بويب الريح في بني زروال، قد عرفوا بجهادهم أولا ضد بغي وظلم الترك حكام الجزائر، حتى إنهم حرورها غربا من سلطانهم ثم أرادوا ضمها إلى المغرب على عهد المولى سليمان الذي ردهم ثم بعدماسجن الشيخ من طرف قواد الشراردة و لم يطلق سراحه إلا في عهد المولى عبد الرحمن كما سبق(395) بل وهم الذين ساهموا مع الأمير عبد القادر الذي كان ووالده من أتباع الطائفة الدرقاوية في الجهاد الذي استمر بعده إلى ما بعد نهاية القرن التاسع عشر، إذ منهم الكثير من سكان حميان، وتوات، والعين الصفراء، وفجيج، ذلك أنه لما تم إحتلال الفرنسيين للجزائر ثم أخذوا يدبرون لاقتحام الحدود المغربية رأينا كيف أوقف مدهم أتباع الشيخ محمد العربي الهاشمي الذي هو تلميذ أحمد البدوي وهذا بدوره تلميذ محمد العربي الزروالي المشار إليه أعلى، وكان أول من قاومهم في إقليم توات هو عبد الرحمن التواتي الدرقاوي الذي توجه في جماعة من المجاهدين لم يزيدوا عن الثلاثين كلهم من قبيلة بني عامر الى حصن « سيدي أبو العباس»، حيث هاجموا الحامية التي كانت به، لكنهم استشهدوا كلهم تقريبا، ويقول « كور»(396) عن هذا الإقدام (ويسجل هذا المجد العسكري ختام عهد البطولة بالنسبة لدرقاوة في إقليم الجزائر على الأقل، وقد

---

(395) راجع من هذا الكتاب قبل : انهيار الجزائر بسبب حكم الولاة، من الترك ثم، راجع أيضا درقاوة ومقاومة فساد الولاة بالجزائر.

(396) كاتب مادة درقاوة بدائر المعارف الإسلاميةج 203/9 ثم ترجمة الجاسوس المدسوس دوفو الذي كتب كذلك عن الشيخ محمد العربي بطريقة تنم عن الجهل وعدم الاستقراء وان كنا نكتفي منه بالقول أعن الشيخ محمد العربي كان يدفع أنصاره لمحاربة الفرنسيين في الجزائر.

أثبتت زواياهم صلابة عقيدتهم وغلوها، وهكذا برروا وجودهم في أعين قوم من المتعصبين، وماكادت تتوطد أقدام هذه العقيدة وتدين بها الجموع في طول البلاد وعرضها، حتى قصروا همهم على مضاعفة مواردهم لتمد زاويتهم الكبرى، وقد خضعوا لأصحاب السلطان في الظاهر على الأقل، وهذا ضرب من القانون لايفر من العمل به مسلم من الإخوان، ولم يجهر شيخ من شيوخهم إبان الثورات التي نشبت في جنوب وهران عام 1864 وعام 1881م بالانتقاض على الفرنسيين ، ثم إنه لما نشبت ثورة مرغريت عام 1898م التي أشعلها مريد درقاوي في مليانة، لم يسع شيخ درقاوة في الإقليم السيد غلام الله ، إلا أن يستعمل نفوذه ويهدئ النفوس الثائرة وقد أخلص الحاج أحمد ولد المبخوث مقدم الطريقة بين أحميان الهضاب على حدود الجزائر الغربية، هو وخلفاؤه في إتباع إرشادات الفرنسيين، وقصر مقدم زاوية درقاوة وهران همه على أمور الطريقة الصوفية ونصح الاخوان بالخضوع للسلطات الفرنسية(397) وكان هذا نوع من التقية بعدما سبق من شدة المقاومة.

ذلكم هو رأي المؤرخين الأوربيين في درقاوة بغرب الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي، أما درقاوة المغرب وأتباع محمد العربي الهاشمي بالأخص، فقد قال عنهم نفس الكاتب وفي نفس المادة(398).

«ونحن نجد درقاوة في مراكش على العكس من إخوانهم في الجزائر، فقد شنوا حربا متصلة على السلطات الفرنسية حتى تم إحتلال الأراضي المراكشية الجزائرية المناوحة للساحل عام 1907 وجعلهم إحتلال العين الصفراء عام 1881م على اتصال مباشر بالفرنسيين، وقد أعلن الجهاد الشريف محمد الهاشمي بن العربي(399)، ولكن شيخوخته – وكان قد نيف على الثمانين – لم تكن لتسمح له بالاشتراك في الجهاد اشتراكا فعليا، وحدث مثل ذلك أيضا عند احتلال جنان بورزك، وفي عام 1887م/1305هـ اتجهت

---

(397) نفس المصدر.

(398) المصدر السابق ج 9/203.

(399) نفس المصدر عمود 2 ومجلة تاريخ المغرب عدد 1 ص 105 ط الرباط ربيع عام 1401 فبراير 1981 وفيها أنه أعلن الجهاد عام 1863م أي عام 1280هـ.

كراهيتهم إلى الحكومة المراكشية متهمين إياها بالاتفاق مع النصارى، ولما مات شيخهم في فبراير 1892م(400) فشا الاضطراب في الطريقة الدرقاوية في الجنوب، واستخلف سي محمد العربي على الطريقة سي العربي بن الهواري، شيخ زاوية فركلة(401) المتوفى ليلة الجمعة 5 ج ل 1321هـ الذي وقف جهوده على خير الإخوان، بيد أن أبناءه إختلفوا في ذلك، فقد أنشأوا زاوية تنافس زاوية خليفة أبيهم، على حين حاول بعض الأشراف الذين يرأسون جماعة درقاوية أخرى أن يحصلوا لأنفسهم على امتيازات أخرى من أصحاب الطريقة، وقد أدى هذا التصرف هو ونزعة البربر الاستقلالية إلى التوهين من عداوة جماعات درقاوة للتقدم الفرنسي الذي أفاد من خصومات الجماعات المتنافسة ثم نظم رجل يدعى عليا ولد احدا وهو من قبيلة ايت عطا(402) البربرية الهجوم على الفرنسيين في مطرفة وتيميمون(403) كما شاعت الفوضى في تافيلالت، وكون عدد من درقاوة الإقليم طائفة أخرى عرفت باسم طائفة الحراق(404) نسبة إلى منشئها وهي تمثل أكثر المذاهب عنفا في معارضة النظام القائم وقتها.

وأراد شيوخ المقدمين أن يواجهوا هذا الاضطراب ويدفعوا الأخطار الناجمة من خطط فرنسا في الشرق وأن يتخلصوا من حالة القلق التي ألفوها تجثم علي صدورهم

---

(400) علمنا قبل أنه توفي في يوم 20 ج 2 1309هـ.

(401) الواقع أنه استخلف العالم الكبير أحمد بن الحسن السبعي إلا أنه لم يتفرغ لأعمال الطائفة، بل كان همه الجهاد ضد الفرنسيين إلى أن غلب على أمره ثم توفي عام 1335هـ 1916.

(402) هو علي وحدا الذي أصبح بعد قائدا لايت عطا بأوفوس الرتب إقليم تافيلالت والذي عين عام 1933 وتوفي بمنزله في فنكيك يوم 1941/8/20م راجع دائرة المعارف المصدر المذكور 203/9 وغيره على أنه لا يفوتنا الإشارة إلى أن الذي عمل لضمه إلى الإدارة كقائد على آيت عطا الرتب هو م التقي بن محمد العربي رحم الله الجميع وكان الدافع هو الرسالة التي وجهها ليوطى وعليها طابع السلطان المولى يوسف والتي سبقت الإشارة إليها.

(403) تيميمون هو قصر كبير يعتبر حاضرة كورارة من إقليم توات في واحة جوار واحات بني ملوك وتورسيت، والودجدة، وعبّوا عبيدات، وبلغازي، ثم الواحات القريبة، إيفي وسمكن، واكنتور، وسيدي عايد، وتسقاوت، وبني يسلم، ولقد كان آخر قائد حكم هذه المنطقة من قبل المغرب هو الذي ولاه المولى عبد العزيز، وهو محمد أسالم عام 1315هـ 1897م أما احتلال تيميمون فقد كان نهائيا عام 1318هـ 1900م أي في العام الذي توفي فيه أحمد بن موسى، راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية ملف إقليم توات وتافيلالت وفجيج. هذا، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

(404) حول ترجمة الحراق الذي هو محمد بن محمد راجع سلوة الأنفاس 342/1 وقد كانوا من المعارضين للمخزن بطريقة فيها نوع من الحدة والعنف مع التقية.

وينتهوا إلى خطة موحدة للعمل، فاتفقت كلمتهم على تعيين شيخ يكون له التوجيه الأعلى على الإخوان وانتخبت الجمعية المؤلفة من مندوبي الزوايا محمد بن أحمد عام1319هـ 1901م شيخا لزاوية صفرو، وقابل الجمهور هذا الاختيار بقبول حسن، لكن العربي بن الهواري رفض أن يعترف به، في حين أسرع أبناء الشيخ محمد العربي الهاشمي في مدغرة بالموافقة على هذا الاختيار، وهكذا زاد القلق في الجنوب الشرقي من المغرب منذ ذلك الحين وأعان عليه عدد لايحصى من الأشراف الذين تتفاوت مراتبهم من سلطان مراكش والذين يعيشون في تافيلالت وماجاورها من ربوع، ويستنكرون أشد الاستنكار بدع سلطانهم».

ولم يقتصر انتشار طريقة محمد العربي الثورية ضد الاستعمار على ماذكر، بل نجد كذلك في الشمال - يقول نفس المصدر - أهم طائفة لدرقاوة يترأس عليها خلفاء الحاج الهبري مؤسس زاوية درقاوة بين بني يزناسن بالقرب من حدود الجزائر، وقد أصبح نشاطهم ملحوظا من كل ناحية منذ عام 1890م 1308هـ والشيخ الهبري(405) يقول كور- مثال الدرويش المتعصب يكره غير المسلمين ولا يعترف بسلطان غير أشياخه في الدين، وقد وجد أتباعا كثيرين شمالا غربي وهران، بل إن جهود نوابه حتى قبل فتنة مرغريت قد ظهرت آثارها في إقليم الجزائر للمقدم على زاوية أولاد الأكراد المنافسة لهم بالقرب من تيارت، وإن كانت تتبع نفس الطريقة.

« وقد بدا للبربر أن اتفاقيتي 1901- 1902 بين فرنسا و"مراكش" تتهددان استقلالها، فقلقت خواطرهم مرة أخرى، وشاهد ذلك ثورة أبو عمامة(406) واشتدت ثورة

---

(405) كتب حوله محمد غريط في كتابه فواصل الجمان في أبناء وزراء وكتاب الزمان ص 76- 78 ط فاس 1347هـ وقد سماه ابي عزة الهبري وذلك في ترجمة الحاجب الصدر أحمد بن موسى إلا أن غريط كتب حول الهبري متأثرا برأي المخزن وقتها فيه، حيث نعته بنعوت، وأن ما كتبه يحمل في طياته بطلانه - ولقد خرج السلطان - المولى الحسن نفسه لقمع ثورة الهبري الذي ألقي عليه القبض في بني كلال وأودع السجن إلى أن مات، على أن حركته كانت ضد الفرنسيين بالدرجة الأولى، لكن السلطان الذي أقحم بزعم أنه ينازعه تطوع لحربه والقضاء عليه بواسطة القبائل التي منها بنو كلال البعيدين عن تازة بثماني مراحل، يقول صاحب فواصل الجمان - هم الذين قبضوا عليه بعد معارك سقط فيها الكثير من أتباعه.

(406) نفس المصدر . 204/9 ولقد حسب الكاتب ان المجرم الجيلالي بن إدريس الذي لقبه الفرنسيون «أبو حمارة» من الذين قاموا ضد السلطان غيرة على الاستقلال، وهو نفس الرأي الذي تبناه بعض الجهلة من =

درقاوة باحتلال برگنت 1904م=1322 وإنشاء سوق وجدة 1906م 1324 وكان واحد من مقدمي الهبرية ونعنى به شيخ زاوية زكزل، هو الذي أشعل ثورة بني يزناسن على الفرنسيين عام 1907م = 1325هـ فأدى ذلك بهؤلاء إلى إحتلال أولئك الجبليين إحتلالا تاما.

بل إن درقاوة هم الذين واجهوا قانون التجنيد الذي أصدرته فرنسا في الجزائر بكل شدة وعنف، حيث كان في طليعتهم الحاج محمد بن إلياس بتلمسان، والذي لما اشتدت مضايقة الفرنسيين له التجأ إلى الشرق في سبتمبر 1911(407).

وهكذا فإن الطائفة الدرقاوية في ثوبها النظيف الجميل لم تقتصر على ما ذكره كور في دائرة المعارف الإسلامية، بل انتقلت كفكرة ضد الاستعمار عبر ربوع المغرب الكبير إلى السودان المصري عن طريق محمد بن علي السنوسي 1202–1276هـ = 1787–1859م تلميذ عبد الوهاب التازي(408) وعن طريقه انتشرت الفكرة في السودان المصري الذي كان سكانه يستقبلون الحجيج من المغاربة وكثير منهم إختار البقاء بأرض السودان التي ظهر فيها البطل محمد أحمد المهدي الذي ألبس الطريقة ما يليق بتفكير مواطنيه الدراويش، فكانت ثورته التي اتفقت في الزمان مع ثورة «أبو عمامة 1299هـ 1881م» والتي كانت بعد ثورات أولاد سيدي الشيخ امتدادا لثورة الأمير عبد القادر وجدت اسمتدادها من درقاوة الذين حافظوا على روح الثورة عبر تاريخ تلك الفترة، بفضل البعث الذي مكن له الشيخ محمد العربي الهاشمي صاحب زاوية كاوز بمدغرة تافيلالت.

إن مما يزيد من اعتبارنا للشيخ محمد العربي هو ما يلاحظ من انقياد عالم جليل له هو المولى أحمد بن محمد بن لحسن السبعي حفيد علي بن عمرو من آل عبد الله بن

= الجزائريين حين كتب حول هذه المرحلة من تاريخ الجزائر المعاصر، وذلك عندما تناول تاريخ أبي عمامة، وكأنهم بذلك وكما قال بعضهم يردون على ما كتبه الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور، من ترهات ضد أبي عمامة، فمن أجل ذلك ومبالغه في التجني تطاول بعضهم حتى على شخص المولى عبد المرحمن بن هشام الذي يكفي فقط أن يراجع الكاتب ولو تحفة الزائر بتمعن ليقدر الظروف ومدى المغامرة التي غامرها المغرب سلطانا وشعبا من أجل الجزائر ودفاعا عن الحق المعتدى عليه في الجزائر.

(407) نفس المصدر : 205.

(408) راجع سلوة الأنفاس 42/3 وعن السنوسي موسوعة وجدى 312/5 والإعلام للزركلي 192/7. ثم دائرة المعارف الإسلامية 205/9.

إدريس الثاني، والذي ترك لنا من الآثار العلمية ما لم يتركه الشيخ محمد العربي بل ولا قرب منه، ذلك لأن السبعي وجد في محمد العربي الرجل المؤمن بالدفاع عن حوزة الدين والوطن بالتزام صادق وإيمان قوي، بل إن الشيخ وحسب ما لدينا من وثائق كان يلجأ إلى معارف السبعي كلما دعاه الموقف لذلك، بل نتوفر على الكثير من آثار السبعي وبخط يمينه نظما ونثرا، مما يشهد على كبير كفاءته وأكبر مكانته في مختلف العلوم والمعارف التي ربطت صلته برجالات المغرب، تارة باسم الشيخ وأخرى باسمه الشخصي(409) كما كان له قدم راسخ في الجهاد ضد التوسع الفرنسي بعد احتلال الجزائر، حتى إننا لنجد اسمه يتردد كعدو للاستعمار في جل ما كتبه الفرنسيون حول المقاومة والمقاومين في المغرب، خصوصا في الفترة ما بين 1299هـ1335هـ 1881–1916م ويكفي أن يراجع المرء فقط جريدة السعادة الفرنسية التي كانت تصدر في المغرب بالعربية بمدينة طنجة « منذ عام 1905 والتي كانت باستمرار تتعرض لحالة المقاومين في الأطلس وتحركاتهم كل يوم اثنين(410) ومنهم بعد السبعي على أمهاوش زعيم قبائل آيت شخمان من آيت يسرى والقائد محا وسعيد الوراوي كبير آيت ورا، ومحمد أحمو الزياني وغيرهم كما سنرى.

إنه لولا تلك الروح التي سادت في المنطقة بفضل توجيهات الشيخ محمد العربي لأتباعه الذين كانوا في مختلف القبائل من توات إلى بني يزناسن ومن الريف الى درعة وسوس– ضد التوغل الفرنسي شرقا، لأمكن لفرنسا أن تفتح واجهات متعددة ومراكز متعددة كذلك، منذ زمن مبكر، لكنها كانت تصطدم بالقوات المرابطة التي كان يوجهها الشيخ تطوعا باستمرار، والتي هي المعنية بقول وزيرخارجية فرنسا ديلكاسيه حيث كتب لحكومته يقول : د. ليس من غير المفيد ان نذكر بعدم الفائدة البارزة من جميع محاولاتنا التسرب للمغرب عن طريق الحدود الجزائرية برغم ما بذلناه في هذا الصدد منذ نصف قرن، خصوصا إذا راعينا الفائدة التي استفادها جيراننا، فإن قبائل مغربية مهمة كونت بين الجزائر والمغرب سدا لايقبل الاختراق، ولكي نبتعد عن إحداث أي هياج في حدودنا

(409) راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية بالرباط، ومديرية الوثائق الملكية.

(410) راجع جريدة السعادة حتى سنة 1916 وكتابي العقيد فرانو، وهنري دوبوردو. وغيرهما ومجلة، لو ليستراسبون، وتقارير العسكريين بالمتحف الحربي الفرنسي ووزارة الخارجية الفرنسية.

من شأنه أن يمس برغبة بعض الدول الكبرى(411) بعدما منعنا محكومينا من الاقتصاص لأنفسهم فإننا لم نطبق إلا قليلا حق المتابعة الناشئ عن معاهدة 1885م "1303" بل أخذنا نكتفي بطلب تعويضات للمصابين من اتباعنا تؤديها الحكومة الشريفة(412) وهكذا تكونت بسبب هذه الحالة منطقة محايدة عزلتنا تماما عن جيراننا(413) ونفس الوزير طالب حكومته بالموافقة على تأسيس عدة نقط اتصال داخل التراب المغربي تسمح للفرنسيين بالتعرف على الشعب المغربي، ولما جاء جونار كحاكم للجزائر عمل بكل وسيلة ليؤكد هذه السياسة بتكوين مركز عسكري في التخوم المغربية الجزائرية، وهو المركز الذي يجعل منه ليوطي قنطرة لمراكز متعددة، ثم لمهاجمة القبائل المغربية بعد، وما كان أن يتم ذلك لولا ما عرفته الطائفة الدرقاوية من اضطهاد، سواء من المخزن أو من القوات الفرنسية، وبالتالي إذا علمنا أن المخزن كان بحكم المواثيق التي تقيد بها ضد كل تحركات المقاومة المسلحة عبر الحدود، فمن الذي كان وراء تلك المقاومة بالنسبة للمغاربة في الجنوب؟ بل ومن الذي كان يجمع شتات القوم من حلفي آيت يافلمان ثم آيت عطا ، خصوصا وأن هؤلاء لم يجد المخزن منهم صرفا ولاعدلا، إذا لم تكن هناك فكرة دينية يمكن لها الرواد المخلصون، ومن كان في طليعة هؤلاء الرواد الذين سنتعرف على أكثرهم بعد في ترجمة العالم الذي تفرغ لذلك طيلة ثلاثين سنة، وهو أحمد بن محمد بن الحسن السبعي، الذي صد تيار الغزو الصليبي الذي تطوع لخدمته بكل إخلاص المجرم الشهير، عبد السلام بن العربي الوزاني، بل والذي شجع كل التشجيع من رؤوس الأموال الفرنسيين المتطلعين لفتح الأسواق بالإضافة إلي رجال الدين

(411) المعني بها بريطانيا، ثم ألمانيا، ولقد كان على ريبوRIBO وزير الخارجية أن يعمل بكل وسيلة لانتزاع موافقة بريطانيا على توسع فرنسا في الصحراء، خصوصا عندما تم لها احتلال المستعمرات في غرب افريقيا وكان اقليم توات يشكل حلقة اتصال هامة، وبالتالي كما قال ريبو فإن احتلاله يسهل التغلغل في المغرب بطريقة سليمة إلا أن ذلك وبفضل المقاومة الوطنية لم يكن بالسهل على فرنسا رغم موافقة بريطانيا والاتفاق الذي ابرم بين الطرفين1890م.

(412) راجع سجل المخالفات المتفق عليها مع محمد العربي الطريس وحاكم دائرة مشرية الفرنسي وعددها أكثر من 449 وهو ضمن وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية ثم تعليق(418) بعد في هذا الكتاب.

(413) محاضرة حول حماية إسبانيا في المغرب القاها الاستاذ علال الفاسي في المركز العام للشبان المسلمين ص 14ط الرسالة القاهرة 1948م.

الكاثوليك الذين عبر عن رأيهم الفاسد وتطلعهم الدنيء الكاردينال دولا فيجري، فقد كتب هذا الكاردينال رسالة بتاريخ 1888/12/20م جاء فيها «إني أحب إفريقيا وأريد أن تكون كلها لفرنسا أو على الأقل ما يحيط منها بالبحر الفرنسي أي البحر الأبيض المتوسط، ووطنيتي لا تكتفي بعمالتنا الجزائرية ولا بالحماية التونسية النهائية وغير الموزعة، لان هذا كله سيظل ناقصا ومهددا مادام المغرب الأقصى خارجا عن سيطرة فرنسا(414).

إن الخمسين سنة التي لم يستطع الاستعمار الفرنسي خلالها اقتحام حدود المغرب على حد قول ديلكاسيه يرجع الفضل كل الفضل في ذلك إلى الرجال الذين دعوا إلى الجهاد والذين آمنوا ثم جاهدوا دفاعا عن الدين والوطن، أولئك الذين آمنوا بربهم فزادهم إيمانا وحبا للحق والعدل والفضيلة، أولئك الذين آمنوا بحب وطنهم والتزموا له ثم ضحوا في سبيل عزته بأغلى ما كانوا يملكون، ومنهم العالم البطل الشريف الأصيل، والمجاهد النبيل أحمد بن محمد الحسن السبعي الذي إنقاد له من أبناء الأطلس المتوسط عشرون ألف تقول مصادر الفرنسيين « فوانو»(415) خاض بهم من المعارك تلك التي أذلت فرنسا وأرهقت الفرنسيين الذين طالما كتبوا عنه بكل حقد ومرارة، والذي سنتناول ترجمته في الفصل التالي، ومن خلال ما يتوفر لدينا من الوثائق التي تكفي وحدها وبدون أي تعليق للدلالة على ما قدمه هذا البطل العظيم لدينه ووطنه، رحمه الله واحسن إليه. بقدرما أذل البغاة الذين كفروا ثم عملوا على إهماله ونسيانه.

---

(414) نفس المصدر السابق، ثم راجع الطرق الصوفية في الاسلام دوبوا كوبولاني 1897 وتاريخ جيجل فيرو قسنطينة 1870م 1287هـ ودرقاوة بين الأمس واليوم لاكروا 1887 ثم مونطي عن الدولة 1902 وحاضر ومستقبل 1910م والطرق الدينية 1910وزاوية زكزل 1910.الخ

(415) في كتابه الملاحم المغربية، ولو ليستراسيون 1907 – 1908.

الفصل الرابع عشر بعد المائتين

البطل الرائد أحمد بن محمد بن لحسن السبعي الصغروشني الحسني

الرجل الأول في تاريخ المقاومة المسلحة منذ 1880 إلى 1916

إن كل المعارك الساخنة التي عرفها تاريخ جنوب وشرق ووسط المغرب ضد الاستعمار منذ 1298هـ – 1880م إلى عام 1335 هـ 1916م وفي الأطلس المتوسط، ثم توات، وتافيلالت، وزيان، وآيت ورا وأعالي ملوية، وبني يزناسن، ثم بني وراين وفاس 1912 إما كان على رأسها العالم الجليل أحمد بن الحسن السبعي، أو بإشرافه أو ساعد عليها ثم وجه الرجال من أجل التمكين لها وشد أزر المقاتلين فيها، ويكفي أن يحفظ القارئ لتاريخ المقاومة اسم «آيت صغروشن» ثم يتنبه لوجودهم في كل ما كتبه مؤرخو الاستعمار للمناطق المذكورة، بدءا من توات عين صالح، وتاديكلت، ثم لمنابهة، والمنكوب، وبوذنيب، الى ميس بولمان ، وكيكو، ثم صفرو وبني وراين، وبني علاهم، والعود إلى تافيلالت، ثم صاغرو وبادوا أخيرا إلي وادي نول، حيث أولاد بن السبع من الذين اختاروا الغربة في تلك الديار منذ أن تم حكم المغرب للفرنسيين فلم يعودوا كما سنرى.

إن الذي أوده من الأجيال الصاعدة هو الاهتمام بتاريخ الشعب المتمثل في أمثال أحمد بن الحسن السبعي وغيره من الذين سنتعرض لبعضهم بعد، ولسوف يرى الناس أن في تاريخ المغرب المعاصر من الامجاد مايرفع رأس المغربي حيث كان وأني وجد، من واحة سيوه وجغبوب إلى نهر السنغال.

وصاحبنا هذا الذي لم يتعرف عليه غير قليل من الأحرار والمثقفين(416) الذين لم

---

(416) راجع مظاهر يقظة المغرب الحديث ذ م لمنوني 387/2 – 474– 88 وعند محمد المختار السوسي في المعسول ج 20 مصدر سابق. وكفاء العنبر تأليف القاضي أحمد بن قاسم المنصوري فيلم خ . ع 946 لوحة 154/1 وملاحم العقيد فوانو وهنري دوبوردو فيما كتب حول بورنازيل ومجلة لوليستراسيون وجريدة السعادة من 1905 إلى 1916م. ثم راجع جـ1 من هذا الكتاب حول الأدارسة.

تغم عليهم دعاية وتوجيه إدارة الحماية، فهو من القلائل الذين لم يعرف المغرب منهم الكثير، فقد ترك بصماته في توات وبشار والقنادسة والعبادلة وواكد. والاحمر وموغل وبوكايس ولمنابهة وبوذنيب قبل الحماية بواحد وثلاثين سنة، وعرفته منطقة آيت يوسي بعد فاس وصفرو، بل هو الذي أمد الحجامى بالرجال الذين مرغوا شرف فرنسا في الأوحال بفاس في 17 أبريل 1912 كما رأينا وسنرى.

بعدما توفي الشيخ محمد العربي الهاشمي وكان المولى الحسن قد قام بالرحلة المشار اليها نحو الجنوب، ثم هو الآخر توفي رحمه الله أثناء الرحلة، وفي هذه الرحلة كان قد التحق به وفد إقليم توات، وبمحضره أشار السلطان إلى عدم شرعية المقاتلين الذين كانوا يقفون في وجه الفرنسيين شرقا باسم الجهاد، كما أكد على أن الدولة قادرة على حماية حدود البلاد المتفق عليها بواسطة المعاهدات والاتفاقات الدولية، هذا في الوقت الذي كان الفرنسيون في هذه المرحلة ينتهكون كل ما أشار إليه السلطان، إلى درجة أنهم أخذوا يزيدون في امتداد الخط الحديدي في الأراضي المغربية، بل انتهى بهم الأمر إلى خلق روح من التذمر في مختلف القبائل المغربية شرقا أولاد جرير، وذوي منيع ، ولعمور، والقنادسة ، والعبادلة وغيرهم، من الذي كان المخزن بدوره وعدم التزام المسؤولين المحليين بغير مايصدر إليهم من أوامر سلطانية تحث على عدم المواجهة مع الفرنسيين، تزيدهم تذمرا وحيرة، خصوصا إذا علمنا أن قواد المخزن كانوا يحثون خطباء المساجد على أن يؤكدوا على رغبة المخزن وعلى رأسه السلطان في مهادنة «الجار ولوجار...» كما رأينا من حاكم وخطيب فجيج الذي أفصح كذلك عن ذلك التذمر حين قال مخاطبا مواطنيه ...» ولقد قال أميركم: عليكم بمراعاة الجار ولو جار « فكان لهذا الموقف من رد الفعل في نفوس كل الذين كانوا مقبلين على الجهاد إما بدافع الغيرة من الآخرين أو الخوف ممن حولهم ولم يكونوا من المؤمنين بصدق، خصوصا وأنهم سمعوا من بعض أئمة المساجدو من فتاوى بعض علماء المنطقة المخزنيين سواء في تافيلالت أو فجيج أن الجهاد بدون إذن الإمارة العامة لايعتبر ، بل ضرره شرعا أكبر من نفعه، وانساق بعض أقوياء البربر، وبعض رجالات القبائل المشار إليها في هذا الاتجاه. لكن جماعات أخرى كانت قد عاشت المناورة السلطانية ضد الدعوة إلى الجهاد الذي كان قد نادى به الشيخ

محمد العربي لم تتأثر بذلك، بل انقلبت على السلطان ثم أخذت تذيع تحمله للمسؤولية أمام الله ، ... كما نجد في خطبة الجمعة لإمام القصر الفوقاني بتافيلالت، والتي كانت بمحضر القاضي الهاشمي الأنصاري الذي أفتى بوجوب الحرب ضد قوة الكفار إذا ما انعدمت قوة المخزن، حتى ولو لم تكن الموافقة من السلطان مادامت بيضة الإسلام مهددة.

لقد عرفنا أن الشيخ محمد العربي كان بحسن توجيهه ودهائه بل وقوة شخصيته، استطاع أن يؤلف بين حلفي ايت يافلمان وآيت عطا عام 1304هـ، لكن تدخل المخزن بالطريقة التي أشرنا إليها أحدث إنشقاقا بين الحلفين خصوصا وأن الفكرة من السلطان كانت مباشرة ألقاها إلى القوم في رحلته إلى الجنوب 1310، وإذا كانت قبائل آيت يافلمان قريبة عهد بما حل بآيت مجليد 1305 وما عرفه بعض رجالات آيت إزدك ثم آيت مرغاد، الذين أخذوا إلى سجن مدينة مراكش ولايزالون وقتها فيه مقيدين بالأغلال، حيث بقي بعضهم إلى أن مات، فما على بعض كبار ايت يافلمان إلا أن يجمعوا أمرهم على عدم المواجهة مع الفرنسيين، خلافا لايت عطا الذين اتفقوا على عدم التراجع وقتال النصارى مهما كلفهم ذلك، وفعلا أخذوا ينظمون القوافل لمهاجمة الفرنسيين المتحرشين، فكانوا يحققون الانتصار على الكثير من الفرق التي أبيدت عن آخرها ، مثل تلك التي قام بها علي ولد احدا العطاوي(417) في مترفة وتيميمون كما أشرنا والتي كانت بعد موت الشيخ محمد العربي.

كما كانوا يهاجمون حتى القبائل العربية التي استسلمت للفرنسيين في غرب الجزائر، وينهبون ماشيتها مما أدى إلى تضايق الفرنسيين الذين أكثروا من الاحتجاجات والمطالبة بالتعويضات للذين هم من التابعين لهم، ولقد بلغ بعضها في سجل واحد حوالي أربعمائة وتسعة وأربعون قضية أو متابعة من قبل الفرنسيين بالجزائر ، للمغاربة بالحدود الشرقية وقع الفصل فيها بين:

---

(417) راجع دائرة المعارف الإسلامية ج 203/9 وهي لم تشر إلى أن على وحدا توفي بمنزله بأوفوس في فنكيك بفاءونون يوم 1941/5/20 بعد عمر مديد، وبعدما أصبح عمدة لايت عطا الرتب.

1) الكومندار سآبريوركالي سان بول. حاكم دائرة مشرية، نائبا عن فرنسا ومعه مالبرطوى.

2) الحاج محمد العربي الطريس نائبا عن المغرب.

والسجل مختوم بطابع مندوبية الجمهورية الفرنسية عام 1896 وكل صفحاته مختومة بطابع خزانة عبد الكريم الفيلالي، ويوجد اليوم بالخزانة الملكية بالرباط؟؟؟

راجع اللائحة بعناوين الوثائق التي أرخت لتلك الفترة بعد موت السلطان المولى الحسن الذي كان لما صرح به لتلك القبائل أسوأ الأثر علي وضعية رعاياه وأراضي المنطقة الشرقية، والتي بلاشك لم يكن يعلم عن حقائقها والواقع المعاش فيها غير ماكان يريده قنصل فرنسا وبالتالي فإن هذه الوثائق كافية للدلالة على مغربية إقليم توات ومادونه من وادي الساورة التي ضيعتها المجاملة والتردد وسوء التدبير بل التي وجب على عهد الاستقلال أن يعمل على ارجاعها خصوصا وأن الرأي العام الوطني كله مجمع على ذلك، ولعل ما في الوثائق التالية يؤكد ذلك وهي الوثائق التي كونت منها ملف الحدود الشرقية. عندما طلب إلى ذلك من وزير الخارجية الأستاذ محمد الشرقاوي العمري الفيلالي بأمر ملكي(418).

---

(418) لقد بقيت هذه اللائحة ضمن فهرس خزانتي، أما الوثائق فهي ضمن ملف الناحية الشرقية من ملفات الوثائق والكتب الموؤدة من خزانة عبد الكريم الفيلالي 1968/6/14 وهي اليوم بالخزانة الملكية ومديرية الوثائق الملكية، وهذه بعض الوثائق كما هي مثبتة في الفهرس المذكور وعليها طابع خزانة عبد الكريم الفيلالي وقد أشار بعض الذين كتبوا حول مجتمع فجيج أنها مرقومة 531/2 وأفاد من الدفتر المذكور إلى أنه أصبح يحمل رقم 673 بالخزانة الملكية وهذا مثال على تلك الوثائق التي أنقذتها زمن الطفولة من مسخن الحمام بالقصر الملكي بفاس وهي أكثر من مائة ألف وثيقة منها حول الحدود.

1) كتاب القائد إدريس بلكوري يخبر بظهور الفرنسيين بعين صالح 1312هـ

2) كتاب من القائد عمر المراكشي يستنفر فيه أهل (بودا) لإصلاح ما أفسده الفرنسيون.

3) كتاب من القائد عبد القادر البودى، قائد (بودا) عن طيش بعض أفراد قبيلته.

4) كتاب من القاضي سيدي محمد المدغري يطلب فيه الاذن بالسفر الى بلده. 1314هـ

5) كتاب من القائد محمد بوعزة، يخبر فيه بموت بعض القواد في المعركة 1314هـ

6) كتاب الخليفة الملكي بفاس مولاي عرفة، مصحوبا بكتابين لكبير الزاوية الكرزازية (واد الساورة) بشأن بيع بعض نخيلها بفكيك 1314هـ

7) كتاب للشيخ سيدي أحمد الكبير، كبير الزاوية الكرزازية، يطلب فيه صالح الدعاء من جلالة الملك 1304هـ – والكتاب الثاني فيه خبر 1317هـ =

ومهما يكن فإن استمرار مقاومة قبائل ايت عطا مكن لروح النضال التي تمت عكس ما أراد لها المخزن، بل أرغمت جل رجلات المنطقة على إعادة النظر حيث أخذت الجموع تتألف من جديد، وظهر في ميدان الريادة رجل عظيم وعالم جليل هو الشيخ أحمد بن محمد بن الحسن السبعي الذي نهض بالدعوة إلى الجهاد من جديد، والذي وإن لم يتمكن من جميع أتباع الشيخ من غرب الجزائر إلى إقليم سوس، فإنه استطاع أن يركز على منطقة الجنوب الشرقي والغربي من الأطلس المتوسط، ناهيك وأنه كانت هناك نوات صالحة لتكوين شبه جيش منظم قوامه ستة آلاف مسلح كانوا قد مروا في

= 8) كتاب من القائد إدريس بلكوري عن تأخير هدية قبيلة يحمد، ويخبر أن الفرنسيين نزلوا بعوينة سايس، ثم طردوا بتاريخ ذي القعدة 1315هـ

9) كتاب من القائد ابن عمر المراكشي بشأن قبيلتي المحارزة، والخنافسة اللتين هما من قبيلته أي تحت حكمه، وأراد إخراجهم بتاريخ ذي القعدة 1314هذا و2 في 9 من نفس الشهر 1314هـ.

10) كتاب من القائد عبد القادر البودي التواتي، عما أمر به من الحذر من الغنانمة 1315هـ

11) كتاب من القائد عمر المراكشي، يخبر عن اشتباك وقع بين بلكوري وقبيلته 1315هـ

12) كتاب من عم صاحب الجلالة مولاي الحسين في شأن فتال العنانمة والتحذير من 1312هـ

13) كتاب من عامل تافيلالت ابن عمر الحنشاوي الشياظمي يشرح أسباب موت القائد حسون بتوات 1312هـ

14 كتاب الخليفة الملكي بتافيلالت مولاي رشيد، بشأن استشهاد القائد حسون ومن معه، بعين صالح ، علي يد الفرنسيين، مصحوبا برسائل ثلاث:

أ) محمد بن الهاشمي في 28 شعبان 1312هـ

ب) محمد بن الهاشمي بن محمد بن عبد العزيز 1312هـ

ج) // // // 1312هـ

15) كتاب من القائد محمد السالم التواتي، قائد تيميمون ينفي فيه ميل قبيلة الغنانمة 1312هـ

16) كتاب كسابقه، في نفس الموضوع 1312هـ

17) كتاب من القائد محمد بن عبد الرحمن التواتي، قائد تيمي بأن أهل ملوكة امتنعوا من أداء واجبهم في الحب والتمر.

18) كتاب ملكي، جوابا على بيعة أهل توات 1312هـ

19 كتاب ملكي للشرفاء الحرّونيين العلويين، والبلغيثيين جوابا على بيعتهم 1312هـ

20) كتاب من القائد إدريس بلكوري يستنجد باسم أهل توات

21) كتاب من السيد محمد وصنوه أحمد ولد النائب الملكي في الأحكام، يبدون تعلقهم بالعرش – 9شوال1307هـ.

22) كتاب من القائد المختار بن محمد الكوراري قائد كورارة، بشأن واجب الضريبة.

23) ظهير حسني الى القاضي حميد بناني بشأن إرسال القاضي عبد الله الرشيدي المدغري الى توات1308هـ =

استعراض أمام المولى الحسن أثناء رحلته، جمعوا من مختلف القبائل ثم ألفي مسلح مرغادي وغيرهم من رجالات تافيلالت الجرف، وتيزيمي، والسيفة من عرب الصباح، هؤلاء بالإضافة إلى الذين كان للسبعي فيهم رحم من آيت صغروشن ومن والاهم من ايت حمو وآيت عيسى، ثم آيت احديدو وآيت حاحوا في طليعة آيت إزدك وبعض أهل زيان، وآيت شخمان، ثم ايت ورّا وكما سنرى بعد من خلال الوثائق.

= 24) ظهير إلى أمناء دار عديل في نفس المهمة 1308هـ

25) كتاب من الحاج محمد البكري بزاوية ملوكة من قرى تيمي توات 1309هـ

26) كتاب من السيد محمد الدباغ بتوات 1309هـ

27 ظهير ملكي الي الشرفاء العلويين بسالى 1312هـ

28) كتاب من مولاي علي بن إسماعيل وابنا عمه

29) كتاب من سيدي محمد البركة نقيب الشرفاء العلويين بسالي1312هـ

30) كتاب ملكي جواب عن سابقه.

31) كتاب تعزية وتهنئة ومبايعة من الشرفاء العلويين بسالي، بتوقيع محمد الشيخ العلوي.

32) كتاب من القائد ادريس بلكوري، يخبر بظهور الفرنسيين بعين صالح « للمرة الثانية»

33) رسالة من المسؤولين العسكريين المغاربة، كتقرير عن حوادث توات1317هـ

34) رسالة من السكراتي عامل تافيلالت، عن تأهب المواطنين لنجدة عين صالح .

35) تقرير من العميل المدني الكلاوي 1318 في نفس الموضوع.

36) تقرير في الخليفة الملكي بتافيلالت مولاي رشيد1318هـ

37) تقرير من المدني الكلاوي أيضا عن المعركة التي وقعت بيت آيت عطا وبني محمد والفرنسيين بتوات1318هـ

38) نسخة من رسالتين أجيب بهما عن رسالتين لسفير فرنسا1318هـ

39) أصل رسالة استنكار ملكية موجهة الى عشرين قبيلة بالصحراء بواسطة الخليفة مولاي رشيد بشأن محاربتهم للفرنسيين بالجزائر،1318هـ

40) جواب مولاي رشيد عن الرسالة السابقة 1318هـ

41) ترجمة تقرير ألماني يبين الطرقات التي سلكتها فرنسا في تخطيط السكة الحديدية في العين الصفراء الى تيمبكتو، وهو موجه من سفير ألمانيا إلى الحكومة المغربية.

42) رسالة استنفار للجهاد، من مولاي مصطفى بن الحنفي اليوسفي كبير أهل قصر (الجرامنة)1317هـ

43) جواب من القائد قاسم بن عبد السلام بشأن العملة وتزويرها . 1301هـ

44) القائد القندوسي الحيرش بشأن الاستعداد للمشاركة في «حركة» الجيش 1301هـ

45) قائمة بجيش الأغواط 1327 هـ ثم رسالة في شأن القائمة، موجهة من الباشا ابن عيسى بن حمو، باشا مكناس 1327هـ

46) أولاد مبارك بقبيلة الكرارمة، بشأن فصالهم عن العامل من أجل الذعيرة 1296هـ =

ولقد مكن للشيخ السبعي ما أصحبت عليه المنطقة السائبة من جديد مما جعله يتزعم الدعوة إلي الجهاد، مادام المسلمون وأرضهم معرضون للخطر وفي هذه المرحلة أيضا نهاية القرن التاسع عشر، ونهاية العقد الثاني من ق 14هـ، نتوفر على سيل من خطب الجمع من تافيلالت إلى فجيج تبين لنا نشاط أئمة المساجد في الدعوة إلى الجهاد والوقوف في وجه العدو الكافر المتربص بالاسلام والمسلمين، خصوصا في الأماكن التي فقدت الدولة ما كان لها فيها من هيبة في منطقة الأطلس المتوسط، وحتى المراكز التي كانت لها فيها حامية من الجند مشلولة حتى إن بعضهم بسبب ذلك وهو من أبناء المنطقة

= 47) كتاب من الشيخ محمد العربي الدرقاوي بشأن العمور، ثم كتاب أولاد عبد الله العمور، والجواب الملكي عليهما 1301هـ

48) كتاب من بومدين بن المامون الجبوري، يطلب توصية عامل وجدة 1303هـ

49) كتاب من جماعة حميان المهاجرين، في شأن فرارهم من الفرنسيين يطلبون توصية عامل وجدة.

50) كتاب من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، موجّه إلى أهل توات 1280هـ

51) بيان مؤونة الجيش بالقصابي 1301هـ

52) رسالة من الشرفاء أولاد مولاي علي بن بوبكر 1317هـ

53) رسالة من القائد عبد الرحمن الكيلي عن تنقلات الفرنسيين 1314هـ

54) رسالة من العدلين الموجهين من وجدة إلى توات لمعاينة ماحل بالمواطنين من خسائر 1317هـ

55) رسالة من الخليفة الملكي مولاي رشيد، بشأن جماعة شرفاء أمبور 1312هـ

56) كتاب من أحفاد سيدي علي بن إبراهيم بتوات يشتكون من القائد إدريس بلكوري 1317هـ

57) كتاب من جماعة بودا ضد القائد عبد القادر.

58) كتاب من ابن عمر المراكشي عن خوف أهل توات من الفرنسيين

59) رسوم شرعية عن اقتسام الضيافة بين بودا العليا والسفلى 1317هـ

60) كتاب لابن الكوري في صالح عبد الرحمن التيمي 1317هـ

61) كتاب له أيضا بورود الظهير الشريف 1316هـ

62) رسالتان من أهل بودا العليا 1314هـ 1317هـ

63) كتاب لمولاي عرفة، الخليفة الملكي بفاس، مصحوبا برسالة لأهل عين الشعير، فيهما الإخبار بمن خرج في الصحراء (الغزو الفرنسي) 1314هـ

64) جواب من سفير، فرنسا للسيد احماد بن موسى، في شأن تحديد موعد بمنزل هذا الأخير، مكتوبا بالهامش بشأن حوادث توات (من أهل فجيج) 1312هـ

65) بيان الأماكن التي حل بها الفرنسيون للقائد إبراهيم بن مبارك المنيعي 1318هـ

66) ظهير ملكي إلى الخليفة بفجيج 1317هـ

67) كتاب من علال الشرادي بفجيج إلى الحباسي 1317هـ =

«مدغرة» رفض وظيفة القضاء التي لم يعد لها اعتبار، كما حصل من المدعو بن هاشم الذي رفض التوجه إلى مركز لقصابي حيث توجد حامية المخزن، وذلك رغم كتابة الحاجب أحمد بن موسى له بذلك(419) بل وإذا ما حاول عم السلطان الجديد وصنو السلطان الراحل وهو المولى الرشيد بن محمد الخليفة بتافيلالت، أن يتمسك برأي أخيه السلطان الراحل حول عدم الصدام مع الفرنسيين، فإنه لم يجد من المواطنين استجابة، بل عرف مقاطعة مخيفة وعدم إكتراث حتى من المقربين إليه، لأن جهود جل سكان المنطقة الممتدة من قبائل ايت عطا صاغرو إلى حيث قصور فجيج، الكل أصبح يعرف الدعوة

= 68) كتاب له أيضا يخبر عن خلاف الوادغريين مع الفرنسيين 1318هـ

69) كتاب به قوائم مالحق أولاد جرير والعمور من خسائر حين دفاعهم ضد الفرنسيين.

70) كتاب للشرادي يخبر فيه عن حصاره، وأنه أرسل البريد إلى گوارة، وأن الفرنسيين دخلوا عين صالح1317هـ

71) ست رسائل للرسول الملكي، مولاي عبد السلام الأمراني في الموضوع 1318هـ

72) رسالة من القائد عبد الرحمن الگلي عن (الحركة) لهوارة. 1318هـ

73) كتاب من ابن مرزوق قائد زناكة بفجيج يخبر فيه عن تجهيز الفرنسيين بوادي درمل 1317هـ

74) كتاب منه أيضا، يخبر بوصول المكاتب، وبه تعليق خارجية المغرب وقته 1317هـ

75) كتاب من الهواري يخبر فيه أن الفرنسيين دخلوا فجيج خفية (مخابرات) 1317هـ

76) أهل فجيج يخبرون عن احتلال الفرنسيين من گوارة الى وادي الساورة 1317هـ

77) رسالة من بوحفص بن العربي، يطالب بجنان الدار، بإزاء فجيج 1318هـ

78) ظهير لنقيب العلويين مولاي امحمد بن عمر بتوات 1295هـ

79) رسالتان من الشريف مولاي المامون البلغيثي العلوي وولده مولاي أحمد 1314هـ و1316هـ

80) مجموعة ظهائر ورسائل خاصة بقواد نوي منيع الذين هم الان سكان آيت عبد الله، بالقنادسة وبشار، وكذا أهل زاوية الدباغ بتوات1318هـ

81) مجموعة خاصة بتوات بها رسائل وظهائر متعددة من 1300هـ إلى 1318هـ عدها 100

82) سجل به أربعمائة وتسعة وأربعون (449) قضية أو متابعة، من قبل الفرنسيين بالجزائر للمغاربة بالحدود الشرقية، وقع الفصل فيها، بين الكومندار سابريور كالي سان بول، حاكم دائرة مشرية نائبا عن فرنسا ومعه مالبيرطوي، ونائب الدولة المغربية السيد الحاج محمد العربي الطريس، مختوما بطابع مندوبية الجمهورية الفرنسية 1896م.

83) كتاب المقدمات المنطقية للحرب العالمية لفريديريك ستيفال 1926م (مطبوع)

84) مذكرات اللورد غراي (مطبوع)1929م.

وكل هذه الوثائق كانت بملف واحد خاص بالحدود الشرقية ضمن ملفات مجموع ما بها 923 وثيقة سلمت إلى وزارة الخارجيّة وقتها وقع السطو على ما يعني خيانات السابقين من أبنائهم اللاحقين إلخ.

(419) الوثيقة مدرجة في الكتاب وهي بتاريخ رجب 1315هـ . 1897هـ

ضد الفرنسيين، ويعرف كذلك نظرية المخزن تجاه الداعين للجهاد، من الذين عرفوا الاضطهاد من المخزن والفرنسيين على السواء، وهم أنصار الشيخ محمد العربي الهاشمي، وأحمد بن الحسن السبعي الذي رفع اللواء من جديد، فكان رد فعل أهل المنطقة هو التذمر من ممثلي المخزن بتافيلالت، حيث كان المولى الرشيد، وفي فجيج مثلا حيث ابن عمر المراكشي القائد، بل ساءت علاقة الأول بأهل البلد، إلى درجة أن تحولت المنطقة الى صراع مسلح بين ذوي منيع الذين انتحوا جانب المخزن وايت عطا وقبيلة السفلة بسبب النزاع علي معزة بين اثنين من الفريقين، ليس هذا مجال التفصيل في الموضوع، وما تلك إلا وسيلة تذرع بها خصوم المخزن من أهل قصور السيفة والسفلة، وآيت عطا الذين كانوا أشد عنادا في مناوأة المخزن بدافع ميلهم القديم للاستقلال، واعتيادهم على حكم رجالاتهم بعيدا عن المخزن وتكاليفه، ومثلهم أهل السفلة الذين عاشوا دوما وهم على بعد خطوات من مركز الخليفة السلطاني بتافيلالت، غير قابلين لحكمه، وقد داموا على تلك الحال، وحتى عندما أصبح المغرب تحت سلطة الحماية، كانت الإدارة تعين لهم حاكما خاصا منهم(420).

كان لابد لنا من هذه البسطة لنعرف ماآلت إليه المنطقة التي فقدت المرشد والموجه، بعد موت الشيخ محمد العربي واضطهاد العلماء من أنصاره، وعدم اهتمام المخزن بما كان الفرنسيون يقومون به من أعمال حققت لهم التوسع كما أراده العسكريون، إلا أن هذه الحالة لم تدم طويلا في كثير من المناطق، ولم يعرف ذلك الفتور أصلا في بعضها، مثل آيت صغروشن وآيت عيسى وآيت حمو وسعيد، وغيرهم، وذلك بفضل وجود الشيخ أحمد بن الحسن السبعي الذي ماكادت شخصية الشيخ تختفي، حتي حل مكانه في التوجيه والإرشاد، بل والقيادة الفعلية للمعارك الحربية بطريقة لم تعرف في عهد الشيخ

(420) راجع ما كتبناه قبل حول هذا الموضوع، وقت ظهور الدولة العلوية، لكن أهل السفلة سرعان ما عرفوا من الفتن ما أضعفهم ومزق صفوفهم حين دبرت الفتن بين حراطين قصبة لحدب واحرارها، أما حرب المعزة بين ايت عطا وذوي منيع فقد مات فيها بالاحصاء 1800 نفر وأما أهل السيفة فقد شاركوا في الحرب لأنهم كانوا ضد المولى الرشيد بسبب السد الذي هدمه أهل الجرف، وكان وراءهم المولى الرشيد بن محمد بن عبد الرحمن، وبسبب تلك الفتنة استقدم المدني الجلاوي زمن المولى عبد العزيز ومعه جماعة لمناصرة الخليفة السلطاني وهو الذي تبين بعد أنه كان على صلة بالفرنسيين.

محمد العربي الذي كان يكتفي بإرسال القوافل لقتال الفرنسيين وتمويلها، لانه كان قد تقدم في السن كما يقول كاتب مادة درقاوة في دائرة المعارف الإسلامية المشار إليها قبل.

لقد أمكن للسبعي أن يستفيد مما سبق له من معاشرة الشيخ، والاضطلاع معه بمهمة الإشراف والتوجيه والإرشاد، بل كان الشيخ وحسبما لدينا من الوثائق المتعددة يلجأ إلى معارف السبعي وعلومه التي لم يكن معه ثان في منطقة الأطلس المتوسط، بل أمكن للسبعي أن يتعرف على بعض نقاط الضعف في التسيير الحربي والتوجيه السياسي، ثم يزيلها من طريقه العملي، ذلك أن الرجل وقد سبق له أن تفرغ للتعليم وتكوين رجالات الدعوة بين البربر، أولئك الذين درسوا عليه مختلف العلوم من فقه وتوحيد ونحو وصرف وبلاغة وأصول، حيث أمكنه بذلك أن يكون مجموعة من العلماء جندهم من أجل الدعوة إلي الجهاد في منطقة الأطلس المتوسط من تافيلالت وتيزيمي والجرف إلى آيت احديدو وآيت ازدك ثم آيت شخمان وآيت وراكما سنرى بعد انقيادهم له حين دعوته للجهاد. بطريقة عملية كان هو صاحب القيادة الميدانية فيها كما كتب الفرنسيون حول ذلك.

هؤلاء العلماء والطلبة أصبحوا بحكم تفرقهم في مختلف الجهات المذكورة، صلة الوصل بين الشيخ السبعي ورجالات تلك القبائل، لكن قبل هذا وذاك وقبل تعرفنا على المعارك التي خاضها هذا العالم الجليل ضد الاستعمار الفرنسي، والتي تحدثت عنها مصادرهم بمرارة من هو السبعي هذا؟ وما أصله أو ما هو موطنه ونشأته؟.

المولى أحمد السبعي أصله وموطنه ونشأته ومعارفه:

حاول ولده العالم المجاهد محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن السبعي ساكن تالسنت بالأطلس المتوسط أن يكتب ترجمة والده، لكنه لم يكتب منها إلا القليل وقد وقفت على بعض ما كتب وفيه أورد نسب والده كما نقلته مما خلفه رحمه الله فهو(421).

---

(421) أخبرني الأستاذ محمد الهادي المنوني الحسني أن المرحوم بكرم الله الفقيه المنصوري الذي كان قاضيا بوادي زم كتب ترجمة مفصلة لهذا العالم الجليل تناول فيها جهاده ومؤلفاته فعسى أن تنشر بطريقة أوسع مما ورد في كتاب مظاهر يقظة المغرب للأستاذ المنوني2/474ط بيروت 1985 بل وأوسع مما قمنا به في هذه الترجمة التي نقصد بها وجه الله وإحياء ذكر رجل عمل على إحياء الدين والذود عنه فلقى وخلفه من بعده مالقي من المستعمر الغاصب الذي هدم قصرهم بالقنابل 1908م.

إنه نفس وروح العالم الجليل المولى أحمد بن لحسن ودعوته إلى الجهاد بين قبائل الأطلس منكرا على المتخلفين

ولد المولى أحمد بن محمد بن الحسن السبعي رحمه الله بمدينة صفرو كما سجل ولده العالم الجليل السيد محمد بن أحمد حيث كان والده بها عام 1241هـ 1825م، وتوفي يوم الأحد 28 ذي الحجة 1335هـ 1916م وبها شب برعاية والده تعلم عليه وعلى غيره بعدما حفظ القرآن العظيم، مختلف العلوم والمعارف وبعدما حفظ الكثير من المتون، درس النحو والصرف والتوحيدوالفقه حتى إذا ما توفي والده ودفن أمام باب المقام المعروف بمدينة صفرو، أو كما قال ولده في الترجمة المذكورة « توفي بالطاعون ثم أقبر قرب سدرة محررة هناك، وقتها رحلت به والدته وربما بوصية إلى مدينة فاس، حتى يتم تعليمه،،وفي مدينة فاس يقول الولد رواية عن والده، أنه درس من العلوم العربية واللغة، والفقه والحديث والأصول والبلاغة، والتوقيت، والهيأة، والتعديل، والحساب والمنطق، وغير ذلك، كما حفظ من المتون ما يقدر بأربعين حزبا، زيادة علي مختصر خليل، وتحفة بن عاصم، ولامية الزقاق، وألفية بن مالك، متون التجويد، ونظم الجمل، والسلم، والخزرجية، بل وحتى منية بن غازي في الحساب، والحكم لابن عطاء الله والمباحث الأصلية.

ولقد اتصلت بمن عاش معه ورافقه مدة في حروبه وهو الشريف علي بن محمد بن عبد القادر الصغروشي ساكن ميس بولمان(422) الذي كان من قواد جيشه في فترة من

---

(422) سنتعرف بعد علي المعارك التي خاضها إلى جانب الشيخ وهو اليوم 1970 على قيد الحياة، وأصابع يده اليمنى معكوفة حسبتها من أثر داء النقرس بيد أنها من أثر المعارك التي خاضها زمن الشتاء وكثرة الثلوج كما ذكر وهو معروف بين قومه بكل جميل، أما عن الشيخ المولي أحمد بن لحسن السبعي فقد أورد في حقه الأستاذ المحقق محمد الهادي لمنوني الحسني في كتابه المذكور مظاهر يقظة المغرب الحديث 486/2 مايلي:«ونتبين الآن – أنه إلي ذلك كان ريانا من العلوم الإسلامية والعربية، متفوقا في المعارك الصوفية وذلك ما تترجمه المؤلفات التي دونها في شتى الموضوعات ومنها:

1) شرح ارجوزة تحفة الحكام لابن عاصم.
2) نظم قسم العبادات من المختصر الخليلي.
3) إصلاح ألفية بن مالك : في خزانة المؤلف
4) شرح عليه.
5) رحلة عن حجته عام 1310هـ 1890م من مخطوطات خ ع ك 2908 « الخزانة العامة»
6) الدرر السنية، من أصل السلالة العمرانية الصغروشية. وهو الوحيد المنشور من آثاره...
7) فهرس مشايخه.
8) ديوان شعره.
9) شرح أرجوزة من نظمه في بعض الأحداث التاريخية مخطوط في سفر صغير. =

الفترات فحدثني عن حياته في المعسكر أيام كما يرابط لقتال الفرنسيين، وحتى تلك الأيام لم تكن تخلو في حياته من الدروس التي كان يلقيها للعامة وللخواص، وإذا لم يكن لهؤلاء ولاأولئك كان يستغرق الوقت في تلاوة القرآن بصوت رخيم جهوري ومؤثر، ولعله من خلال ما نتوفر عليه اليورم من آثاره العلمية نستطيع الحكم على المستوى الرفيع الذي كان عليه، وكذلك الدارسون عليه، وقد قال ولده إن له فهرسة لكنه لم يحصل عليها وقد وضعها في الذين درس عليهم في القرويين وغير القرويين، على أننا تعرفنا على بعض الذين درس عليهم بالقرويين مثل : الفقيه المرنيسي، وأحمد بناني كلا، ومحمد بن عبد الرحمن الفيلالي المدغوري، ومما قيل في حقه ومن غير واحد ممن عرفت من الذين عرفوه وهم كثيرون بقوا على قيد الحياة إلى السبعينات، أن الله حفظه في جميع حواسه إلى أن مات سليما معا في حسب التاريخ أعلاه، وقد اقترب من الثمانين من عمره بل في السنة التي توفي فيها خاض معركة ساخنة ضد الفرنسيين في حركة الرجل بوادي بوبرنوس بالقرب من بوذنيب.

انتهى بالسبعي المطاف بعد رحلة الدراسة(423) إلى حيث جده الثامن محمد السبع

= 10) أنس اللبيب ببعض عجائب الحبيب.

11) قصيدة الله الصمد

12) شرحها فتح الله المعتمد في تبيين معاني قصيدة الله الصمد.

13) الفجر الساطع، وبروق السيف القاطع.

14) منح الفضل الإلهي، في الرد على عالم فجيج أحمد بن عاشور لما وقع في الطريقة الدرقاوية خزانة المؤلف.

15) رسالة في مباحثات بينه وبين محمد بن الكبير الكتاني في خزانة المؤلف

16) رسالة في الرد علي عبد الله بن مراح المغيلي الجريري

17) رسالة الفرج إلى من كان من أهل الدين في ضيق وحرج

18) رسالة في التعريف بمقام الشيخ عند الصوفية.

وجل هذه المؤلفات نقلت من خزانة المؤلف إلى الخزانة الملكية وبعضها لايزال بخزانة المؤلف وهي أرقام 1 -3-6-14-15والتي تمكن منها بواسطة حفيده المولى إدريس بن محمد بن أحمد بن لحسن عام 1968م وبعد الهجمة على خزانة المؤلف ومصادر مؤلفاته التي قيل إنها تخل بالأمن.نقلت ضمن مانقل اغتصابا إلى الجزانة الملكية وذلك كيد ممن كتبت حوله قصة الشيطان الاعرج وهو السكير الفاسق صانع المؤامرات ضد الاتحاديين وغيرهم. ادريس لحمدي ضمن مجموعة الشياطين الخمس وهم والأعور، والأقرع والأعرج، والأسود وقزم الرباط. وكلهم فضحهم الله في هذه الدنيا.

(423) له رحلة خاصة دونها بخط يده، وقد بدأها يوم خروجه في جولة سياسية بتاريخ الأربعاء 9 شوال عام1310 وقد أخذها غصبا عبد الحي الكتاني كما وقف عليها صاحب الدليل ص / 353 ط البيضاء 1960.

دفين تالسنيت، حيث القوة الكبيرة من آيت صغروشن الأدارسة الذين انتحلوا اسم القبيلة التي أوتهم ورفعت من شأنهم أيام نكباتهم، ولقد عرفت أسرة السبعيين في الأطلس المتوسط بين القبائل ومن الدول التي تعاقبت على حكم المغرب بالاحترام والتقدير، كما عرفت ذلك من ملوك الدولتين السعدية والعلوية الذين تحمل الأسرة ظهائرهم بالتوقير والاحترام من عهد المنصور السعدي إلى عهد اسماعيل ثم محمد بن عبد الله، ومحمد بن عبد الرحمن، والمولي الحسن، ومحمد الخامس، وفي تالسينت كون الشيخ مجتمعا أصبح في وقت قصير يتوفر على جماعة من حماة الدين والأخلاق والتعلق بالمثل، أمكنه أن يحقق بأفراد وفي وقت قصير، المنطلق لتحقيق الفكرة التي مات شيخه دون أن يحققها، تلك هي فكرة الجهاد التي لقي في سبيلها معارضة من السلطان، ذلك أن الشيخ السبعي وقد أشرنا إلى أنه استحدث نظاما آخر لتحقيق الفكرة يعتمد على فئة من العلماء والطلبة كدعاة، خصوصا وقد عرفت البلاد فراغا قاتلاوقوى جر المتاعب بعد موت أحماد بن موسى 1318هـ 1900م بل وفي هذه السنة كذلك عرفت قوات فرنسا تحركات توسُّعيه اندفعت إليها بعد الاتفاقات التي أبرمت مع دول الاستعمار إبريطانيا، وإسبانيا، وإيطاليا كما رأينا قبل وهذه أسماء الذين أطرهم الشيخ السبعي في ربوع الأطلي المتوسط والجنوب.

وتؤكد لنا مراسلات هذا الشيخ الوقور، التي كان يوجهها إلى مختلف جهات الأطلس أنه صاحب الفضل في المقاومة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي بشدة وعنف خصوصا تلك التي تم تنظيمها قبيل عقد الحماية وبعده، وأن تلك المقاومة التي اشتدت والتي ستستمر إلى سنة 1934م بل والتي ستكون آخر معاقلها بأسيف ملول من آيت حديدو ثم صاغرو كان الفضل فيها يرجع إلي الروح التي مكن لها العالم الجليل أحمد بن الحسن السبعي رحمه الله، تلك الروح التي عمت بفضل التنظيم الذي استحدثه والأطر التي كونها بالاتصال المباشر وهم الذين أطروا المجاهدين الذين خاضوا معركة لمنابهة بقيادته بتاريخ 17 حجة 1327هـ، بل ومنهم من سوف يستمر جهادهم بدون انقطاع إلي عام 1353هـ 1934م بجبل بادو وأسيف ملول بآيت حديدو بقيادة الشريف السوسي سيدي بن أحماد الذي سيرد إسمه في هذه اللائحة، أما الذين خاضوا معارك تافيلالت وغيرها

كما سنرى فهم كثيرون ولا يمكن حصرهم ولولا ما آل إليه المغرب من أوضاع فاسدة، وعن قصد أراد صانعوها طمس الحقائق التاريخية ونشر التزوير لقامت وزارة الثقافة بهذه المهمة وهي سهلة جدا كما جربتها بحيث تكلف في كل إقليم من أبنائه المثقفين من يقوم بدراسة ميدانية ثم يجمع لنا من مذكرات الأحياء، ما هو عالق بأفكارهم من أسماء الرجال والوقائع الحربية التي خاضها ضد الاستعمار الفرنسي، لكن ذلك إن حصل حسب تفكير أذناب الاستعمار الفرنسي والعملاء يوجد لهم طائفة أخرى يصبح لها من الاعتبار ما يحسب له حسابه، وهذا ما لايقبله الأذناب والعملاء. ومع ذلك إذا لم يحصل ما سبق، فإنه من المحتم علينا ووفاء لأولئك الأبطال الكرام أن ندون أسماء من عرفناهم. مقابل ما قاموا به من أعمال مجيدة، وما قدموه لهذا الوطن من تضحية وفداء والفضل كل الفضل يرجع إلى الرجل الذي سجل اسماءهم قبل وهو العالم الجليل المجاهد محمد بن العالم الفاضل إمام المجاهدين أحمد بن محمد بن الحسن السبعي رحم الله الجميع والذي سجلهم بطريقته الخاصة ، ومنها نقتبس والتي أولها:

1) على مقران ومحمد احمو بقصر ايت عيسى بني تاجيت.
2) أهل قصر مغلف بآيت بومريم تالسينت.
3) مح وحسين ومح وعزيز وأهل گرامة يتقدمهم عدي ازعيط.
4) أهل تامسلمت من آيت اسعيد بجبل دايت بئر امعدنين.
5) مولاي مصطفى بن ابراهيم المعلومي ومحمد العطاوي ويشو العطاوي بوادي الرتب.
6) جماعة قصر أقربوص جماعة القصر الجديد يتقدمهم محمد بن العربي العلوي.
7) جماعة زاوية أملكيس يتقدمهم شيخ آيت عطا إبراهيم الگدي ومحمد وحساين العطاوي.
8) الشريف المجاهد المولي مصطفى بن الحنفي(424) اليوسفي العلوي.

---

(424) حول ترجمة هذا البطل العظيم راجع الدرر للفضيلي280/1ط حجرية، ومظاهر يقظة المغرب لمحمد الهادي المنوني الحسني ط 2 جـ 353/1 ووثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية على أن طريقة هذا البطل كانت القادرية السنية.

9) جماعة قصر الگارة يتقدمهم المولى يوسف وصنوه مَ أحمد بن محمد علي بن محمد ولد سيدي العربي بتونفيت واليعقوبي وشيخ البلد السيد الحسين.

10) جماعة قصر اربيت يتقدمهم الطالب إبراهيم وعيسى، وعلى وعدى.

11) زاوية عبد الصادق يتقدمهم محمد أمداس التجيتي نسبة إلى بني تاجيت.

12) جماعة قصر الدويرة، يتقدمهم مَ الفضيل والد صديقنا مولاي احمد بن لفضيل الذي دام على عهد أبيه.

13) جماعة قصر المعاضيد عرب الصباح يتقدمهم الشريف السليماني حمزة الحوتي عن قبيلة لمكابرة وجَ محمد بن طلحة أب عمار بن طلحة، وعن التغيان هشوم بن مولود، وباباقاسم، وعن العبادلة الغالي بن عمي حيدة وج محمد بن قاسم ومَ إسماعيل بن المصطفى

14) جماعة أهل تيزيمي والجرف من عرب الصباح: اللحاين يتقدمهم الفقيه السيد إبراهيم الفجيجي وولده محمد ومَ عمر المدعو أب سيدي بن المصطفى، وأب حنيني بن جَ الغالي من قصر أولاد معطى الله والجابن على والهاشمي بن يوسف بقصر الخندق، وحمينة بقصبة بن اعلي. وأحمد بن جَ اعبيد بقصر أولاد بوزيان وخربوش بقصر أهبيبات، والمدني بن كروم – جد المولف للأب قتل شهيدا – وبابا بن ج اسعيد ابن عمه، والحاج بن الغزال خادم جد المولف من قصر الجعرانة، وزاموط، والعياشي بن جَ وجَ الخليفة ولد بابا حماد.

15) قصر أولاد جلال فزنة يتقدمهم العربي بنعيسى.

16) قصبة بن لحسن يتقدمهم لحبيب بن العربي والصديق بن العربي.

17) قصر لكراير يتقدمهم محمد بن قدور ، والفقيه السيد علي بن المعطي.

18) قصر البوية. يتقدمهم مقدم درقاوة الحسن وولده محمد.

19) أهل لعشورية يتقدمهم الغازي بن عبد الصادق والشيخ الصالح، والطاهر، وم الطاهر بن عمر.

20) أهل موغر وأهل توروگ، منهم آيت إيعزا من آيت عطا . فمن آيت يشُّوعدي وولد أخيه على وباسو واخوته حمان، والطالب محمد وعلي بن محمد، وشيخ البلد يدير

نايت أقسو، ثم يشو أُباشو، وصنوه مرغاد. ثم علي بن عمر انبگي، وعلي نايت حدو والتروگي، وباها بن ج، ولحسن بن برداهم، وباها بن بلال.

21) ومن آيت الفرشي آيت عطا علي بن شاكوس، ومحمد نايت حدو، وسعيد نايت إبراهيم.

22) ومن آيت اسفول آيت عطا. هدي خيي، ومحمد بن علي، ومحمد نايت عدى.

23) ومن فم اللعب. الفقيه الطاهر الحجوي باسم الجماعة.

23) ومن تامراكشت جماعتها، ثم السيد لحسن بن محمد الأعمى.

24) ومن أهل إكلي شيخ البلد باسونايت المشروح.

25) قصر أزلف بآيت مرغاد: يتقدمهم يوسف احمو، وابن أخيه ميلود ويش، وولده عمر، والطالب محمد.

26) من فركلة جماعة السيد العربي بن عبد الله الهواري منهم أب سيدي وصنوه علي والفقيه محمد بن ج اليحياوي الفيلالي والمكي بن علي بن المكي امهاوش.

27) أهل تيغدوين...

28) آيت عاصم الشيخ علي ويشو.

29) أهل السات الشيخ احماد والفقيه ج لحسن، وأخوه محمد نايت الختوش.

30) أهل الخربات: القائد أحمد والشيخ الحاج لحسن.

31) أسرير: القائد العربي، الحاج محمد المالكي، ثم أهل الجامع الكبير أب عمر. واحدا نايت اب عمر ومن آيت حمو ومحا. أحّ مح، وعلي آيت يوسف، ومن آيت عيسى الطالب المكي، ، ومح والحبيب آيت ادج

32) أهل غريس الشيخ أعلى احمو، وعسو ومح، وحدو و الحاج، وإبراهيم الهواري، والعربي بن الطيب، والمدني بن جعفر و محمد أناصر.

33) قصر آيت يحيى وعثمان، الصديق وأخوه الطيب، والفقيه الهاشمي، وعمر اللوك.

34) أهل غرغر: يتقدمهم أمبارك أحمد.

35) قصر حرث: الحاج محمد بن العربي، ومحمد بن ج الغرفي الفيلالي، وأحمد

أعكي، وحمو ألح وسك والشيخ أحمد اعدى

36) قصر البرج: الشيخ أحمد احدا نايت سعيد.

37) قصر سمگات، وإمدر، وغيرهما من قصور فج وعددها نحو العشرين كل أهلها مجاهدون.

38) أهل أموگر بجميع قصورهم بواسطة باسو ابن مقدم درقاوة على محمد وعلي لحسن وإبراهيم وعلي المرغادي.

39) آل سيدي محمد بن يوسف بن أبي يعقوب، المقدم الحسن.

40) قصر أورى، والشرفاء اليعقوبيون، محمد أرح وم يوسف والسيد محمد.

41) أهل أسول . أولاد سيدي بو يعقوب السيد محمد بن جَ.

42) قصر إيدل بآيت احديدو علي أفو وسعيد دعنى، مح وباسو.

43) قصر أكديم بايت احديدو آيت إبراهيم لمقدم محمد أمحمد. والسيد ناصر، ومح ولهيوش، آيت ازووا.

44) أسيف ملول وجماعته، وآيت عدى وبركة، وآيت اكراض اغصان.

45) قصر تيمريين، محا وحمانو.

46) قصر أگدال، علي حداش وإخوته، إبراهيم حداش، وعثمان حداش، ومحا وعلي حداش.

47) زاوية آيت سيدي م إبراهيم بن ج سيدي ابنه محمد ، محمد أباسو، وزايد وموجان من آيت امبارك، وعيسى من آيت حمو. والمقدم لحسن أشقير، وزايد أودى، وسي سليمان.

48) أهل تازروفت أعلي وشرة.

49) قصر تالو المقدم الشريف الطيب بن محمد بن ج، وسيدي بن احماد آيت سيدي، قائد معارك بادو 1934 وعبد الرحمن ايت سيدي، ومحمد ولد الحسين ايت سيدي، والفقيه السيد محمد ، وعلي بن المكي أمهاوش. وهو الذي تكلف بما حول وادي العبيد.

50) اغبالو ايت شخمان: علي بن المكي، والقائد محا وسعيد الوراوي. ومحمد اناصر، ومحمد بن محمد من آل مَ عبد الله بن علي، وأبو هما مَ أحمد بن هاشم، ومَ

أحمد بن إدريس بن الفقيه سعد، وبوعزة من آيت بحر من آيت موسى وعثمان في تيسرفين.

51) أهل تابحرت من قصور بني مجيلد آيت واحى وعقه، منهم زايد اغانم، ومحمد والطيب الهواري، وبوحنانة، وآيت حدو، وآيت مزيان، وبن قسو بن الفهيم، وايت عمرو

52) وآيت عقا وعمرو منهم سعيد والطلحة ، وآيت مسعود من فريق ايت حمو وحقى وسعيد، قصر آيت بن علي من بني مجليد.

53) قصر أولاد سيدي بن موسى منهم مقدم درقاوة السيد الغازي، وبن زيان، ومحمد بن عبد الله ثم رحو ولد العيساوية.

54) قصر أوطاط ايت عياش واد انگزميز أهل تشوت أوطاطا منهم محمد واحساين وعمر ومحمد، والحسين السبعي ثم القائد الوراوي حمو وعسو من أولاد محمد.

55) زبزاط ايت وفلا، وبوعياش وبرتات، وعين ازروال، ينوب عنهم السيد جعفر والمكي.

56) قصر بوسلام وتيزينتطش : السيد يحيى

57) قصر يوفگ بلاد آيت مقران من آيت بو مريم، ومعهم آيت بن السبع القاطنون بها.

58) قصر ايت بومريم: اكجيل الودفلي، لحسن اعزوز.

59) قصر تامسلكت : لحسن اعلى...

60) قصور البور قصر مدرار وقصر تخولت

61) قبائل ايت مصروح الكثير منهم يتقدمهم أحدا حدان بكرامة.

62) قبيلة ايت آزدك : يتقدمهم عمر عيسى من ايت إبراهيم ايت مومو ايت مردول ومن آيت فركان الشيخ فشميح والشيخ محمد ابراهيم آيت يحيى اخليف، والشيخ حمو بسومر، والشيخ احساين من آيت موسى وعلي، والشيخ بن لحسن اصافي والشيخ علي مرغاد من اخر مجيون، والشيخ محمد أورا غ، ومن ايت حاحو الشيخ محمد يسومر.

63) قبيلة ايت أحديدو ، وقد سبق ذكر الكثير منهم يتقدمهم سيدي بن أحماد . كما سنراه في معارك جبل بادو ثم محمد والطيب شيخ قصر سيد الهواري، حمايو شيخ

المحلة وعلي خلفي ويحيا والصغير.

64) آيت عيسى ايت يعقوب: منهم لحسن امقران، وموح أفقير، وموح أداود، وسعيد أحماد وموحا والعربي، وموح وعلي الداودي. وحمو وعزوز، ومحا وعيسى وعسو، وعبد القادر السعداني ، ومبارك أگور.

65) قصر ايت فضولي: يتقدمهم علال اعتيتو.

66) قصر آيت الداود أيوب محا واحماد امزان، وموإيمزان.

67) قصر ايت محمد وايت يشور: يتقدمهم حمو أكوراض، وحمو والحاج ، واحماد الحسن ومحا أخيي.

68) قصر بني تجيت: لحسن الشاوي ، وعلي أطلحة وعبد القادر بيبي، وموحا احداد، وموحا بن عبد الله ومحمد أحمو

أما سكان ادويرت السبع فقد شارك منهم :

مولاي محمد اوزاغ
محمد العربي
محمد بن علي
وأحمد اعبد الله
وعبد الله نايت علي
والطيب اعثمان
ومحمد أبو سعيد
ومولاي محمد أبو سعيد
ومحمد إدريس
وابن عمه إدريس الكبير
ومحمد النعاس
ومحمد اجبور
وعبد القاد السعداني

وسيدي أحمد اعبد الله
و سيدي محمد الطالب
و سيدي عيسى رافع العلم
و السيد لحسن امقران.
و السيد محمد ابلقاسم
والسيد محمد أعبد الكريم
وسيدي التهامي
ومحمد بن عبد الجبار

أما رجال ايت حمو تالسنت ومنهم من قاتلوا مع الشيخ ثم بعده ومنهم القواد

المشهورين بالبطولة ضد الاستعمار محمد وعلي أبو التلوت، وقد استشهد في جبال آيت احديدو

حمو اغربي

اكاگ

علي أغربي

بوتمزوغت استشهد

بويغلاون

حمو وعلي اقردوس

ومحمد اعراب

وعبد الرحيم أبو جضاض

ومحمد وعلي حداهم

وحمو وعسو.

وعبد القادر واحماد.

ولحسن امقران

ثم قبيلة ايت بن لحسن، فمن الذين شاركوا منهم في معركة منابهة السيد احمد اعامر احلكاوى لكو.

ثم قبيلة بو الشاون منهم ايت بورگية وقبيلة السبعيين شرفاء تالسنت أهل الزاوية منهم السادة

بوبكر

وأبو المصطفى

وهاشم

وعلي من آيت هبة الله

والسيد عبد الرحمن من ايت عبد الفاضل.

وهكذا تؤكد لنا الوثائق كيف كان العالم المجاهد المولى أحمد بن الحسن السبعي يكون اطر قيادة المجاهدين بل وكيف كان يربط بين تلك الأطر بالاتصال المباشر

وبالمراسلات المستمرة التي كان الرسول الذي يحملها بين القبائل من تافيلالت إلى آيت شخمان، هو ولده الفاضل السيد محمد رحم الله الجميع، ولسوف نورد لائحة بأسماء الذين كانوا يتزعمون الصفوف ويستنهضون الهمم من مختلف الأماكن المشار إليها والذين انتزعنا أسماءهم من الوثائق التي خلفها ، والتي يوجد بعضها في هذا الفصل، ومن السجل المرتب الذي خلفه(425) الشيخ محمد بن أحمد بن الحسن السبعي ، وأولئك هم رجال الزحف والمواجهة الذين سجلنا أسماءهم قبل.

(425) كان الفضل لحفيده المولى إدريس بن محمد السبعي ساكن بولمان الذي أمدنا بالكثير من وثائق جده التي نشرنا بعضها هنا، وبعضها يوجد في الخزانة الملكية ضمن وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي وبعضها صوبر بواسطة الشرطة من خزانتنا ونشره الهاشمي ولد الصافية الموظف بقسم الشكايات من الديوان الملكي بطريقة مشوهة فيما كتب ونشر بطريقة تدل على أنه لم يتطور عن الحالة التي كان عليها وهو يعمل بدار القائد مسعود أحرطان كمضحك له ولعياله، ونساء الحي. والأمر الذي يستدل به على تردي الأوضاع في المغرب إلى درجة الانحطاط حيث أصبح هذا وهو الأمي الجاهل يكتب حول الكفاح المسلح بتلك الطريقة التي تدعو إلى السخرية منه ومما كتب حين وصف شيخ الاسلام ب «المتقمص للسلفية » ولما سئل عن معنى المتقمص أجاب أنه زعيم السلفية، هذا في الوقت الذي لو نشرنا قصائد المولى أحمد بن الحسن الحمري فيه وكذا صورته وقد تزيا بزي المرأة حتى يضحك صاحبه القائد مسعود ومثل ذلك كان يفعل به إدريس لحمدي حين ينتشى فيلبسه نفس اللباس الذي كان يلبسه إياه القائد مسعود أحرطان ثم يامره أن يشطح وهو يضرب له علي الصينية من غير توقف إلي إن ترتخي أعصابه ويستسلم للرقاد. وكم كان ذلك المشهد بمحضر جماعة كلهم أحياء ومنهم المؤلف تارة بدار المنتشى الذي هو الشيطان الأعرج وأخرى بدار غيره الخ . راجع تعليق 394 قبل وتعليق 435 بعد.

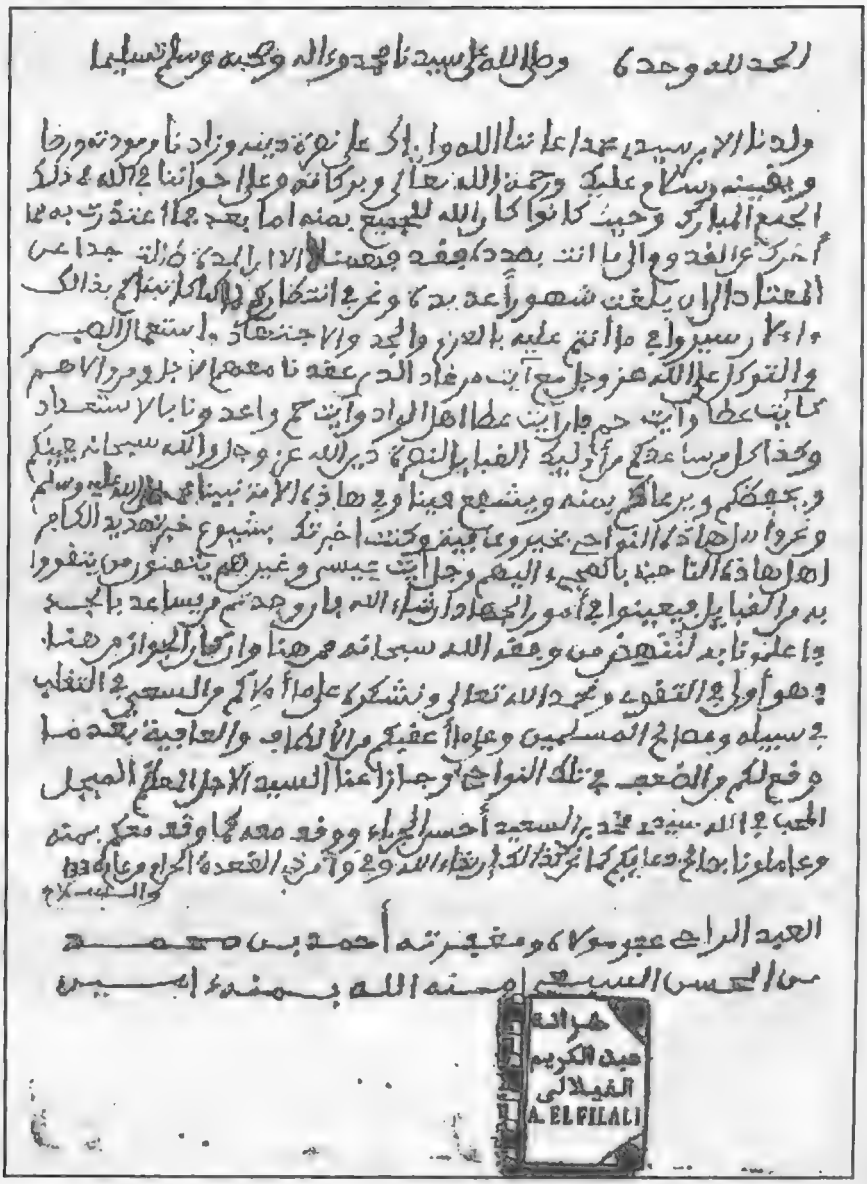

جواب من كبير المجاهدين العلامة المولى أحمد بن الحسن السبعي لولده محمد من جبهة القتال في الحدود الشرقية حيث اعتذر الولد عن اللحاق لسبب.. وهي بتاريخ 9 قعدة 1330هـ=1911

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

يعلم من هذا الكتاب الكريم الملاحظ بعين الإجلال والتعظيم أننا بحول الله
وقوته وشامل يمنه وقوته جددنا لحملته الشرفاء أولاد الولي الصالح سيدي
محمد السبع آل مولاي علي بن عمرو حكم ما بأيديهم من ظهائر أسلافنا الكرام قدس
الله أرواحهم في دار السلام وأقررناهم على ما تضمنته من مجرد التوقير والاحترام
والرعي الجميل المستدام تجديداً تاماً نأمر الواقف عليه من خدامنا أن
يعمل بمقتضاه ولا يحيد عنه ولا يتعداه والسلام صدر به أمرنا المعتز
بالله تعالى في 10 ربيع النبوي عام 1380 الموافق ثاني شتنبر 1160 سجل هذا
الظهير الشريف بوزارة التاج في تاريخه

محمد المختار
السلوكي

هذه البينة التي سعى إليها حفيد العالم المولى ادريس بن محمد حفيد العالم البطل المجاهد المولى احمد بن لحسن السبعي تؤكد ما أورده العقيد ڤوانوا في كتابه الآثار المجيدة لفاتحي المغرب ص35ط باريز 1939م حيث يقول «وفي السنة الموالية- يقصد 1908- صارت القبائل المجاورة للمناطق التي تم احتلالها تهدد قواتنا. وخاصة في ناحية برنيب فكان من ذيول هذه المعركة أن هدمت فرنسا بعد قصر هذا البطل بتالسينت حيث وجه إليه الجنرال فيجي مدافعه ثم حوله إلى انقاض، وذلك 1909 ومرة في ديسمبر 1925 لأنه القصر الذي اشع بنور المعرفة وروح الجهاد في ربوع الأطلس المتوسط "راجع التاريخ السياسي جـ5/411-456 وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال «من أرخ لمؤمن فكأنما احياه» وقوله «المرء حي مادام يذكر» إلخ

الرسالة من العالم الجليل المولى أحمد بن لحسن السبعي لايت يدير ينهاهم فيها عما يرتكبون من ظلم نسائهم ومنعهم مما أحل الله من ميراث

انه نفس وروح العالم الجليل المولى احمد بن لحسن ودعوته إلى الجهاد بين قبائل الأطلس منكرا على المتخلفين

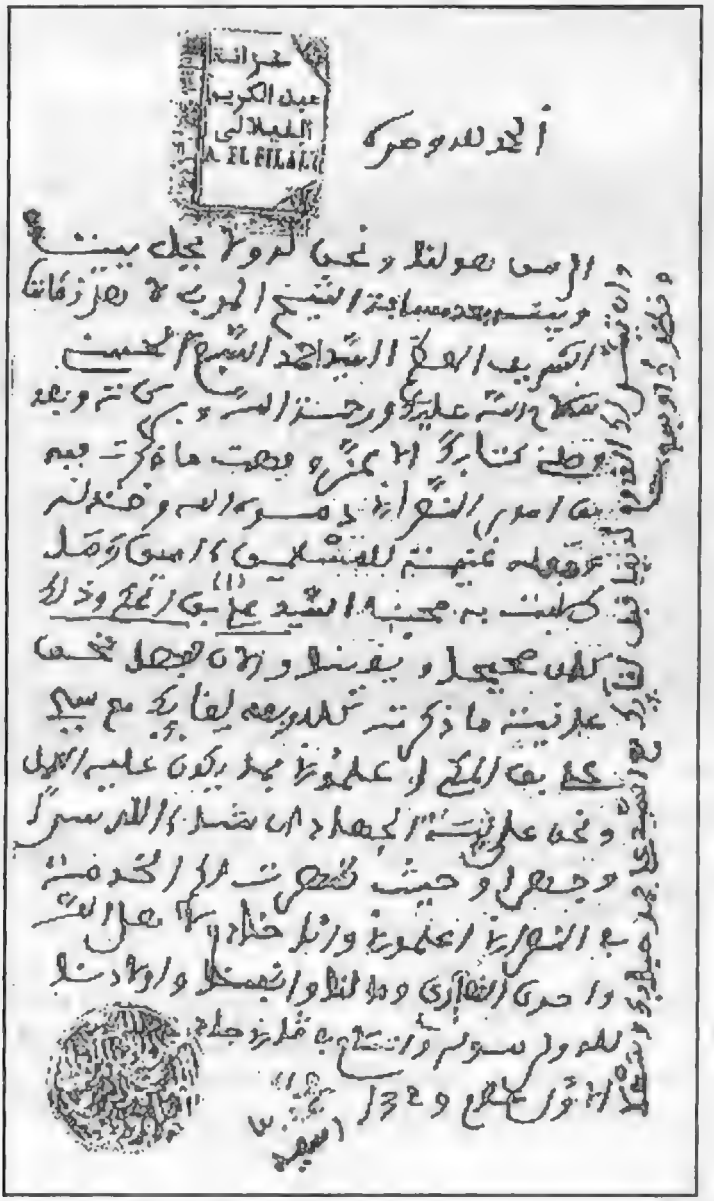

الرسالة من قائد آيت ورامحا وسعيد إلى العالم الجليل بطل الجهاد المولى أحمد بن الحسن السبعي في موضوع الجهاد وتاريخها1329هـ1911م

رسالة من رائد المجاهدين أواخر القرن التاسع عشر ومطلع العشرين العالم الفاضل المولى احمد بن لحسن السبعي إلى قبائل الجنوب يوصيهم بحسن استقبال لجنة الدعوة إلى الجهاد والعمل بما تبلغهم من تعليمات تاريخها 1321هـ/1903م

تبادل المراسلة مع العالم المجاهد المولى احمد بن لحسن السبعي الصغروشني مع ولده في شأن الدعوة إلى الجهاد

جواب من كبير المجاهدين العلامة المولى احمد بن الحسن السبعي لولده محمد من جبهة القتال في الحدود الشرقية حيث اعتذر الولد عن اللحاق لسبب وهو بتاريخ 9 قعدة 1330هـ=1911م

التقديم من العالم الفاضل المولى أحمد الحسن السبعي لقصيدته الله الصمد

رسالة من المولى أحمد الحسن إلى السيد امهاوش حول الجهاد

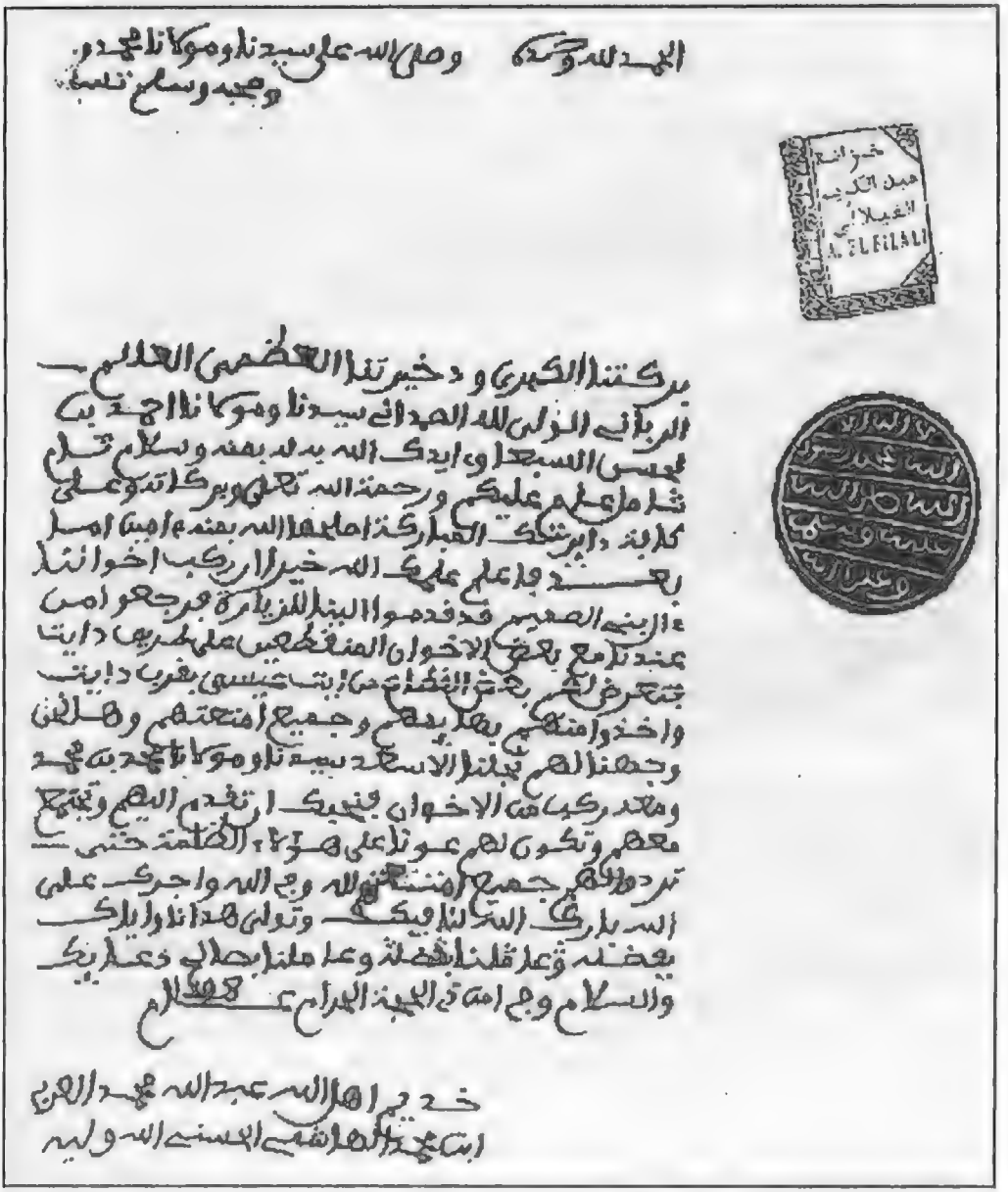

من الشيخ محمد العربي إلى العالم الجليل أحمد بن الحسن السبعي إلى أهل تالسينت في الحث على الجهاد وهي بتاريخ1332هـ 1913م

كتاب من السيد علي بن المكي أمهاوش من آيت شخمان بالأطلس المتوسط يتحدث فيه للشيخ المولى احمد بن لحسن السبعي حول موضوع الجهاد وتهريب نوى منيع الحبوب والمواشي لفائدة الفرنسيين وعلى امهاوش هذا لم يستسلم إلى أن قبضه الفرنسيون باليد ثم أبعدوه عن موطنه حيث عاش في سجن إلى أن فاته بصره وتوفى رحمه الله

كتاب من عامل المنطقة الشرقية عبد المالك السعيدي إلى أهل فجيج

تالسينت

انها بقايا قصر المجاهد العظيم
المولى احمد بن لحسن السبعي
الذي قنبله الفرنسيون
بالطيران1908 ومع ذلك لم يتوقف
الجهاد بل استمرت قيادته
للمجاهدين إلى أن توفي رحمه الله
عام 1916م

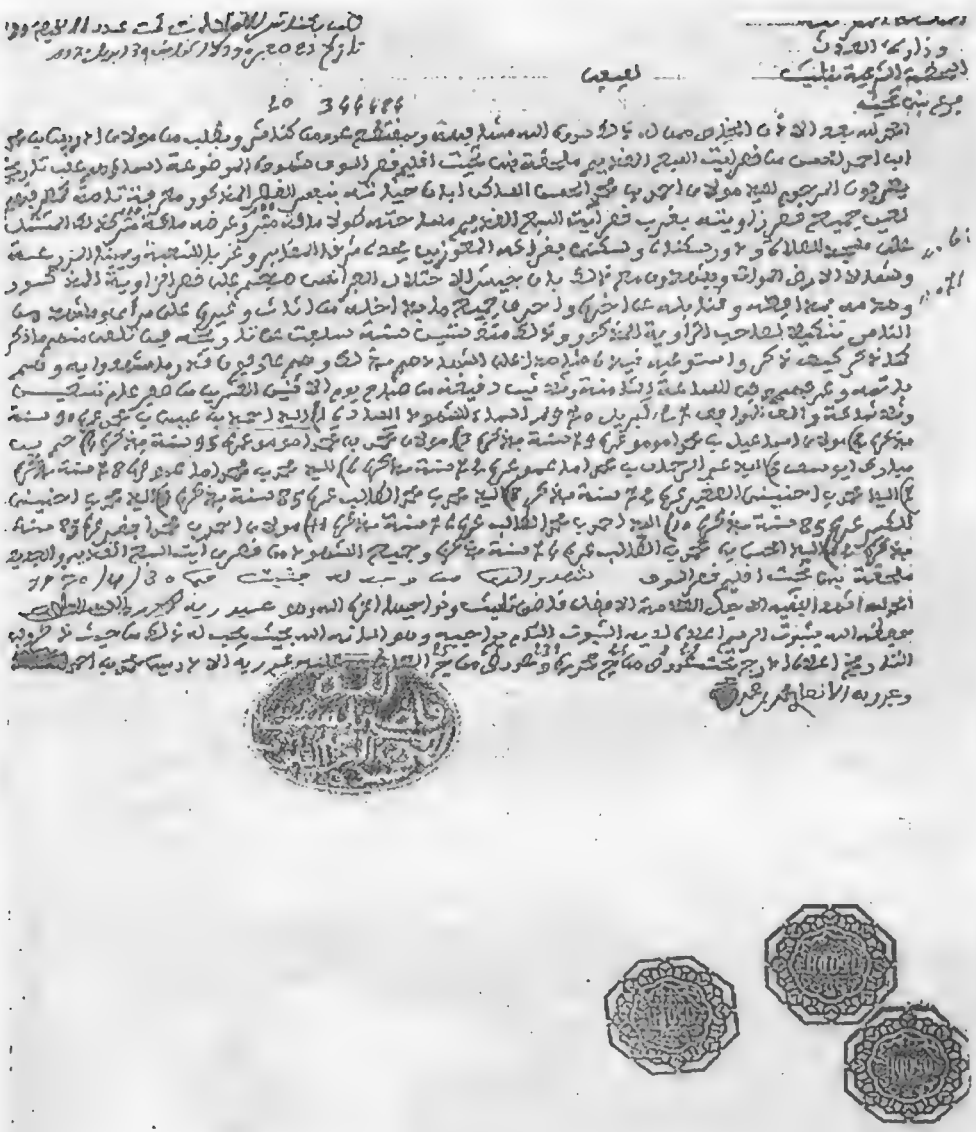

إنها بينة بشهادة الذين عاينوا هدم الفرنسيين لقصر العالم السلفي المجاهد المولى احمد بن لحسن السبعي صاحب تالسينت 1908 بعد معركة بوذنيب1907 التي قتل فيها من جنود وضباط الفرنسيين أكثر من 700 والتي كان المجاهدون فيها يعدون بعشرين ألف كما تقول مصادر الفرنسيين

الحمد لله فاتح الباب لمن تاب، وموضح سبيل النجاة لمن أناب، مرقاب كتبه
الله من الأحباب، ومن أناب يشرح له الأسباب الأبواب لما أغلق، وأمانع لما
وأبعد لمن أبعد، وكشف له الحجاب، أزواجه والآله وأزواجه نا حلاك
واستحق أن يزيد الخطاب، أحمده ونحمده منشر الأسباب، وأشكره ويشكره
بفضل صوب الصواب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منجية من
العذاب، وأشهد أن سيدنا ونبينا وموالانا محمداً عبده ورسوله أفضل من دعا
إلى الله فحاز من أمره ونجى من أزلاء اللهم طوبى وبارك على هذا النبي
الكريم والرسول الصبور القسم العظيم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين
لهم بإحسان إلى يوم المآب، مرفع الله ورسوله إلى أبواب النار تمسكوا
من تكونوا الله تعالى بالسبب الأقوى واعتصموا إليه الوسيلة بحالة مابرعوا
إليه الهوى واغتنموا فرصة العمر وكأنكم بيساحيه وفر انطوى وكم واعتقلوا
ضر القلوب فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى واعلموا أن الله يقبل
من أعمالكم إلا ما خلص من الشوائب ويرفع منها الأبلغ من الأحكام أعلى
المراتب فلا تخلوا بزواج التزيف وإلى فرضيته وإلى جواز الجائزة
والمحظور بالغاية التي هي الإخبار القبيح والعرض على الغرائب الحبيب تنوروا
رحمكم الله تعالى فقد الخيمة الأنوية النصوح واستفتحوا بالرحمة بيد
الكريم بسوقه وبابه مفتوح وتلافوا التلفع شهر رمضان شهر الصيام فيه
تنمى النوى والأنام ليالي عظام وأيامه كلها الحزام وليقل من زاحمكم
هلال الصوم وتصلى اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام
والعافية والرزق المسمى وذبح الإسقام وليقل كل منكم وليبت فيه
من ليلته وليصن لسانه عن كذبه وغيبته وليشتغل طول يومه من تلاوة القرآن
فإنه يجيء يتوجه إلى الملك الرباني فاحفظوا رحمكم الله بما وعظكم به
نبينا المصطفى الكريم عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأزكى التسليم وتذكروا
قول ربنا الذكر في حكم كتابه العظيم شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى
للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه

خطبة حول الجهاد ضد الغزو الفرنسي

رسالة من المولى احمد بن الحسن السبعي إلى ولده محمد وهو في واجهة الجهاد حيث القنابل يحثه على جمع ما يستطيع من الرجال آيت حمو والزاد ثم التوجه إلى الظهرا وهي تعني لعمور وناحية فجيج

الفصل الخامس عشر بعد المائتين

معركة لمنابهة وبوذنيب في الجنوب الشرقي 1908

وأثرها علي انقلاب السلطان عبد الحفيظ (426)

أولئك هم الذين أطروا مجموع المجاهدين الذين كانوا تحت قيادة العالم الجليل الشيخ أحمد السبعي، والذين بلغ تعدادهم وقتها، ما قال عنه الفرنسيون(427) عشرون ألفاً كانوا كلهم من مختلف قبائل الجنوب والأطلس المتوسط، ولقد كانت من أشد المعارك عنفا تلك التي خاضها ضد الفرنسيين في المكان المعروف ب لمنابهة جنوب بوعنان بدائرة بوذنيب، حيث قتل فيها من الفرنسيين وجنودهم حوالي 700 جندي وضابط غنم المجاهدون سلاحهم، وإثرها تراجع الفرنسيون عن بوذنيب نفسه، والذي كانوا قد احتلوه بمساعدة تجسس محمد أفقير الذي جرهم أولا إلى عين الشعر(428)، ولقد اشتدت المعارك إلى درجة أن الفرنسيين قبلوا التفاوض من أجل أن ينسحبوا من المنطقة، لكن

---

(426) ربما يلاحظ أن هذا العنوان كان يجب أن يكون حين الكلام على ثورة عبد الحفيظ لكن الذي نقله إلى هنا هو أنني خصصت للمقاومة فصول ما بعد عقد الحماية المفروضة كرها على المغرب.

(427) راجع مجلة لوليسترا سيون 9 ماي 1908 عدد 3400 ص 281 حول معركة لمنابهة وفيها قتل الملازم كانونج ثم عدد 3402 في نفس السنة ص 318 – 19 ثم معركة بوذنيب التي خاضها السبعي بتاريخ 13–23 ماي 1908 ثم راجع نفس المجلة بتاريخ 9 جوان 1908 ص 384 – 27 جويي ص 430 – 12 سبتمبر ص 171وبالتاريخ العربي فقد كانت أشد المعارك كما أرخ لها بعض أهل البلد بيوم 14 ربيع النبوي عام 1326هـ.

(428) راجع كتاب الحدود المغربية الجزائرية لصاحبه أ. بير نارط 1911ص 98– 199– 205– 206 . فقد أورد صاحب الكتاب: أن استسلام قصر عين الشعير خير مثال على التهدئة « ان كبير قصر عين الشعير محمد أفقير قد أقام علاقات معنا منذ أن حللنا ببشار سنة 1903م ففي عدة مناسبات استقبل ضباطا مارين في دار الضيوف التي توجد بمعزل عن القصر وفي نهاية عام 1909 أبدى بالحاح رغبة للكولونيل لاكيار Laguiére ضابط دائرة كولون بشار، في أن يأتي هذا الأخير إلى عين الشعير، وأوضح أن بإمكان الكولونيل وضباطه، الدخول الى القصر مع أي عدد شاءوا من الجنود، ذاكرا أنه لا يتكلم باسمه الشخصي فقط، بل كذلك نيابة عن الجماعة، جماعة عين الشعير؟. =

ليوطي الذي سيحضر بنفسه في بوذنيب، كان موقفه بالنسبة لحكومة بلاده موقف رهان يسانده فيه العسكريون، ولذلك أمكنه أن يجند النجدات من قبائل غرب الجزائر والمجندين من التونسيين « السبايس» والسنغاليين الذين استورد منهم الالاف، الأمر الذي شجعهم على محاولة احتلال بوذنيب ، لكنهم لم يحتلوه إلا بعد جهد أكبر ودماء أغزر، حيث كانت معارك: فم لخناك، وتازكارت، تلك التي مات فيها الكثير من المجاهدين من شدة العطش، ولقد شاركت في تلك المعركة – معركة بوذنيب كل القبائل المشار إلى روادها قبل، فكانت من المعارك الساخنة التي أثرت على برنامج الفرنسيين وماكانوا يدبرون بعد مقتل «دموشان» بمدينة مراكش، واحتلالهم لمدينة وجدة، ثم مؤامرتهم بميناء الدار البيضاء وما تبعها من ثورة المولى عبد الحفيظ، ذلك أن صدى معركتي لمنابهة بوذنيب، وما سقط فيهما من جنود الفرنسيين، الذين كانت قيادتهم من الملازم « كانونج» إلى الجنرال فيجي» قد ارتبكت وضاع صوابها، بسبب ما سقط من القتلى الفرنسيين، بقيت اشلاؤهم في المكان المعروف، ب فم لخناك، الواقع بين جبلين ، بين تازكارت، وبوذنيب، حيث كان الناس يذهبون لمشاهدتها، كما استشهد فيهما من المغاربة ما تردد صداه في الصحافة الفرنسية بشكل أزعج الحكومة والشعب الفرنسي، وحطم معنويات العسكريين الذين كانوا أكثر حماسا لاحتلال المغرب بالقوة، وعن طريق الاحتلال، كما فعلوا في الجزائر، ناهيك وأنهم تقدموا في جنوب شرق المغرب مئات الكيلومترات دون أن يفعل المخزن أكثر من بعض الاحتجاجات، بل ويبحث عن مقاوميهم ليعاقبهم.

كانت جموع آيت صغروشن، وآيت حمو وسعيد، وآيت بومريم، ثم آيت مرغاد، وآيت عطا، وعرب الصباح، وايت حديدو، ثم آيت حاحو، خصوصا من آيت إزدك، هي القوة التي خاضت المعركتين بشرف، والتي كانت قوات الفرنسيين قد دفعت الثمن غاليا في

= وبتاريخ 22 نفمبر 1909 لبي الضابط المذكور هذه الدعوة، وأثناء المأدبة التي أقامها محمد أفقير علي شرفه، صرح بأن هذا اليوم هو من أبهج أيام حياته وأنه فهم منذ وقت طويل أن التعامل مع الفرنسيين أجدى، وأنه أراد بهذا اللقاء التعبير عن صدق عواطفه تجاه الفرنسيين، الخ مافي الكتاب ثم راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي ملف الحدود الشرقية والذي سلمته لوزارة الخارجية المغربية وبه 923 وثيقة سنة 1968 وتوجد نفس الوثائق بالخزانة الملكية ومديرية الوثائق الملكية إذا لم يحصل لها ما حصل لغيرها قبل في وزارة الخارجية بعد مغادرة الشرقاوي وتولية العراقي الأمر الذي دفع بي لمحاولة استرجاع الوثائق حتى توضع في مكان أمين فحصل الصدام مع الشيطان الاعرج الذي التجأ إليه العراقي...

المعركتين، لأنها وكما أشرنا كانت بالنسبة لعموم العسكريين الفرنسيين يتقدمهم ليوطي موضع رهان، وبالنسبة للسبعي ورجاله مسألة دين وشرف شهادة، لكن الفرق بين السلاحين كان كبيرا، فقد اختار ليوطي أن ينزل بكل الثقل في المعركتين، وإذا هو فعل فإن السلطان عبد الحفيظ الذي كان قد انتهي من الإعداد للثورة إنقاذا للموقف وجدها فرصة حققت له كل أهدافه التي حطمت مخطط الجنرالات. درود وداماد والعقيد مانجال الذي أصبح جنرالا بعد .(429)

لقد كانت معركتا لمنابهة وبوذنيب ساخنة جدا وعنيفة كل العنف، رغم ما غنم منها المغاربة من سلاح وذخيرة، لكن رجالات الجيش الفرنسيين لم يتحملوها وصمموا على جلب كل ما يستطيعون جلبه للمنطقة، ورغم أن السبعي رحمه الله كان في المستوى حيث عمل باتصالاته ومراسلاته لجهات مختلفة شرقا، حتى تفتح واجهات متعددة تخفف الضغط على رجاله في بوذنيب، لكن المعارك انتهت بتغلب الفرنسيين، أما الشيخ السبعي فإنه من وقتها خطط تخطيطا طبقه بقية حياته وهو أن لا يستقر الغزاة أبدا، وأن يعمل على تحطيم مخطط الفرنسيين كلما أمكنه ذلك، وفعلا انتقل إلى جبل دارق حيث اتخذ له معسكرا كان منه المنطلق إلى مختلف الجهات التي كان الفرنسيون يلاقون فيها الشدائد بسبب حرب العصابات الذي كان السبعي أول من شرعه في المغرب، والذي دام عليه مدة ثمان سنوات(430) إلى أن توفي رحمة الله عليه بقصر آيت أحمد وسليمان يوم الأحد 28 قعدة 1335هـ = 1916م وإثرها نقل الى برج ايت الرامي حيث قبره «مبني» حتى اليوم بايت يوسي كما بقي ذكره على كل لسان في الأطلس المتوسط والجنوب الشرقي للمغرب.

لقد سجلت صحافة فرنسا بالمغرب لهاتين المعركتين لمنابهة وبوذنيب – وكذا كتابات العسكريين الفرنسيين وغيرهم مثل العقيد فوانو في كتابه الآثار المجيدة لفاتحي المغرب «

(429) كانت المعارك التي خاضها المواطنون في نفس الفترة في مديونة يناير 1908 في مركز بولهو ضد الجنرال داماد، وفي قصبة عين مگون 28 يناير وبورابح، في 16–17 فبراير، وفي « برشيد» ودار لقصيبات، وزاوية لوريمي، وسطات في 15 يناير إلى 12 أبريل 1908 وكذا في بوشران في 1908/3/30م ثم في بني وراين، حيث قتل الملازم ألبير جكلي ضابط الفيلق الأجنبي ثم الضابط فرانكيل وميير، والملازم بلاندر الخ.

(430) بعد معركة لمنابهة أما حروبه العنيفة ضد الفرنسيين فقد بدأت منذ 1870م في غرب الجزائر واقليم توات واشتدت عنفا منذ عام 1880م كما رأينا.

ص35 ط باريز 1939» ت ج خ وهنري بوردو في كتابه عن ابن أخيه . بورنازيل « المقدمة» ويقول فوانوا بالحرف «وفي جبهة الجنوب الشرقي اشتد تهديد البرابر حيث هاجموا على فيلق جزائري ب لمنابهة مما اضطر الجنرال فيجي قائد فيلق العين الصفراء إلى التدخل ، ووصل اثناء شهر ماي إلى گير، فأقيمت مراكز في بوعنان وبوذنيب ولقد حاولت حركة كبيرة القضاء على حامية بوذنيب إلا أنها صدت في جرف خلفي أوائل سبتمبر 1908 وإذا نحن عرفنا أن معركة لمنابهة بوذنيب كانت ما بين 13–23 ماي وأنها لم يتمكن الفرنسيون من اخمادها في المنطقة رغم الامدادات التي جاءت من العين الصفراء ثم وجدة وغيرها – إلا في أوائل سبتمبر ندرك مدى الشدة والعنف اللذين عرفتهما هذه المعارك التي أصبحت بعد علامة تاريخ بارزة في حياة المنطقة من غرب ميسور وشمال قبائل ايت أمالوا، ثم أيت ورا، وايت شخمان، إلي تخوم تافيلالت وقبائل آيت سعدان من آيت عطا الغرب الجنوبي لونيف، بل ويسترسل الكاتب في نفس الصفحة فيقول « وفي نفس الأثناء انهزم مولاي عبد العزيز عند أهل السراغنة، أمام أخيه مولاي حفيظ مما اضطره إلى التخلي عن العرش لهذا الأخير، وفي السنة الموالية صارت القبائل المجاورة للمناطق التي تم احتلالها تهدد قواتنا وخاصة في ناحية بوذنيب، فكان من ذيول هذه المعركة أن هدمت فرنسا بعد قصر هذا البطل بتالسينت حيث وجه إليه الجنرال فيجي مدافعه ثم حوله إلى أنقاض وذلك يوم 1909/4/11 ومرة أخرى في ديسمبر/ 1925 ذلك القصر الذي أشع بنور المعرفة في ربوع الأطلس المتوسط، بل ومنه ياما انطلقت قوافل المجاهدين في اتجاه توات والساورة شرقا، وناحية تونفيت وتازكزاوت غربا، ثم آيت يوسى وفاس شمالا.

لقد كان للمدرسة السياسية التي كونها العلامة السبعي أثرها كل الأثر في استمرار المقاومة، وفي عدم تفكك صفوف الرجال الذين كانوا في مقدمة تلك الصفوف، حيث أخذ بعضهم يراسل البعض الآخر، من بني يزناسن في الشمال الشرقي عبر بني گيل وفجيج، إلى تافيلالت، ثم شمالا حيث بني ورياغل الذين منهم أسرة محمد بن عبد الكريم الريفي الدرقاوية، إلى ناحية مراكش وسوس، كما رأينا من خلال مراسلات الشيخ محمد العربي الهاشمي ، الذي ورث عنه الشيخ السبعي فكرة الجهاد والمقاومة.

لقد كان لهذه المدرسة أثرها القوي الفعال في إيقاف المد الاستعماري الفرنسي في المغرب، ولولا أنه أخيرا وبمساعدة المتعاونين من خونة ما قبل الحماية وبعدها، أمثال عبد الكريم بن سليمان، ولمنبهي، ومحمد كاباص «الجباص» وعبد الله الفاسي، وخصوصا الثالث الذي نال منصب الصدارة جزاء خيانته التي كان الشاهد والمؤكد علي فعاليتها الجنرال ليوطي، لولا ما قام به « الجباص» وبإتفاق مع إدارة الحماية ورغبتها من مراسلات باسم السلطان المولى يوسف وعليها طابعه إلى مختلف رجالات المغرب منذ 1914 يحثهم فيها على عدم مقاتلة الفرنسيين، أو الوقوف في طريقهم حسبما نصت عليه معاهدة الحماية – تقول المراسلة – لولا ذلك لما عرف الفرنسيون سلامة في أية جهة من جهات المغرب الذي استمر جهاد رجال آيت عطا وآيت حديدو، وايت باعمران، فيه إلى مابعد 1935م وفي منطقة السبعي جزاه الله بما يجازي الأبطال الذين لم يتعرف عليهم الشعب المغربي بسبب مؤامرة الطمس المدبرة من العملاء والتي عرفها تاريخ هذا الوطن سواء على الصعيد الرسمي الذي يمارسه أمثال العميل والجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور كمؤرخ للملكة فيما كتب عن أبي عمامة واحمد الريسوني رحمهما الله كما أشرنا، وعن غيرهما، وسواء على الصعيد غير الرسمي وما يقع فيه بعض الأفراد من أخطاء تجرهم إليها كتابات الخونة وبعض الفرنسيين بل وحتى بعض الوطنيين عن جهل ودون قصد، مثل ما حصل للأستاذ علال الفاسي الذي أطلق علي التزونوني ابن اليهودي الذي أسلم والده في سوس، وانتقل إلى تافيلالت ثم انتحل نسب آل البيت وتزعم القتال ضد الفرنسيين بمساعدة آيت عطا، أطلق عليه علال الشريف السملالي (431) في الحركات الاستقلالية .

(431) حيث سماه محا وحمو نيفروتن، بعدما أطلق عليه الشريف السملالي؟؟؟ ص 122 من الحركات الاستقلالية ط مصر 1948 بل راجع ما كتبه عنه المرحوم محمد المختار السوسي في المعسول ج 16 ص 263– 316 وأهل مكة أدرى بشعابها، وقد نسب دفعه إلى الاسبان ضد الفرنسيين ، ولعل الفاسي استقى من جريد السعادة التي كان يشرف عليها وقتها الجاسوس اللبناني وديع كرم والذي سماه في عددها الصادر بتاريخ 1914/1/26 بالسملالي، بل إن الإسلامي سمى نفسه « مولاي محمد » وربما أطلقه عليه بن بلقاسم النكادي الذي كان مع أبي حمارة الذي سمي نفسه باسم مولاي محمد صنو المولى عبد العزيز. وبه عرف الخ في حين أن اسمه هو : مبارك بن الحسن التزنوني والذي أسلم هو جده بداح ، كما سنرى بعد .

رغم كل ذلك فالتاريخ لم ولن يضل وخصوصا اليوم في عهد تحرر الشعب والأجيال الصاعدة من رواسب الماضي القريب والبعيد، واندفاع الباحثين في التاريخ إلى الاعتماد على الوثائق أولا، وإذا لم تكن على الدراسة الميدانية لكل ما هو قريب عهد ويوجد من الأحياء ما يمكن من الوصول إلى الحقيقة والقصد بواسطة الاستنتاج والاستقراء(432). الذي يتمناه المؤمن الصادق الإخلاص لتاريخ هذا الشعب المفترى عليه، هو أن تتمكن روح البحث الهادف عن أمجاد هذا الوطن ورجالاته، ولسوف يرى الناس من العظماء مالم يعرف إلا في قليل من الشعوب، بل سوف يعرف أن من الأفراد من أسقط الطائرة، وردّ تقدم فرقة كاملة من جنود الاستعمار بعدما شتتها ومزق جموعها ثم قتل الكثير من أفرادها، وقد حصل ذلك في غير ما موقع من جهات الأطلس المتوسط والكبير، وفي ثنية المجاهدين بفجيج حيث سجل التاريخ لأبطال زناگة من المواقف البطولية ما يذكره التاريخ ويعتز به المغاربة.

ماذا يعرف التاريخ عن قبيلة آيت حمو وسعيد بالأطلس المتوسط ناحية تالسنت ورجالاتها حمو وحمو، وصنوه محمد أحمو، وابن عمهما ميمون والطالب أملال، ومحمد الحوك، وأحمد أخرفي وحمو أخرفي، وديهي وحمو وسعيد، ابلكميمي، والخضر بزير، وغيرهم من الذين تزعموا حركات قبيلتهم التي أذلت كبار الضباط الفرنسيين ، بعدما مزقت الكثير من جموعهم وتركت أشلاءهم فريسة للوحوش من أرض توات شرقا، إلى ايت باعمران، لكنهم لم يعرف عنهم أحد إلا بعض ما كتبه المرحوم محمد المختار السوسي عرضا في المعسول 16 حول ترجمة مبارك التزونوني من آل بداح الاسلامي، الذي ظهر في تافيلالت 1918– 20 ثم في ج 20 آخر ترجمة القائد الناجم الاخصاصي، وذلك عن شجاعة ايت حمو، لكن المواقف الحاسمة في تاريخ هذه القبيلة وأبطالها الذين تكونوا في مدرسة العلامة الجليل أحمد بن الحسن السبعي لم تعرف، والتي تعددت وعلى مدى خمسين سنة، حمو وحمو هو الذي خطط لاستمرار جهاد قومه بعدما احتلت تالسينت، إلى أن رحلوا إلى تافيلالت، ومنها إلى ايت باعمران، وذلك عندما هاجم

(432) راجع انولتان لأحمد التوفيق ط كلية الاداب جامعة محمد 5 الرباط ج 1 – 2 وغيرها من الرسائل التي أخذت تسلط الأضواء الكاشفة على كثير من المراحل في تاريخ المغرب المعاصر .

الضابط المسؤول في مركز تالسينت فقتله والذين معه، ولولا نجدة القائد أحمد بومريم(433) لما بقي أحد من الجنود الفرنسيين الذين كانت الإدارة قد ركزتهم، الأمر الذي كلف آيت حمو وسعيد الأبطال إلى أن يهاجروا من أرضهم، وموطن آبائهم ثم يلجؤوا إلى تافيلالت حيث قاتلوا فيها زمنا ثم منها إلى آيت باعمران بعد صاغرو وبادو، وقد بقي منهم حتى اليوم ومن ذلك العهد، جموع في آيت باعمران حيث يعرفون في طليعة المقاومين قديما وحديثا ، إلى جانب جموع من ايت مسروح، وايت بويشيون، وآيت بومريم، وآيت أحماد الحسن، وكلهم ممن يحافظون على أصولهم حتى اليوم في ناحية طرفاية.

بل لم يكتب أحد غير الفرنسيين في إشارات خاطفة تتعلق بإحياء ذكرى بعض رجالاتهم من العسكريين عن أمثال محا أزكاغ الذي هاجم هو الآخر مركز بني تاجيت ثم قتل رئيسه الفرنسي، وهو من قصر وازاگ الذي عرف أهله المتاعب، لكنهم لم يرحلوا كما أراد لهم أزكاغ الذي التحق بايت حمو، وكانوا بعد في تافيلالت، وقد بقي إلى أن استوطن طرفاية، وفيها توفي رحمه الله.

ومثل هولاء وأكثرهم من الأبطال أهملهم التاريخ أمثال:

علي ورحو من أغبالون سردان، وتونفيت، حيث الأشراف المجاهدون من آل يحيى ويوسف الذين كان فيهم الى جانب حسن أوليمام صاحب سيدي بن احماد الإدريسي قائد معارك جبل بادو كما سنرى، ويوسف بن محمد، وبن يوسف محمد وعلي، ومحمد بن عبد الرحمن بن أحمد، باخييي وعلي أليمام. ثم حمو وزايد، وعدي وحساين، ومحمد احمو الزياني ومحا وسعيد الوراوي، وعلي أمهاوش، وولده عبد الكريم صاحب المعركة المعروفة بتازگزاوت ضد الجنرال گورو بتنزليث، حيث كان معه حسن أمهروق، ثم عتيتو،

---

(433) أحمد بومريم هذا من قبيلة آيت، بومريم دائرة تالسينت كان من رجال المقاومة، لكنه أصبح ورجاله بعد وبواسطة عمر الحمزاوي ورسالة الجباص باسم السلطان المولى يوسف في خدمة الإدارة الفرنسية، وذلك بعد عام 1925. وقد حصل له ماحصل للتقي ابن محمد العربي وال احدا من آيت عطا وال ختوش من ايت مرغاد الذين وردت عليهم الرسائل باسم السلطان حتى يتوقفوا عن قتال الفرنسيين الخ.

وزايد أسكنتي وزايد واحماد(434) من ايت مرغاد، ولهذا الأخير قصة من أعجب القصص سنتعرف عليها ثم محمد أباني، ويوسف ورقية، وأحمد قسو ومحمد من آيت خباش آيت عطا .(435)

---

(434) زايد واحماد هو من قصر تانا بأسول قام بثورة فردية هادفة ضد الفرنسيين عام 1937 كانت نهايتها قتله بقصر تادافالت بتنغير هو ورفيقاه محا وحمو نايت مسرى إربيين وأما الثاني فهو سعيد واحماد تاراروت الذي لايزال على قيد الحياة 1965 . وزايد أسكنتي من الرحالة. وكلاهما من آيت مرغاد. كما سنرى بعد.

(435) راجع الوثائق المصادرة من خزانة المؤلف. والتي استعملها بطريقة بدائية الهاشمي ولد المطلقة فيما نشر مشوها حول الكفاح المسلح من 1900 إلى 1935م ثم وضع اسم السيد محمد المعزوزي ظلما وبهتانا علي ما لم يعلمه المعزوزي الذي استنكر بعد ماورد فيما نشر من مزاعم وترهات باسلوب كتاب التمائم أو الرسائل التي كان يكتبها هاشم بدار القائد مسعود احرضان بولماس بل حتى النقط المستخلصة من كتاب العقيد فوانو « الآثار المجيدة لفاتحي المغرب» ولما رتبها وضعها بطريقة مشوهة ومغلوطة ص 222 – 23– 27 بل ما سماه لوائح الشهداء هو عبارة عن جمع الأسماء من مختلف القبائل بلافرز ولا تمييز حتى أنه لم يعرف القصد والهدف من جمعها بحيث وضعها كما صادرتها الشرطة من خزانة المؤلف على اعتبار أنها من قصص الشياطين الخمس لأنها بخط يدي مادامت الأوامر قد صدرت بذلك وقد امده بها أولئك الذين كانوا ينسقون معه المؤمرات ضد الأحرار كما حصل في محاكمة مراكش، وحتى الصور المأخودة من مجلة لوليستراسيون مجموعة خزانتي وضعها من غير أن يعرف ما هي ولا ما تمثله ... راجع ما طبعه هشوم تحت عنوان الكفاح المغربي ط مطبعة الأنباء بالرباط 1987 وهو الذي يباع بواسطة رجال السلطة وبمبلغ مائة درهم لفائدة الذي كان بالأمس فقط يتجول على حمارة يستجدي الأعشار بين قبائل الأطلس المتوسط اذ فيه كتب عن شيخ الإسلام وزعيم النهضة المغربية باجماع المغاربة محمد بن العربي العلوي ص 93 تملقا لگدرة الطين حيث وصفه بـ « المتقمص لفكرة السلفية» ولما سئل معنى تقمص وما يقصد منها قال: إنها تعني "الزعيم"، وذلك ماعلمه منه بعض الذين استنكروا التعبير في حق الشيخ الإمام الذي كان السبب في انقاذ الهاشمي من التجوال على حمارة يستجدي الأعشار بايت يوسي وغيرها، حيث لايزال الذين كانوا يتصدقون عليه على قيد الحياة، جاء به الشيخ الإمام ليعلم الأطفال بالمدرسة المحمدية بالرباط، وفي عهد الاستقلال التقطه لحسن اليوسي كترجمان من البربرية الى العربية ثم ورثه منه الشيطان الأعرج فأصبح مضحك مجالسه ومنعش خمرياته كما عشنا وضحكنا ومهما يكن فقد عرف العهد الذي نحياه الحط من شأن الرجل العظيم الذي حافظ علي مواقفه إلى آخر نفس من حياته وقد كان المدشن لذلك هو الإسباني الأصل أحمد كوديرا في مناراته LESPHARES ص 4 بتاريخ 1962/12/1 حيث وصف الشيخ الإمام وذلك أثناء الحملة من أجل الدستور الذي عدل 3 مرات وصفه كديرة ب «الضال عن الصراط المستقيم" أما من هو كديرا الذي أصبح صاحب العقارات ولزوجته بباريز شارع هنري مارتان وهو ابن التهامي الذي كان لا يجد قوت يومه بشهادة أمه فاطمة بوعلوام كوديرا التي ماتت محرومة ولما يعرف خبر موتها إلا بعد عدة أيام كما يقص صهرها. ج العابد أما أحمد كديرة هرة درب مولاي عبد الله الرباط والذي ما عرفنا التاريخ على أحد أن لا أشد منه كراهية للمثل والأخلاق فقد عرفت به جريدة الجمهورية المصرية تحت عنوان نوري السعيد يبعث حيا في المغرب وعنها نقلت جريدة العلم في عدد 1894 بتاريخ 63/4/3 وما نعرفه نحن من أهل الرباط عن الرجل أفظع وأفحش مما يخجل ذكره.

إن الذي ارجوه من الله العلي القدير هو أن يطيل عمر كوديرا وأمثاله حتى يقروا ما هو مكتوب عنهم وعن الشيخ الإمام في تاريخ المغرب السياسي.

ثم مولاي مصطفى بن الحنفي، وأب سيدي الذي هو مولاي عمر بن الحنفي اليوسفي العلوي من قصر الكنز والجرامنة، ومصطفى بن الحنفي هذا هو الذي قتل العميل المتعاون القائد عمر الحمزوي وخرب دار به والد المجرم العميل عدي وبه ومن الأبطال كذلك عبد الرحمن ولد بوزيد من ذوي منيع، وإبراهيم بن محمد بن إبراهيم نايت السومر من ايت ازدك.

والعروصي من أولاد جرير، ولحبيب البربري من فركلة، وابريك من السيفة، والحاج محمد احبا من أولاد معطى الله، والقائد ميمون ولدمحا والصديق من ايت عرفة، المعروف ولد اعراب، والعربي بنعيسى من فزنة الجرف وغيرهم.

بل إن التاريخ لم يكتب بتفصيل عن أية معركة من معارك الشرف التي خاضها أحرار المغاربة شرقا وجنوبا وغربا وشمالا باستثناء حروب البطل محمد بن عبد الكريم التي هي كذلك نتيجة للمدرسة الدرقاوية والتي قادها درقاوة كما سنرى، فهناك معارك تزرى بتاريخ الاستعمار الفرنسي وترفع من شأن المغرب والمغاربة، مثل معركة لهري لمحمد أحمو الزياني، ومعركة لقصيبة التي خاضها محا وسعيد الوراوي، وكذا معركة ايغرديس بين تازكارت وقادوس، حيث لا تزال عظام جنود الاستعمار مكشوفة في تلك الشعاب حتى الآن، ومعركة دايت التي قتل فيها القبطان گرار وجنوده عن آخرهم، ثم معركة وثربات 1929 التي لم يسلم فيها غير ضابط فرنسي اسمه فيليكس ثم معركة تيمحضيت التي أسقط فيها محا وسعيد طائرة، وحيث كانت المعارك الساخنة في بقريت، وافكو، ورأس تارشا والقوبات، وأفكو حرون من الأطلس المتوسط، بل ومعارك بولمان وبوخموج، والمرس بتاريخ 9–24 يونيه 1923 كل هذه المعارك كانت نتيجة عمل وتوجيه وتربية الشيخ المجاهد، وكبير علماء الأطلس المتوسط الذي يدين له تاريخ المغرب السياسي بكل الفضل والأكبار والاجلال المولى أحمد بن الحسن السبعي، الذي لم يقل في حقه المرحوم محمد المختار السوسي غير كلمات قصيرة، وربما لأنه لم يتوفر على ما يكتبه في حقه «والسباعي هو أحمد بن محمد بن الحسن الفقيه الصالح العابد الناسك المشكور المساعي، فلم يظهر منه تطاول إلى الرئاسة، بل غاية قصده معارضة النصارى، فتراه ينادي في الأسواق والمشاهد بالجهاد، وهو من أكبر مريدي الشيخ محمد العربي

المدغري، ويعد من المقاومين للاحتلال بنفسه، وبكل من تبعوه، وله مولفات وأجوبة ونظم) يقول صاحب المعسول، نقلا عن المهدي الناصري، وهذا الأخير لم يكتب عن السبعي لولا أنه لم يجد بدا من ذلك لأنه كان من مداحي الاستعمار يقول محمد المختار السوسي(436) لكن لماذا أهمل تاريخ أمثال هذا البطل العظيم، ويعمل الأغبياء على طمس المعالم وهدم القيم والمنارات مما يعتزبه المغرب والمغاربة.

لقد حاول بعض مغاربة عهد الاستقلال من المتفرنسين أكثر من الفرنسيين الاستعماريين والمتعاطفين معهم أمثال الشيطان الأعور وأمثال الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور طمس تلك المعالم التي وضعها الفرنسيون في كل منطقة من مناطق المغرب في نصب تذكارية كعنوان على المعارك التي خاضوها من أجل (تهدئة) المغرب كما زعموا، وقد كتبوا عليها ما يذكرهم برجالهم الذين قدموا دماءهم من أجل عزة فرنسا ورفع مستوى شعبها اقتصاديا بل إذلالا للمغرب وهدم كيانه، وتحطيم مقوماته، ولقد كانت النصب التذكارية حقا مكتسبا من تاريخ الشعب المغربي، والتي كان من احترامه إن لم تترك في مكانها تذكره بما قدم من دماء في سبيل محافظته على مقوماته وامجاده، فلا أقل إن هي حولت من أماكنها أن توضع في متحف يتردد عليه المواطنون والأجيال المتعاقبة حتى يتعرف اللاحقون على مابذله السابقون من عطاء، وماسقوا به شجرة الحرية من دماء وما ضحوا به من أجل الحرية والعزة والكرامة في هذا البلد، لكن المتعاطفين فوق العادة مع الاستعمار والذين حسبوا من حسناته أنه أنعم عليهم بواسطة دهاقنته من الفرنسيين، بما أصبح لهم من قوة أذلوا بها المغاربة، هؤلاء خدمة لفرنسا وحتى لايستمر ذكر استعمارها الفظيع وقساوة أعمالها وما سفكت من دماء وقتلت من أبرياء، وشردت من مآت الاف الأسر، وحتى لايبقى ذكر ذلك في تاريخ علاقة فرنسا بالمغرب ماثلا في عقول وأفكار أحفاد الأحرار، قام العملاء بهدم وإعدام تلك النصب الحجرية، والرخامية، والجدران التي كانت قائمة(437) عليها في مختلف جهات المغرب

(436) راجع المعسول 284/16.

(437) فعل ذلك بكل ما كان منها في دائرة قصر السوق وأرفود والريصاني محمد ولد خناتة الشركية المعروف أحمد العلوي، كما رأيت وعشت بتاريخ 8 أكتوبر 1959م حيث كانت مناسبة عيد التمور في الساعة 4 من عشية اليوم المذكور، وبعد رحيله من أرفود إلى قصر السوق بواسطة طائرة مروحية حيث نزلت بالمطار وكنت ضمن ركابها، وما أن نزل الغريب عن المنطقة وأهلها ورأى النصب التذكاري حتى اقتلعه وهشمه وقد كتب على الرخامة=

ونسوا أنهم إن فعلوا ذلك بما هو على وجه الأرض من تراب وحجر، فإنهم لم يستطيعوا فعله بما في الصدور وبطون الكتب وما سجله دهاقنة الاستعمار أنفسهم مبالغة وامعانا في توجيه الضربات القاتلة لمعنويات المغاربة من جانب، وتذكيرا للفرنسيين أنهم الذين ساقوا « حضارة التمدن» للمغرب المعاصر، وتحت تأثير هذا المركب الذي يتمكن من عملائهم الذين كونوهم في أندية « تابو» ومواخير الدعارة ببارير ثم أطلقوا عليهم المومسات الصهيونيات المتفرنسات وغيرهن اللائي أصبحن في مغرب الاستقلال زوجات وأمهات، حتى يقمن بتحقيق ما بقي من برنامج الاستعمار الهادف إلى التمزيق والإفلاس وإعدام روح النخوة والشهامة في النفوس، وفعلا فقد نجح الاستعمار الفرنسي في

= من أربع جهات كتب عليها بالحرف «أيها المار قف وفكر قليلا في الأموات الذين يرجع فضل وجودك هنا بدون خوف إلى تضحيتهم... والآن استأنف سيرك» وتلك هي الآثار التي نتذكر بها الماسي التي عاشها آباؤنا والآلام التي تنوقوها في تلك المرحلة من تاريخ نضالهم المسلح ضد الاستعمار الفرنسي الذي شرد وقتل الأبرياء ومنهم جدي، الأب المدني بن كروم ووالدي الذي فقد بصره في تلك المعارك ومثلها أخرى مع ذكر الأسماء كانت في مدخل أرفود وكلها سجلها لنا العقيد فوانو في كتابه المشار إليه قبل "الاثار المجيدة" لفاتحي المغرب» إن ذكرى مرارة ذلك اليوم لم ولن أنساها أبدا، ومن وقتها وضعت مذكرة أسجل فيها أعمال مثل هذا الأجير المستهتر وغيره وهم كثيرون وكلهم مثل الذي اطلق لنفسه العنان ثم هو وقد إندس للهدم الخطير جر بتصرفاته من الأذى ما لم يستطع تحقيقه أكبر الخصوم ضد المغرب ومقدساته الروحية، فهو الذي كان ولايزال يؤكد علي كل من يكتب ضد الاستعمار وله به إتصال أن يسكت عن كلمة الفرنسي »، وإنما فقط يقول الاستعمار ويسكت؟ كما قال لي بلا خجل ولا وجل، وهو الذي يشير على كل من يعمل في مجال الإعلام وله عليه سلطان أن لا يتعرض من قريب أو بعيد، ولا بقليل أو كثير لذكر الخمور والفجور بسوء، وهو الذي ساهم في إفلاس الديمقراطية وتشويه ذكرها بما عرف له من مواقف مسجلة منذ فشله وطرده بدائرة صفرو في أول برلمان 1963م إلى عهد ما عرف له من اعتداء على صناديق التصويت في فاس وأرفود 1970 ثم تاونات 1984م مما هو في ذاكرة الأيام ، والجرائد، والناس، بل والذي تحدى كل القيم والأعراف، وضرب عرض الحائط بمفهوم القوانين والأخلاق حتى إن ما هو مسجل في حقه من مساوئ أضرت بالشعب خلقيا بالانحراف المشهور بل واجتماعيا، واقتصاديا لم يعرف لغيره في هذا البلد بل هو الذي أرسل طائرة من الرباط إلى قصر السوق لتأتيه بشخص منحرف يتقمص شخصية المرأة لباسا وكلاما وذلك زمن اشراف العربي الفحصي على الاقليم إلخ. ومهما يكن فإن إعدام تلك النصب معناه عنده اعدام النخوة والوطنية في النفوس، لكن هيهات فإذا كان للباطل جولة، فإن للحق صولة، ومهما طالت الأيام فلسوف يجنى ويحصد مازرع هو ومن على شاكلته، ناهيك وأن التاريخ لايترك صغيرة ولاكبيرة إلا ويحصيها، ورحم الله المولى أحمد بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن السلطان الذي لما علم به دخل المسجد بضريح المولى علي الشريف وهو سكران ثم تكلم بما يستقبح ذكره قال في جمع من الأشراف: هذا الكرنيس إذا لم يأخذه الله... فلسوف يكفر كثير من الناس. وهي كلمة كنت قد قلتها في خطاب سياسي أمام جمع كبير في ساحة الريصاني في الانتخابات البرلمانية التي زورت ضدي ولفائدته عام 1970 وها نحن ننتظر صدق الوعد « إن الله يمهل ولا يهمل..».

مخططه المستمر، وإلا كيف تفسر إهانة المتمسكين بالقيم الدينية، والأصالة الوطنية وكيف يفسر تهميش الأحرار الذين صارعوا الاستعمار بل إذلالهم إلى درجة لم يعرفوها حتى من الفرنسيين أنفسهم قبل وما تاريخ العشر سنوات من البغي والظلم والارهاق والاستبداد ما بين 1962 – 1970 ببعيد(438)... الخ

إن الفرنسيين وغير الفرنسيين من الشعوب التي لها تعلق بأمجادها وتاريخ الذين لهم الفضل في بناء صرحها، لم يهملوا ولو ذكر عامل بسيط سقط شهيد الواجب، ولو كان فقط بشق قناة أو بتعبيد طريق. أما في المغرب الذي لايزال تحت رحمة التوجيه الموروث، فإنه دون كثير من بلادالله، هو الذي حصل فيه الهدم الخطير لكل ما هو بالتمسك والاعتزاز جدير، وأكبر مثال على ذلك مايعيشه اليوم من تساقط الأحرار من الأحياء الذين حرروا المغرب تحت ضربات الذين كانوا بالأمس القريب يعيشون في رعب قاتل، خوفا من أعمالهم ضد الشعب ومقوماته، ولو أردت ذكر الاسماء هنا لكان ذلك أنكى واخس(439)، لكن مهما طال زمن هذه الموبقات فإن التاريخ الحق لم ولن يضل أبدا. توفي محمد العربي الهاشمي منذ 1309هـ 1892م وتوفي أحمد بن الحسن السبعي منذ 1335هـ 1916م وكلاهما قدم للدين والوطن والناس ما يستحقان عليه الشكر والتقدير من كل الذين تناولوا تاريخ المغرب المعاصر، لكن شيئا من ذلك لم يحصل إلا ما قام به المرحوم محمد المختار السوسي في المعسول المشار إليه، وماكتبه في حق الأول والثاني من كلمات، وان كانت جامعات فهي محدودات ومثله محمد الهادي المنوني الحسني وفي تاريخنا السياسي هذا، أخذ كل من الرجلين حيزا واسعا مقصودا به التكريم للصدق والأمانة والخلق والدين، وقريبا وبلا أدنى ريب ستفرض الأيام والحق والواقع التاريخي على الأجيال المقبلة العناية ببعث تراث المغرب وأمجاده، وسوف لن يجده الباحث في غير أعمال الأبطال القداما و المعاصرين، ولسوف يقف بعضهم على تراث أحمد بن الحسن

---

(438) على من يريد التحقق أن يراجع صحافة تلك الفترة في المغرب وخارج المغرب ومنها ما تصدره الدولة مثل مجلة رابطة القضاة عدد3 السنة الأولى مارس 1964 وجريدة الأهداف عدد 15/3 مارس 1964 و 1964/5/9 و1964/7/16 الخ وقبل هذا وذاك منارات أحمد رضا كوديرا وجريدة وطنه.

(439) راجع بعد لوائح الخونة المرتدون قبل نفي محمد الخامس طيب الله تراه. وكيف أصبح بعضهم وأبناؤهم سادة الموقف بعد الاستقلال. بل بعد موت محمد الخامس رحمه الله.

السبعي علميا وروحيا في كتبه، وماديا في قصره بتالسينت بالأطلس المتوسط والذي هدمه الاستعمار الفرنسي حيث قنبله بواسطة الطائرة والمدفعية عام 1909 -أي بعد معركة لبمنابهة التي أذل فيها الشيخ فرنسا- وحيث لا تزال حتى الساعة أطلاله تشهد على عظمة السبعي التي حاول المجرمون من ورثة الاستعمار أن لا يتعرف الناس على عظمة السبعي وماقدم لهذا الوطن رحمه الله ورحم أولئك الذين اقتدوا به، والذين لهم في كل جهة معارك سجلها التاريخ بفخر واعتزاز.

لقد اختفي البطل المغوار القائد الناجم عشرات من السنين لم يعرفه أحد ولم يسمع به غير أبناء موطنه الذين حاول بعضهم أن يتقرب للفرنسيين بالتجسس عليه، ولما استقل المغرب وكان هذا البطل في المنطقة الإسبانية، عاد إلى موطنه وكله أمل واعتزاز أنه سيجد من التكريم ما يليق برجل قدم للمغرب دولة وشعبا من المكرمات ما سجل عنه الوطني الغيور محمد المختار السوسي رحمه الله ومثله سجل للمرحوم المدني لخصاصي وغيرهما ممن تعرض لهم كتاب المعسول(440) لكن على العكس فقد لقي القائد الناجم كل الإهمال وعدم الاكتراث كما سنرى حتى بإنصافه ورد ممتلكاته التي صادرتهامنه إدارة الحماية والخائن المجرم التهامي الجلاوي، إلي أن مات تحت وطأة الحاجة والفقر، وإن الذي لايعرف الوفاء عليه أن لا ينتظره من الآخرين، وإن نظرة خاطفة علي الصفحات السود التي خلفتها إدارة الحماية وما قامت به من مصادرات لممتلكات المقاومين مثله في تافيلالت والتي ونحن في عام 1980 لاتزال تحت إشراف إدارة الأملاك المخزنية التي تشرف كذلك على الممتلكات المصادرة من الخونة سواء بسواء، لكافية لمعرفة منتهى ماآلت إليه القيم و الأخلاق في مغرب ما بعد الاستقلال الذي مضى منه مايقرب من الثلاثين سنة إلى درجة أن كل الذين قاوموا الاستعمار الفرنسي عرفوا ويعرفون الانتقام من الذين أخلصوا لذلك الاستعمار واندسوا ثم سيطروا، هم وأبناؤهم على كل مقدرات الحياة، ماعدا شيئا واحدا لم يجدوا إليه سبيلا وهو التاريخ الحق الذي لم ولن يتمكنوا من مسخه وتزويره رغم كل المحاولات المكشوفة، ولو استطاعوا لما كتبت تراجم هؤلاء الأحرار الذين جاهدوا وناضلوا في سبيل عزة هذا الوطن وكرامة أهله.

---

(440) راجع كتاب المعسول ج 5/20 إلى 174.

لقد كنت أود قبل أن أنتهي من الحديث عن معركتي لمنابهة وبوذنيب وغيرهما أن أسجل أسماء بعض الذين استشهدوا في هاتين المعركتين من الذين حصلت على أسمائهم من بعض الذين هم علي قيد الحياة هنا وهناك في مختلف قرى ومداشر الأطلس المتوسط وقصور تافيلالت(441)، لكنني تركت ذلك إلى حين الاتيان على مختلف المعارك التي عرفتها المنطقة، وهي السابقتين « حركة الرجل» في وادي بوبرنوس طريق بوذنيب 1916 والكارة بتافلالت 1918 واحتلال تافيلالت 1932م وهي المعارك التي شارك فيها ماسوف نعرف من كبار الضباط من الفرنسيين وخطط لها ليوطي، وهوري، وغيرهما من الجنرالات بومكارتن وهنريس، وگورو، وباروبلار ثم جيرو، ومن « الكولونيلات» كارني دوبلسيس، ودزود، وبوراميرو، وسافي وبيلييه وديلسن الخ (442).

وحتى نعطي نظرة شبه شمولية على المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي والتي عمت منذ مابعد توقيع عقد الحماية الذي وقعه المولى عبد الحفيظ مكرها، وفي ظروف قاسية، نعود وقد سبق لنا أن تعرضنا إلى ما حصل من رد فعل الشعب ضد تدخلات الفرنسيين

---

(441) لقد صودرت بعض مؤلفاتي بإشراف الشرطة بتاريخ 1968/6/14 وضمنها لوائح كنت أعددتها بواسطة دراسة ميدانية بيد أنها بعد نشرت باسم محمد المعزوزي الذي لما اتصلت به في شأنها تبرأ منها ثم نسبها للهاشمي العلوي الموظف بقسم الشكايات بالديوان الملكي الذي وضع اسمه مضافا إلى السيد المعزوزي فيما نشر باسم الكفاح المغربي المسلح في حلقات راجع القسم الثالث مما سماه « لوائح الشهداء وما سماه « تسلسل الأحداث»؟ وقد كان «تسلسل المعارك عند ڤوانو» ونسي أن الأحداث معناها لغة أمطار أول السنة: وهو مالم يسمع به ولم يعرفه مثل «تقمص» ص 93 ط 1987 وللهاشمي هذا ما هو معروف به من صنع المحاكمات مع افقير.. حتى انتهى به المطاف إلى التستر خلف اسم الأستاذ محمد المعزوزي الذي وقع هو الآخر بعد مدام پيري فيما صنع الرجل من شباك النصب في الوقت الذي لم يكن يعرف ولا كتابة رسالة مترجمة من البريرية التي اعتاد قبل أن يستجدي بها الأعشار بين القبائل إلى العربية، ويكفي للدلالة ما نشره باسم الكفاح المغربي المسلح: ط 1987بمطبعة الأنباء التابعة لوزارة الداخلية. والذي كانت الغاية منه هو توزيعه بواسطة رجال السلطة مقابل 100درهم للنسخة، ولعل في مذكراتي ما يكفي للتعريف بالرجل وبالوضع الذي اصبح له فيه شأن وأي شأن لأنه تطاول على شيخ الإسلام ص 93 بكلمة.. متقمص.. ولما سئل عنها قال أنها تعني زعيم.. وامغرباه إنها شطحات الشيطان الأعرج حين يعربد. فهو الذي دنس الحمى بمثل ذلك النوع الذي كل رأسماله ما يضحك المجالس من كلام سفيه لا يطرب الشيطان الأعرج الا به خصوصا وهو سكران.

(442) راجع المصادر المشار إليها قبل وغيرها، ثم جريدة السعادة 16-17 23-24 يوليوز و 8 غشت و19 سبتمبر و 21 و28 نفمبر 1916 ثم مجلة لوليستراسيون، سنوات 1893 - 1894 -1900- 1903-1904-1908 وكتاب أيام فاس الدامية: هيبير جاك ترجمة دع التازي ط 1980 ثم راجع الفصل أعلاه : الجناية في فرض الحماية.

هنا وهناك من معارك عين صالح في إقليم توات وإيگلي(443) وغيرها إلى معارك وجدة والدار البيضاء والشاوية حيث اغتيل الضابط أميو، ثم معركة مدينة سطات حتى سنة 1912، حيث كانت معركة فاس التي خاضها الحرس السلطاني بإيعاز من السلطان عبد الحفيظ، كما أكد الفرنسيون(444) وحسب شهادة العميل المتعاون أبو جمعة بن مبارك المسفيوي والذي سجلت إدارة الحماية في حقه أنه الذي أكد ماقيل من أن السلطان عبد الحفيظ هو الذي أمر الحرس بالثورة ضد الفرنسيين في فاس، فكان لشهادته مفعولها لأنه كان من قواد الحرس السلطاني(445) ومقابل تطوعه اسندت اليه باشوية بني ملال طول حياته إلى إن مات بلا شهادة ثم بقي خلفه من بعده للفقر والذل والاحتقار راجع 446 بعد.

(443) راجع لوليتراسيون وما فيها من صور بتاريخ 1900/1/20 عدد 2969 ص 44-45-51-52-53-54 بتاريخ 1900/5/2 عدد 9288ص 317 ثم بتاريخ 1900/9/8 عدد 3002 ص 145 -146-147.

(444) لقد ألح العسكريون الفرنسيون على ذلك، وحتى حين صرح رئيس الحكومة الفرنسية يوم فاتح يوليه 1912 أنه لا يتوفر على أية حجة تمكنه من إتهام أحد، كان رد فعل العسكريين عدم الرضى.

(445) هذه أسماء بعض الذين أطروا مواطنيهم في معركة لمنابهة وبوذنيب 1907- 1908.

1) آيت عطا: وسنتحدث عنهم بتفصيل أوسع حين كلامنا عن معارك جبل صاغرو.

2) آيت حديدو
- آيت ايعزا بل آيت خليفة
- آيت ابراهيم الأدارسة

وبالإضافة إلى أسماء المؤطرين الذين احتفظت لنا بهم مذكرات العالم الفاضل محمد بن أحمد بن الحسن السبعي، هذا جدول بأسماء القبائل التي جاهدت مع إمام المجاهدين المولى أحمد بن الحسن السبعي الادريسي الحسني:

3) آيت صفروشن تالسينت وهم
- آيت ابن لحسن
- آيت حمو بن لحسن
- آيت سعيد الحسن
- آيت بوالشاون

4) آيت بومريم
آيت مصروح كرامة
- آيت احاوئو
- آيت بوبكر
- آيت داود أموسى

5) ومن آيت يوسي
- آيت لحسن
- آيت بن موسى
- آيت الرامي
- آيت بن عثمان

6) ومن آيت مرغاد
- اربيين
  - آيت واحي
    - آيت عَمرو ومنصور
      - آيت علي ولحسن
      - ايفقيرات
      - ايمزوارن
    - آيت عمرو وكاحي
    - آيت عيسى يزم
  - آيت مسري
  - آيت محمد
- آيت أيوب
  - آيت أزياض
  - آيت وانكيفو–آيت تينوين– آيت البرج

7) حلف آيت بإفلمان، ومنهم آيت ازدگ –بكاف معطشة–
- آيت الثلث منهم
  - آيت موسى وعلي
  - آيت يحيى وخليفة
  - آيت واليل
- آيت فركان منهم
  - آيت خوجمان
  - تبودة
  - آيت عشة
- آيت مومو
  - آيت حاحو، ومنهم آيت السومر
  - آيت إبراهيم
  - آيت عتو

8) آيت يحيى ويوسف تونفيت.
آيت حديدو بودراع بجبل العياشي.

9) أولاد خاوة

10) عرب الصباح: تيزيمي، والجرف، والسيفة. اسفالات = السفلة.

11) آيت عيسى بني تاجيت
- افترتوماش
- آيت وزاك
- آيت يعقوب

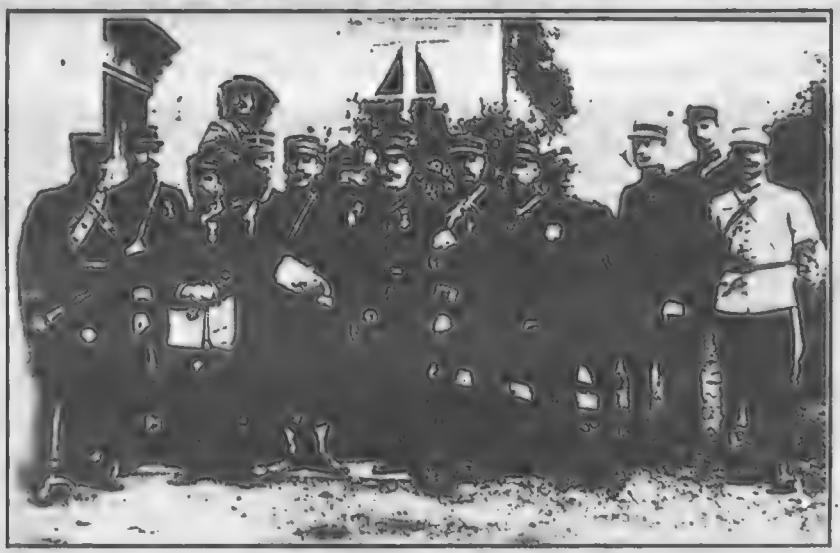

من بين هؤلاء الذين تعرفنا عليهم في كتابنا «التاريخ السياسي» الذين غزوا المغرب قبل فرض الحماية

1) فيلييو وجدة 27-1907/3/29

2) بيريو اغبالة قرب أحفير أكتوبر 1907

3) باشكرتك: أريحان 1910/12/13

4) باسار: لعيون 1910/6/14

5) گير وتاوريرت 1910/6/29

جماعة من الضباط الفرنسيين في وادي كير ويظهر في الصورة الدليل محمد افقير ممتطيا صهوة جواد بلا سرج حافي القدمين والصورة من مخلفات حاكم مركز الريصاني بتافيلالت

الجنرال ليوطي وبجانبه القبطان بيريو رئيس قلم المخابرات الذي استطاع استمالة الكثير من سكان الجنوب الشرقي.
والذي تحدث عنه ليوطي ثم وصف اعماله قبل فرض الحماية بتسع سنوات وذلك يوم ابنه "بعد موته"(1)
كما يرى بجانب ليوطي وعن شماله بوامير والذي قاد ثانية وبعد العقيد دوري حزوب الفرنسيين ضد الفلاليين

---

1) توفي القبطان بيريو يوم 1912/12/18 إثر جروح في حرب غرب مراكش راجع كتاب سمط اللآلي للجاسوس اللبناني على الطرابلسي ص86 ط 1925 والصورة مأخوذة من كتاب لويس بارتو ط1930.

كتاب من القبطان محمد بن داوود حاكم لعريشة غرب الجزائر إلى اعيان جماعة الوادغيريين بفجيج موضوعه ما حصل من مخالفات أهل الصفيصيفة ضد أهل فجيج ونوي منيع تاريخه 1290هـ 1873م. وهو من محفوظات أولاد معلى من أهم اسر الوادغيريين الأشراف بفجيج

من القبطان باريال بفجيج إلى أهل فجيج

الفصل السادس عشر بعد المائتين

السبعي والحجامي أيام ثورة فاس 17 أبريل 1912

لقد أشرنا قبل في فصل « واقع المغرب والظروف التي بويع فيها عبد الحفيظ"، إلى عدد من المعارك التي خاضها المغاربة ضد الفرنسيين قبل فرض الحماية وبعد توقيعها كرها من طرف المولى عبد الحفيظ وكيف أنهم طوقوا المراكز الحيوية من البلاد، وجدة، والبيضاء، والشاوية إلخ، لكننا لم نتحدث عن مدينة فاس وقتها وما عرفته بعد توقيع الحماية من قوة الفرق العسكرية التي أثقلوا بها كاهل المدينة مبالغة في إذلال السلطان والمواطنين، بدعوى أنهم أنقذوها من الخراب الذي كانت ستعرفه على أيدي رجال القبائل من بني مطير وغيرهم من الذين ثاروا انتصارا للجيش المغربي ضد تصرفات الضباط الفرنسيين وعميلهم المدني الجلاوي كما سبق.

لقد عرفت مدينة فاس اللمطيين ماأزعج الأحرار منهم ثم جعلهم يتميزون غيظا من تصرفات الفرنسيين وعملائهم، حيث أصبح اليهود والمحميون وقد اختلطوا بمن حل في المدينة من الفرنسيين في أشكال مريبة تثير الحقد على الجميع، وزاد الطين بلة تصرف كابار القنصل الفرنسي بفاس، الذي لم يقتصر على إثارة الغيظ بتصرفاته السخية مع المحميين حتى يلفت أنظار الذين هم ضد الحماية، بل أحدث في مدينة فاس وفي حي الطالعة بالذات شبه سوق نافعة للعملاء والمتعاونين، لم يتعود المواطنون رؤية مايجري فيها، ولا حتى تخيل ما كان يحدث في ذلك الجانب من المدينة الذي عرف مركزا للبريد الفرنسي ورجاله المدججين بالسلاح: دوكانيس- مياكا - ريكارد - روبو، أولئك الذين زادهم وصف خيال «هيبيرجاك» لما رأوا من أهوال وهم يطاردون من المواطنين، حتى حسبهم من الأبطال، بل وغيرهم لا من العسكريين فحسب، بل من المدنيين الذين لم يقتصروا على «الملاح» حارة اليهود التي حولها الجنود الفرنسيون إلى ماخور وملتقى للمتجسسين، بل زحفوا إلى حي الطالعة الذي أحدثوا فيه فندقا أطلقوا عليه فندق

فرنسا، بل ولما يمضي على عقد الحماية أقل من ثلاثة أسابيع، حتى كانت مدينة فاس وباسم الإنقاذ من ثورة القبائل، ضد الحماية والمحميين، تحت رحمة الجيش الفرنسي الذي عمرها بالفرق التالية.

1) الفرقة 6 من الفيلق 4 بقيادة الكومندار فيلير.

2) فرقة المدفعية بقيادة الملازم فيري.

3) فرقة هندسة الميدان بقيادة الملازم بلاندان.

4) فرقة الخليط من المرتزقة الأوربيين والجزائريين، والتونسيين، والسينغاليين، ومدغشقر، بقيادة الكومندار فيليبو.

5) فرقة الرماة بقيادة الملازم البشير.

6) فرقة للمدفعية عيار 75 بقيادة الملازم لو كارد.

7) فرقة الأسلحة الخفيفة بقيادة القبطان كيرفانويل.

8) كتيبة الصبايحية.

كل هذه القوات كانت تحت إشراف الجنرال بريلار يساعده الجنرال مونيي، والعقيد غورو، والعقيد فيلبو، والعقيد ونجان، والقبطانين، بوردوني، ومارشال، الخ وكان مركز القيادة بالمكان المعروف ظهر المهراز المشرف على المدينة، كما كانت القوات المشار إليها قد وضعت في دار الدبيبغ حتى تكون مشرفة على المدينتين فاس الجديد وفاس المدينة.

أما قوة المخزن التي كانت قد عرفت التمزيق منذ ثورة أحرارها ضد الضباط الفرنسيين، والتي لم تكن مسلحة بما يليق، فإن عدد جنودها لم يتجاوز الثلاثة آلاف إلا بقليل، وكان القواد والضباط الأحرار المؤطرين لها وقتها هم القائد سعيد البخاري، والقائد لحسن الشرادي، والقائد مبارك بوخبزة، والقائد إدريس الشرادي، والقائد قاسم، هؤلاء الذين إنضموا للثورة، أما الذين كانوا إلى جانب الفرنسيين بل ويتجسسون لهم لم نتعرف على غير الحقير بوجمعة المسفيوي(446) الذي نقل للفرنسيين أن الذي دفع الجيش

(446) لقد خدم الاستعمار الفرنسي بكل إخلاص، كما خان المغرب والمغاربة بكل قوة، جزاه الله بما قدم، وقد توفي على ملته في بني ملال يوم الاثنين فاتح المحرم 1361هـ 1942/1/19م وقبره بالزاوية الكتانية التي أسسها الفرنسيون في نفس المدينة.

إلى الثورة ضدهم إنما هو االسلطان المولى عبد الحفيظ، ولذلك كان جزاؤه منهم وهو الخائن المفضوح أن منحوه – أي المسفيوي– منصب خليفة قائد تادلة إبراهيم بن عودة ثم عينوه، بعد موت ابن عودة في منصب «محافظ» مدينة بني ملال 1913 وأضيفت إليه تادلة بعد سنة 1920 حيث بقي إلى أن مات تاركا خلفه الخزي والعار كما سجلهما التاريخ في وحقه، وذلكم هو غضب الله الأبدي الذي يخلد ذكره بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين مصداقا لقوله تعالى «ولن ترضي عنك لن اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم».

أما السلاح الذي كان يتوفر عليه الجيش المغربي، فهو لم يزد على 2000 بندقية بل ما كان الشعب يتوفر عليه من السلاح نأخذ عدده مما سجل هيبير جاك(447) لما صودر يوم 23 – 24 أبريل 1912 فكان كما يلي: بنادق عتيقة 13000 مسدسات 2000 سيوف 2000 ولا نتعرض للمدى والهراوات التي صودرت من الدور، وإذا كانت المدينة وكما أشرنا قد عرفت غليانا إزدادت حرارته حتى بلغت النهاية يوم 29 ربيع الثاني من عام 1331هـ = 17 أبريل 1912م، فإن هذه الحرارة لم تقتصر على مدينة فاس الجديد، وقصبة الشراردة التي منها كان المنطلق للفتك بالفرنسيين مدنيين وعسكريين، بل تعداها إلى القبائل المجاورة التي دخل بعض رجالها يستفسرون ويتعرفون على حقيقة ما ذاع وانتشر من إرهاب الفرنسيين للسلطان والشعب معا، فكان ذلك مما زاد النار اشتعالا حيث قدم على المدينة جموع كثيرة، كان أغلبها من المحميين في فاس غنيمة، أولئك هم فرسان القبائل المحيطة: أولاد الحاج، ولحياينة، وبني سادن، وأولاد جامع، والشراقة، وايت صغروشن ناحية فاس، وايت يوسي، ولنسمع إلى العقيد فوانواإذ يقول في الفصل السابع عشر من كتابه «الآثار المجيدة لفاتحي المغرب»(448) وما هي في الحقيقة والواقع إلا آثار للهمجية التي عرفها المغرب من فرنسا، كما عرفتها أقطار المغرب العربي الكبير، يقول الكاتب.

«لما وقع المولى عبد الحفيظ معاهدة الحماية يوم 30 مارس 1912 لم يفعل ذلك إلا على مضض، لأن المغاربة كانوا معارضون مبدأ الحماية معارضة شديدة، فأدى ذلك إلى

(447) أيام فاس الدامية ط1923، ومثله كان الوزاني بوشنافة المشار إليه قبل وغيرهما دع التازي.
(448) ترجمة خاصة للأستاذ محمد أبو وكيل الأستاذ بكلية الحقوق ص 99 – 105ط باريز 1979.

نشوب اضطرابات عنيفة، بدأت بتمرد طوابير الجيش في قصبة الشراردة، وذلك عند منتصف شهر إبريل 1912، ثم ثارت الجماهير ضد الفرنسيين المقيمين في فاس، فتعرض كثير من الفرنسيين لميتة شنيعة، واحتزت رؤوس أربعة منهم، في مقدمتهم القبطان شاردوني، ورفعت على العصي، فحاول الجيش الفرنسي الاستيلاء على الموقف باستعمال المشاة، لكن الحالة اضطرته إلى قصف فاس بالمدفعية، واستمرت الحالة في حرب ثلاثة أيام، من 17 أبريل إلى يوم 19 منه ، ولم يفت في عضد المتمردين « كذا » إلا ما رفع من أعلام فرنسا على أبواب وسطوح دور أهل فاس يوم 20 أبريل، لكن كشف أن قتلى الفرنسيين بلغوا 65 منهم 13 ضابطا وجرح578 جنديا و15 ضابطا، وأعلنت حالة الحصار إلى أن وصلت قوات الجنرال منيي بسلاحها وقوة عتادها(449) لكن من الذي كان وراء تلك الحملة المرعبة. لقد كان وراءها إلى جانب الأحرار من رجال القبائل المحيطة بفاس ومنهم السبعيون أهل موزار ودرقاوة فاس وما حولها والذين كان ينشطهم أتباع العالم الجليل أحمد بن الحسن السبعي كما تؤكد لنا ذلك الوثائق الفرنسية نفسها.

عاشت مدينة فاس ما تبقى من شهر ابريل، وخصوصا الأحرار من رجالها وهم أصحاب الصرخة الذين عرفناهم قبل والذين كان المتعاونون مع الفرنسيين يقصدون منازلهم للكشف عن الأسلحة عاشوا في عذاب أليم إلى يوم 28 من الشهر المذكور، وهو اليوم الذي عين فيه الجنرال ليوطي مقيما عاما بالمغرب، والذي قصد مدينة فاس يوم 24 ماي وتسلم مقاليد الأمور يوم 25 منه، لكنه استلمها تحت وابل من الرصاص، حيث هاجمت القبائل مدينة فاس في اليوم نفسه، مما أدى إلى قتال عنيف استمر خمسة أيام كاملة، من 25 إلى 29 ماي كان أبطاله في الطليعة درقاوة من رجال الحجامي، أولئك الذين كان رجال كبير المجاهدين منهم المولى أحمد السبعي في طليعتهم وقد جلبوا الكثير من ايت يوسي إلى ناحية صفرو، حيث حصلت أعنف المعارك التي خففت الضغط على مدينة فاس وما حولها، بسبب المعارك التي خاضها رجال ايت صغروشن وايت

(449) كان قد وصل إلى تيفلت عندما وصلته برقية الجنرال بريلار، راجع هيبير جاك المصدر السابق، ثم راجع أيضا ما أورده ابن زيدان في الاتحاف. ج 2/41-50 وذلك في ترجمته لإدريس المراني الذي قام بمهمة سياسية لدى قبيلة بني مطير، وقت ثورتها ضد الفرنسيين.

يوسي يوم 30 ماي والتي كانت خسارة الفرنسيين فيها أكثر مما سبق لهم حتى ذلك اليوم حيث أسفرت عن 223 من القتلى الفرنسيين، وجرح من جنودهم 726 كما قتل من الضباط 17 مما أدى بالمقيم الجديد إلى استنفار كل القوات القريبة من فاس، خصوصا من الناحية الشرقية، وذلك لصد القبائل التي شجعتها معركة صفرو فخيمت حول فاس ثم دارت به كالسوار بالمعصم، وإذا الجيوش الفرنسية قد توجهت أكبر قوات منها نحو الذين خيموا في فسيح جبل زلاغ من ناحية الشرق الشمالي لمدينة فاس، فإن المقاومين الذين كانوا في ناحية الشرق الشمالي، قد انقضوا على الطوابير الخلفية فاسقطوا منها مازاغ من الصفوف، وكان عددهم كبيرا، جمع – يقول فوانو– بطريقة فيها كثير من السرية حتى لايرى ذلك المواطنون ويزيد في حماسهم، وكانت قيادة المغاربة في هذه المعركة للحجامي، وقيادة الفرنسيين للعقيدة غورو الذي قيل إنه لم يعرف في حياته بالمغرب يوما أمر من يوم فاتح ماي 1912، ولذلك رقي إثر تلك المعارك الى رتبة جنرال، الأمر الذي حدا به إلى أن يتقدم في مطاردة المجاهدين إلى قبيلة لحياينة حيث وقعت أعنف المعارك على ضفتي نهر يناون ومشرع بنعيسى من يوم 17 يونيه إلى 22 منه 1912 قتل فيها من الفرنسيين 71 جندي و9 ضباط وجرح 112، ومن المغاربة 175 ولايعرف عدد المجروحين، فتحولت قوات غورو إلى ناحية سوق أربعاء تيسة التي لم يستطع احتلالها إلا في شهر مارس من عام 1913م، حيث واجهت قواته إلى جانب المجاهدين قوات السملالي بقشتالة، فكانت المعارك الساخنة كذلك من يوم 6 يوليوز إلى يوم 12 منه حيث دارت بجبل مولاي بوشتى، وكان على غورو بعدها أن ينتظر المدد بقية أيام شهر يوليوز، كما استغل المجاهدون تلك الفترة لتقوية جموعهم، فكانت المعركة الأشد عنفا من يوم 14 غشت إلى يوم 17 منه 1912وذلك بالمكان المعروف ب «العيون» قتل أثناءها من جنود الفرنسيين 87 وجرح 59 منهم 7 ضباط ومن المجاهدين 113، لكن قوات الفرنسيين التي كانت تزداد باستمرار استطاعت أن تتركز في ناحية تيسة إلا أن احتلالها كما أشرنا لم يتم إلا في مارس 1913م، ثم تقدمت إلى أوطا بوعبان الذي احتلته في شهر أكتوبر 1913م.

ومهما يكن فإن هذه الفروق الزمنية لاحتلال تلك المراكز المتقاربة لتدل كل الدلالة على أن الفرنسيين رغم كل الثقل الذي نزلوا به في نواحي فاس وما حكموه من قوة

الحديد والنار، لم يجدوا الطريق معبدا كما كانوا يتصورون، بل قاومهم رجال تلك القبائل بقسوة قاسية وعنف عنيف، ولولا خيانات ذوي الحمايات من مسلمة اليهود وأعلاج النصارى لما تم للفرنسيين ماتم لهم الا بعد زمن أطول.

وإذا هم أبعدوا الخطر القريب على إدارتهم الجديدة بفاس، بمصادرتهم كل ما كان في حوزة المواطنين بالمدينة من سلاح، وخوضهم المعارك الساخنة لإبعاد الهجوم الذي كان من ناحية الشمال الشرقي، فإن المعارك التي بدأت من ناحية الغرب والجنوب ستستمر لمدة أكثر من عشرين سنة تلك المعارك التي جعلت الفرنسيين يدفعون الثمن غاليا، فمن مدينة فاس امتدت المعارك إلى قبائل ايت يوسي، وايت صغروشن، وبني مطير، وايت مجليد، وزيان، وايت عرفة، بعدما مرت على البهاليل وصفرو، ثم إيموزار، وعين الدالية، وبعدما دارت في سايس لمدة، والتي كانت حصيلة قتلي الفرنسيين فيها 715 والجرحى 320 كما قتل من الضباط 11 يقول فوانوا، أما من جانب المغاربة فقد كان عدد القتلي 435(450).

وبعد سايس وإيموزار وقعت معارك في يفران سيدي عبد السلام أيام 20– 28 يونيه1912 كان القتلي فيها من الجيش الفرنسي 168 و86 من رجال القبائل المجاهدين، وفي معارك أگوراي التي دارت ما بين 11 – 15 يناير 1913 كان قتلي الفرنسيين 71 ومن المجاهدين المغاربة 98، لكن معارك الحاجب التي خاضتها قبيلة بني مطير ابتداء من يوم 17 مارس إلى15 أبريل 1913قد أعطت للقبائل المجاورة في الأطلس المتوسط نفسا جديدا وقوة أكثر صلابة، خصوصا وأن القيادة العسكرية للجيوش الفرنسية التي وقعت في مأزق رغم اسنادها قيادة الجيوش المحاربة إلى الكولونيل هنريس الذي ديست كرامته وكرامة جنده في الغابة الغربية للقبيلة يوم 14 مارس، الأمر الذي دفع إلى إلقائه بكل ثقل

(450) لقد كنت أود القيام بدراسة ميدانية لنفس المنطقة كما فعلت قبل في جهات متعددة حيث دونت أسماء بعض الشهداء الذين خاضوا المعارك المذكورة، ولكن واقع الظروف السياسية، وماجدّ في المغرب من رقابة وتضييق على كل من يحاول القيام بمثل ذلك، سواء في المدن أو البادية، حال بيني وبين الدراسة الميدانية في الموضوع والتي أصبح المواطنون في بعض الجهات النائية يقابلون بتحفظ خوفا من السلطة المسلطة عليهم بلا حسيب ولا رقيب وكما تسجل بعض ذلك الصحافة الوطنية حيث عادت الظروف كما كانت قبل. بل أشد بالاختطاف والقتل الذي تزعمه كل من محمد أفقير وأحمد الدليمي وزبانيتهما ابتداء من عام 1962.

القوات الفرنسية وما استنجدت به في هذه المعركة، مما أدى إلى احتلال مدينة أزرو، لكن بعد شهر وأسبوع من القتال العنيف تمكنت بعده قوات الفرنسيين من دخول المدينة يوم 21 أبريل 1913م.

ومهما يكن فإن التاريخ قد سجل في هذه المعارك ماسجل من أمجاد القبيلتين بني مطير وايت مجليد اللتين قاتل رجالهما بكل شجاعة، الأمر الذي دفع الفرنسيين إلى العمل بكل الوسائل للفصل بين القبيلتين وإحداث الشقاق بينهما حتى لا تكمل قوة إحداهما الأخرى. وهكذا بعد إحتلال إيموزار وأكراي والحاجب وأزرو ويفران سيدي عبد السلام، تمكنت قوة الاحتلال من وضع خطة جهنمية لمحاصرة ايت مجليد الشمالية، حيث استعملت المدافع الثقيلة وحشدت الكثير من قوات الاحتلال بلغت كما يقول الكولونيل فوانوا فصل 18 عشرون ألف جندي "20000" ووقتها خططوا عسكريا لاخضاع ايت مجليد والهجوم على زيان حيث القائد محمد احمو الزياني صهر المولى عبد الحفيظ الذي كان السلطان المذكور قد زوده بالمال الكافي 100,000 ريال لجلب ما حوله من القبائل وإعلان الجهادضد الفرنسيين كما يخبرنا بذلك الخديم الخاص للسلطان المذكور وهو إدريس ولد منو الذي نقل عنه المرحوم محمد المختار السوسي في ما كتب من مذكرات إدريس ولد منو« حول مائدة الغداء»(451) التي كان يلتقي حولها مع المرحوم محمد المختار السوسي، وهكذا سيعرف المغرب الغزو الفرنسي من أقصاه إلى أدناه شمالا وجنوبا وستستمر المقاومة المسلحة من قبل الشعب المغربي ضد الفرنسيين إلى سنة 1934م ومع ذلك سوف نجد من يكتب حول هذه المرحلة من تاريخ الغزو الفرنسي وأن المغاربة لم يقاوموا تدخل الفرنسيين بقدر ما كانت القبائل السائبة تقاوم نفوذ المخزن وما هي إلا فرية مفضوحة تكشفها تلك الرسالة "السلطانية" التي كان ليوطي ومحمد كاباص «الجباص» عملا على نشرها وعليها طابع السلطان قصد تحقيق الاستسلام وعدم المقاومة بدعوى أن للسلطان

(451) راجع حول مائدة الغداء ص 104ط أبناء المولف مطبعة الساحل الرباط بدون تاريخ، يكفي أن يقرأ الرجفون والعملاء تلك المذكرات ليتعرفوا على ما عرفه ولد منو من نكال الفرنسيين لمجرد أنه كان من خدم المولى عبد الحفيظ والذي يجب شكره على ما احتفظ به من أسرار، أضيفت إلى ما خلده المؤلف حول القائد الناجم وملاحمه في المسول ج 20 وغيره كما أن الكاتب وصاحب المذكرات معا خلدا في حق المولى عبد الحفيظ ما يستحق من الوفاء.

وقع الحكومة الفرنسية معاهدة باسم الحماية، وبمقتضاها فإن أية مقاومة بالسلاح لاتعتبر جهادا مادامت بغير أمر الأمير، وإنما هي خروجا عن الإجماع..؟ الخ.

كانت هذه الرسائل قد أعطي الكثير منها إلى الجلاويين الذين وزعوها على قواد الحوز وناحية مراكش وسوس، لكن دعاية الألمان وأنصار الذاتية المغربية لم يقبلوا مفهوم تلك الرسائل التي كانت تشم فيها رائحة صناعة ليوطي وأذنابه محمد «كاباص» الاسباني الأصل التلمساني النسبة المغربي الموطن، والذي أصبح يعرف ب « الصدر محمد الجباص» وهو ليست له جذور في هذا البلد الأمر الذي أحدث فتنة سياسية في المنطقة الغربية من البلاد، تزعمها أحمد الهيبة في سوس، كما تزعمها عبد الملك وهو ابن للأمير عبد القادر الجزائري في الشمال، وكلاهما من الذين اغتروا بخديعة الألمان وسوء مقاصدهم، كما اغتربهم المولى عبد الحفيظ رحم الله الجميع وكما سنرى بعد.

لفيف من الجنود الفرنسيين الذين دفعوا لاضطهاد المواطنين بمدينة فاس يوم/1912/4 17 فكانت النتيجة أن أبيدوا جميعا بيد جماعة درقاوة بقيادة الشريف الحجامي والمولى احمد بن الحسن السبعي كبير مجاهدي الأطلس والجنوب

مذبحة مدينة فاس 1912
الرؤوس معلّقة بجدار المدينة انها المدنية الفرنسية

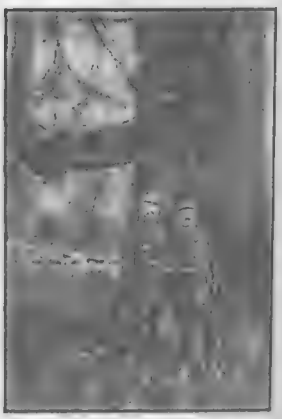

1) الجنرال كورو عن اليمين ببلاد آيت ازدگ 1917
2) الكولونيل "العقيد" بواميرو عن اليسار

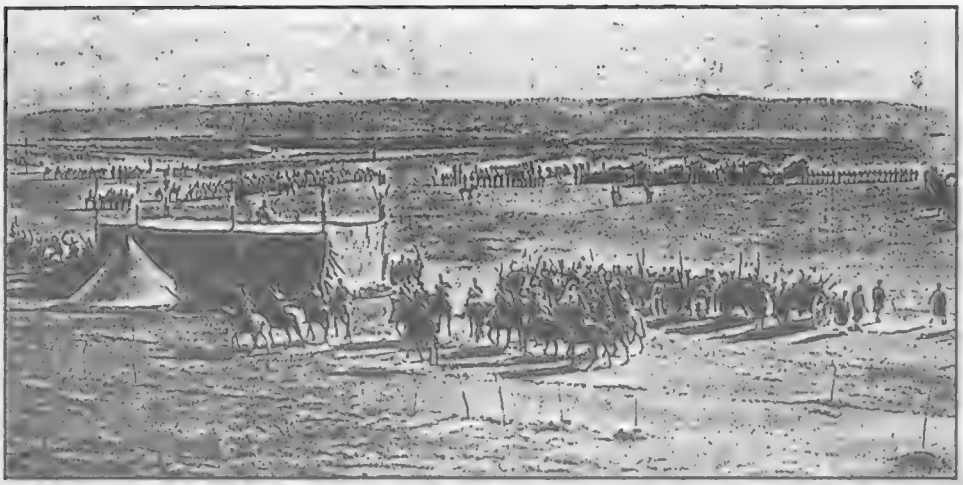

جيوش الإحتلال بمنطقة أنكاد في طريقها للغزو

الجنود الفرنسيون ومظاهر التخريب
بعد حوادث 17 ابريل 1912

احتلال مدينة وجدة يوم 29 مارس 1907

الكولونيل لاكيار ضابط دائرة كولبشار وجماعة الضباط في عين الشعير ومعهم المتعاون محمد أفقير عام 1903.

دار العميل كاباص المعروف بـ "محمد الجباص" بمدينة فاس وقد تحولت إلى مركز التمكين للاحتلال الفرنسي ووضع برامج الغزو. فكان جزاؤه منصب الصدارة بعد فرض الحماية

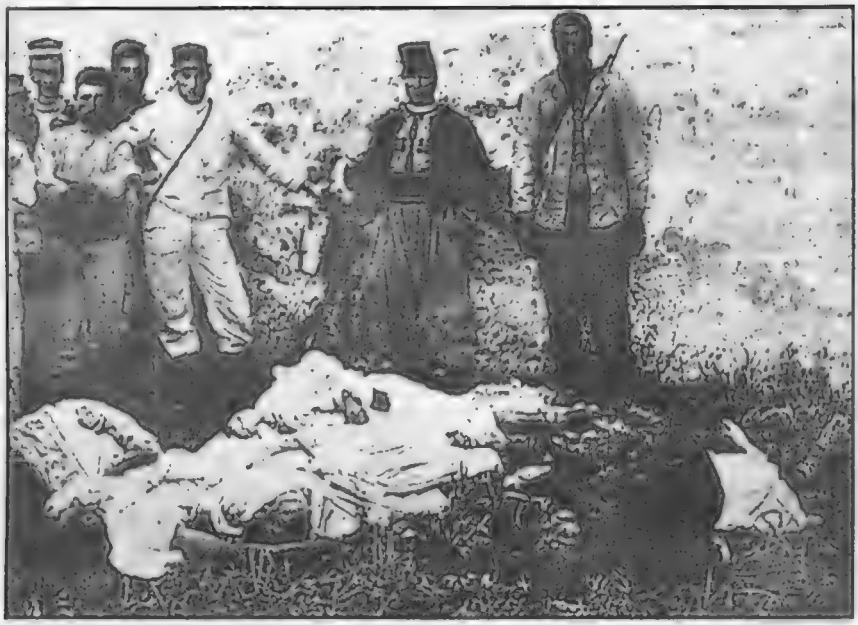

جنود الاستعمار أمام جثث الشهداء من المقاومين

معسكر جنود الاحتلال

فاس احداث17 أبريل 1912

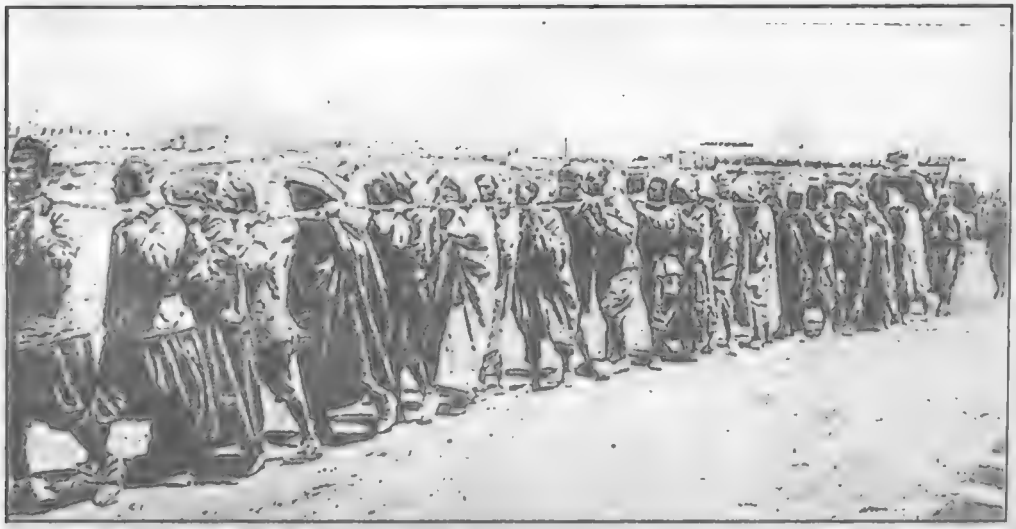

المقاومون للاستعمار بعد الأسر وفي أعناقهم السلاسل

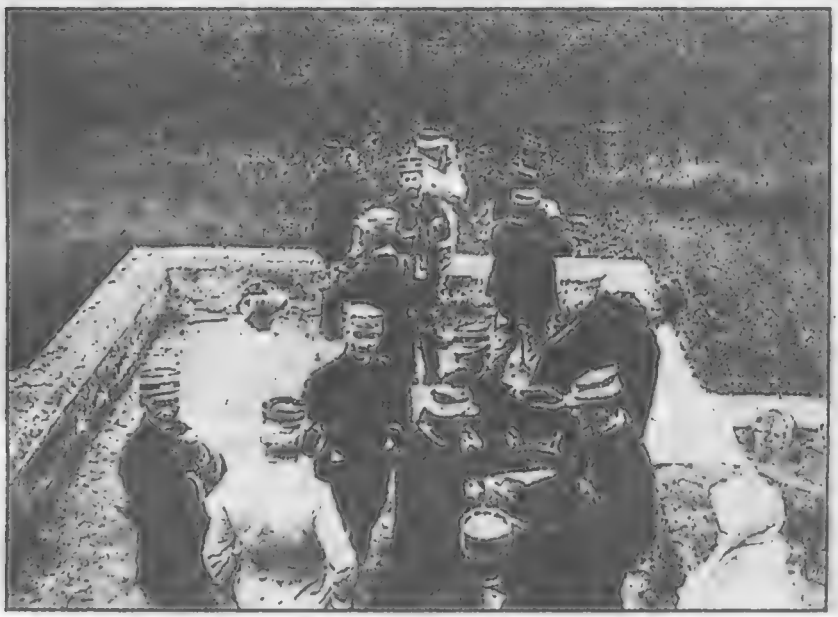

بعض فرق الجيش وقد
أصبح تحت تصرف
الضباط الفرنسيين

الجيش المغربي إشراف
الفرنسيين

الضباط الفرنسيون والجيش المغربي ويظهر في الصورة بوشتى بن البغدادي

الفصل السابع عشر بعد المائتين

جهاد السوسيين والباعمرانيين بقيادة الناجم

بعد جولات ماء العينين في شنقيط(452) وسياحة

أحمد الهيبة أبو حمارة الألمان في مدينة مراكش

كانت منطقة شنقيط التي أصبحت مغربية منذ القرن الثالث قبل الميلاد والتي منها خرج المرابطون وبطلهم يوسف بن تاشفين العظيم، قد عرفت هي الأخرى من مؤامرات الاستعمار ما جعلها تضطرب زمنا غير قصير، لكنها وكما رأينا قبل وقد انتقلت إليها قبيلة بني حسان إبان بني مرين ثم أصبحت عربية خالصة تمكنت فيها العلوم وثقافة العرب، وعرف التاريخ من علمائها الكثير ممن كانوا ولايزالون محل اعتبار وإكبار في تاريخ المغرب العربي الكبير، أولئك الذين مكنوا لروح الاستقلال من نفوس أهلها حتى إننا لنجد من بين شعرائها من يذكرنا بشعراء الجاهلية لغة، ومن الفقهاء والأدباء من يعتز بهم تاريخ الاسلام في تلك الديار، التي عرفت ظلم الفرنسيين واعتداءاتهم بعدما احتلوا السنغال، لكنهم لم يحققوا شيئا من أغراضهم وقتها، إلا أنهم حاولوا الاحتلال عام 1903 حيث أخذوا يتوغلون فيها سلميا بقيادة كوبولاني المشار إليه قبل وهو صاحب كتاب الزوايا، والذي استطاع أن يحتل الترارزة عام 1903 والبراكنة 1904 وفي سنة 1905 بدأ كوبولاني يهاجم منطقتي تاگنيت وأدرار لكنه قتل في زحفه على أدرار يوم 12 ماي1905 فقررت فرنسا وقف التوغل بعد مقتله.

---

(452) في ترجمة ماء العينين أنه ولد بتاريخ 1246/8/17 وتوفي ليلة 1328/10/21هـ كما عند صاحب المسول ج 83/4 وقبره معروف بمدينة تزنيت، وفي معجم الشيوخ ج 2ص 37ط فاس 1352هـ 1933م ومعلمة الصحراء ملحق 1ص 132 والمعسول 113/302/4 وحياة الشيخ لولده مربيه ربه، والسلوة 356/3 ونسب ماء العينين خ ع 1560د وقيل بلغت مؤلفات ماء العينين نحو الأربعين في مختلف العلوم والفنون راجع المعلمة 172– 176.

في هذه المرحلة كان رجل المقاومة في هذه الديار أحد الأشراف الأدارسة ومن علماء تلك الديار وهو الشيخ ماء العينين الذي يرفع نسبه الى عبد الله بن ادريس وهو الذين كان مقره باسمارة، والذي استولى على أدرار عام 1902 ثم ولى عليها أحد تلامذته، ولما هاجم الفرنسيون أدرار انتقل الشيخ إلى مراكش ثم توجه إلى مدينة فاس يطلب العون من السلطان عبد العزيز، فأرسل هذا الأخير ابن عمه إدريس حفيد المولى سليمان إلى شنقيط، ولما حل بها نظم هجوما على الفرنسيين بمنطقة تاگنيت قضى فيها على كبار الضباط الفرنسيين، فكانت الخسارة كبيرة إلى درجة أن الفرنسيين يئسوا من استمرارهم في المنطقة فأرسل الأهالي إلى السلطان عبد العزيز يطلبون منه إرسال حامية لتنظيم البلاد وذلك بواسطة وفد حل بفاس في عام 1325هـ فبراير 1908 لكنهم رجعوا بدون حامية وكان قد انتهى أمر تدخل وخيانة عبد الكريم بن سليمان كما سبق مما مكنهم بعد بالكثير من السلاح زودهم به عبد الحفيظ الذي مكنهم من حماية بلادهم وتنظيم المقاومة بواسطة حسانة ابن الشيخ ماء العينين، واستمرت المقاومة لمدة أربع سنوات من1908 إلى 1912 كلفت الفرنسيين وقيادتهم التي كان على رأسها«لاكون» خسارة كبيرة، لكن ما حصل في الوطن الأم من تمزيق بعد فرض الحماية، وطول زمن المقاومة حول أرض شنقيط حسب اعتبار الفرنسيين إلى مستعمرة فصلوها عن المغرب بعد عام1920م حيث قسموها إلى 8 دوائر ثلاثة مدنية، وخمسة عسكرية وعلى كل دائرة حاكم مدني(453) أوعسكري .

كانت ناحية سوس أجادير منذ أواخر القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين وكما رأينا مستهدفة ومقصودة من الألمانيين الذين حاولوا فيها المحاولات المتعددة والمتكررة والتي انتهت بمشكل باخرة البانثر عام 1911 والاتفاق مع الفرنسيين على المغرب والكونغو يوم 1911/11/4 كما سبق، ومع ذلك ثم فرض الحماية الفرنسية على المغرب وتوقيعها تحت ظروف القهر من السلطان عبد الحفيظ وإدراك الألمانيين أن الشعب لم يقبلها وخصوصا منطقة سوس ومراكش التي رفضها رجالاتها من أول وهلة بل توا قامت ثورة الجلوليين والنكنافيين بقيادة القائد بن عبد الرحمن الجلولي(454) وانفلوس

(453) راجع أيضا حول حرب شنقيط مجلة لوليستراسيون عدد 4716 بتاريخ 22 جويي 1933ص 432.

(454) راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية ملف المولى عبد الحفيظ و جريدة العلم =

اللذين شجعا قومهما أهل حاحا والجلوليين ضد الفرنسيين، فكانت المعارك التي قادها القبطان ماستي ضد المواطنين والتي قتل فيها من جيش الفرنسيين ضابطا وسبعين جنديا، فرضت غرامة فديتهم على النكنافيين والجلوليين وبذلك تجددت آمال الألمانيين المتهالكين على تلك المنطقة حتي يصطادوا في الوحل، ومن أجل ذلك كثفوا اتصالاتهم بالكثير من المواطنين بل ورجالات الدولة وعلى رأسهم عيسى بن عمر العبدي الذي كان وزيرا للخارجية أيام المولى عبد الحفيظ، والذي انتهى به حماسه لسياسة الألمان إلى أن مات مشردا في مدينة سلا كما سبق، بل السلطان عبد الحفيظ نفسه اغتر بهم فكانت له اتصالات خاصة معهم أيام ملكه وسرية بواسطة الأتراك أيام وجوده بطنجة، ثم مدريد بعد تنازله حيث اغتر بالألمانيين ضباط الترك الذين التجأوا إلى المغرب في عهد السلطان عبد العزيز وظنوا أن عداوة الألمان للفرنسيين يمكن أن يستفيد منها المغرب، بيد أن غدر وحقارة وخبث الألمان أخف منها رذالة الفرنسيين، لأن العقد النفسية التي تركزت في الألمانيين لا يتوفر عليها أي جنس غيرهم، وبطبعهم الساقط ذاك كانوا يختارون ألوان الدعاية التي تؤثر في أحرار المغاربة وتدفع بهم إلى قتال الفرنسيين القتال العنيف المندفع بالحقد والكراهية دون أن يمدوهم ولو بالسلاح المضاد للذي عند الفرنسيين، والذي كان يفتك بالمغاربة من مدافع ورشاشات رغم أنهم بعد اتصلوا بأحمد الهيبة عام 1913 ثم في شهر نفمبر من عام 1916 حيث تلقى مراسلة بالتأييد ومد الأمل في المساعدة من كل من سفيري ألمانيا وتركيا بمدريد واللذين وعداه بارسال الأسلحة حتى يستمر المجاهدون في قتالهم ضد الفرنسيين كما نشطوا الدعاية التي كانوا قد نشروها ضد الغزو الفرنسي بواسطة جماعة الجهاد الإسلامي الذين اتصلوا بالمولى عبد الحفيظ أيام وجوده بمدريد فأقبل عليهم وسنرى من نتيجة ذلك ما قام به الريسوني وكذا محمد بن عبد الكريم

= بتاريخ 1972/1/17ص 3. وفي الملف المذكور توجد بعض الوثائق الألمانية التي زود بها الألمان محمد بن عزوز أثناء سفارته زمن المولى عبد الحفيظ 1910 الذي انتهي كرئيس لوزراء المنطقة الشمالية مع الخليفة السلطاني وهي الوثائق التي كشفت تجسس عبد الله الفاسي الذي كان قد رحل في سفارة لباريز مع محمد المقري وبن غبريط وحماد المقري ومحمد بن عبد الله الرباطي عام 1910 والتي فيها سلط الفرنسيون زوجة السائق على محمد المقري وبعض الهدايا التافهة على عبد الله الفاسي راجع كتابنا التاريخ المفترى عليه في المغرب الخ وتاريخ أعيان المغرب الأقصى مصدر سابق.

الريفي بعده . ولقد كان الفرنسيون يعلمون(455) ذلك فيزيدهم اندفاعا في التركيز على تلك المنطقة، ثم منطقة الشمال حيث كان عبد الملك ابن الأمير عبد القادر الجزائري الذي كانت له حظوة عند السلطان عبد الحفيظ والذي وقع تحت تأثير نفس الدعاية بل والتي ربما استوردها من واقع دولة ال عثمان وقتها وما سبق أن وضحناه في عهد عبد الحميد مع غليوم «فلهلم» 2 المبتز، فقط ظهر عبد الملك في الشمال المغربي حيث استطاع ان يتزعم الكثيرين ممن كانوا بقية قوافل الجهاد التي كان يقودها كل من أحمد الريسوني واحميدو السكان من 3 ماي 1913 إلى 7 ماي 1922م حيث اشتدت المعارك في منطقة الشمال مما دفع بالفرنسيين ولما يتمكنوا بعد من ربط شرق المغرب بغربه، إلى أن يخوض كل من الجنرال شاربيه والكولونيل إربيرت معارك ساخنة ضد عبد الملك وجماعة المجاهدين في الشمال ما بين ورغة وامسول العالي من شهر مارس إلى غشت 1917 ثم استؤنفت بعد إلى شهر أكتوبر 1918 فكانت الحملات الساخنة أيضا في بني وراين حول مطماطة واتسيوانت منعا لارتباط مجاهدي الشمال بالجنوب.

في مدة الخمس سنوات بعد مؤتمر عقد الجزيرة مباشرة أي من 1907 إلى 1912 كشف الألمان دعايتهم ضد الفرنسيين، واشتدت أكثر في الوقت الذي استشعروا فيه أن فرنسا انقضت على الفريسة بالفتك والتمزيق أرادوا لها أن لا تبتلعها إلا وهي ممرغة في الأوحال وشظايا الزجاج، وكأن الألمانيين إنما كانوا ينتقمون من الجانبين، فكان من بين ضحايا دعايتهم في الجنوب الغربي من المغرب بما في ذلك إقليم سوس والصحراء وما في المنطقة من قواد ورجال الزاويا وغيرهم من الذين كان لهم تعلق قوي وشديد بالوطن، الأمر الذي دفع إلى البحث عن مطية دينية تمثل دور أبي حمارة لقيادة المجاهدين، خصوصا وأن من جملة الدعاية التي زعزعت استقرار المنطقة إشاعة موت السلطان عبد

(455) راجع جريدة السعادة 2 ماي 1917 بل كان الفرنسيون من حين لاخر يلقون بمنشورات يحذرون فيها ممن سيظهر في الناحية الغربية، ومن هذه المنشورات ما كان مؤرخا بتاريخ 16 رجب 1323م ومعنى هذا أن محاولات الألمان ربما استشعر بها الفرنسيون في الوقت الذي دفعوا فيه أبو حمارة، راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية أو مديرية الوثائق، ولذلك فكر الألمانيون كذلك في صنع أبي حمارة لهم في المنطقة التي ركزوا فيها نشاطهم فكان هو أحمد الهيبة أبو التمائم الذي يخجل المرء من عرض مفترياته وماكان يقوم به وقت دخوله مدينة مراكش باسم مقاومة الفرنسيين 1912م راجع المعسول للمرحوم محمد المختار السوسي جـ 20.

الحفيظ بعد توقيع الحماية.

كان في المنطقة السوسية أحمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين محمد المصطفى المعروف منذ عهد أحمد بن موسى وصراعه مع آل الجامعي، والذي بعد انتصاره عليهم زاد في اعتبار ماء العينين الذي كان بحق يستحق كل إكبار لمكانته العلمية وثباته على المبدأ ثم تمسكه بحريته أيام غزو الفرنسيين لشنقيط بقيادة الكولونيل كورو كما سبق ففر منها الشيخ إلى مدينة تيزنيت التي استوطنها إلى أن مات رحمه الله أيام السلطان عبد الحفيظ الذي بالغ في تكريمه عام 1328هـ 1910م تاركا أسرته بنفس المنطقة وعلى رأسها أحمد الهيبة الذي ولد 1293هـ = 1876م ومعنى هذا أنه حين فرضت الحماية على المغرب كان أحمد الهيبة قد بلغ سن السادسة والثلاثين، ثم هو إلى جانب وراثته لمكان والده شكلا قد مهد له ومكن له في قلوب بعض السوسيين الذين عرفوا بتكريمهم للعلم وحبهم لال البيت ورجال الدين ، ولم يجمع أحمد الهيبة بينهما فهو من الأشراف الأدارسة سلالة عبد الله بن ادريس الذين عرفت أسرتهم بأشرف المواقف تمكينا للدين وحفظا لوحدة المغاربة منذ عهد إدريس بن عبد الله الكامل، وبالتالي فأسرة ماء العينين وقد كان حيا يوم أعلن عبد الحفيظ ثورته ضد التدخل الأجنبي وقد كانت الدعاية له كما رأينا بواسطة المثقفين من أبناء المنطقة الذين كانوا يدرسون في ابن يوسف بمراكش أولئك الذين مكنوا لدعاية عبد الحفيظ بين المواطنين إلى غرب سوس وتخوم الصحراء، فكان سكان المنطقة من أكثر المتعلقين به وأشدهم حبا لشخصه لأنه نشأ وتعلم بينهم في بلاد أحمر إلى أن أصبح خليفة لأخيه عبد العزيز بمدينة مراكش، ولما بدأ التدهور السياسي كان من المقاومين له تشهيرا بالفرنسيين بعد حادثة الدكتور موشان ومأساة المفترى عليه عبد السلام الورزازي أول وطني مثالي عرفته مدينة مراكش زمن التدخل الأجنبي.

وإذا كان الألمانيون يعرفون هذه الحقائق فلا أقل من أن يشعلوها ضد الفرنسيين الذين شبت نيران الحروب ضدهم شرقا وغربا وهي بعد لم تشتعل في منطقة مراكش وسوس، ولذلك عليهم أن يوجهوا دعايتهم المثيرة إلى جماعة القواد المتعلقين بعبد الحفيظ نشروا بينهم أنه مات« حين وقعت المذبحة الهائلة بفاس أواخر ربيع 2 عام 1330هـ /17

أبريل 1912م(456)، وإذا ماتناقلت الأخبار هذه الدعاية في المنطقة ثم نشر معها فكرة حرب الجهاد دفاعا عن حوزة الدين والوطن، وهو يحتاج شرعا إلى قيام رمز ديني كأمير ينصب بإسم الإمام المجاهد، فإن الذي كان يعمل لذلك ثم هو رشح نفسه بواسطة بعض القواد الذين قيل إن والده كان أوصاهم بمساندته إن هو قام وادعي الإمارة مما يستدل به على أن الطموح الأهبل كان قد ظهر منذ ما بعد ثورة عبد الحفيظ وتدهور الأوضاع زمن عبد العزيز، وقد عد بعضهم هذا الطموح من باب الكشف المزعوم(457) وما هو في الحقيقة إلا خرافة وغرور وشطحات موهوم، حيث نصب أحمد الهيبة نفسه سلطانا بدافع الدعاية الألمانية التي اتخذت منه أبى حمارتها ثم جرفته حتى أنه وضع طابعا باسمه مثل طابع السلطان وكما فعل أبو حمارة أخذ يمهر به ظهائر توليته بعض القواد وحتى يتمكن ولا يبقي للناس تعلق بصاحب الحق الشرعي أخذ القوم ينشرون في الناس «أن مولاي عبد الحفيظ مات وأن العلماء بفاس قتلهم الفرنسيون» كذا «واستولى على فاس»(458) دون أن يذكروا للناس أنه قد حل مكانه صنوه المولى يوسف.

كان أول من تأثر بهذه الدعاية ثم تطوع للعمل من أجلها والتمكين لمقاصدها المتمثلة في التركيز لأحمد الهيبة، وذلك بالمال والسلاح هو القائد عبد الرحمن الگلولي الحاحي الذي كان يتمتع بالحماية الألمانية، والذي اتصل بأحمد الهيبة اقتداء بآبائه الذين كان لهم اتصال تكريم بآباء صاحبه الذي زين له أن يكون سلطانا، خصوصا صنوه سعيد(459) كما كان من المتحمسين لذلك عياد خليفة القائد عبد السلام الجراري وامبارك أبو الباكور التيزنيتي، ثم حيدة ولد أميس المنابهي الجلالي الذي قيل إن ماء العينين أوصاه بمؤازرة ولده إن هو قام للإمارة؟؟؟.

أما القبائل التي ناصرته فهي:

أولاد أبي السباع

أولاد ديمان

---

(456) راجع الاعلام لابن إبراهيم ج 2/290- 91ط فاس 1936م.

(457) راجع إيليغ للمرحوم المختار السوسي رحمه الله ص 305 تعليق 605 ط 1965.

(458) نفس المصدر السابق الأعلام.

(459) سماه في إيليغ المصدر السابق باسم إمبارك.

أولاد عمى
أولاد سيمون
أولاد كشار
أهل الشيخ عياص
المغافرة
أهل الحوض
إيدا وعلي

لكن تلك الأحلام التي داعبت أفكار أحمد الهيبة ثم جرت عليه الويل والثبور سرعان ماتدارك الموقف قائد وبطل عظيم مجاهد هو القائد الناجم لخصاصي الذي أنقذ الموقف بتوليه قيادة المجاهدين بل والذي أذاق المستعمرين المرارة بقيادته لأحرار سوس والمجاهدين منهم.

أما قبائل سوس التي قاومت الاستعمار الفرنسي والألماني معا بل والتي عرضت أحمد الهيبة إلى الدمار هي اشتوكة، آيت امزال، وآيت باها، وآيت اصواب، وايت والياه، وآيت تيليوتزروالت وايدا وسملال، وآيت أحمد ومجاط، وأهل يفران، وآيت الرخى، والأخصاص، وأهل الساحل ورسموكة، وإيدا وباعقيل، وأولاد جرار، وآيت بوريم، أهل أكاو، وأهل المادر، وأهل ماسة، وأهل تيزنيت، وإيدا ومحمود، إيدا وزيكر، آيت تيفاوت، آيت عبد الله، إيدا وسكاوفلا، توفيازت آيت علي، ايبرباكن، إداودرار إيضافن، إيدا وزكرى، آسا، إيدا وكنسوس ايدا ونضيف، إيداوزدوت، إيدا وزال ، آيت تمنت، آيت يوسف، إيكونسان تيكوكة مدلاوة، إيدا ومستوك، إيداوكيس، كداشة، فوزارة، تيكلجونت، أوناين ايت سمك ايصندالن، إيداوزال، كطيوه، إيداوفينيس، تيكوين، أرغن تيوت، تالمت، المنابهة أولاد يحيى ، ايت إيكاس، ايت واصيف، منتاكة، آيت وازون، ايبروتن، مسكينة ايدا وبوزيه، ايت عيسى، آيت عامر، إدا وگاول، إيدا وترومة ، إيمركاد نكنافة، إيدا وكرود، إيدا ويساوة آيت زالطن، إيدا وزمزم، أوريكة، ايت وانكريم هوارة ، إيفصفاص أهل تينكرت گوسمة ثم ناحية تافراوت، إماموز إيكونان، ايت عبد الله وسعيد، ايت وافكا، إيغشن، أملن، كلميم، تكنا، ايت حربيل، إسموكن، ايت إمربيل، قصور آقا، تزونين،

تيزكي فم الحصن أولاد جلال، قصور تيسينت واقا وطاط.

كان الذي دفع بالهيبة إلى الميدان وربما حسب تخطيط الألمانيين الذين نشطوا الدعاية أكثر في هذه المرحلة وقتها ما بين السويرة وأجادير ، بواسطة التاجر الألماني «مرون» الذي كان إلى جانب الدعاية ينثر المال حتى وصل بعضه إلى القائد الناجم الذي نص على ذلك في مذكراته بكل بساطة(460) لان ذلك حسب اعتقاد بطلنا كان لمعرفة بينهما...؟ ومتى عرف الألمانيون بالوفاء؟ ناهيك وأن ذكر« مرون» ورد حين الكلام عن المبعوث الذي أرسلوه إلي عيسى بن عمر العبدي. الذي اغتر بهم والذي دفع الثمن غاليا بعدما تم فرض الحماية.

تحت ضغط تلك الدعاية والجو المشحون بحرارة الكراهية للفرنسيين الذين ظهرت تحركات العملاء المتحمسين لهم من آل الجلاوي الثلاثة منذ اكتشاف مؤامرة المدني زمن أبي حمارة، والذي رجع الى مدينة مراكش حيث ينتظر وأخويه التهامي وحمو تمكن الفرنسيين حتى تعود إليهم السلطة التي افتقدوها بتولية إدريس ولد منو باشوية المدينة من المولى عبد الحفيظ.

كان أحمد الهيبة وقد هيأ له الگلولي، واستعد حيدة ولد اميس ليكون من خدامه وأنصاره قبل أن يرتد ويتفرنس- كان ينتظر الإجماع حتى يقوم للدفاع وقتال الفرنسيين بعد أن يدخل مراكش، وذلك كان هو تخطيط المجاهدين من أهل سوس، والذين كان من أول المتحركين منهم لتحقيق هدف أحمد الهيبة والتمكين له اغترارا الشريف أحمد الهشتوكي الإيلوكاني، الذي اتصل بقواد الجيش التابعين للمخزن، والذين تم جمعهم بدار القائد عبد المالك المتوگي ما بين يوم 18 جمادى الأولى واخره من عام 1330هـ =1911م(461) وذلك حتى يقدموا أحمد الهيبة كإمام للمجاهدين لكن ابن الباكور التيزنيتي، وحوله أجلاف الأعراب حولها إلى سلطنة حولت الموضوع من أساسه إلى خرافة في اعتبار الجميع، لكن التنصيب تم تحت ضغط همجية أجلاف الأعراب الذين

---

(460) المعسول ج 98/20

(461) وقتها كان السلطان عبد الحفيظ لايزال موجودا وأن الحماية بعد لم توقع، وقد ورد مثل هذا في ت إليغ ص 306 وهو ما يحتاج إلى وضوح.

استوحشوا بعد مؤتمر « تالعينت» ثم تكاثروا بالآلاف، حيث كونوا لهم شبه جيش التتار لما دخل مدينة بغداد، ولم يكن لهم من قصد غير تحقيق ماكانوا يسمعون عن ملذات ورفاهية سكان مدينة مراكش ومومساتها، وأن سكان المدينة غير مسلمين في نظرهم وحسب اعتقادهم الفاسد أخزاهم الله، فقد كان الكثير من أولئك القوم وحتى اليوم يتصنعون التخلق بالدين ، وهم في واقع سلوكهم حرب على الدين.

لما اعتزم أحمد الهيبة دخول مدينة مراكش كأول مرحلة في طريق العمل ضد الفرنسيين كانت القوة الصادقة من أهل سوس: هشتوكة، وهوارة، وجزولة، وأزغاروالسباعيين، وآيت باعمران والأخصاص، ومجاط، وولتيتة، وآقا، وعدد قليل من الباعقليين، وأهل حاحا، ولم يتخلف عنه ويرفضه غير سملالة، كما يقول صاحب المعسول رواية عن القائد الناجم طيب الله ثراه.

باسم هؤلاء أمكن لأحمد الهيبة أن يتمكن من دخول مراكش يوم 1912/8/18 وينصب نفسه من أجل الجهاد، إلا أنه كان بشكله وتمائمه وسلوكه غير كفء ولا هو مستعد للإستشهاد، بل الذي استعجله هو تنصيب القواد على مختلف المناطق حتى يجمع الأموال، كما نصب إخوانه خلفاء له، مثل ما كان عليه السلطان عبد الحفيظ حيث ولاهم تزنيت ومراكش بل وغيرها، كان القوم يحسبون أن الغاية من دخوله مدينة مراكش حتى يقيها شر غزو الفرنسيين، لكن كان عكس ذلك بسبب تصرفات قومه ثم تصرفاته وعصابته التي منها صنوه المسمى مربيه ربه، حيث كانوا عبارة عن لصوص ماديا مفسدين أخلاقيا.

عند بعضهم وجهلا بما حصل كانت مقاصد أحمد الهيبة « شريفة» لكن الواقع وما قام به يجعله خرافة، ويجعل مقاصده غير شريفة، بل المقاصد الشريفة كانت من قبائل سوس ورجالاتها، يتقدمهم القائد الناجم الأخصاصي.

من الذي دفع أحمد الهيبة إلى أن يضع لنفسه طابع السلطنة في الوقت الذي كان للبلاد سلطان شرعي حسب العرف نصب بعهد من المبايع شرعا وبيعته أصبحت عامة بالإجماع؟ بل ماهي النوايا والمقاصد التي ظهرت عندما دخل أحمد الهيبة مدينة مراكش يوم 8 رمضان 1330هـ 18 غشت 1912 بعدما أعادها الأوروبيون بأسبوع، وما هي

التصرفات الشيطانية التي بدرت من أخيه المسمى مربيه ربه، وما هو في الحقيقة إلا مربيه شيطانه، كما شهد بذلك كل الذين عايشوا تلك الفترة ثم أدلوا بشهاداتهم مكتوبة ومحفوظة، كما يخبرنا القائد الناجم نفسه وإدريس ولد منو(462) ذلك أنه وأحلاف الأعراب الذين كونوا حوله القوة غير النافعة، والذين كبتوا الجميع ماعدا الذين سايروهم في تصرفاتهم الشيطانية وأخلاقهم الساقطة، أولئك الذين ماكادوا يدخلون مدينة مراكش التي مهد لهم طريقها قواد المخزن وأهل سوس عن حسن النية وجميل قصد حتى انقلبوا وكبيرهم إلى شياطين مجرمين حيث أخذوا يأكلون في أيام رمضان جهارا، ويختلفون على دور المومسات، بل ويغتصبون المحصنات ويعتدون على ممتلكات الناس ظلما واعتداء، يتقدمهم المسمى أبا ولد الحبيب، وبالتالي وكما يتذكر الأحياء بمرارة بعدما كانوا عند الأغرار الأمل، أفسدوا على الناس حياتهم، فرموهم بما يليق من إجرامهم بل أصبح غير الواعين يستعجلون قدوم الفرنسيين على مذهب الجلاويين، ولولا أن قيض الله للمعركة رجل شهم بطل هو القائد الناجم الأخصاصي السوسي 1284–1381هـ 1961م الذي أطر ذوي النوايا الحسنة ليخوض بهم من المعارك ما حفظ التاريخ ، لكانت الصفحات التي يدونها التاريخ في حق أحمد الهيبة وإخوانه وقومه أخس صفحات أيام المقاومة لما بعد الحماية، في تلك المنطقة ، وقد كانت كذلك بالنسبة لأحمد الهيبة وجماعته الذين كان عملهم لغير الله. فاخزاهم الله.

كان القائد الناجم ورفيقه يرعاه السباعي – قيل بالولاء – من الذين وفوا مع أحمد الهيبة حتى النهاية، وإن كان يرعاه أخيرا مل وتراجع، لكن في الوقت المناسب حتى لايظلمه التاريخ.

كان الناجم قائد حرب منذ عهد السلطان عبد العزيز أيام فتنة «أبو حمارة» وهو الذي قبضه باليد زمن عبد الحفيظ كما سبق، أما الثاني فإنه كقائد مخزني عمل كوزير

---

(462) المعسول 20/78–166 ومذكرات ولد منو «على مائدة الغداء» لنفس المؤلف ص 90–102 مطبعة الساحل بدون تاريخ، والإعلام لابن ابراهيم 2/289– 303 ط فاس 1936 وإليغ قديما وحديثا ص 305 خصوصا تعليق 605 . بعد إبعاد مافيه من الخرافات مثل فكرة « الكشف» الذي نسبه لماء العينين حين « وصيته» لحيدة ولد أميس بالانتصار لولده إن هو «صار أميرا... الخ مما يستدل به على عقلية المعلق الخرافية، على أن أهم ماورد في هذا التعليق جله من المعسول جـ 20.

لأحمد الهيبة في آخر مراحله وبعدما هرب من مراكش.

والقائد الناجم الأخصاصي هذا البطل المجاهد الذي لو كان في بلد غير مغرب ما بعد الاستقلال الذي عرف المسخ، حيث كان الوجه الذي ظهر به المندسون المسيطرون في المغرب وقتها هو التنكر للقيم وما قدمه الأحرار من أبنائه الذين حرروه، والذين تسلط عليهم وعلى كل مقدراتهم، بقايا جيوش الاستعمار بل والذي تمكن فيه العملاء السابقون ثم تحولوا بقدرة غادر الى قوة فاعلة ومتصرفة في الرقاب تعلى وتسفل، حتى إنها مبالغة في التحدي لكل القيم أصبح أبناء مواخير ونتاج «خيرة بوجو(463) بمرس مكناس» والرايسة بجة بعرصة موسى وبنت إيدار « بعرصة الحوت» أشرف واحق من القائد الناجم ومن على شاكلة الناجم، أعصفي ياريا ح...؟

لقد كتب المرحوم محمد المختار السوسي مذكرات القائد الناجم الأخصاصي السوسي في كتابه المعسول(464) كما رواها عنه حرفيا حيث حوت منذ ما قبل عهد

---

(463) خير ابوجو كانت ربة ماخور بمكناس « المرس» وهي التي تبنت أحمد الأسود الذي أطلقت عليه أحمد السنوسي نسبته إلى قبيلتها الأصل بني سنوس غرب الجزائر والتي هاجرت منها كبقي ضمن معسكرات الاحتلال، بيد أن أحمد الأسود هذا هو ابن الهاشمية التي كانت طباخة لها ولبقية المومسات التابعة لها بماخورها بمرس مكناس .وأحمد السنونسي هذا تنقل في مناصب وزارية متعددة، ويعتبر اليوم من كبار أغنياء المغرب، ومثله كثيرون هم أولئك الذين ورثوا الراحلين من الاستعماريين الذين تملكوا المغرب قبل .أمثال أحمد رضا كوديرا، ومحمد ولد أحمد بن عبد القادر لفريسي المعروف ب « أحمد العلوي» وأحمد عصمان ولد محمد لعوج التلمساني الذي جيء به من ملجأ خيري ثم هو اليوم بعدما ورث مدينة وجدة لأخيه وابن أخيه يملك من مزارع وعقارات المستعمرين من وجدة إلى أجادير، ومن الرباط إلى كاب نيكرو وماذا فعل المستعمرون السابقون غير هذا. ومثله محمد بوعمود ابن البوسطاجي الجزائري التفرنس، الذي أصبح وزيرا للتعليم بلا أدنى كفاءة فكانت النتيجة ثراءه من وراء المقاولين والشاهد على فضائحه ما له من عمارات في حي أگدال بالرباط وانحطاط المستوى في مجال التعليم وما رفع هذه الفقاقيع الا أخطاء لكريتلي اشباه الوطنيين الذين تحولوا إلى رموز خيانة أمثال عمر بن عبد الجليل الذي ابتز عشرات الملايين من القائد الخائن ابراهيم الزهاني وبو بكر القادري صاحب مدرسة النهضة ومحمد اليزيدي صاحب مفاحم اجرادة ومنزلها بحي آنفا الذي بيع بمليارين ونصف ثم ترك عمال المنجم للتشرد وأحمد اليزيدي كما سنرى.

(464)ج 5/20– 175 ط 1961 ردت املاك ماء العينين التي صادرها الاستعمار والتي ليست له بل المتمثلة في الأوقاف التي تبرع بها كل من المولى عبد العزيز مدفوعا باحمد بن موسى ثم تلك التي تبرع له بها المولى عبد الحفيظ ردت بظهير مؤرخ ب 25 جمادي الثانية 13نفمبر 1963راجع جريده العلم عدد 5784 بتاريخ 1966/2/11 ومثله ممتلكات محمد بن عبد الكريم الريفي، في الوقت الذي لاتزال ممتلكات الكثيرين من الفيلاليين التي صادرتها فرنسا بيد ادارة الاملاك المخزنية. بل مات القائد الناجم تحت وطاة الفقر وهويري ممتلكاته المصادرة من الفرنسيين والجلاوي. وكأن الرجل المجاهد المومن ما فعل الإشرا وامغرباه إلى أين المصير؟! أيها التاريخ.

الحماية إلى عهد الاستقلال بكل أمانة، وإذا كانت حياة الرجل وما عاش من تقلبات الدهر وتبدل الرجال، طالت وقد خاض منها أكثر من نصف قرن يصارع الظلم والبغي والفساد، ويقاوم الاستعمار والعملاء، مما كان يستوجب إكباره وتقديره والاعتزاز به ، فإنه على العكس وكما سجل لنا ذلك صاحب المعسول، الأمر الذي دفع الكثير الكثير جدا من المثقفين الذين فيهم نخوة إلى أن يستنكروا ذلك كل الاستنكار ويتذمروا كل التذمر، بل يتحولوا كل التحول، خصوصا وأن هذا البطل المغربي العديم المثيل بين قومه وفي عصره معروف لدى المهتمين بالتاريخ السياسي المعاصر منذ عهد المولى عبد الحفيظ، وما عرف ذلك العهد من خزي الجلاويين المدني، والتهامي، وحمو وقت ظهور الغزو الاستعماري وما كان للقائد الناجم من دور في محاربة ذلك الغزو متمثلا في فتنة أبي حمارة، بل استمر نضاله بالسلاح حتى نهايته في قبيلة آيت باعمران، ثم رحل عن ذل الفرنسيين ناجيا بنفسه مستمسكا بدينه، إلى أن أخذ المغرب استقلاله ثم عاد من منطقة نفوذ الاسبان وقد جاوز التسعين، ليلاقي العقوق وعدم الوفاء والتنكر للجميل، لا من الشعب المغربي الذي كان ولايزال أحراره يتمنون تكريم الأوفياء من رجاله، بل من بقايا عمالة الاستعمار الذين اندسوا ثم تمكنوا بقوة البغي والقهر والاغتصاب، أولئك الذين يسيئهم ويكدر صفوهم أن يروا أمثال القائد الناجم في قوة إيمانه وصدق عزيمته وتعلقه بالله، وفي وطن كان ينتظر منه الكثير والكثير جدا، بيد أنه لم يتمكن حتى من استرجاع ممتلكاته التي صادرتها إدارة الاستعمار، ثم ضمتها إلى ما سمي بإدارة الأملاك المخزنية، وذلك ما فعلته مع كل المجاهدين الذين غادروا مواطنهم يوم حكمتها إدارة الاستعمار ومنها ممتلكاتنا، إلى أن رد بعضها بتشريع زمن الحرب العالمية الثانية، خصوصا من اليهود في تافيلالت 1940م، ومع ذلك فإن إيمان الناجم وكما سجل عنه صاحب المعسول، بقي هوهو، وتعلقه بدينه ووطنه، بقي هو هو إلى أن غادر هذه الدنيا فلم يضعف ولم ينل منه المرجفون الذين سطوا اغتصابا على المال والسلطة والقوة والنفوذ وغيرها من العملة الزائفة التي لم تزد على أن استعجلت دمارهم وخراب بيوتهم، بعدما مكنتهم فقط من اشباع شهواتهم البهيمية، دون أن يدخروا من دنياهم غير البخس والمقت والتحقير وسوء المنقلب واقبح الذكر بين الناس الى يوم الناس، هذا في الوقت

الذي لم يحقق ولا واحد منهم من الذكر الجميل الحق ولو فقط صفحة مما كتبه صاحب المعسول عن القائد الناجم وما أملاه الرجل في نهاية شيخوخته من مذكرات بأمانة، قيض الله لها شاهدا عدلا صادقا وأمينا كذلك، دونها بلا تصنع أو إفتعال لتعدل بعظمة الكثير من العظماء بحق فضلا عن أولئك الذين استرقوها والناس ينظرون بالكيد والدس والتحايل والافتراء على الدين والحق والعدل، والخير والحب وتراحم الناس، أولئك الذين قال لهم الزيغ والهوى إنهم شيء وهم في الحقيقة والتاريخ وعلى ألسنة الناس لاشيء، وذلك لعمري ما عرف به الذين كدروا الصفو من حياة المغاربة في النصف الثاني من القرن العشرين، وهي المرحلة التي شمر لها الاستعمار من أجل تحقيق ذلك في كثير من أقطار العالم الثالث التي تحررت من ربقة الاستعمار، والتي لم يخرج منها مد حورا إلا بعد ما خطط لإفساد حياتها وقتل روح العزة والاعتزاز فيها، وحتى تبقى تابعة لنهجه ومقاصده، وذلك ما قاومه البطل الناجم، فكيف يسمح بتكريمه ورد إعتباره؟ لكنه مع ذلك لم يمت إلا بعدما عاش ورأى التكريم الذي لا يماثله تكريم، ذلكم هو تكريم التاريخ، ولنسمع إلى صاحب المعسول وهو يفتتح مذكرات القائد الناجم الاخصاصي السوسي بل الملوك الذي بيع في سوق النخاسة أكثر من مرة إذ يقول رحم الله الجميع:

هذه شخصية عصامية غريبة ممن رضعوا لبان سوسية من قبائل الأطلس الصغير، نشأ في بيئة لا تحلم بمثل المجد الذي جلببها شرفا وعظمة لم يحلم بهما أبناء بيئة كثيرين من أرباب الإمارة وأصحاب اليد العليا، والكلمة النافذة، والرأي الأصيل الخ(465) ولقد صدق والله محمد المختار طيب الله ثراه.

إن البطل الناجم لم يملي مذكراته الذاتية فقط، وإنما كتب لنا بعض تاريخ سوس السياسي في الفترة الحرجة التي هي فترة ما بعد فرض الحماية، كتبه بطريقة عفوية، خالية من الافتعال وما عرف به كثير من الذين يكتبون مذكراتهم، وأن الذي يعنينا فقط ونحن نتناول خرافة أحمد الهيبة، أبو حمارة الألمان وبطولات أهل سوس، هو عودة ظهور القائد الناجم على مسرح السياسة التي كان قد اختفي منها يوم طغى على السطح آل الجلاوي العملاء الذين قتلوا المآت بل الالاف من المسلمين أخزاهم الله.

---

(465) المعسول ج 5/20.

عاد الناجم وهو قائد من قواد الجيش المرموقين ، وقد استجاب لنداء الجهاد في سبيل الله، حماية للوطن وضد الفرنسيين الذين كانوا في طريقهم إلى مراكش بقيادة مانجان، وحسب أوامر ليوطي الذي أمره بذلك رغم أنه كان في حرب مع بطل خطير هو محا وسعيد الوراوي صاحب المولى أحمد بن الحسن السبعي، وعلى أمهيوش بايت شخمان، ذلك لأن مخابرات الفرنسيين بالسويرة هولت الموقف بمراكش في نظر ليوطي، كما أكدت ذلك الاستخبارات بالاتصال مع الجلاويين، وقبل أن تتقدم قوات مانجان في تجاه مدينة مراكش، كانت الجيوش الفرنسية قد طوقت الأطلس الكبير، والمتوسط، شمالا، حتى تضمن ارتباط شرق المغرب مع الغرب من ناحية الساحل.

عندما دخل أحمد الهيبة مدينة مراكش بطريقة فيها الكثير من الفوضى والنهب من طرف أجلاف الأعراب من جهة، ومن جهة أخرى انشغل أحمد الهيبة نفسه بتدبير دخوله للقصر السلطاني والبحث عن الحريم بطريقة شوهها كل الذين كتبوا في الموضوع، وماذلك إلا من وحي جو مدينة مراكش وما كان سائدا في مجتمع تلك المرحلة وماقبلها ومابعدها، كما نتعرف على ذلك مما كتبه إبراهيم بن العباس في الإعلام، بل انشغل حتى «مربيه ربه» الذي أصبح الخليفة الجديد للسلطان المزعوم، حيث تطاول هذا الأخير على الأمير مولاي بوبكر بن السلطان مولاي الحسن، شقيق المولى عبد الحفيظ وخليفته على مدينة مراكش، أمره مربيه «شيطانه» أن يخرج من الدار التي يسكنها حتى يدخلها مربيه «ربه» بدعوى أنه أصبح الخليفة الحقيقي الأحق بدار الخلافة، كما أصبح صنوه «السلطان» أحق بدار السلطنة، الأمر الذي صير الرجل وما قام به في نظر الناس خرافة وحلما مزعجا يجب أن يفيق منه المغترون، كما أكدت تلك التصرفات همجية القوم من جانب، وأنهم أغبياء وغير أوفياء، لأنهم كانوا يتصنعون حب ومودة المولى عبد الحفيظ المفترى عليه بالموت، والذي كان إلى عهد قريب أكثر من كرم ماء العينين وأولاده، ولولا تدخل إدريس ولد منو فإن الأمير بوبكر بن السلطان مولاي الحسن، كان قد تناول بندقيته ثم وقف بباب داره منتظرا قدوم من يرد عليه، خصوصا « مربيه ربه» الذي لو علم ذلك لرجع توا من حيث أتى وسيفعل لمجرد سماعه قعقعة السلاح ودوي قنابر المدافع الذي يشتد في سمع مربيه شيطانه كلما تحركت التمائم المغلفة بالنحاس وهي مدلات

على صدر المشرك تلك التي جلبت له المقت والخزي والتحقير من أهل مدينة مراكش وما حولها إلى أرض سوس، ذلك لأن تصرفات القوم وزندقتهم أبعدت عنهم ما كان لماء العينين من مكانة طيبة وذكر بين الناس زمن أحمد بن موسى كما سبق.

لم يكن أحمد الهيبة أبو حمارة الألمان غير رجل شعر ركيك وسبحة ساذج(466)، ألقى شباكه باسم الدين المفترى عليه من القوم قديما وحديثا، والذي هاجت بهيميته وحيوانيته حين دخل المدينة التي كان يسمع عن ملذاتها، ثم رأي فيها مارأى من مغريات وهو لا عهد له ولا لأحد من قومه بتدبير الشؤون العامة، وإذا هو كذلك مستغرق في هواه، كان الفرنسيون في طريقهم إلى مدينة مراكش حيث احتلوا أربعاء الصخور من قبيلة الرحامنة، الذين أساؤا بدافع الزيغ والأنانية والطيش في حق كثير من السلاطين منذ عهد محمد بن عبد الله إلى عهد المولى عبد العزيز، والذين هم اليوم يناوشون الفرنسيين إلى أن يصلهم مدد المجاهدين لاباسم أحمد الهيبة الذي بقي ينشد الملذات في مراكش ثم دفع لذلك من الهشتوكيين الحاج لحبيب البوشواري، وأحمد من آل الشريف، وصالح بن الحسين، وأحمد الأفقيري، كما أراد الذهاب أيضا « حاجبه» الأمين وتقاعد «وزيره» محمد أعبو و«قاضيه» محمد بن عبد العزيز الذي كان يتجول في شوارع مدينة مراكش وحوله الهمج من أجلاف الأعراب زاعما أنه يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، حتى كان من ذلك وصفه للشيخ أبي شعيب الدكالي بالردة وهو حكم أطلقه حسب رغبة الأجلاف واتباعا لهواهم مادام لم يوافقهم فيما ذهبوا إليه، ومن ذلك اغتصاب المحصنات، كما جاء في المعسول وغيره.

كانت الجيوش التي وجهها الهيبة لرد غزو الفرنسيين بقيادة الأغضف بن مصباح حيث كانت المقابلة في المكان المعروف ب «الأوهام» يقول صاحب الإعلام وذلك يوم 9 رمضان 1330هـ .

كان العقيد ما نجان يقود ستة كتائب مع طابورين ومايزيد على نصفها من الفرسان، وثلاثة بطاريات وما كاد القوم يقتربون منهم ويرون ماعندهم من سلاح مرت

---

(466) راجع قصيدة له في مدح المولى عبد العزيز ضمن مجموعة وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية أو مديرية الوثائق الملكية ، وهي كافية للدلالة على نفاق الرجل.

بعض قنابر مدافع منه فوق رؤوسهم حتى كان الأغضف بن مصباح أول الفارين إلى ابن جرير، ثم مراكش التي دخلها متسترا بالظلام، بعدما ترك من قتل من المسلمين وجرحاهم وفي مكان المواجهة كل من سقط أو عجز عن اللحاق، الأمر الذي كشف خرافة أحمد الهيبة وقومه، مع أن عددهم كان نحو العشرة الاف، وتلك هي معركة يوم 5- 1912/9/7.

وهنا كان على القائد الناجم الذي عاش خرافة أحمد الهيبة أبو حمارة الألمان أن يتدخل وأن يفرض نفسه، خصوصا وقد علم ما عرف عن القوم، دفع الكثير من قواد الحوز وغيرهم ، مثل حيدة ولد أميس، إلى أن يتراجعوا في اتجاه مذهب الجلاويين قبل فوات الوقت، تدخل القائد الناجم ثم أخذ يعمل على تنظيم حملة المواجهة للمرة الثانية وحتى لا تتم تعرية صاحبه تولي الجانب العسكري وترك النيابة لصنو المتسلط «مربيه ربه» الذي هو الأخر سيكتفي من الغنيمة، بالفرار، رغم الوعد بالنصر الذي بشره به صنوه وقت الوداع وهو يستعجل العودة إلي القصر الذي انبهر بما رآه فيه، والذي لم يغادر مراكش الا بعدما غدر وأساء إلى ساكنيه.

كان الخروج للمعركة الثانية يوم 17 رمضان بعد ثمانية أيام على المعركة الأولى، لكنها هذه المرة كانت معركة حامية، كان لحمتها وسداها أهل سوس يتقدمهم القائد الناجم الذي قتل من رجاله أربعون جنديا، إلى جانب خليفته السيد إبراهيم بن السيد الدليمي(467) كان عدد الذين انطلقوا من باب الخميس لحرب الفرنسيين حوالي خمسة عشر ألف رجل، حسب رواية الإعلام وعشرة، حسب تقدير مانجان، كان إلى جانب «مربيه ربه» حيدة ولد أميس الذي قبل أوصاه ماء العينين محمد المصطفى بمؤازرة ولده أحمد الهيبة إذا هو إدعى الإمارة، كما كان معه الهشتوكيون وكل قواد رأس الواد الذين رابطوا في قنطرة تانسيفت، وجلهم غير مطمئنين الي نهاية الهيبة الذي لم يفعل أكثر من التلويح رميا بالحصى تجاه جيوش الفرنسيين وهو يودع جموع المجاهدين مما يستدل به على خرافته وضلاله بل وشرك تمائمه، الأمر الذي أدى ببعضهم إلى إعلان خرافته، والبعض الآخر إلى إشعال النار وسط المعسكر تنفيذا لرغبة الجلاويين الذين بذلوا من

(467) المعسول 90/20 – 92.

أجل ذلك ما زودهم به قنصل فرنسا باتفاق مع ليوطي.

واصل المجاهدون السير بجموعهم المتحمسة إلى أن خيموا بالمكان المعروف باسم سيدي عثمان على بعد 30كم من المدينة ويوم 24 رمضان 1330هـ=6. غشت 1912 وقع الصدام بين الفريقين في المكان المسمى «انزالة الأعظم» وقبل أن يشتد الوطيس كان «مربيه ربه» قد لاذ بالفرار اقتداء بابن عمه الأغضف بن مصباح، حيث دخل مدينة مراكش هو الآخر ، وكل من كان حوله من أجلاف الأعراب في حالة مزرية حولتهم في أنظار أهل المدينة إلى شبه قردة مشوهين يستحقون المقت والخزي والمطاردة، لأنهم شوهوا سمعة الإسلام وأساؤوا إليه بسلوكهم المشين، وإذا ما دخل « مربيه ربه» على أخيه يوم 25 رمضان وحكى له ما حصل من قتل وتمزيق لم يتبين فيه الحقيقة التي كشفت عنها مذكرات الناجم وما كان للسوسيين في تلك المعركة من بلاء حسن، حيث تركوا أكثر من ألفي شهيد في تلك المعركة، ومع ذلك فرغم التباين بين السلاحين أمكن للمجاهدين تحقيق بعض النجاح بسبب معرفتهم للمنطقة أكثر من الغزاة الذين لولا انضمام بعض عناصر الحوز إليهم لكانت خسارتهم أكثر، ومع ذلك فقد كانت خسارة الفرنسيين كبيرة.

وذلك مالم يعرفه «مربيه ربه» الذي نقل إلى أخيه صورة مشوهة أكدها أهل حاحة مجاراة له، ومع ذلك أظهروا عدم اليأس ورغبتهم في معاودة القتال ضمن جماعة القائد الناجم الذي قالوا عنه إنه أبلى البلاء الحسن و الذي عاد في مقدمة رجاله وكأنه كان في جولة صيد، وقد انشرحت أساريره لولا ما سمعه من الشيخ أبو شعيب الدكالي سامحه الله من عبارات التثبيط شعر بها واستهجنها، ذلك أن الشيخ وربما بدون قصد قال للناجم عبارة جسم بها خطورة سلاح الفرنسيين، وكأن الناجم لا يعرف ذلك حيث قال له: يقول الناجم قال لي « لاعقل لك فإنك لا تعرف هذا العصر وقوته، فمن ذا الذي يقدر أن يقف أمام الجيوش الزاخرة التي ترسلها فرنسة» ثم ذكر أنه سيرسل سائمته إليّ لتسرح "ترعى" عندي فأنعمت له بذلك ثم لقيت الفقيه محمد اعبو وزير الهيبة – يبكي وهو متوجه إلى الجيش ولاندري ما يبكيه، أفرح بالشهادة التي يقبل عليها، أم قرح على الحياة التي سيفقدها، فقلت لصاحب لي هكذا علماؤنا، إما استعظام لقوة النصاري وإما بكاء كبكاء

النساء»(468) وهكذا ماكاد أحمد الهيبة يسمع بعض رواية أخيه مربيه ربه حتى انتقل الى قلبه وجسمه ما استبد بأخيه من خوف ورعب لم يستطع معهما اتمام الرواية، ومن كثرة ما استولى عليه من الخوف القاتل «التوى لسانه واصطكت أسنانه، وارتعد بدنه، من رأسه إلى قدميه، تقول الرواية، وإذا ما انتهى «مربيه ربه» من الرواية المزعومه فإنه التفت فيمن حوله طالبا منهم المساعدة على الفرار من مدينة مراكش، دون أن يطلب رأي أخيه «المسلطن المزعوم» وإذا هو خرج منها خائفا يترقب، فإن ذلك ما فعله «المسلطن» أبو حمارة الألمان الذي بأمس الأمس فقط، أرغم الذين لم يبايعوه قبل على مبايعته ، بل ولما يمضي عليه وقومه في مدينة مراكش عدا عشرين يوما، هاقد خرج منها هاربا مدحورا يطارده الخزي والعار، بل لعنة الكبار والصغار ومعه أولئك الذين فعلوا من الشر ما جعل الناس يفرحون لرحيلهم، خرج الهيبة دون أن يأخذ رأي الذين ناصروه من القواد الذين كان حيدة ولد أميس أسرعهم إرتماء في أحضان الفرنسيين الذين سرعان ما وثقوا منه عملا بشهادة الجلاويين، ثم أمروه بمطاردة سلطانه المزعوم الذي كان الناجم قد حاول أن يهدئ من روعه حين أخبره أن عدد جيوش الفرنسيين غير كثير، وأنهم إلى جانب ذلك لا يزالون بعيدين عن المدينة، ويزيد صاحب الإعلام(469) التعارجي حين يصف لنا فرار الهيبة وقد ترك خلفه كل ما جمع نهبا من مال وأثاث، بل حتى بعض ثيابه، ومنها عمامته التي قال عنها إنها كانت مخيطة بالحروز «التمائم» بل وحتى البيعة التي كتبها أهل مراكش، قبل يومين، خرج من مراكش وهو يرتجف مثل أخيه إلى المكان المعروف « كيك» فتبعته خيل التهامي الجلاوي المتطوع خدمة للأسياد من الفرنسيين الذين كانوا على الأبواب، وماكاد الهيبة يخرج من المدينة متوجها نحو تارودانت حتى عاد إدريس ولد منو الحاكم الشرعي إلى القصر السلطاني يتفقده، ثم بحث عن الفرنسيين الستة يتقدمهم القنصل ميگري(470) ورفقاؤه «مونج، والكومندار "مرليت هنين" والليتنان

(468) المصدر السابق 93 المعسول جـ 20.

(469) حـ 300:2.

(470) من غباوة عهد الإستقلال أنه أطلق بعض الجزائريين المتفرنسين بالمغرب إسمه علي فرقة موسيقية، لست أدري هل هم من أحفاده أم من هم، مما يستدل به على فقد المسؤولين عن الإعلام في المغرب لكل القيم والمقومات المعنوية وروح الشرف.

"هرنك"، والترجمان «عبد السلام القباج». وغيرهم من الذين كانت إدارة ليوطي قد أرسلت في حقهم رسالة إلى أهل مراكش بتاريخ 24 رمضان يوم الخروج لمعركة سيدي عثمان، تحملهم فيها مسؤولية المحافظة عليهم رغم أن غيرهم من الأجانب رحلوا مؤمنين إلى مدينة اسفي، وها قد ذهب إدريس ولد منو بصفته باشا المدينة ليخرجهم من الدار التي ثقفوا فيها، جوار الإصطبل بالقصر السلطاني، وحتى إذا ما أخرجوا تلقفهم الجلاوي ليستقبل بهم مانجان، وليتخذهم يدا ومكرمة عند سادته الفرنسيين الذين ماكادوا يستولون على المدينة يوم 1912/9/7 حتى نصبوه حاكما عليها، ودخلها الجنرال ليوطي في تاريخ أكتوبر حيث أعلنها منطقة عسكرية، كما نصب عليها الجنرال برويلار إلى أن خلفه دي لاموط 1914.

كان الهيبة أبو حمارة الألمان قد التحق بتارودانت قبل أن يلتحق بها حاكمها «كابا» الذي عمل هو الآخر حتى يقطع الطريق على الهيبة بدخوله إليها لكنه قتل غيلة وهو في الطريق، قتله رجال من قبيلة «إداومزال» الذين قطعوا رأسه ثم ذهبوا به إلى الهيبة، أما حيدة ولد أميس المنابهي، الذي ارتمى في أحضان الفرنسيين، فإنهم كلفوه بمحاربة المجاهدين من أهل سوس الذين ألتحقوا بالهيبة، وفي طليعتهم من ذكر، يتقدمهم القائد الناجم الأخصاصي ويرعا «السباعي»، وفي تارودانت التي حل بها أحمد الهيبة، أعيد التنظيم من جديد فأصبحت قيادة المجاهدين العامة بيد القائد الناجم «ووزارة» أحمد الهيبة بيد يرعاه، خصوصا وأن محمد اعبو علم أن الهيبة بدأ اتصالاته السرية مع حيدة ولد أميس حتى يتوسط له مع الفرنسيين.

تحول الهيبة في نظر القوم إلى خرافة مزرية لكن مع ذلك اهتم الفرنسيون بمطاردته التي كانت تعني مطاردة أهل سوس يتقدمهم القائد الناجم، والمدني الأخصاصي رحمه الله، خصوصا الأول الذي بذل الفرنسيون كل المحاولات معه بمختلف وسائل الإغراء، لكنه لم يقبل الاستسلام، بل اختار الجهاد والمقاومة حتى النصر أو الشهادة.

حاول المجاهدون تنظيم صفوف المقاتلين منهم بواسطة القيادة الجديدة في تارودانت، لكن تلك المحاولات لم تكن مجدية بالقدر المطلوب، لأن حيدة ولد أميس

استطاع أن يقنع الفرنسيين بتكوين جيش قوامه مختلف القبائل التي تحت نفوذ كل القواد الذين أعطوا ولاءهم لإدارة الحماية وبذلك تكون جيش خاضع لإرادة حيدة ولد أميس الذي حاصر به تارودانت، فما كان من أحمد الهيبة إلا أن خرج منها فرارا كذلك، وتقول رواية الناجم هنا، إن حيدة فسح له المجال ولو لم يفعل لهلك الجميع(471)، ذلك لأن الذي كان يعني حيدة، قبل كل شيء هو إخضاع السوسيين، كما كان الذي يعني الفرنسيين من أمر الهيبة أبو حمارة الألمان، هو هدم السياسة الألمانية، ومن أجل ذلك حاولوا الاتصال بكل من الهيبة والناجم، لكن هذا الأخير وقد أدرك الهدف أشار على صاحبه بعدم القبول، لأن ذلك من الفرنسيين إنما كان فقط ليتمكنوا ثم ينتقموا منه ومن كل الذين اتصلوا بالألمانيين، وفعلا ذلك ما سيحصل لمن يدركه أجله وبقي إلى أن تمكن الفرنسيون، ومع ذلك فإن المجاهدين الذين كانوا يتعاطفون مع المدفوعين من رجال القبائل، استطاعوا أن يهددوا حيدة ولد أميس الذي طلب النجدة من الفرنسيين فأنجدوه بالعملاء يتقدمهم التهامي الجلاوي(472) وأخوه حمو، والعيادي، والگنتافي(473) والضرضوري، والقائد عمر الأمناسي الحوزي، والقائد مارس الحاحي، أولئك الذين كانوا في مقدمة الضباط الفرنسيين بقيادة الجنرال دلاموط، الذي تلقى الأمر بمهاجمة السوسيين، حيث نزلوا بقواتهم في تازمورت قرب تارودانت، ووقتها لم يبق أمام المقاتلين مع القائد الناجم الذي كان قد واجه حيدة ولد أميس بما نظم من كتائب أهل سوس بمساعدة محمد ولد أحميدان، وعبد السلام، من أولاد عيسى وان كان هذا الأخير سينقلب ثم يصبح خليفة للقائد الگنتافي مع الفرنسيين.

كان الهيبة قد خرج من تارودانت، إلى « تاماغيت» ثم آيت عميرة، حيث كان أخوه الوالي قد نصبه خليفة له حين بايعه أهل هشتوكة، وفي هشتوكة التحق به الناجم ويرعاه، لكن القوم جميعا كادوا يتعرضون لمؤامرة دبرها « الوزير» السابق محمد آعبو الهشتوكي

---

(471) ذلك لأنه تذكر وصية والده له بالمساندة عندما يتطاول على الإمارة كما سبق.

(472) راجع ترجمة الجلاوي في هذا الكتاب بعد حوادث 1953 ثم في كتاب أعيان المغرب الأقصى 348 – 52ط باريز 1939 وفيما كتبه عنه الفرنسيون العسكريون وغيرهم مثل كلود بورديه.

(473) ترجمة الگنتافي في نفس المصدر السابق 366 – 73 والعيادي بن الهاشمي 374 – 85 وجريدة السعادة 94/14 – 17/5/2 – 14 غشت 1919.

الذي طلب من حيدة ولد أميس أن يبعد القوم من قبيلته، لكن جانب الناجم الذي جمع كلمة أهل هشتوكة حول الهيبة تغلب، ولكن إلى حين رغم قتل الهشتوكيين محمد اعبو جزاء خيانته بعدما رجع ثم حاول الصلاة بالناس فتركوه بعدما وسموه بالنصراني، ومع ذلك اضطر الناجم أن يحول قيادته إلى المكان المعروف في هشتوكة «أساريف»، فأخذ يوجه منها الكتائب ويقودها إلى محاربة حيدة ولد أميس ومن معه بتارودانت، الى أصبح القوم يغلقون أبوابها بالنهار اتقاء من حملات الناجم والقائد المدني الأخصاصي(474) رحم الله الجميع، لكن تصرفات الهيبة ومربيه ربه ويرعاه معهما، والذين كان قد أدركهم الملل حتى إن يرعاه بدت عليه علامات التراجع وسيفعل بطريقة أليمة، لأن تصرفات هؤلاء أحدثت بعض الثغرات التي استغلها ابن دحان الذي اشتهر بإجرامه الخلقي والسياسي(475) والذي كان وقتها لايزال من رجال حيدة ولد أميس، بل والذي كان القائد الناجم يعرف إجرام ابن دحان ويحذر القوم منه، ولم يكن غير شراء النفوس المتهالكة، وتخريب الضمائر عن طريق الاغراء، فاستطاع أن يحقق الكثير من ذلك بين أهل هشتوكة الذين هم بعد مقتل محمد أعبو وظهور غيره على نفس النهج، تضعضعت عقيدتهم وأصبحوا من المذبذبين مما دفع الناجم إلى التحويل من أساريف هشتوكة إلى «تيمگر» التي قصدها الهيبة قبل أن يلتحق بها الناجم «وقائد المشور» سعيد بن أحمد الكردوس ومن تيمگر أخذت كتائب المجاهدين تنطلق من جديد لا إلى تارودانت، حيث قبع حيدة ولد أميس فحسب، بل والى هشتوكة التي قهرها الناجم بما رتب عليها من الأتاوة جزاء خذلان القوم فيها، الأمر الذي دفع الفرنسيين وحيدة ولد أميس، إلى تشديد الحملات حتى لايزداد الناجم قوة ويفعل بغير الهشتوكيين ما فعل بهؤلاء الذين أصبحوا في ضيق، وفعلا استطاعت الحملة العاتية أن تزعزع الناجم من تيمكر إلى «تاماشت» حيث الجوع والمكر والخيانة السافرة، حتى إنه أصبح مستهدفا في شخصه من آل بومهدي أهل باعقيلة اللئام طمعا في ماله وما يملك، خصوصا منهم الايغشاني، الذي فاحت رائحة مكره وتدبيره حتى أزعجت ذوي الهمم أمثال الحاج مسعود الذي حين علم أن الإيغشاني

(474) راجع ترجمته في المعسول ج 176/20 – 210.

(475) راجع ترجمته في كتاب أعيان المغرب الأقصى 534 – 36.

يدبر اغتيال القائد الناجم بادر به فصدق فيه قول رسول الله ص «من حفر لأخيه جبا وقع فيه» وأمام هذه المواقف فكر البطل الناجم في مغادرة سوس واللحاق بمحمد أحمو الزياني الذي كان المولى عبد الحفيظ أيضا قد زوده بمائة ألف ريال يقوم بها الثورة(476) كما يخبرنا بذلك إدريس ولد منو، وليس ببعيد أن يكون القائد الناجم قد عرف هذا، وبالأحرى كان على علم أن للزياني مصاهرة مع المولى عبد الحفيظ الذي كان متزوجا من بنته رابحة رحم الله الجميع.

لكن قبل أن ينتهي البطل الناجم إلى يأس قيض الله له من أهل سوس الباعمرانيين من اشتد بهم ساعده، فكانت المعارك التي لم ولن ينساها التاريخ، خصوصا تلك التي انجر إليها صاغرا كل من الجنرالين «شاريه» بفرقه المتعددة، "ودلاموط"(477) الذي كان قد ذل أكثر، عندما قتل ولد اميس 1915 – 16 بيد المجاهدين في معركة وادي «إكلفن»(478) وهي المعركة التي استأسد فيها إلى جانب الباعمرانيين رجال قبيلة ايت حمو وسعيد، ورجال آيت عطا ورجال ايت صغروشن، الذين كانوا مع العالم المجاهد المولى أحمد بن الحسن السبعي، ثم هاجروا، وما بين معركة ويجان بتاريخ 24 مارس1917 ومعركة تيزي 23 فبراير 1934 يعلم الله كم سقط من شهداء أهل سوس من حاحا إلى آيت باعمران، ذلك أنه إذا قيل قد سقط فقط في المعركة الأخيرة 286 ذكر منهم فقط القائد الخلفاوي ومحمد شارابطا، ومحمد بوكراع العبدلاوي، ومبارك بن الحسن المستاوي، وسي علي وهمو، ولحسن إيبوكاص العركوبي، وأحمد بن عبد الله البوبكري،(479) وإذا كان السوسيون قد قدموا ما الله أعلم به من عدد الضحايا، فإنهم بحق جعلوا كلا من

---

(476) راجع حول مائدة الغذاء لصاحب المعسول رحمه الله ص 104 ط الرباط بدون تاريخ ثم راجع قولة الناجم في محمد احمو في المعسول 126/20.

(477) راجع جريدة السعادة 1/13/ و 4/14/ و5/2/ و9/25 من سنة 1917 ومجلة لولستراسيون ع 4427 بتاريخ 28/1/7 ص 225.

(478) عندما قتل حيدة ولد اميس قطعت رأسه ثم جيء بها إلى صاحبه أحمد الهيبة في مخلات ولما وضعها أمامه أخذ يعدد عليها ما سبق حتى وصية أبيه لحيدة ولما علقت سرقت ليلا وقيل بيد يرعاه ثم أرسلت إلى ولده بواسطة يهودي.

(479) دراسة ميدانية للحبيب الفرقاني ج المحرر ص 5 بتاريخ 79/12/11 وعن حروب الرقيبات راجع لوليستراسيون عدد 4700 أفريل 1933 ص 378 – 379.

فرنسا وبعدها إسبانيا تجلس كل منهما صاغرة للتفاوض مع رجال تلك القبائل التي أقل ما يقال في تاريخها السياسي وزيادة على المحافظة على الذاتية المغربية في تلك الديار التي انعدم فيها وجود الدولة، فإن قبائل ايت باعمران زيادة علي ذلك أنها لم تحكم من طرف الاستعمار حكم القهر، رغم قوة الحديد والنار، ورغم ذلك فإنهم لم يعرفوا الاستقلال إلا بعد سنة 1969 وما ذلك إلا بفضل روح المقاومة التي كان عليها المجاهدون من أبطالهم رحم الله الجميع.

لقد انتهت خرافة أحمد الهيبة أبو حمارة الألمان الذي توجه إلى كردوس حيث توفي يوم 18 رمضان 1338هـ 23 يونيه 1919 ثم حاول أن يحل مكانه «مربيه ربه» لكنه آل إلى الضعف والتراجع كما آل إخوته إلى التعامل مع الاسبان بطريقة من الانحطاط لم تكن منتظرة، ومع ذلك فقد بقيت قبائل سوس المجاهدة ، ممثلة في آيت وادريم ، والآخصاص، وايت الأربعين، من قبائل ايت باعمران الذين واجهوا قوات فرنسا وما جمعت حول دلاموط من مغامري الألزاس واللورين، والكورس، والجزائريين والتونسيين، والسوريين، والسنغاليين، ومع ذلك لم ينتصروا بل لجأوا إلى المفاوضة التي انتهت بشروط صادق عليها نواب أصبويا وايت النص ، وايت يخلف، وايت عبد الله، وآيت الخمس، ثم آيت إيعزا من ايت عطا

إن معارك تافيلالت وايت باعمران ثم معارك ايت عطا بصاغرو، ومعارك ايت حديدو في جبل بادو، ومعارك ايت صغروشن، لو كان للمغاربة رواد في مجال المقاومة يعتزون بوطنيتهم، لكانت الذكرى سنويا في كل ناحية من تلك النواحي دوريا هي خير جزاء للسابقين واللاحقين، لكن مانراه هو أنها ان استمر الوضع كما نعيش ربما ستكون ذكرى التكريم للخونة المنحرفين ولا تكون للمجاهدين(480).

---

(480) في آخر سنة 1990 احتفلت وزارة الثقافة ممثلة في وزرها المعروف بما اشتهر به من ومع عصمان محمد بن عيسى في إقليم تافيلالت. وفي مدينة الريصاني بالذات بذكرى رجل كان يتشبه بالنساء في كل شيء اسمه « باعوت» وهو عبارة عن شخص كان الفيلاليون يستقبحون ذكر اسمه لأنه كان قريبا من جو المومسات من النساء بعيدا عن الرجولة ولم تفعل وزارة الثقافة ما فعلت دون اعتبار لأخلاق وعادات المنطقة التي يعتبر أهلها أن تحت كل قدم من أرضها شهيد، لم تفعل ما فعلت إلا اقتداء بما فعله محمد ولد أحمد بن عبد القادر الفريسي بن خناتة الشركية والمسمى أحمد العلوي الذي أرسل طائرة خاصة من الرباط إلى الرشيدية لتأتيه ب « باعوت» عام 1962 في =

أما بطل المعارك العظيم الذي بيع في سوق النخاسة مرتين يقول صاحب المعسول وهو القائد الناجم الخصاصي فإنه لم يؤرخ لنفسه كما عرفنا، بل أرخت له فرنسا كذلك رغم أنفها، وبنظرة خاطفة على ما كتبه الكولونيل فوانو بعنوان: «الآثار المجيدة لفاتحي المغرب» بل وعلى السطور التي ختم بها كتابه نتذكر عظمة الناجم ورفاقه، ولربما برصاص الناجم قتل في كردوس القبطان «روسو» يوم 5 غشت 1933 والملازم دوبرفونتاني يوم 7 غشت، والملازم دوسوراس، يوم 9 غشت 1933 والملازم كونار في نفس اليوم وهم المعتدون الذين جاؤوا من وراء البحار للاعتداء على شعب آمن، فعلى روح الناجم وأبطال أهل سوس من حاحا إلى ايت باعمران الرحمات وما يثيب الله به المجاهدين في سبيل الدين والوطن.

= الوقت الذي لم يجد فيه عامل الإقليم العربي الفحصي وقتها والذي أمر باحضار المخنث باعوت لينقل على مثن الطائرة التي احضرت من أجله عامل الاقليم هذا الذي يتذكر ذلك حتى اليوم بمرارة وقتها لم يجد وسيلة من المواصلات لمعرفة ما يجري في عين الشواطئ شرق الإقليم بل وفي الوقت الذي كان فيه ولايزال أكرم العلويين عثمان حفيد المولى الرشيد بن السلطان محمد بن عبد الرحمن وأبناء عمومته يتضورون جوعا بل وغيرهم كثيرون بالعشرات، وهو الوضع الذي خلقه البغي والظلم و الاستهتار ، وإلى الله عاقبة الأمور و الحمد لله على ما يفعله الليل والنهار إذ الجديدان يبليان كل جديد، وحكم التاريخ أصدق حكم.

blanca, les Français ayant débarqué et s'avançant, il avait dû en bon Marocain, organiser la défense du territoire ancestral. Ce furent donc, à la tête de son goum fameux, de telles prouesses que nos soldats, eux aussi, connurent bientôt le « *Kaid rouge* ». Il joua un rôle actif dans les engagements de Madiouna, de Sidi-Acila, d'Aïn el Khamis-Médakra. Cependant sans cesse défaits les contingents rebelles perdaient pied et confiance. Aussi le vieux lion d'Atlas, ayant compris que la résistance demeurerait vaine, se retira dans son borj, attendant les événements. Ce fut là que vers 1910 il reçut le prétendant El Hiba-ou-Ma-el-Ainine, dont le prestige était tel dans tout le Drâa, le Sous et la Hsour, que sa marche triomphale lui ouvrit toutes grandes les portes de Marrakech.

Le kaïd Omar Sektani possède encore le dahir par lequel ce Sultan improvisé le confirme dans son commandement à la date du 13 ramdhane 1330 — 1912. En voici le fac-similé

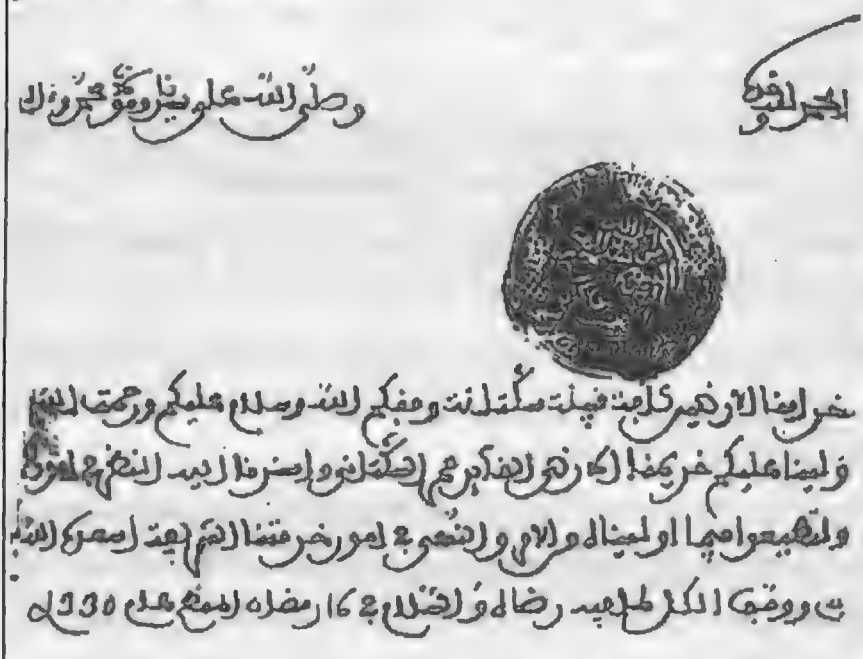

Cependant, en présence des événements se déroulant dans le Nord, Omar Sektani, conseillé par ses amis le Glaoui et le Rahmni, se rendit à Marrakech au moment où le kaïd El Ayadi, appuyant fortement la Colonne Mangin ouvrait à celle-ci la victoire de Sidi Bou-Otsmane. Lorsque, en septembre 1912, nos soldats pénétrèrent dans la cité, il vint spontanément remettre son

أحمد الهيبة ابن الشيخ ماء العينين الذي نصب من نفسه سلطانا 1912 حيث كان وراءه الألمان كما كان الفرنسيون وراء الجلالي بن إدريس اليوسفي الزرهوني والذي اطلقوا عليه أبو حمارة

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس وفقه الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل
جوابك وبطيه ما أجابك به باشدور إسبانيا عن توجه مركب جنسه لمرسى سبب الحرشة
من تعجبه من توجههما للمرسى المذكورة وكتبه لدولته بذلك ومن أن دولته تحفظ ما كان
كتب به لحضرتنا الشريفة الباشدور قبله من أن من خرج من رعيتهم من السواحل السوسية
للبر ووقع له إفادة فدركه يكون على نفسه وذكرت أنه شافهك بأن وزير الأمور
البرانية بدولتهم كان طلب من جانبنا العالي بالله بواسطة الخديم عبد الصادق بيان
حدود هذه الإيالة من الجهة السوسية هل هي وادي ذرعة أو منتهاها محل آخر لتعلم ذلك
دولته وتقبله قبل الغير وكون الباعث لهم على ذلك كونهم لهم الأرض المسماة بالعربية
بوادي الذهب وبالعجمية بأرادوا ليكونوا على بال في الاحتياط من دخول أجنبي بين الحدادتين
وصار بالبال فقد كتب في هذه الأيام بالسؤال عن حدود الإيالة من الجهة المذكورة فأجيب
بما حاصله من أن حدها حيث الكرسي المستقل وهو مصر من ناحية والسودان من ناحية
ومغنية من ناحية ونسخة من الجواب برمته تصلك طيه لتكون على بال من ذلك وأما
وادي الذهب فقد بحث فيه أعراب هذه الناحية فأخبروا أن هذا المحل بناحية أولاد دليم
وقبيلة تسمى بالعروسيين الذين هم بخدمتنا الشريفة النازلين بنواحي مراكش وفاس ويسمى
عندهم بالداخلة فأعلم الباشدور بذلك والسلام في 4 رمضان عام 1303

رسالة من المولى الحسن إلى دار النيابة حول تطاول الأسبان على منطقة الداخلة تاريخها عام 1303هـ 1886م

الفصل الثامن عشر بعد المائتين

السلطان عبد الحفيظ والمقاومة المسلحة بعد فرض الحماية

كان السلطان عبد الحفيظ بعد التنازل لا هم له أكثر من أن يشعل نار المقاومة ضد الفرنسيين وقد فعل في الأطلس المتوسط بزعامة صهره محمد أحمو الزياني والقائد محا وسعيد الوراوي، وأخيرا و كما سنرى في الشمال بواسطة الريسوني ومحمد بن عبد الكريم الريفي.

اخبرنا گاير قنصل فرنسا بالمغرب عام 1912م أن المولى عبد الحفيظ حين أراد التنازل عن العرش برر موقفه بقوله:

"لم أكن ولن أكون سلطان محمية، إن هذا يناقض أعمالي في الماضي وينال من حريتي واستقلالي، ولا يمكنني أن أنس« وشعبي بأسره يذكر، أنني إذا كنت قد أصبحت سلطانا فلأنني أقسمت بأن أكون المدافع عن استقلال بلادي ضد كل تدخل أجنبي وأنا لا أريد أن أخون الأمانة التي منحني إياها شعبي".

هذا هو السلطان الذي اتهمه المستعمرون بأنه طلب الحماية الفرنسية باسم الشعب المغربي، ونسوا أن هذا الشعب حر لا يقبل الضيم وفي مقدمته السلطان عبد الحفيظ، بحيث دامت الثورات التي لم تتوقف حتى عام 1934م وكان السلطان عبد الحفيظ هو الذي نوم بعضها ولذلك أصبح كل من يريد التقرب لفرنسا يسيء إلى عبد الحفيظ وهذا ما سوف نتعرف عليه في الفصول التالية أيضا.

كانت قبيلة آيت ورا بزعامة محا وسعيد الذي أسند إليه السلطان المولى الحسن السلطة فيها، من القبائل التي بادرت الفرنسيين بالقتال منذ اللحظة الأولى التي شاع فيها أن السلطان عبد الحفيظ غلب على أمره ووقع صك الحماية تحت التهديد، خصوصا

وأن الفرنسيين منذ 1907م وكما رأينا حاولوا ما حاولوه في منطقة الشاوية بعد حوادث الدار البيضاء، وأنهم أدركوا أن حماية الظهر تقتضي الزحف في منطقة تادلة وما حولها، جنوبا، في اتجاه الأطلس حتى لا يعم الزحف باستجابة المواطنين لنداء الجهاد، وإذا كانت القيادة الفرنسية قبل بزعامة الجنرال ادرود قد تعرفت على خريطة الميدان بكل تفاصيلها، فإن الذي يستوجب الإهتمام منها هو منطقة تادلا وما حولها من قبائل آيت ورا، وآيت عطا نومالو، وقبائل الدير، ولذلك خصصوا للمنطقة التي كانت حامية قبل هذا بحكم اتصال محا وسعيد ببطل المجاهدين وإمامهم المولى أحمد بن لحسن السبعي المترجم له سابقا، خصصت القيادة العامة للمنطقة العقيد مانجان، الذي أصبح بعد جنرالا، والذي احتل قصبة تادلة المخزنية يوم 7-4-1913م تقول مصادرهم، لكن احتلال القصبة لم يتم إلا بعد ما قدمت قوات الغزو الثمن غاليا جدا، ناهيك وأن المنطقة كان لرجالها قبل ما كان لهم من مواقف ضد القوات الفرنسية التي أذلوها إلى درجة أن الجنرال ادرود قال إنه حدثته نفسه بقتل السلطان عبد الحفيظ شخصيا عندما التقيا في وادي سطات، ذلك لأن رجال قبائل الشاوية جعلوا الفرنسيين يدفعون ثمن ما أقدموا عليه في البيضاء غاليا جدا، ناهيك وأن الشاوية هم أخوال السلطان المولى عبد الحفيظ كما سبق، وهم جيران آيت ورا من الذين التحموا معهم إلتحام الجهاد في سبيل الدين والوطن، والذين كان رائدهم علي امهيواش المعروف "أمهاوش" وزعيم قبيلة شخمان.

كانت المعارك التي تدور في منطقة تادلة وآيت ورا ثم آيت يسرى، وقبائل الدير، يتردد صداها بين قبائل زايان التي كانت تحت حكم محمد احمو أمحزون الزياني صهر المولى عبد الحفيظ كما يتردد صداها بين قبائل آيت شخمان وإشقيرن، وآيت اسگوگوبكافين معطشين، وآيت بوحسوسن، وآيت أعمرو، وغيرها من قبائل المنطقة التي شارك رجالها في مقاومة الغزو الفرنسي، سواء مع محا وسعيد أو مع محمد احمو الزياني.

وضعت القيادة خريطة ميدان للمنطقة حيث طوقتها بمراكز ثلاث: مركز أفوغال، قرب مولاي بوعزة "أبو يعزى" غربا، ثم أبي الجعد، والثالث قرب يفران، وأعدت من القوات تقول مصادرهم، نحو الخمسة عشر ألف جندي وأكثر من مائة ضابط يؤطرون عشرة أفواج وسبعة كتائب إلى جانب الطيران.

كانت المنطقة قبل قد عرفت الكثير من المعارك التي خاضتها قبائل الشاوية 1907م - الثمانية وهي قبائل أولاد اسعيد، ولمزامزة، وأولاد بورزك، وأولاد بوزيري، وأولاد بن داود، ولگرانة، وزناتة، وذلك كما يخبرنا العقيد فوانو عن تاريخ تلك المعارك التي دارت أيام 10-8-1907م ثم 18-28 ثم معركة سيدي مومن في 3-9-1907م ومعارك سطات قبلها 15-1-1908م ومعركة يوم 16-2-1908م ومعركة 15-3-1908 بسيدي لغنيمي، وهي التي ذبح فيها الجنرال داماد الذي كان قد حل مكان الجنرال درود 1500 من المواطنين العزل حسب شهادة جريدة لومانيتي لسان حال الحزب الاشتراكي الفرنسي الصادرة بتاريخ 22-3-1908م وكان هذا من الجنرال داماد إن دل على شيء فإنما يدل علي مستوى الهمجية والانحطاط اللذين اتصفت بهما العسكرية الفرنسية وقتها، والتي عرفت من معاناة الحصار الذي دام لمدة خمسة أشهر قطع المجاهدون فيها حد الفرنسيين بالدار البيضاء، كما كانت همجية غزوهم عاملا قويا في توحيد صفوف المغاربة من أجل الجهاد الذي مكن لثورة المولى عبد الحفيظ الذي كان له الفضل في إثارة صهره محمد أحمو الزياني الذي تردد صدى معاركه بسبب ما قتل في معركة لهري في يوم واحد، وإن كان قد قتل في المعارك ضعف ذلك عشر مرات، كما سنرى، ومن خلال الأرقام التي أوردها العقيد فوانو في كتابه عن الملاحم المغربية، ومثله هنري دوبورد حول ترجمة ابن أخيه "دوبورنازيل".

أما محمد احمو الزياني فهو قائد أدخسان من أرض زيان، والذي أصبح له شأن كبير في عهد المولى الحسن، فأصبح ينعث أحيانا بـ"الباشا" لتفوق سلطته على من حوله، لم يكن حتى سنة 1305هـ/1887م غير قائد ضمن قواد المنطقة لا شأن له أكثر من غيره، وفي هذه السنة التي كان السلطان قد استنفر فيها قبائل الأطلس المتوسط بالاضافة إلى الجيش من أجل غزو قبيلة آيت مجليد كما سبق، وقتها أرسل ابن عمه سرور بن ادريس بن عبد الرحمن بن السلطان المولى سليمان من أجل جمع الأعشار والزكاة بقبيلة آيت شخمان، فكان نصيبه أن قتل غدرا ومن معه "55 نفر" حزت رؤوسهم من طرف القبيلة المذكورة، ووقتها تصدى محمد احمو الزياني للانتقام من آيت شخمان الذين قتل منهم خمسة وخمسين قطع رؤوسهم ثم حملها إلى السلطان الذي قيل أنه أظهر عدم رضاه

بدعوى أن القصاص كان يجب أن يؤخذ من المعتدين، ومع ذلك كان هذا العمل مما جعل محمد احمو يصبح من ذوي الاعتبار والتقدير من السلطان الذي راقه كذلك ما قام به محمد احمو من مقاومة لمنشور الجهاد الذي كان الشيخ محمد العربي الهاشمي الدرقاوي قد نشره عام 1305هـ بين مختلف قبائل المغرب، داعيا لمحاربة الغزو الفرنسي للمغرب شرقا، ومحاولة طردهم من الجزائر، وذلك في الوقت الذي لم يكن السلطان راضيا على المنشور، مما جعل محمد احمو يحظى لدى السلطان بالقبول، ولم يكن ذلك من محمد احمو إلا لكون التحمس له كان من جيرانه قبيلتي آيت شخمان. وآيت حنيني إلى جانب الاشراف الأدارسة من آيت يحيى ويوسف بقيادة علي امهاوش كبير قبيلة آيت شخمان التي كانت كلها بقيادة علي امهاوش تابعة للشيخ محمد العربي الدرقاوي، ولربما كان ما أشيع من عدم قبول السلطان للمنشور المذكور هو السبب فيما حصل لابن عمه سرور الضحية، ناهيك وأن ممن تحمسوا لفكرة الجهاد القائد العظيم محا وسعيد الوراوي رحمه الله.

لقد حاولت التعرف على نسب محمد أحمو فلم أتمكن من غير الاحتفاظ له بما اشتهر به من أنه زياني، لأنه عن طريق السماع فيه أقوال متضاربة جدا، وأما عن طريق النقل فلا وجود لما يعتبر في ذلك، وقبيلة زيان التي منها أبو القاسم الزياني صاحب الترجمان المعرب، والترجمانة الكبرى، والبستان، وتحفة النبهاء في التفريق بين الفقهاء والسفهاء، هي التي تعرف عليها المؤرخ المذكور من خلال الكناشة التي ترك جده الذي كان إماما للسلطان إسماعيل، والتي رفع فيها نسبه إلى أبي القبيلة "زيان" ومنه إلى الجد مالو الصنهاجي، ومن مالو رفعه إلى اليسع الذي أسلم على ما في تاريخ سليمان بن سابق المطامطي نسابة البربر، ومنه إلى أبي البربر مازيغ بن نبذا بن كنعان "بن حام"، بن نوح(1).

ومهما يكن فإن محمد أحمو الذي انتهز الفرصة المواتية أصبح المقدم الرأي في المنطقة ما حول زيان الوعرة، الممتدة ما بين وادي أم الربيع وعبره، والتي تحدها

(1) راجع الترجمانة الكبرى تحقيق المؤلف ص 58 ط1956م وكنعان حفيد نوح كما سبق وليس ابنه.

غربا أراضي تادلة وقبائل آيت وراء وشرقا ثم الجنوب الشرقي قبائل آيت امگيلد وايشقرن، وآيت شخمان، ثم آيت احنيني، وآيت يحيى ويوسف أدارسة تونفيت، ومن ناحية الشمال والشمال الغربي قبائل كروان وزمور.

كما أصبح المسؤول عن الفرقة العسكرية التي رسمها السلطان في المنطقة منذ ما بعد حادثة اغتيال سرور 1305هـ وقوامها ستمائة نفر كان الذي يتاجر معهم في كل حاجياتهم في المنطقة المقطوعة هو القائد محمد احمو الذي كون له بذلك ثروة كبيرة، واستولى على أراضي واسعة، وإذا ما توفي المولى الحسن ونصب عبد العزيز من طرف احماد بن موسى فإن هذا الأخير الذي كان يقول بالقيادات الكبيرة، وجعلها في يد مسؤول ثقة تحقيقا لفكرة شبه اللامركزية لم يجد أحسن من محمد احمو الذي كان يتوفر على مميزات لم تتوفر في غيره سلبا وإيجابا، وبذلك تمكن أكثر وأصبح صاحب السلطة والنفوذ، إلى درجة أنه أصبح أيضا شبه مفروض خصوصا عندما اضطربت الأحوال بعد موت أحمد بن موسى، وأخذت الفوضى تنتشر، وسمعة المسؤولين تتدهور بسبب الدعاية التي كانت تنشر ضد وجود الأجانب من مختلف الجنسيات داخل الجيش المغربي وفي قيادته، وكان المتزعمون لهذه الدعاية في الأطلس المتوسط هم رجال فرقة "الجيش المرابطة بزيان التي وظفها السلطان مولاي الحسن قبل، والتي كان جل أفرادها من المتدينين المعروفين بالثقة، الأمر الذي مهد لثورة المولى عبد الحفيظ، فكان من أنصارها جل سكان المنطقة وقوادها، يتقدمهم القائد البطل محا وسعيد الوراوي، ومحمد أحمو الزياني الذي لم يقتصر على التأييد العملي لعبد الحفيظ، بل صاهره بابنته "رابحة" التي قدمها له وقت مروره، وليس كما قال بعض القصاصين من الفرنسيين، أنه قدمها للمولى الحسن، ولصغرها بقيت إلى عهد عبد الحفيظ الذي تزوجها، كما أسند عبد الحفيظ باشوية مدينة فاس إلى ولد محمد احمو المسمى حوسا(2) الأمر الذي دفع الكثير من بعض قواد البربر في المنطقة إلى اظهار الحسد ضد محمد احمو فناصبوه العداء زمنا

(2) يوجد ظهير التولية عند ولده مصطفى نحوسا، وربما تخلف بعده عند عائلته وقد وقفت عليه مزخرفا بالألوان مختوما بالطابع الكبير، مما يدل على العناية الفائقة من المولى عبد الحفيظ بابن صهره محمد احمو، وقد كان هذا التعيين هو الذي جر على المولى عبد الحفيظ نقمة قبيلة بني مطير العربية الأصل كما سبق.

في كل من قبيلة آيت مجليد، وبالأخص قائدهم حم واعزيز، ومثلها قبيلة إيشقيرن مع آيت يعقوب وعيسى، وقائدهم ولد العربي ومحمد ابناصر، وكذا آيت حند "احمد" وعيسى، وامزناتن، وقائدهم غدان، وبوعزة العبد الكريمي، والقائد علي ولحسن اليعقوبي، ثم القائد محمد أقبلي الزياني، صاحب مريرت، بل تقول الرواية المحلية أنه كان يلاقي عدم الرضى من جل أهل زيان، بحيث كان على طرفي نقيض مع آيت أحمد والعربي، وآيت بلقاسم، وآيت سيدي العربي وقائدهم محمد بن عمر البوزكي والمرابطين، وقائدهم محمد بن محمد بن الطيب، وآيت هود وقائدهم حمو الاسحاقي من آيت اسحاق، وآيت يعقوب وعيسى حلف آيت شخمان، وايشقيرن، وقائداهم الجلالي بن يعقوب والقائد غدان.

كل هؤلاء ناصبوا محمد احمو العداء نقمة بسبب استئثاره باعتبار السلطان، ومع ذلك لما نادى منادي الجهاد ضد الغزو الفرنسي نسي هؤلاء أو تناسوا ما كان بينهم من حزازات إلا قليل منهم، خصوصا وأن القيادة العسكرية للفرنسيين ودهاقنتهم وقتها، كانوا قد خططوا لغزو تلك القبائل التي كانت شديدة الحماس بفضل دعوة العلامة أحمد بن الحسن السبعي وقيادة المجاهدين يتقدم محا وسعيد الوراوي، وعلي بن المكي امهاوش، ولقد كانت خريطة ميدان القتال تمتد من أرض آيت امجليد إلى أرض تادلة وبني ملال غربا ثم إلى تخوم آيت يحيى ويوسف جنوبا، وكان المركز الذي اتخذه محمد احمو الزياني هو المكان المعروف بـ قصبة خنيفرة من أرض أدخسان، في هذا المكان كان محمد احمو قد استقبل السلطان عبد الحفيظ بعد بيعته بمراكش، وانتقاله إلى مدينة فاس، مرورابالأطلس المتوسط، الذي بايعه رجاله يتقدكهم محمد أحمو الزياني، وها هو اليوم عبد الحفيظ يغادر البلاد ساخطا على غدر الفرنسيين وخيانة العملاء، وإذا هو قام بجولة علمية في المشرق فإنه عاد إلى مدينة طنجة حيث اختار الإقامة بها كما فعل صنوه عبد العزيز، وإذا كان عبد الحفيظ قد خطط لبناء قصره الذي يعرف بقصر "حسنونة" والذي هو اليوم مقر المستشفى الإيطالي بمدينة طنجة، فإنه وكما هو مسجل في ذاكرة الشيوخ من أهل المدينة كان كثير الاتصال بالمثقفين من رجال تلك النواحي وطلبتها، بل كان منزله منتدى للعلماء والسياسيين ورجالات القبائل، خلافا لما كان عليه صنوه عبد العزيز من انقباض وعدم اتصال، وإن كان هو الآخر في هذه المرحلة قد اتصل به جماعة

رجال الجامعة الإسلامية المغترين بالالمان كما اتصلوا بالريسوني، والهيبة ابن ماء العينين، ثم عبد الملك ابن محيي الدين أخ الأمير عبد القادر وليس بحفيده بل ولا ما قاله عنه الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور، الذي وصفه بالخيانة في أعلامه ج1/320 المطبوعة(3)، وهونفس الوصف الذي أطلقه على البطل المجاهد احمد بن محمد الريسوني ظلما وخدمة للاستعمار وعملائه، مع أن الفرنسيين أنفسهم لم يتجرؤوا على عبد الملك، راجع الاثار المجيدة للكولونيل فوانو 33-34 وعمر أبو النصرفي كتابه بطل الريف ص 87ت اط 1934م وكريم خليل ثابت حول محمد بن عبد الكريم الريفي الخ..

كان عبد الحفيظ فعلا قد تمرس على صناعة الثورات، وفي مدينة طنجة حيث لمس عن كثب مدى التذمر والنقمة ضد الاستعماريين من الفرنسيين والاسبان، فإنه فكر في أن لا يتركهم يتذوقون طعم الراحة في المغرب الذي فرضوا عليه حمايتهم، بل والذي ضيقوا الخناق على شعبه وسلطانه، وإذا ما أقبلت سنة 1914م وهو عام الحرب التي أعلنت يوم 2-8 بين الألمان وحلفائهم الترك من جانب، والفرنسيين وحلفائهم من الأنجليز وغيرهم، فإن الألمانيين وقد عرفوا ما كان عبد الحفيظ يدفع إليه المغاربة من أجل الثورة ضد الفرنسيين، فإنهم عملوا على أن تقتحم دعايتهم ضد الفرنسيين وبطريقة مباشرة، منتدى عبد الحفيظ الذي كان قبل على اتصال قوي برجال الجامعة الإسلامية الذين نشطوا وقتها، ومعهم الألمان، حتى إن نشاط عبد الحفيظ واتصاله بأهل الريف أثار ضجة كبيرة في أوساط الفرنسيين الذين عملوا على جر نقمة الاسبان على كل الذين انهموا بالاتصال به وقتها، ومنهم البطل محمد بن عبد الكريم الذي بعد سيعمل قاضيا بمليلية والذي كان محل تحقيق شديد عام 1915م بدعوى أنه على اتصال برجال الجامعة الإسلامية الذين هم دعاة عبد الحفيظ وقتها، وإذا كان والد عبد الكريم قبل قد اتصل بكل من الألمانيين إخوان مانسمان هيلمان، وفارل، ثم بعبد الملك ابن محيي الدين أخ الأمير عبد القادر الجزائري، كما سنرى، فإنه لاغرابة من أن يكون الولد عبد الكريم قد أكمل الاتصال، فكان ذلك سببا في سجنه الذي دام ما يقرب من السنة كما سنرى إلخ..

ومهما يكن، فإنه إذا كانت ألمانيا يوم أعلنت الحرب ضد فرنسا قد بلغت أوج

(3) جـ 1/320 ط المطبعة الملكية.

رخائها نتيجة لسياسة بسمارك 1863ـ 1946 التي تعرضنا لها قبل، والتي مكنتها من إذلال فرنسا وتمريغ كرامتها قبل، فإنهم كذلك لا يعرفون الاستقرار إلا إذا هم انتقموا من العدو التقليدي الذي استولى على المغرب، ثم هو أخرجهم من المولد بلا حمص كما يقول المثل المصري.

كان عبد الحفيظ يعرف ذلك جيدا كما عرفه قبل وزير خارجيته عيسى بن عمر العبدي الذي كان وقتها قريبا سيتذوق نكال الفرنسيين، حيث أبعدوه بتهمة الميل للألمان بعد ما جردوه من كل ممتلكاته إلى مدينة سلا التي مات فيها مهملا ولم يعرف إلا بعد موته بثلاثة أيام، وهكذا فقد عرف الألمانيون وبخبث لئيم كيف يثيرون عبد الحفيظ، وكيف يستعملون عملاءهم في الداخل، الأمر الذي أدى إلى جمع كل الألمانيين والمحميين بمحمايتهم في المغرب، في سجل تطوع بالكشف عنه عبد الله الفاسي الذي كان قبل موظفا بوزارة الخارجية المغربية، ولما كشف عبد الحفيظ خيانته طرده حيث أصبح تابعا لمحمد بن الرشيد العراقي قاضي السماط بالرصيف ووقتها جاءت فرصته لينتقم بطريقة فيها الكثير من الخيانة والغباء كما سجل ذلك شيوخ(4) مدينة الرباط الذين كان بعضهم من موظفي تلك الإدارة التي كان مقرها بالمكان الذي فيه وزارة الشبيبة والرياضة اليوم، مقابل جامع السنة.

كانت الحملة ضد الفرنسيين محكمة وعنيفة أدت إلى إغراء كل الناقمين على فرنسا وحكمهم بانتصار الألمانيين لا محالة، وفي ذلك دلالة على ما كان عليه المغاربة من حقد قوي وشديد ضد الاستعماريين الفرنسيين، استمر إلى أن تركوا هذه الديار، ولربما ذلك ما جعل عبد الحفيظ يعتقد أن هزيمة الفرنسيين في المغرب وطردهم خارج حدوده، لا يحتاج إلى أكثر من اشعال النار ضدهم في الأطلس المتوسط وفي الشمال ضد الأسبان ومن أجل ذلك اتصل بالريسوني وبأسرة محمد بن عبد الكريم الريفي وبني ورياغل، حيث

---

(4) منهم السيد بوبكر بناني القاضي سابقا بالمجلس الأعلى والمتقاعد حاليا وهو من مواليد 1308هـ/1890م وقد كان ضمن الموظفين بالإدارة المكلفة بشؤون الألمان وقتها، ومكانها هو وزارة الشبيبة والرياضة حاليا أمام جامع السنة يقول صاحب الرواية. وقد وقف على مدى خيانة عبد الله الفاسي وتملقه للفرنسين، وقد ورث خلفه عنه ذلك بحب كبير وتمسك شديد، كانت الإقامة العامة لا تتورع في فضحهم كما سنرى في عهد الجنرال جوان ومواقفهم من محمد الخامس 1947ـ 1951ـ53م.

كان الواسطة بينهم: السيد الحداوي(5) الطنجي، أما محمد احمو الزياني فإن الاتصال به وتمويله زيادة على ما كان لدينا من الوثائق(6) يخبرنا عنه صاحب السلطان عبد الحفيظ المرحوم ادريس ولد منو الهشتوكي السوسي حاكم مدينة مراكش قبل والذي كتب في مذكراته كما أملاها على المرحوم محمد المختار السوسي، والذي يقول "كان المولى عبد الحفيظ أيام الحرب الكبرى لعب دورا خطيرا في "المغرب" وذلك أنه اتصل بحلفائه الألمانيين، كما اتصل بمحمد احمو الزياني وأمثاله في الجبال، فكان يسرب إليهم الأموال الضخمة كمائة ألف ريال، ومثل ذلك، قال - يعني صاحب المذكرات - وكان حاملوا الرسائل والأوراق البنكية يعتمدون علي فأرشدهم إلى الطرق المأمونة، وكانوا يحترفون بحرف لا يؤبه بهم معها كما يشتغلون بنقل الحطب أو الفحم(7)..."

وهكذا فإن الدور الذي قام به المولى عبد الحفيظ في إثارة النقمة ضد الفرنسيين كان فعالا، فقد رأيناه كيف كان يرسل الأموال كما يقول صاحبه إدريس ولد منوباشا مدينة مراكش، وعدو الجلاويين، وإذا كانت الدعاية بلاشك قد فسحت آمال القوم في عودة السلطان الشهم وقتها، نوعا من الاتفاق وقفنا على ذكرياته بدراستنا الميدانية في عين المكان، حتى إن بعضهم اليوم(8) ليصف المعارك التي شارك فيها وصفا دقيقا كما يذكر أسماء كل الذين استشهدوا من قومه،، وهذا ما عرفته من الكثير من رجالات آيت مجليد وزيان، وآيت يحند ثم آيت يحيي ويوسف الادارسة وجيرانهم آيت حنيني، وآيت شخمان،

---

(5) راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية أو مديرية الوثائق الملكية بالرباط ونسخة منها توجد عند ولده محمد الحداوي ثم وثائق أخرى حصل عليها سمو الأمير يونس بن المولى عبد الحفيظ لما كان عاملا على مدينة طنجة ثم سلمني بعضها.

(6) المصدر السابق، ثم راجع تهجم العميل وديع كرم وقتها على المولى عبد الحفيظ بجريدة السعادة بتاريخ 29 ماي 1914م.

(7) على مائدة الغداء ص 104 - 105ط الساحل بالرباط بدون تاريخ.

(8) كان ذلك في خنيفرة بمنزل المولي الحسن ابن الهادي البلغيثي نقيب الاشراف العويين بتاريخ 1959/12/23م ثم في جنان أماس بزيان، بواسطة القائد محمد امهروق ومولاي أحماد امحزون حيث اتصلت ببعض الشيوخ الذين حضروا معركة الهري وفيهم الحاج عبد القادر، ومن تلك الدراسات والوثائق ما صادرته الشرطة ضمن مؤلفاتي التي قيل انها تخل بالأمن العام. قبل نشرها لأنها بها قصص الشياطين الخمس الاعور، والاقرع، والأعرج، والأسود، وقزم الرباط لكنني بعد رأيت بعض تلك الوثائق حول محمد احمو وقد نشرها بطريقة مزرية الهاشمي العلو الموظف بالديوان الملكي قسم الشكايات إلخ..

وإيشقيرن إلى آيت اسحاق ثم آيت ورا.

وكان ليوطي قد أعد لغزو خنيفرة ثلاث حملات من مكناس، وتادلة وولماس وكان ميدان المعارك رحبا واسعا ما بين أزرو شرقا وأزغار غربا، وكانت خنيفرة حيث محمد احمو الذي استطاع الفرنسيون أن يكتشفوا اتصاله بالسلطان عبد الحفيظ أكثر، حيث شددوا الحصار عليها برا وجوا، لكن خسارة الفرنسيين كانت فادحة بسبب كثرة المقاتلين من رجال القبائل، مما جعلهم يوزعون قواتهم بعيدا عن خنيفرة، ويكتفون بحصارها من ناحية امريرت، حيث كانت قواتهم تستمد عتادها من مكناس، وهكذا بقوا مدة ستة أشهر من سنة 1913م لا تعرف مدافعهم توقفا، ولم تقتحم قواتهم مدينة خنيفرة التي ما تركها محمد احمو، إلا يوم 12 يونيه 1914م، حيث دخلها الجنرال هنريس على جثث الضحايا من أبناء قومه، والذين كانوا معهم من فرق المرتزقة الذين جلبت فرنسا الكثير منهم إلى المغرب، لأن الحرب العالمية كانت قد هزت فرنسا فلم تعد قادرة على تمويلهم بالقدر الذي يمكنهم من التقدم والاستماتة في ميادين القتال التي تعددت في المغرب من الشمال إلى الجنوب، كما سنرى بعد حين كلامنا على الريسوني وولد أحميدو السكان والشريف مزيان وغيرهم. ومهما يكن فإن معركة دخول خنيفرة(9) كانت حامية جدا، عرف فيها الطرفان الكثير من الخسائر، لكن خسائر فرنسا بعد شهور سوف تكون أشد عندما يشتد الحماس ويتجمع أكثر عدد من رجالات القبائل.

لقد كان عدد المتطوعين في صفوف المجاهدين من رجال القبائل المشار إليها قبل، يعدون بالآلاف كل مسؤول عن نفسه، لا فضل لأحد على غيره، حتى محمد احمو الزياني الذي أخبرنا ادريس ولد منو أنه تلقى مائة ألف ريال من السلطان عبد الحفيظ، لم يكن ملزما بالانفاق، على أحد، وفعلا يقول من كانوا معه لم ينفق على أحد إلا ما كان من الذين هم تابعون له وفي خدمته أو من أفراد عائلته، حتى رجال قبيلة آيت مجليد الجنوبية، كانوا يجلبون معهم من المؤنة ما يكفيهم رغم بعد المسافة، فقد شارك منهم في حرب زيان الكثير الكثير جدا وهم آيت عبدي وأفخاذهم: آيت عرفة، وآيت واح، وآيت

(9) خنيفرة مدينة تقع على ضفة أم الربيع وترتفع عن سطح البحر بـ 830م تبعد عن أزرو 81 كيلومتر وعن تادلة بـ 100كم.

محمد، وآيت ممروگ، وآيت مولى، ثم ركلاون، وأفخاذهم آيت حمامة وآيت بوهو ويشو "يوسف"، وإغربيين، ثم آيت فاصكة، وكذا آيت وقاص وأفخاذهم آيت بوجمان، وآيت مسعود، وآيت أوادير، وآيت إلياس، وهؤلاء لم يحكمهم المخزن ثم نجد:

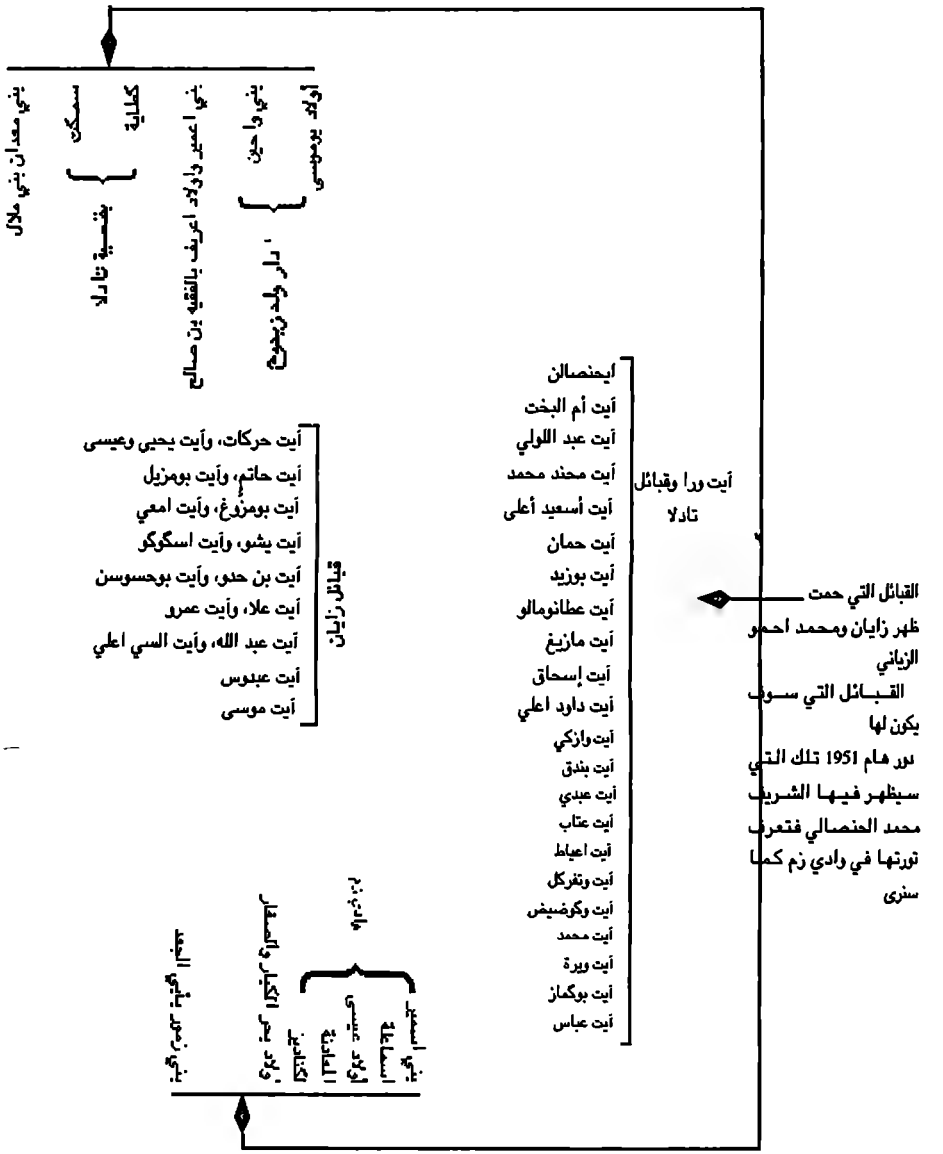

ولكل فخذ من هذه الأفخاد فروعا، مثل آيت سعيد وحسين، وآيت موسى وعلي، وآيت عمرو وحسين(10)، وآيت يحيى وحسين، وآيت قبل لحرام، سكان أجرسيف قرب بوميا، ومنهم آيت يحيى وعيسى، وآيت غانم ويشو، وآيت يعقوب ويشو"يوسف"، ثم آيت علي وغانم، وهم سكان ما بين بومية وكروشن، وآيت مسعود سكان ما بين اغبالون سردان وما حوله، ومنهم آيت واحي وحقي، وآيت سعيد وحقي، وآيت بوبكر.إلخ..

كل هذه القبائل شاركت في المعارك التي دارت في المنطقة المشار إليها، والتي كان الرجال يتسابقون للمشاركة فيها، حتى يكتب لهم ما وعد الله به المجاهدين في سبيل الله، ومع ذلك لم يتطوع ولا واحد من المؤرخين المغاربة للكتابة حول بعضهم أو جلهم بل حتى أمثال محمد وسعيد الوراوي ومحمد احمو الزياني كتب عنهما وعن غيرهما من الأبطال كأحمد بن الحسن السبعي وعلي امهاوش(11) بعض الأجانب شبه مذكرات، أما مدى دفاعهم عن الوطن وبلائهم الحسن فذلك ما لم يتعرف عليه أحد من المعاصرين المغاربة وغير المغاربة، رغم توفر مادة الكتابة لمن يريد القيام بدراسة ميدانية والبحث عن الوثائق التي دونها المستعمرون عسكريين ومدنيين.

مهما يكن فإن معارك محا وسعيد الواراوي، ومعارك آيت مجليد، وآيت إسحاق، وآيت شخمان، وإيشقيرن، خصوصا تلك التي كانت تخوضها جماعة العالم الجليل أحمد ألحسن السبعي عدو الفرنسيين الأول، كانت من عوامل التخفيف على مدينة خنيفرة وتمكين بطلها محمد احمو وأهل زيان من توجيه الضربات العنيفة لقوات الغزو الفرنسي، بالإضافة إلى أنها كانت تجرها بعيدا حتي توسع دائرة القتال، الأمر الذي كان الفرنسيون معه يجدون كل الصعوبة لا في التقدم، بل في المحافظة على مواقعهم حتى تصلهم الإمدادات التي شحت أيام الحرب العالمية ومواجهتهم للألمانيين.

لقد بلغ عدد القتلى في الجانب المغربي بسبب غزو خنيفرة تقول مصادر

---

(10) يقولون أن كل بطون آيت امجيلد يتصفون بالكرم فوق العادة. ماعدا آيت عمرو وحسين فإنهم يتصفون بالبخل فوق العادة إلى درجة أن من حازته الظروف عندهم يموت جوعا ولا يتذوق طعامهم حتى لو وجدهم يأكلون ولذلك كانوا هم دون غيرهم أبعد عن الفضيلة التي منها الجهاد وروح الوطنية.

(11) راجع جريدة السعادة 4 ابريل 1914-13جوان 1916م. وهي التي كانت تكتب عنهم تحت عنوان "الخارجين على السلطان" وذلك ما كانت تصف به كل مجاهد رفض الاستعمار.

الفرنسيين ـ حوالي 1921 مع العلم أن الكثير من العائلات كانت تخفي قتلاها خوفا من الانتقام الذي كان الفرنسيون لا يتورعون فيه كلما انتصروا، بل كان أمثال محمد كاباص "الجباص" يدفعهم لذلك بدعوى أن المغاربة لا يتوقفون أو يتراجعون إلا بالشدة والعنف، كما صرح لهم بذلك في كثير من الاجتماعات التي كان يحضرها مع سيده اليوطي من أجل التخطيط لغزو الجهات التي لم يخضع أهلها، وبذلك كان الفرنسيون إداريا وسياسيا لا يحتاجون إلى إذن الجهات الرسمية حتي يكون لغزوهم أساس يعتمد، فكان محمد كاباص "الجباص" هو صاحب الإذن بصفته الصدر المفروض، وأما قتلى الفرنسيين تقول مصادرهم أيضا "فوانو" وحسب احصائهم في تلك المعارك فقد بلغوا 7659 قتيل و926 جريح، وذلك ما بين 17 مارس 1913 و30 يونيه 1914م ذلك أنه منذ فاتح يوليوز، علمنا أنه أصبح في إمكان المواطنين كأفراد وجماعات أن يهاجموا قوات الغزو الفرنسي من حين لآخر، بل إن كل من تحركت في نفسه نخوة الاعتزاز واستطاع أن يوجه ولو ضربة لجندي من قريب أو من بعيد، كان يفعل ليرهب تلك القوات ويؤخرتقدمها في اتجاه الجنوب، خصوصا بعد الكمين الذي نصب لقوات الغزو بين خنك الدفلة، وبرج محمد احمو يوم 4 غشت 1914م، والذي قتل فيه من جنود الغزو 2013 وجرح 1800 ومن الضباط 18 وكان هذا الكمين إلى جانب المعركة التي دارت بين قوات الغزو وأهل زيان في المكان المعروف بسيدي موسى، مما زاد في نقمة الضباط الكبار وتذمرهم، إلى أن يكثروا من الجواسيس لمعرفة أين توجد كل تلك القوات التي لم تضعف ولم تتوقف رغم استعمال الفرنسيين لأكبر قواتهم، أكثرهم عددا وعتادا، وإذا علمنا أن ما بين دخول خنيفرة وموقعة تازكزاوت من السنين، وهي في نفس المنطقة، ندرك مدى الخسارة التي تكبدتها قوات فرنسا، فقد كان فتح خنيفرة بواسطة قوات الجنرال هنريس يوم 3/8 عام 1915 ومعركة تازكزاوت وتونفيت بقيادة الجنرال نيجر في شهر يوليه 1931أي ستة عشر عاما في مسافة لا تزيد عن الخمسين كيلومتر، حسب الطريق المعبد اليوم. ونصفها عن طريق القوافل وتخطى الشعاب قبل.

مولاي عبد العزيز

مولاي عبد الحفيظ

مولاي عبد الحفيظ

الفصل التاسع عشر بعد المائتين

موقعة لهري: بزعامة محمد أحمو الزياني

إنها المعركة التي مرغت فيها قبائل الأطلس المتوسط شرف فرنسا العسكري في الوحل، بل وبصداها عرفت فرنسا الذل والبخس والتحقير.

أشرنا قبل إلى أن الفرنسيين لما اشتد بهم الضيق من كثرة الهجومات التي لم تتوقف ومن كل اتجاه، كان يقوم بها الأفراد والجماعات، والتي كبدتهم الكثير جدا من الخسارات في الرجال والعتاد، وقتها أكثروا من الجواسيس قصد الاستطلاع، وكان من بين هؤلاء الجواسيس المعروفين شخص يعرف بالشاوش عمر(12)، فهو الذي جاءهم يخبر أن محمد احمو الزياني يخيم بالقرب منهم على بعد عشر كيلو مترات من خنيفرة، في مكان يعرف بـ "لهري" وهو المكان الذي كان ولا يزال يسكنه الأشراف العلويون من آل محمد بن علي الشريف، والذين نزحوا إليه منذ تأسيس دولتهم وخلافهم مع أبناء عمومتهم من آل يوسف بن علي الشريف كما فصلنا ذلك في تاريخنا لتأسيس الدولة العلوية وهؤلاء المحمديين(13) كانوا ولايزالون معروفين بشدة البأس وروح القتال، وقد كان لهم دورفي المعارك التي دارت في المنطقة.

كان المجاهدون من أهل المنطقة وحسب ما وقفوا عليه بالنسبة لظروف الفرنسيين القاسية يتوقعون عدم خروج الفرنسيين من خنيفرة ومطاردتهم أو اللحاق بهم في شعب لهري، مما جعل محلة «معسكر» محمد احمو يطمئن رجالها لواقعهم ولا يهتمون بغير ما

---

(12) من رواية الحاج عبد القادر الفقيه، كاتب كل من القائدين حسن وأمهروق ولدى محمد احمو الزياني. بتاريخ 15.6.1959 بمنزل محمد أمهروق.

(13) إخوانهم سكان أبو عام وأولاد محمد بتافيلالت، وتاكنيت بدرعة، وبويب الريح ببني زروال، واسكورة بوادي درعة وتارودانت بسوس..

ينقل لهم من خبر قتلى المرتزقة والضباط ومن جيشوا ضمن جيوش الغزاة ما بين حين وآخر، والذي بلغ الضيق بضباطه إلى درجة أن الجنرال ليوطي اعتبر دخول خنيفرة فتحا يحق التنويه به والافتخار، لأنه انتصار على محمد احمو الزياني، وذلك ما قاله ليوطي يوم 25 أكتوبر 1914م حين وقف خطيبا في ساحة سوق الأربعاء بالغرب وكانت أعصابه متوترة بلا شك على غير عادته في تخدير أعصاب المغاربة بأقواله التي كان يشيد فيها بل يرى ويعيش مما لم يشاهده في الأقطار التي استعمرتها فرنسا، وكان ضمن غزاتها، كما وأن خطابه هذا كان وقت أن اتقدت نيران حرب فرنسا مع الألمان، وهم الجرمان كما كان يطلق عليهم الجنرال، والذين كال في حقهم من الشتائم ما شاء وهو مالا يعنينا بقدر ما قاله في محمد احمو، وكأنه غير عابئ لأنه لم يدرك ما كان يخبئ له القدر ولقومه بعد ثمانية عشر يوما، على أيدي الرجال من الذين كان يقودهم محمد احمو الزياني وغيرهم من رجال القبائل المذكورة قبل قال الجنرال: "فها نحن طردنا الهيبة من مراكش، ودخلت جنودنا ظافرة لتادلة، وتازة، وأخرجنا الزعيم الزياني من الخنيفرة"(14).

كان الشاوش عمر المجهول النسب عند كل الرواة قد نشط في تلك الأيام حيث استطاع أن يمد قوات الغزو بمعلومات وضعوا على أساسها وماشاكلها خريطة الميدان

(14) راجع الخطاب في كتاب سمط اللئالي في سياسة المشير اليوطي نحو الاهالي، ص 36ط 1925 وبالمناسبة لا يفوتنا هنا أن نشير إلى المذكرة التي كان اليوطي قد وجهها لبقية العسكريين قبل بتاريخ 13-7-1913 تحت عدد 1667 يطلب منهم فيها القيام بأبحاث كل على حدة موضحا رأيه في الوسيلة التي يجب اتباعها في العلاقة بين الادارة الفرنسية والقبائل الخاضعة، والتي بعد لم يتم اخضاعها وكان من بين التقارير التي نالت عناية ليوطي تقرير الجنرال هنريس، الذي ركز على وجوب المحافظة على تقاليد القبائل البربرية فكان من نتيجةذلك ظهور الظهير البربري الذي أعلن بتاريخ 11-9-1914 وبنوده 9 كما سنرى بعد، ثم اللجنة التي كرست للاهتمام بتلك التقاليد في شهر يناير 1915 برئاسة گايار وعضوية لوت بيارني، والكولونيل سيمون، والكومندار بيريو، والأستاذ نهليل، وكانت مهمتها الاتصال بالمراقبين المدنيين والعسكريين وجمع أبحاثهم ثم تكون من مجموعها ما يتفق والغاية المرجوة من السياسة البربرية في المغرب على غرار ما سبق في الجزائر، وفي مصر على يد المجرم بطرس غالي(1847-1910م) الذي فرق المصريين إلى أقباط وعرب 1847-1910 وبسبب ذلك قتله ناصف الورداني يوم 20-2-1910 بعد ما قام بأخس الأدوار خيانة لبلاده وشعبه وتملقا للاستعمار الانجليزي الذي كان قد اشتدت وطأته على شعب مصر فأسند إلى بطرس الذي كان مدرسا منصب نائبا لوزير العدل زمن ثورة أعرابي باشار رحمه الله ثم وزير للمالية 1893م ووزير للخارجية 1895م وأخيرا رئيسا للوزراء 1908 ونفس النهج سلكه الفرنسيون مع الدخيل الاسباني كاباص الذي أصبح محمد الجباص والذي في عهد صدارته 1912-1918 صدر الظهير البربري.

والهجوم المباغث على جماعة محمد احمو ومن معه من أهل زيان بل ومن معهم من رجال القبائل، بل حسب زعم المجرم الشاوش عمر أمكنهم بواسطته التعرف على بعض الرجال والأماكن معرفة دقيقة وزادهم اغترارا صحة خبر ما حمل إليهم الجواسيس من محاولة انضمام آيت عبدي والقائد سعيد وحدو وميمون ولد اعراب إلى صفوف الغزاة ضد محمد احمو وقد حصل، لكن فات قيادة الفرنسيين أنه كان إلى جانب محمد احمو رجال أقوياء الإيمان خبراء بطرق الكر والفر، ثم وضع الكمين للعدو في الوقت المناسب وفي المكان المناسب كذلك. خصوصا وأن كل جواسيسهم لم يعرفوا عن محمد احمو ولا عن قومه المقربين قليل ولا كثير، بل كان الجواسيس لا يقتربون من ساحته بعدما علموا أنه اكتشف دخيلا لمجرد أنه غسل وجهه بنوع من الصابون لم يكن مألوفا فلما شمه منه محمد احمو أمر بقتله يقول خديمه الحاج عبد القادر وقد كان حاضرا، بل إن ما كان محمد احمو يقدره من أفكار، ويعتزم القيام به من الأعمال التي كان لا يبديها إلا وقت التطبيق والتنفيذ، لا يعلمها أحد ولا يبديها لمخلوق سوى امرأة واحدة فقط، كان محمد احمو إلى جانب حبه الكبير لها يدفن كل أسراره في صدرها وبين حنايا أضلعها وقلبها الكبير، تلك المرأة العظيمة التي كانت إلى جانب محمد احمو قد ساهمت في العظمة التي اتسم بها بعد معركة لهري، هي زوجته المفضلة التي كان رأيها الصائب أحب إليه من أي رأي، وهي يطو علي، لمرابطية نسبة إلى قبيلة لمرابطين فرع من زيان، والتي لولاها لما كانت الدائرة على الضابط الفرنسي "لافيردو" وفرقته،بل ولكانت النهاية التي آمن بها الغزاة وركز لها جواسيسهم من شيعة الشاوش عمر اللعين وعززتها آيت عبدي والقائد سعيد وحدّو وميمون ولد أعراب، وحمو وقسو.

كانت يطو على ليلة المعركة قد قضت مع زوجها وفي الخيمة الكبيرة بشعب لهري وقتا طويلا كله مذاكرة وتبادل رأي حول حادث انقلاب آيت عبدي، الذين كان محمد احمو قد قام بجولة تحريضية ضدهم لمدة أسبوع، ثم رجع ليجد المضافين إلى المجاهدين من القبائل المجاورة في معركة دق أوتاد الخيام ونصب الأعمدة، وربط الخيل ثم وضع الحراسة المشددة في الناحية الموالية لخنيفرة ناحية الشمال، حيث يمكن مراقبة المسالك في اتجاه قوات العدو، كانت يطو أول ما تهتم به كلما حصل تنقل من مكان إلى آخر هو

الوقوف على نصب وترتيب بيت النوم بها، بعيدا عن موقد الطبخ ومكان نوم المساعدين، ورغم الموافقة الدائمة من محمد احمو على ذوق يطو علي، وترتيبها لمرافق الخيمة، فإنه هذه المرة بعد عودته من رحلته أدخل تغييرات على الشكل العام للخيمة، حيث قرب بيت سمره مع كبار القوم إلى بيت النوم، وما كاد يفرشه حتى أمر بعضهم أن يخبر جماعة الرأي بالحضور حتى يخبرهم بما تم الاتفاق عليه مع كل الذين زارهم ضد آيت عبدي والقائد سعيد وحدو وميمون ولد أعراب.

وفعلا فقد حضر القوم ليلا حيث كان الحديث كله حول الابطال الذين سقطوا شهداء وما يجب عمله لتعويض من يليق في مواقعهم، لشد ما كان تأثر الجميع حين أخذ القوم في عد القتلى الذين لا يعوضون مهما حصل، وكان من بينهم علي المرابطي صهر محمد احمو، ووالد زوجته يطو التي كانت في بيتها مفصولة عن القوم بستار سميك نسج كباقي الخيمة من الصوف وشعر الماعز، وما كادت تستوعب ما قيل في حق والدها من عبارات الرثاء والثناء، حتى انفجرت مغردة بالبكاء وقد طبع صوتها برنة من الحنان الحزين، الأمر الذي حدا بالمتسامرين لمغادرة المكان حتى يتمكن محمد احمو من مواساة أحب امرأة إلى نفسه، ولطالما حاول بعبارات كلها لطف وحنان، ولما سكن روعها ألقى بجسمه ممتدا على الفراش الذي كانت يطو قد وضعته قريبا من المسخن حتى يعتدل الجو من شدة القر الذي كان يزداد شدة بتقدم الأيام ما بين نوفمبر وفبراير.

كان قد مضى من الليل أكثر من نصفه، ورغم أن خيمة القائد كانت في أول الشعب بل وفي مقدمة المخيم لاسباب منها اظهاره البطولة حسب التقاليد، وحتي لايتقاعس أحد بدعوى أن خيمة القائد تتوارى خلف أو وسط الخيام - ومع ذلك فإن محمد احمو كان قد غط في النوم إلى درجة انزعجت معها يطو ثم أخذت تتقلب يمينا وشمالا، وأخيرا هجرها النوم فرجعت إلى التفكر في ماغمها من هموم وأحزان، وإذا كانت النافذة المصنوعة من شبكة قوامها حبال الشعر تقع شمال الخيمة قريبا من المخدع، فان يطو قد اقتربت منها ثم رفعت الستارعنها حتى تتعرف أحوال الطقس الذي كان يزداد قرا بسبب تساقط الثلوج فوق قمم الجبال المجاورة، وإذا هي تراجعت نحو الفراش ثم وضعت الغطاء على كتفيها من غير أن تستسلم للرقاد،وإذا هي رغم عدم تبيان نورالصباح فكرت

في إعداد الافطار، فإنها ماكادت تستقر على رأي التوجه إلى الموقد حتى سمعت صهيل جواد القائد الأصيل الذي ترجع أصوله في موطنها إلى ناحية ميسور، ذلك أن هذا الجواد كان يصهل ويدخل في عراك مع رئيسه كلما شعر بما يزعج، أو يصهل ثلاث مرات وقت أذان الفجر، وفي هذه الليلة تخلفت عادته وأخذ يركض ويصهل ثم يلوح برأسه بشكل فيه حدة، وكأن أحدا حوله يقلق راحته أو يفعل ما يزعجه، بيد أنه لم يكن بالقرب منه شيء وإنما سمع حوافر خيل وعلى بعد كبير يتردد صدى صهيلها من أعلى الربوات وعلى قمم الجبال فيلتقطه سمع الجواد الأصيل الذي انزعجت يطو لا نزعاجه بطريقة عصبية، وقد جفاها النوم وضاقت أنفاسها، فقامت لترفع ستار باب الخيمة ثم تقول للحراس الذين كانوا بمربط الخيل استعدادا للطوارئ: ما بال الجواد يفعل على غير عادة، فرد عليها باعدي ولد القائد إنه لايعرف السبب، وتوا أمرت اثنين من الرجال أن يذهبا بجواديهما إلى الربوع الشمالية ثم يستطلعا حالة الطريق المتجه نحو خنيفرة والمسالك المجاورة، ففعلا ثم عادا بالاطمئنان لكنها رأت حالة الجواد تزداد حدة وعنفا، فكذبت حدس الرجلين ثم امتطت جواد أحدهما بعدما التفت برداء سميك ثم اتجهت صوب الربوة الأبعد، وطبعا كان بصر يطو أكثر حدة من ابصار الرجلين، وكأنها حدام حين وقع بصرها على جحافل القوم تتحرك كأنها موج يعلو ويهبط بين الشعاب والربوات، فرجعت مسرعة كأنها فارة من لصوص دون أن تقول لأحد مارأت حتى دخلت الخيمة ثم أيقظت زوجها البطل وهي تقول بصوت الآمر وبلهجتها البربرية «أكره القايد"= قم القايد" أرومي أرومي" أي الروم وتعني بهم الفرنسيون.

ما كاد القائد يهب من نومه حتى أخذ القوم في هد أعمدة الخيام وجمعها، وإذا القائد ركب على جواده ثم أمر بتوجيه النساء والأطفال نحو المكان المعروف تيغسالين وآيت يحند، كما وجه المقاتلين إلى حيث يحيطون بمن سيحلون مكانهم، وحتى لا يرتاب الغزاة أمر بإيقاد النار هنا وهناك، وفي أماكن متباعدة، حتى يتصاعد دخانها فيحسب الغزاة أن القوم لم يبرحوا مكانهم فيتقدموا نحو الشعب بجموعهم، كل ذلك وقوات الفرنسيين بقيادة العقيد "لافير دور" لم يعلموا شيئا عن الواقع لأنهم كانوا يحسبون أن ستار الليل والقوم نيام سيمكنهم من المباغتة التي سوف تكتم الأنفاس ولا تترك للقوم

مجالا حتى يتحركوا، يقول قيدوم العاملين مع الأسرة" الفقيه" الحاج عبد القادر الذي حدثنا عن الزوجة يطو الخ.

«لم يعلم الفرنسيون ولا جواسيسهم بما كان يجري في مخيم القائد محمد احمو بالهري فتقدمت قواتهم إلى حيث كانت خيام المجاهدين لتجده قاعا صفصفا، بل ولتجد جيوش الغزاة نفسها محاطة بالذين كانوا أمل صيدها» وكان تعداد قوات الفرنسيين يقول العقيد فوانو 873 جندي تحميهم ثمانية 8 من المدافع و33 ضابطا و175 للاحتياطي والمواصلات والإشراف على الذخيرة والتموين، و45 مستطلع للاستكشاف، الكل حصدوا حصدا وفي ساعات محدودة إلا قليل منهم، سقطوا برصاص المجاهدين الذين كان ضمن مقدمتهم محمد احمو الزياني على جواد بلا سرج وعن يمينه أحد أولاده يملأ له البندقية التي كان القائد يفرغ الستة عشر رصاصة التي تحملها في أدمغة الجنود الذين أخذوا بالمباغتة التي كانوا يحسبون أنهم دبروها، وكلما أفرغت بندقية سلمها للخادمة «رابحة» فتعود مسرعة لتسلمه غيرها التي ملاها ولده باعدي(15) يقول عبد القادر وقد حضر المعركة ثم بقي حيا إلى عهد الاستقلال، حيث عرفته ورويت عنه وعن غيره بمنزل الحاج احماد أمحزون في خنيفرة، ومنزل محمد أمهروق مرة أخرى فلم أجد اضطرابا منه في الروايتين.

كانت المعركة كما أرخ لها الفرنسيون الغزاة يوم 13-11-1914 ولما يمضي على إعلان الحرب العالمية سوى ثلاثة أشهر وأحد عشر يوما، وقد عرف الفرنسيون في معركة ذلك اليوم من الخسارة ما بقي عالقا بأذهان دهاقنتهم ويحفظه تاريخهم الأسود الحقير في

---

(15) باعدي هذا تحول بعد إلى خائن مجرم في حق الشعب المغربي ولذلك ولاه الفرنسيون مهمة اضطهاد المواطنين في الدار البيضاء بعد نفي محمد الخامس 1953م. بخلاف "مولاي أحماد" أمحزون وقايدي محمد امهروق اللذين كان لهما موقف مشرف خصوصا اثر الاجتماع الذي عقده العبد الآبق التهامي الجلاوي في المنطقة ضد العاهل العظيم محمد الخامس، الأمر الذي دفع محمد امهروق إلى التصريح أنه لاحق للعبد الآبق في الكلام باسم أحد منهم، وقد كانوا هم القوة المعتبرة من الفرنسيين في المنطقة وبذلك كانت الثغرة التي كشفت عورة الجلاوي ليس في المنطقة فحسب بل في المغرب بصفة عامة وهو موقف مشرف يجب تسجيله في تاريخ الرجلين مولاي أحماد أمحزون وقايدي محمد أمهروق، وهذا ما دفع بي للوقوف إلى جانبهم يوم أراد بعض المفلسين من الوطنيين ابتزازهم أوائل عهد الاستقلال فتصدرت لردعهم والكشف عن اغراضهم حيث أكثرت من التردد على مدينة خنيفرة والمحاضرات حول ما يجب سلوكه وقتها، الامرالذي رفع معنويات القوم.

المغرب العربي الكبير عموما، والمغرب الأقصى بالأخص، كانت الحملة بقيادة العقيد "لافير دور" الذي سقط ثم أقبر للتو وقت بدء المعركة، والذي حل مكانه في تلك المعركة الجنرال هنريس الذي أصبح سنة 1918 محاربا للبلغار إلى جانب الجنرال فرانشي، في تلك الحرب التي مات فيها الجنرال برولار الذي كان حاكما بفاس 1912، وبمراكش 1914 والذي خلفه في حكمها الجنرال دي لاموط في نفس السنة.

لقد انتقل الجنرال هنريس بعد خمسة أيام على بدء المعركة إلى منطقة لهري وتحت إشرافه فرقة "دوريگوان" والكولونيل دوبليس.. الذي كان قد وصل خنيفرة يوم 16 نوفمبر في الوقت الذي كانت فرقة "لافيردور" ابيدت وسحقت ويوم 19 نوفمبر توجه الجنرال هنريس إلى عين المكان ومعه سبع طوابير من المشاة، وأربع كتائب من الخيالة، وخمس بطاريات، ويعترف مؤرخو الاستعمار أن قوات القبائل يقول العقيد فوانو في كتابه "الاثار المجيدة لفاتحي المغرب" ـ استولت على ذخيرة العدو مما أثقل كاهلها عن الالتحاق بجبالها تاركة للفرنسيين المجال حتى يجمعوا قتلاهم، بل قرر دهاقنة الاستعمار، أن هذه المعركة مثل معركة لمنابهة ببوذنيب 1907م والبطحاء بتافيلالت بعد 1918م كما سنرى، سجلت الخزي والعار لتاريخ الفرنسيين العسكري في المغرب، وإن كان أمثال الجاسوس اللبناني المجرم الحقير، وديع كرم قال في حق معركة لهري «وعليه قضية 13 نوفمبر إنما هي عارض من عوارض الحرب فقط، لم تؤثر على عموم المنطقة»(16) كما عن له أن يفتري حتى يرفع من معنويات سادته.

ومهما يكن فإن اليوطي وقتها عرف كيف ينتقم من المغاربة كما انتقم من إخوانهم الجزائريين والتونسيين على السواء، وذلك حين أرسل من المغاربة إلى ميدان القتال ضد الألمان نحو المائة وخمسين ألف اعترف فقط بخمس وأربعين ألف جندي(17) ضاربا صفحا عن المائة ألف ونسي أن الذي أمده بما ذكر إنما هم الخونة أمثال الاسباني الأصل محمد كاباص "الجباص" الذي صدرا، ولم يقتصر على الرجال كما أكد ذلك

---

(16) جريدة السعادة 22.23/11/1914 ص1.

(17) راجع استقبال الشيخ شعيب الدكالي لهم وخطابه فيهم وخطاب الخائن المجرم الأصيل الطيب الصبيحي اخزاه الله مهنئا اليوطي: جريدة السعادة 14 غشت 1914م لكن الأستاذ علال الفاسي خفض العدد إلى خمسة وعشرين ألف قال "معظمهم من الجزائر" راجع محاضراته "القيمة" في معهد الدراسات العربية ص 22 ط 2 دار=

اليوطي نفسه، بل سخر امكانات المغرب لبناء فرنسا ورفع مستوى اقتصادها «وها هو المغرب مازال يرسل لفرنسا مؤونة ودخائر(18) وهكذا كان الدافع الأساسي لحكومة فرنسا برئاسة بريان أن تعين اليوطي وزيرا للحربية ليحل محله الجنرال گورو بتاريخ 27 ديسمبر 1916م، لكن ما بعد معركة"حركة الرجل" في بوبرنوس ومسكي بتافيلالت عجل عودته للمغرب حيث صدر قرار عودته يوم 13 ماي 1917 ودخل المغرب يوم 27 منه.

مهما يكن فإن محمد احمو الزياني الذي استجاب لنداء وتوجيه المولى عبد الحفيظ، بل والذي تناسى كل حزازاته التي كانت عميقة الجذور مع جيرانه، كما فعل الأبطال المجاهدين من جيرانه الذين لبوا النداء، كلهم جميعا كانوا في المستوى، لكن ماذا حصل لمحمد احمو، وكيف كانت نهايته الأليمة بعدما عز على الفرنسيين الوصول إليه حين اعتصم بأوعر المناطق في الأطلس المتوسط، إنه تعرض للقتل غدرا من أحد أولاده الذي هو حسن حسب اجماع الرواية التي اتفق عليها الجميع وأنه قتل غدرا بتاريخ 23-3-1921 وأن القاتل رد للفرنسيين كل ما فقدوه من سلاح في المعركة، سلمه إلى الكولونيل "تيفي" بمركز تاجمود، على الضفة اليسرى لأم الربيع، وبه قوي عزم قوات الاحتلال على غزو دشرة الوادي، وزاوية الشيخ بتاريخ 24-10-1921.

لكن لماذا فعل الولد بأبيه ما فعل، تقول روايات الأقارب والأباعد إنه فعل ذلك لأن القائد محمد احمو قدم لخلافته معمي ولد الحاج حدو، فغضب حسن من التصرف الذي سيجعله واخوته وأولاده وبقية الآخرين تحت رحمة المستخلف إلى غير ذلك مما قيل من دوافع النقمة التي اشعل الفرنسيون نارها بدعايتهم وأن السلطة ستنزع من آل محمد احمو أما ولده الاخر المدعو معمى ولد الفاسية والذي عرف بغدره المقيت ضد مجموعة من الفرنسيين، فإن الدافع لذلك هو ما قيل من أن آيت اسحاق لما طلب منهم المساعدة ضد إخوته، اتهموه بالميل كذلك للفرنسيين، وحتى يبرئ نفسه اندفع بغباء وجهل بالمصير

= أمل طنجة، وإذا نحن علمنا أن الخسارة في تلك الحرب باعتراف القوم بلغت 10 ملايين قتيل و20 مليون جريح، يمكننا أن نتصور ما جرته فرنسا على المستعمرات التي ساقها سوء الطالع لتقع في قبضة أمثال اليوطي من رجالها، وسوف نتعرض لذلك أكثر من مرة مع ذكر المصادر، وكما نرى.

(18) راجع جريدة السعادة بتاريخ 7-8 ماي 1916 وسمط اللئالي ص 143 مصدر سابق.

إلى دعوتهم لمأدبة بأمان ثم أجهز عليهم غدرا وقطع رؤوسهم ثم توجه بها إلى آيت اسحاق، ولما استفاق من سكرته وأدرك ما فعل فر إلى المنطقة التي كانت تحت النفوذ الاسباني في الصحراء ومنها إلى تطوان حيث توفي بعد في أشد الحقارة والبؤس بالقصر الكبير، وقد سجل التاريخ في حقه الغدر والخيانة والدناءة مادام قد أمن القوم فأمنوه ثم غدر بهم بطريقة في منتهى الخسة والنذالة.

رحم الله محمد احمو الزياني ورحم الله المجاهدين الذين رفعوا راية المغرب خفاقة لم تنزل إلي أن خرج المستعمرون يجرون أذيال الخزي والهوان، ومهما يكن مما عرفه القوم من إهمال المؤرخين فإن لمنطقة زايان تاريخ جد مشرف في مجال المقاومة، وكم أتمنى لأبنائها القيام بدراسة ميدانية تعطى تلك الرحاب ما عرفت من أشرف الجولات من أبنائها زمنا غير قصير، ذلك أنه كما أشرنا قبل لم يتم احتلال خنيفرة إلا يوم 8-3-1915م راجع جريدة السعادة ص 2 واحتلال زايان يوم 15 ماي 1917م.

احتلال زايان أقبلي وآيت عبدي 22 ماي 1917م ج س ص 1

احتلال ادخسان 10-10-1917م.

احتلال يطو ومريرت 22-11-1915م -20 افريل 1917 ج س ص 1

احتلال الحمام 3-1-1917م.

كما كان استسلام العايدي يوم 6-1-1920م الخ وقصبة تادلة حيث محا وسعيد الوراوي 25-30-31 ماي 1915م.

هذه القبائل التي سجل التاريخ المعاصر مدى مقاومتها للاستعمار الفرنسي، بل الاستعماريون من العسكريين أنفسهم سجلوا روح التضحية التي تميزت بها تلك القبائل، ومدى تفانيها وتعلقها بحريتها واستقلالها، أمام هذه الحقائق نجد ما كان ينشر باسم السلطان المولى يوسف من منشورات تنعتها بأخس النعوت وأحقرها، ولم تكن تلك المنشورات أصلا وفصلا إلا من الإقامة العامة ومخابرات اليوطي، معززة بموافقة من سمي وقتها صدرا وهو الاسباني الأصل محمد كاباص المعروف بالجباص، وإليك عربون

(19) نفس المصدر ص 45 وذلك من خطبة القاها في فاتح 1916م وجريدة السعادة 7-8 سبتمبر 1916م. وقد غادر گورو المغرب بعدما رجع اليوطي في 19 ماي 1917م راجع جريدة السعادة لنفس اليوم ص 1 عمود 3.

تلك المنشورات كما نشره صاحب فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان "حيث قال بعد المقدمة وهو خاص باحتلال تازة وخنيفرة وقد سماه فتحا حيث قال:

"وبعد فغير خفي عنكم ما كانت عليه الأحوال بتازة وخنيفرة من الاضطراب واثارة نار الفتن بنواحيها منذ أزمان وأحقاب، حتى صارتا مركزين لمأوى الفساد والثوار، ملاذين لاعتصام ذوي الجرائم والأوزار، ظانين أنهم في معاقل لا تصلهم فيها قوة ولا تفتح يد في جدار منعتها كوة، فمالوا بسبب ذلك في الفساد مع كل ريح، وأجابوا نداء زعماء الفتن بالكناية قبل التصريح، جاهلين عواقب الخروج عن الطاعة، معرضين عما أوجبه الله عليهم من الاستقامة، والتمسك بحبل الجماعة، وكون الطغيان عاقبته الخسران، ولما تمادوا على فعلهم الذميم، أبوا أن يقلعوا عن مرتع بغيهم الوخيم، وازداد تجاهرهم بالفسوق والعداء، ومد اليد في الطرق بنهب الامتعة وسفك الدماء، وعلمنا أنهم لا يؤخذون بيد السياسة واللين، ولا ينقادون إلا بما ينقاد به أضرابهم من المردة المعتدين أصدرنا أوامرنا الشريفة بالانتقام منهم وردهم للصلاح والاستقامة، واستئصال عرف الفساد من تلك المرابع التي جعل فيها عشه ومقامه، فكانت البداية بالنقطة التازية(20) حيث أحيط بعصاتها إحاطة السوار بالساعد، ونالت العقوبة منهم الأقارب والأباعد، وإذ عولجوا بنقيض قصدهم الفاسد، وجمع لهم بين جلب المصالح ودرء المفاسد، أبدل خوفهم في الحين أمنا، ونحسهم سعادة ويمنا، وأسبلت عليهم بعد العقوبة اللازمة ستور الرأفة والحنان، وأصبحوا في نعمة لا يقوم بشكرها منهم لسان، ثم صرفت الوجهة إلى خنيفرة التي كان يظن أن ادراكها أعز من بيض الأنوق، وطالما حاول أهلها مقابلة الحق للباطل وإن الباطل لزهوق، ففعل بهم مثل ما فعل بأشياعهم، وتلك عادة الله في المفسدين أمثالهم، ومعلوم أنهم الذين فتحوا على أنفسهم أبواب النكال، لانفرادهم عن الجماعة وملازمتهم للبغي والضلال، وأعلمناكم لتأخذوا حظكم من الفرح، بجمع كلمة المسلمين على الصلاح، وتواطئهم على الطاعة الكفيلة بسعادة المستقبل وكل نجاح، حيث أن فتح هاتيك الجهات سيكون سببا في تقريب المواصلات ونشر الأمان، وتمهيد وسائل الإصلاح في كل مكان، وداعيا لروجان التجارة التي هي أساس الثروة والارتقاء، وعنوان الراحة والسلم في سائر الأنحاء، وسيرفع المستقبل عن محيا هذه الإيالة السعيدة براقع الخفاء والاحجام، ويعرج بها قريبا إلى سماء الظهور والمدنية المؤسسة على أحسن نظام،

وتتجلى الحقائق ويعم الحبور، وتبتهج الخواطر وتنشرح الصدور، والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء الطريق والسلام في 27 رجب عام 1332هـ/1913م(21) وامغرباه إنها بصمات اليوطي والصدر الذي نصبوه وقتها وهو كاباص قدمت إلى النشر باسم السلطان المولى يوسف الذي يعلم الله أنه لم يخبر بما نشر، ولم يتعرف عليه وكما سنرى من خلال اعتراف اليوطي نفسه وأنه سلبه من كل شيء ماعدا مظهر الخروج لصلاة الجمعة كما قال في تقريره لحكومته 1920م التي كان يطالبها بالمزيد من إطلاق يده عسكريا ومدنيا، حتى يبدل المغرب في العمق إلى فرنسي روحا وأهدافا، وقد رأيناه في سبيل ذلك يبذل كل جهد، كما وضع من التخطيط ما التزم به كل الذين جاؤوا بعده، ولم يستطيعوا الخروج عليه، ومن حاول كانت تهمته خيانة فرنسا والاهداف الفرنسية في المغرب.

وبالتالي فإن المعارك اشتدت وبضراوة في المنطقة حتى عام 1931م حيث عرفت معارك منطقة ايشقيرن وآيت شخمان، وآيت حنيني، وآيت يحيى ويوسف، وحتى تيمحضيت، وبقريت، وأفكو، ورأس تارشا، وقوبات، وافكو حرون، ولئن قتل محمد احمو رحمة الله عليه وتقول رواية القوم كما رأينا أن الذي قتله عام 1921م هو ولده حسن بإيعاز من الفرنسيين الذين هددوه واخوته بتحويل السلطة في المنطقة وعلى قبائل زايان إلى خصومهم، ما لم يضعوا حدا لثورة أبيهم، على أن الولد الثاني وهو أمهروق لم يقبل الفكرة، ودليل عدم قبوله حسب استنتاجنا ورأى المعاصرين هو أن صدر حسن أثقل بأوسمة الفرنسيين، في الوقت الذي ولا واحد منها علق على صدر أمهروق، كما ظهر بعد أن حسن تحمس للظهير البربري، وأمهروق لم يقبل عليه يقول الوطني الغيور هلال الغازي الذي قام وقتها بحملة ضد الظهير البربري وقت ظهوره وإعلان تطبيقه. ومن جملة الذين تردد عليهم كما تأكد ذلك هما حسن وأمهروق فكان الأول من المؤيدين والثاني وهو امهروق من المحايدين أولا ثم المقاومين أخيرا.

---

(20) كان الدخول إلى مدينة تازة يوم 10 ماي 1914م على الساعة 11.55 حسب برقية بومكارتن الى اليوطي.

(21) فواصل الجمان لمحمد غريط ص 79.277 ط فاس 1349هـ.

القبائل التي شاركت في معارك خنيفرة وهي تنتمي إلى محمد أحمد الزياني هي قبائل آيت أما أو وهي:

(1) قبائل آيت امكيلد

- آيت أقناص وقد كانوا كلهم فرض وهم
  - آيت مسعود بأغيلان ترتان
  - آيت بركان في وحية.
  - آيت قبل الحرام في الحرسية الشرقية.
  - آيت علي وغانم في تيزين غشو.
  - آيت الياس في عين الله.
  - وقد استقر بهم الرجاء [illegible] آيت عبد السلام
  - آيت وادير
- آيت عيدي
  - آيت أزكلاون.
  - آيت الحمامة.
  - آيت بوجوريش.
  - آيت أغريس.
  - آيت ماصكه.
  - آيت عرقة بسكون الراء
  - آيت واعي.
  - آيت محمد الحسين.
  - آيت مزوري.
  - آيت انمولي.

(2) زايان

- آيت حركات بسكون الراء وهم
  - آيت حمو وعيسى.
  - آيت تيعي.
  - آيت بوحد
    - آيت لحسن ومعيد.
    - آيت بوغنيل.
- آيت اسكاكن بكاف معطشين
  - إعاميين بكسر الهمزة وسكون النون.
  - إخراطة.

(3) آيت شخمان

- آيت سعيد وعلي.
- آيت داود وعلي.
- آيت عبده وآيت مرنا.
- آيت اخماحة بسكون الخاء.
- آيت بنان وآيت حمزة.

(4) آيت افنين

(5) إبشقيرن

- إمنرتناتن.
- آيت اخماد أعيسى.
- آيت يعقوب أعيسى.

(6) آيت ورا بكسر الواو وتشديد الراء:

- آيت عبد الله.
- آيت علي ويوسف.
- آيت مازيغ.
- آيت بوسر.
- آيت مجوط.
- آيت شيشور.
- آيت عيسى.

(7) آيت إدراتن

- كروان وآيت إعزم أكران.
- آيت إخنذ «أحمد».
- آيت سيدي في بوبية علوية.
- آيت سيدي عياد بلوية
- آيت وانلا.

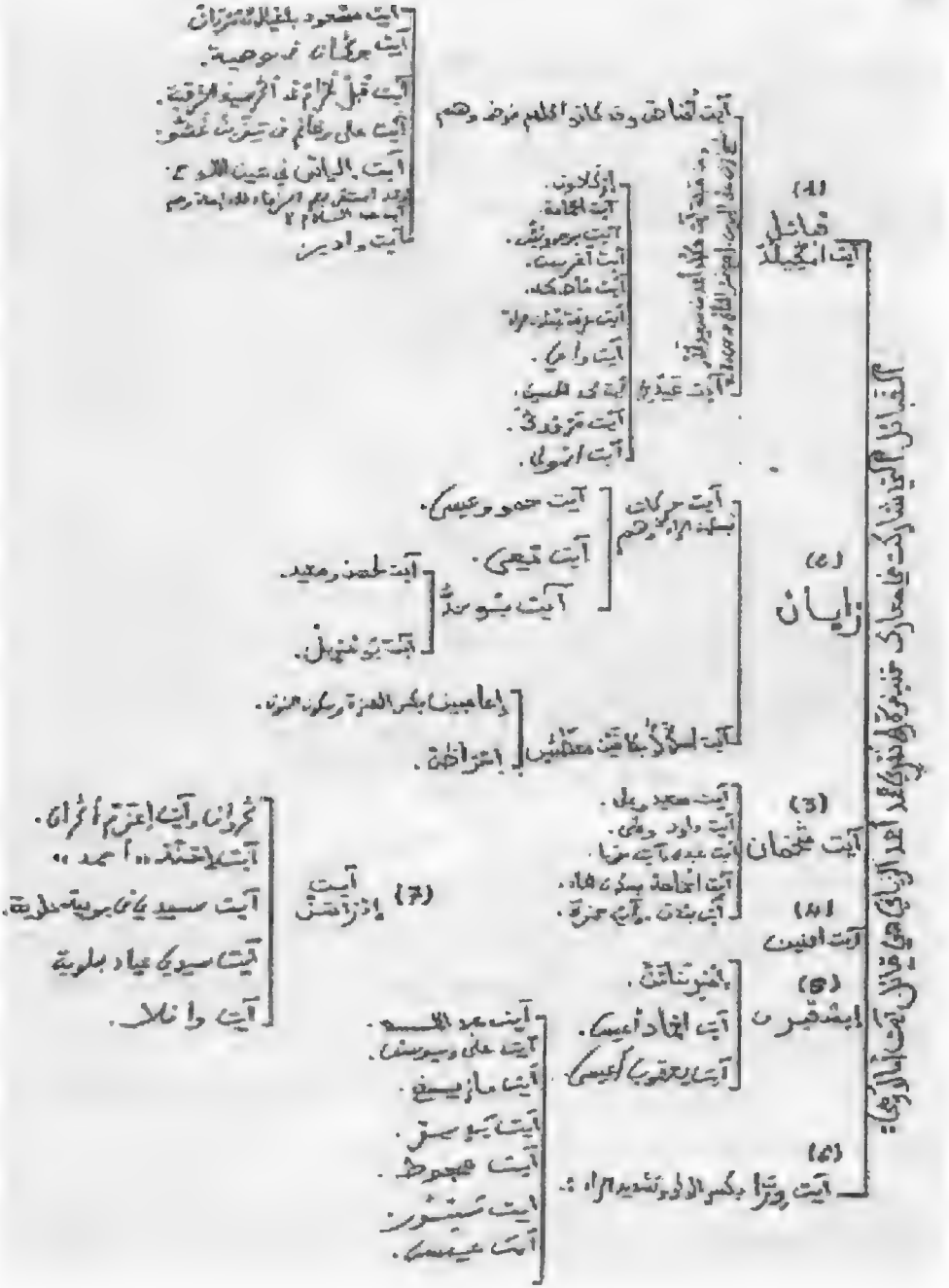

الباب الثالث والعشرون

الفصل العشرون بعد المائتين

مقاومة الجبليين بزعامة أحمد الريسوني:
الفارس المتظلم

ترجم للريسوني في الموسوعة العربية ص 910 ط 1965م وقد جاء فيها ما يلي حيث كتب باللام وهو خطأ وقع فيه أول من ترجم له ونشر فتبعه اللاحقون، ولذلك وجب علينا إصلاح الخطأ بتحويل اللام نونا كما هو في الأصل، تقول الموسوعة «الريسوني أحمد بن محمد1857ـ1925م زعيم مغربي دعا إلى ثورة عامة ضد الفرنسيين وحكومة المغرب، واستفحل أمره في جبال بني عروس، واستولى على ما حول طنجة سعى السلطان عبد العزيز إلى مصالحته وعينه معتمدا عليهم بطنجة، فكان له شبه استقلال فيها، ثم عزله فانصرف إلى قريته زينات ثائرا، وحاربه السلطان، حارب الاسبان بقرب تطوان، وفتح شفشاون، وامتدت ثورته إلى 1921م ولم يقدم العون إلى الثائر المغربي عبد الكريم الخطابي، أسر الريسوني في أثناء مرضه وحمل مع أهله إلى تماسنت فمات فيها" بتاريخ 9 رمضان 1343هـ/ابريل 1925م" وهذا كل ما ورد عند الزركلي في الأعلام «جـ1 236ـ38» وهنا أشار إلى المصادر التي استقى منها وكلها قاصرة ومتأثرة بنظرة الخصوم ضد الريسوني الذي نعتبره بحق الفارس المتظلم، فقد سبق الريسوني بآخرين ثاروا ضد الظلم في الشمال المغربي منذ عهد زيطان الخمسي الذي قادته ثورته إلى السلطة زمن المولى سليمان كما يخبرنا بذلك أبو القاسم الزياني وفي زمن الريسوني كان هناك أكثر من ثائر في المغرب عموما، وبين قبائل الشمال، ومنهم لحمام الانجري الذي لم تنله يد المخزن، وإنما قضي عليه بواسطة أحمد الريسوني أيام كان يعمل مع المخزن ولصالحه.

ومهما يكن فإن أحمد بن محمد بن عبد الله الريسوني الإدريسي الحسني هذا نشأ يتيما حيث ولد عام 1252هـ/1854م بقرية الزينات التي توفي فيها والده فكفلته والدته، وإذا

نحن علمنا أن أسرته عرفت بالدين والخلق، ندرك أنه بلا شك شب على ذلك، أما تعليمه فلا شك كان ضعيفا جدا حسب الذي بين أيدينامن وثائقه وربما كان أقرب إلى الأمية.

من خلال ترجمة أحمد الريسوني هذا يدرك المهتم بتاريخ المغرب المعاصر أن هذا التاريخ كلما تعرض لتشويه من سابق إلا وكان له التأثير على كل الذين يأتون بعده، وهذا ما حصل في الكثير جدا من المواضيع التي تطرقنا لبعضها منذ عهد المعتمد بن عباد إلى عهد الدستور المفترى عليه في عهد المولى عبد الحفيظ، الخ وكذلك مقاومة أحمد الريسوني التي تعتبر نوعا من المقاومة بدأها بالطريقة التي اختارها هذا الرجل، والتي أثمرت في وقتها ثم أعطت صورة مرعبة للمتلبسين الذين كانوا يتربصون بالمغرب من الجواسيس والعملاء، أواخر القرن التاسع عشر أولئك الذين تعرض بعضهم لاختطاف الريسوني الذي أدخل الرعب والهلع في نفوس الآخرين، ومع ذلك اعتبرها بعض المؤرخين المتأثرين بنظرة الاستعمار إلى هذا الزعيم، ونظرة المخ ن الاضطرارية وقتها، والتي اعتبرت عمل الريسوني وإن كان ضد الأجانب نوعا من "ا صوصية"، وأما غير المتأثرين بنظرة الاستعمار ولا تملق المخزن أمثال صديقنا المرحوم خير الدين الزركلي وغيره كثير(22) فقد ترجم له دون أن ينعته بما نعته به الذين انساقوا حيث قال في حقه:

---

(22) كريم خليل ثابت: عبد الكريم والحرب الريفية ط المقتطف 1925م ص 20-21 عمر أبو النصر: بطل الريف ص 86 ط بيروت 1934 المسألة المغربية لخير فارس ص 131- 411 ط مصر 1961م القاموس الاسلامي لاحمد عطية الله ج 619/2 ط 1966ت المغرب الكبير د.جلال يحيى - 119-120-124 ج 131/4-135-140-142-147 المغرب ط بيروت 1981م، المغرب لتوماس غراسيا فيجيراس ص 159 ط تطوان 1955م هنري دوبوردو. عن بورنازيل ترجمة خاصة للأستاذ محمد أبو وكيل ص 10 والاتحاف لابن زيدان ج 405/4-412/1 ط 1929وعبد الله الجراري تاريخ المغرب ج 245/5 والاعلام لخير الدين الزركلي ج236/1 ط 2 عام 1954، وهذه مراكش عبد المجيد بن جلون ص 182 ط 1948م، وأما عن آل الريسوني فهناك دوحة الناشر للشفشاوني، ونزهة الحادي لليفرني والروضة المقصودة لسليمان الحوات ص 61 ط حجر والاستقصا للناصري والضعيفي مخطوط خاص 138-39.

وبالتالي فقد كتب عن الريسوني كتاب من خلال الوثائق المجهولة لدى المؤرخين أصدره محمد بن عزوز حكيم وفيه ما يكفي للدلالة على وطنية الريسوني وحسن مقاصده فيما يرجع لعدائه ضد الاستعمار الأجنبي ط في تطوان 1981م ج 1 ثم راجع تاريخ تطوان للأستاذ محمد داود 1/41-322-2/296-3/198-4/196 ط 1964 والمختصر لنفس التاريخ ج 313-240/2 ثم ما كتبه العربي اللوه عن أحمد الريسوني في الشمال 210-231 ط1982.

وخ ع. 1812-5291-3399-5707 وسلوة الانفاس 7/2والاعلام للمراكشي 235/4 والحركات الاستقلالية علال الفاسي ص 120 ط 1948 وتاريخ المغرب في القرن العشرين روم لا ندو ص 63 ط 1963م والموسوعة المغربية للاعلام البشرية عبد العزيز بن عبد الله ج 109/1 ط 1975 والواقع أنه إذا قيل ما العز إلا ما كان للمرء بين أهله=

هو أحمد بن محمد، بن عبد الله الريسوني الحسني الادريسي العروسي، أبو العباس ثائر له زعامة، من مناوئ الاستعمار الفرنسي والاسباني في المغرب الأقصى، من قرية تسمى زينات من بني عروس بتشديد الراء، حيث ولد عام 1270هـ/1854م.

خرج في أيام المولى الحسن بن محمد، والتفت حوله جموع من قبيلة بني عروس ومن أخواله بني مصور، وقاتلته حكومة مراكش ففشلت واستعملت معه الحيلة، فوقع في قبضة السلطان الحسن ، سجن مكبلا بالحديد في ثغر الصويرة، ثلاث سنوات، ومات السلطان فعفى عنه خلفه عبد العزيز بن الحسن، واضطرب أمر الدولة «يقصد لما مات أحمد بن موسى عام 1318هـ/1900م» وعبد العزيز صغير السن يستغويه الفرنسيون ـ بل الانجليزيون ـ وغيرهم بالهدايا، فخرج الريسوني من عزلته ودعى إلى ثورة عامة على حكومة المخزن وعلى الفرنج، واستفحل أمره في جبال بني عروس، استولى على ما حول طنجة سنة 1321هـ/1904م وخطب باسمه على منابر تاصروت وما والاها، وسعى السلطان إلى مصالحته فانتهى الأمر بتعيينه معتمدا للسلطان عبد العزيز على طنجة، فأعاد الأمن إلى نصابه، وكان له شبه استقلال يحكم باسم السلطان عبد العزيز، ولا سلطان لعبد العزيز عليه، وتقول المصادر الفرنسية إن الأسبان أمدوه بمال وسلاح ليأمنوا تعرضه لتطوان، ولما حامت المطامع الأجنبية حول طنجة طلب من عبد العزيز عزل الريسوني فعزله، فانصرف إلى قرية زينات ثائرا، وحاربه السلطان وأحرقت قريته، وتتابعت المعارك مدة عامين، ولما نشبت الفتنة بين الأخوين عبد العزيز وعبد الحفيظ، آل أمر المغرب إلى عبد الحفيظ، فذهب إليه الريسوني مهنئا وأصبح من رجاله، ولما توسع الاسبان في

= فإن لآل الريسوني من ذلك ما يكفي بين المثقفين ورجالات العلم خصوصا في الشمال عموما وتطوان بالأخص وإذا كان من بين أفراد هذه الأسرة من أدلى بدلوه في السياسة وانساق إلى الهاوية مثل خالد ومن قبله ومن بعده فانه ليس من العدل التجني على هذا الرجل الذي لا ينكر عمله وما كان له من أثر في المرحلة التي نحن بصددها ولو لم يكن صادقا لسحقه السلطان عبد الحفيظ كما سحق الجلالي بن ادريس. أبو حمارة ولم يسند إليه السلطة أما تطاول الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور «التلمساني" فهو تافه مثل صاحبه الذي لو أنصف بعض أهل تطوان الذين عاشوا زمن الصراع بين الوزاني و"ط" على الغلام المشترك بينهما لعرف الناس حقيقة تاريخية يتندربها أهل تطوان حتى اليوم في مجالسهم بسخرية تدفع المعنى بها لو كان حرا إلى تجرع السم ، خصوصا وأنه يعلم يقينا ما يردده القوم في مجالسهم.. وهو شيء آخر غير ما تطاول به على البطل العظيم أحمد الريسوني لكنه لا يعرف الرجال إلا الرجال.

احتلال بعض الجهات القريبة ودخلوا تطوان عام 1331هـ/1912م وقصدوا العرائش نهض الريسوني لقتالهم بجموع من القبائل بقرب تطوان وحالفه الظفر فدخل مدينة شفشاون فاتحا، فخاطبوه فانعقد في شهر سبتمبر 1915/1333هـ على أن تكون الجبال للريسوني، والشواطئ للاسبان، ولم يطل أمد الصلح فتجددت الوقائع وامتدت إلى عام 1921 وقامت ثورة أمير المجاهدين محمد بن عبد الكريم الخطابي في الريف، فبذل الاسبان العهود والوعود للريسوني، فصالحهم، ودعاه بن عبد الكريم لمناصرته في الجهاد فامتنع، وكان امتناعه عن إدراك ووعي لأن عبد الكريم لما تمكن استعان بالألمان وينقل عنه قوله: "لما كان عبد الكريم صبيا طلب والده منى أن أساعده ليرسل ابنه إلى مدريد يتلقى فيها العلوم ففعلت، وهو يعاديني اليوم ويحرض القبائل علي(23) وزاد في نقمة ابن عبد الكريم على الريسوني كما قيل ظلما أنه لم يكتف بالقعود من نصرته، بل أخذ "يدعو" القبائل إلى موالاة الاسبان فوجه إليه حملة هاجمته في تاصروت".

وبعد معركة استمرت يومين أسر الريسوني وكان مريضا قد ناهز السبعين من عمره، وحمل مع أهله إلى بلدة اتماسينت في الريف فمات فيها يقول الزركلي(24) وربما نقلا عن الريحاني الذي روى هو الآخر عمن لا يثاق به :(25).

هذا ما كتبه أيضا الزركلي صاحب الاعلام الذي رأينا كيف تعرف بذوق المؤرخ، أن ما وصف به هذا المجاهد المتظلم إنما هو محض افتراء، افتراه الذين عرفوا حرارته وذاقوا مرارته من الأجانب، فنعتوه باللص وهي عبارة تعودها المجاهدون من رجال المقاومة ضد الاستعمار،منذ عهد ما بعد الأمير عبد القادر في الجزائر، كل الذين جاؤوا بعده وكانوا يترصدون للفرنسيين نعتوا باللصوص(26) من المقراني إلى أبي عمامة، لقد

---

(23) إن حصل يقصد الولد الثاني محمد بفتح الميم إذ هو الذي ذهب إلى التعلم في أسبانيا بمدرسة المعادن.

(24) الاعلام ج 238/1

(25) راجع قبل الثائر المتذمر، فقد أوردنا قبل أن شاعرهم قال حول مقتل الريسوني إنه قتل بيد محمد بن عبد الكريم وفي ذلك يقول بلهجة أهل الريف:

أسيدي محمد ماثي في دورنك

الريسوني يموت تنغيث سفوسنك

الريسوني مات وقد قتلته بيدك، وهذا هو الراسخ في عقول بعض الجبليين، وقد حصل.

(26) راجع مجلة لوليستراسبون آخر القرن 19 وكذا ما سبق مما نقلناه عن فواصل الجمان لغريط.

كان من أساليب المقاومين وقتها وليس فقط المتربص للأوربيين من أجل الفتك بهم أو ارهابهم، بل حتى المسلمين الذين كانوا يستسلمون بسهولة ويركنون لحكم المستعمر، كانوا يتعرضون للأذى من المجاهدين الذين كانوا يقومون بحملات تأديبية ضدهم وضد ماشيتهم وأرزاقهم، والريسوني لم يقم بشيء من هذا بقدر ما قام باختطاف الأجانب ومقاومة شرور حكام المخزن كما سنرى :

في ذلك الوقت كان الحديث عن الريسوني، وربما في أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا، واسبانيا، هو حديث الصالونات، لأنه اختطف من هؤلاء، وتصادم مع هؤلاء، وتعرض لنقمة هؤلاء، وفي ذلك الوقت أيضا تناول الكثيرون من الكتاب شخصية الريسوني بكثير من الأساليب، منها الصادق الوصف، ومنها الكاذب المغرض، شأن الصحافة في كل زمان ومكان، أو هو ما نراه جليا فيما كتب وقتها وفي كل ذلك دلالة على اعتبار الرجل وأنه كان يعيش زمانه ويفرض وجوده ويعبر عن طموحه، ثم هو يريد أن يقول للجميع إنه في منطقة الجبل لا أحد أحق منه بالسلطة فيها، كما كان عليه وقد تعرض لتدبير ومكر عبد الرحمن بن عبد الصادق، حاكم طنجة، فهو يريد أن يقول للمخزن في زمانه أنه لا شيء ولا قيمة لما يدبربين الجدران، ولا لما يظهر من غلظة وعجرفة خلف حماية الاخرين من الأجانب، وهذا هو منطق العصر وقتها، فالعهد عهد فروسية، في كل قبيلة رائد أو رواد قوي مهاب أو أقوياء من آيت عطا جنوبا، إلى الريف شمالا، ومن آيت باعمران وسوس غربا، إلى بني جيل شرقا، ولم يكن فرسان القوم هنا وهناك غير الذين اتصفوا بالوعي وعزة النفس، ولم يقبلوا ظلم الولاة، فكيف بمثل الريسوني وماله من عصبية أولا، وأصالة نسب ثانية، وكفاءة فروسية وشجاعة ثالثا.

إن أحمد الريسوني سليل أمجاد، وأسرته دون غيرها من أبناء عمومته أبناء علي بن ريسون، إذ ريسون أم علي، وكثيرا ما يكتبه غير العارفين باللام ـ كان لهم المجد منذ عهد السعديين وما قبلهم، وفي عهد العلويين كذلك، حتى أصبحت المرأة منهم تتشفع في الرجال، وأحيانا في ذوي النفوذ كما كانت السعدية والفضيلة وغيرهما، فقد كانت الأولى كثيرا ما تكتب إلى السلطان المولى الحسن أو إلى خلفه في عهد أحمد بن موسى فيجاب طلبها، هذا فضلا عن الرجال، إذ كان لهذه الاسرة قبل عند الدولة مكانة منذ عهد علي

تلميذ عبد الله الغزواني المتوفى عام 963هـ فهو علي بن ريسون الام، ووالده عيسى بن عبد الرحمن، بن الحسن، بن موسى، بن الحسن، بن عبد الرحمن، بن علي، بن محمد، بن عبد الله، بن يونس، بن أبي بكر، بن علي، بن حرمة بن عيسى، بن سلام، بن مزوار، بن حيدرة، بن محمد، بن ادريس الثاني، بن ادريس الأول، بن عبد الله الكامل، بن الحسن المثنى، بن الحسن السبط، بن علي وفاطمة بنت رسول صلى الله عليه وسلم.

ولعلي المذكور ولد اسمه محمد هو نزيل تاصروت ويعرف باليونسي نسبة إلى عم المولى عبد السلام بن مشيش صاحب جبل العلم، وإن كان صاحب دوحة الناشر "ص18" قد وقع في خلط حين نسب عبد الرحمن وعلي ابناريسون، إلى المولى عبد السلام، وقد كان الحسن بن علي بن ريسون، من دعاة محمد الشيخ السعدي المعروف بزكودة، والذي كان مستجيرا بضريح المولى عبد السلام زمن عبد الله المامون، الذي أكثر من الفساد والظلم في مدينة فاس، حوالي 1028هـ/1618م وبمساعدة الريسوني قصد زكودة فاسا فانهزم أمامه صنوه فدخل زكودة مدينة فاس في شهر شعبان من نفس السنة، ليفعل فيها مثل ما فعل سلفه حيث دامت الفتنة شهرا عاد بعده عبد الله لينتصر على زكودة ويخرجه.

ومن الريسونيين في عهد العلويين قاسم بن ريسون الذي لقب بالباشا، وهو الذي عقد له المولى عبد الله بن اسماعيل عام 1146هـ/1733م على جيش من عبيد البخاري قوامه 15000، ولعبد الملك بن شكرة على 3000 ثم وجه الجميع لجبل فازاز، لكنهم فشلوا وجردهم "البربر" من سلاحهم ثم عادوا إلى مكناس، وكذا سلامة. بن محمد، بن عبد الله، وقصته معروفة، فقد تظاهر مع علي بن ريسون وصنع العرس بتازروت حيث أقام بها 11 يوما يقول الضعيفي م خ نا 138ـ39.

هذا بالإضافة إلى جانب التصوف وما عرف لآل الريسوني فيه من رجال مثل محمد بن علي، صاحب عبد الله بن احسين المصلوحي ت 1018 وقبله عبد الرحمن بن عيسى 954 فمن كان هذا أصله، وذلك مركزه ومكانته في قومه يكون لصا كما تطاول عليه الاستعماريون والعملاء، بل كان رجل فروسية يكيل الصاع صاعين، وفي الزمن الذي كان لا حرمة فيه إلا للقوة كان ينتزع حقه بالقوة.

حقا لقدسجل التاريخ على أحمد الريسوني أنه قام بأعمال جد كان لها التأثير البالغ في الإخلال بالأمن العام في منطقة جبالة وطنجة، وما حولها، حتى إذا ما أسند إليه أمر أمنها أعاد إليها الاستقرار بشكل استدل به على أنه كما قال: "لا شيء يتم في أرض جبالة بدونه"وربما لم تكن له من غاية في ذلك غير إلفات نظر السلطان ومن حوله أنه يجب أن يكون المسؤول الأول في المنطقة، خصوصا في الوقت الذي ظهر فيه أبو حمارة ثم ذاع وانتشر ما كان يدبره الأجانب الذين أصبحوا قوة داخل الجيش المغربي، ومنهم ماكلين وجماعته، الذين تعرفنا على مكرهم وسرقاتهم وماكانوا يدبرون داخل البلاط زمن السلطان عبد العزيز، فتبلورت النقمة ضدهم هنا وهناك، وإذا كانت مظاهر التدخل الأجنبي في البلاد أكثر وضوحا في طنجة التي يتولى السلطة فيها رجل غير شريف ولا هو كفؤ ثم هو الذي دبر المؤامرة التي أدت إلى تقييد الريسوني بالحديد وإرساله سجينا إلى السويرة، وهو عبد الرحمن بن عبد الصادق الريفي، فما على الريسوني إلا أن يتحرك وقومه ليعطي الجميع درسا أن للبلاد رجالها القادرين على حمايتها إن هي فقدتها في المتسلطين على السلطة، ومن أجل ذلك رأينا أحمد الريسوني يقوم بردع الأجانب الذين ظهروا متلبسين في المنطقة، مادام رجال الدولة قد أعياهم التظلم من تصرفاتهم، بل إن المسؤولين عن أوامر المخزن أنفسهم أصبحوا في بعض المناطق غير قادرين على حماية أنفسهم من أعمال وتصرفات رجال أبي حمارة، وتمكنت الفوضى أكثر عندما طغى استبداد حاشية السلطان وظلمها للمواطنين بعد موت أحمد بن موسى أواخر عهد المولى عبد العزيز، فبعد أن كانت السلطة في القبيلة تستند إلى انتخاب حر من كبار القوم لمن يستحق أن يتولى أمرهم، وما على السلطان إلا أن يصادق على اتفاقهم، أصبحت تباع وتشترى، ويتولاها حتى الذي لا أصل له، مما دفع بقبائل غمارة مثلا والتي يغلب عليها التمسك بالشريعة وعدم مخالفة الجماعة، إلى أن تلتمس لمن توليه سلطانها طريق المشروعية بواسطة اتفاق كبار رجال القبائل، وبواسطة عقد لفيف يصادق عليه القضاء ويرفع إلى السلطان بتولية الحاج محمد بن الحسن السلماني أمر القيادة على قبائلهم، وذلك بتاريخ شهر صفر عام 1320هـ والقبائل المشار إليها من قبائل غمارة هي :

بني زيات، بني بزرة، بني منصور، بني سلمان، بني زجل، بني خالد، بني رزين، بني سميح، امتيوة، وبالتالي فقد اضطرب أمر قبائل الشمال منذ ما بعد موت المولي الحسن، وإن كان قد اشتد أكثر بعد موت أحمد بن موسى حتى إن قبائل الريف جلها امتنع عن أداء واجب الزكاة والأعشار مما اضطر قواد تلك القبائل إلى أن يطلبوا من الإدارة المركزية ومن قوة الجيش ما يتمكنوا بواسطتها من قوة لإرغام الناس على الدفع، فكان أن عين ادريس بن يعيش للتخييم بقصبة سلوان من أجل ذلك عام 1314هـ فكيف بالأمر بعد زوال هيبة الدولة وظهور أبي حمارة، الأمر الذي دفع أحمد الريسوني إلى الاعتماد على قومه من أجل فرض سلطانه وحمايتهم كذلك، فكان ذلك سببا في الاعتراف بالريسوني، لكن هذا الاعتراف سرعان ما تحول إلى نقمة لم يحقق الدافعون إليها رغم التحذير السابق من محمد العربي الطريسي أي نتيجة، وإذا ما عزل الريسوني ولم يتمكن المخزن من إخضاعه لأنه اعتصم بالجبل، فإنه عرف كيف يفرض وجوده رغم إرادة المخزن.

قواد منطقة الشمال الذين تصبوا باسم الخليفة السلطاني
مولاي المهدي بن إسماعيل بن السلطان محمد بن عبد الرحمن

الشريف سيدي الصديق بن
محمد اخمليش

السيد علال الحاج الطيب
قايد قبيلة بني شيكر

قايد قياده صنهاجة
السيد محمد الفلاح اخمريش

عبد الله بن بوزيان قائد لمطاسة

قايد قبيلة بني بوغافر
السيد الحاج عبد القادر خنرابي

قايد بني عروس- الشريف عبد
السلام ولد سيدي محمد بن الحسن

قايد بني سعيد
محمد عمراوشن

العربي بن أحمد
الدامون قائد أهل
سريف وسوماتة

قايد قبيلة الحوز السيد
محمد بن عياد

قايد انجرة السيد
محمد بن علي اللماغي

قايد قبيلة بني سلمان وبني ازيات
وبنى زجل السيد محمد بويحياوي

قايد بني منصور محمد بن المكي
الطاغي المنصوري

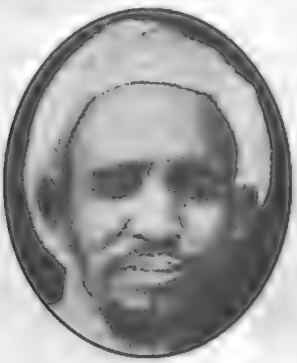

خليفة بني بوزرة محمد بن قاسم
النتى (الخضير)

قايد بني مصور
وجبل حبيب العياشي الزلال

قايد بني حزمار محمد ابن الحاج
اقشار

خليفة قبيلة أولاد ستوت محمد
علال المقدم

قايد قبيلة بني احمد مولاي
احمد بن محمد

قايد قبيلة أولاد ستوت محمد المريض

قايد الخماس عبد السلام بنداڤون
(ولد الفار)

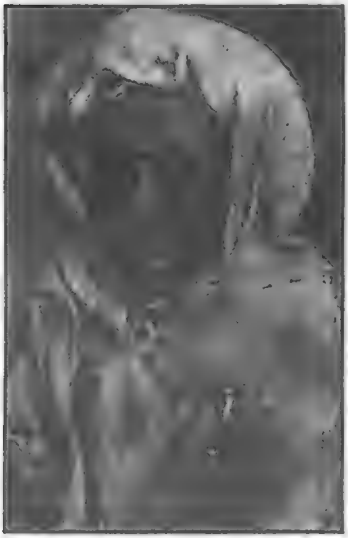

قايد قبيلة بني بويحيى محمد بن
أحمد بن شلال

خليفة المطالس
بوكسو الحاج عمر

قايد بني سعيد
محمد بن عبد السلام البقالي

خليفة المطالسة
احميدو بن بوزيان

الشريف السيد الحسن بن احمد
العلمي باشا شفشاون

السيد الملالي الرميقي باشا
القصر الكبير

السيد محمد فاضل بن يعيش
باشا مدينة العرايش

قايد بني توزين
محمد علال
موحاند

قايد بني يسف احمد بن احمد الخمال

قايد مزوجة مزيان بن محمد بن قاسم

قايد بني كرفط الحسن بن علي الشيظمي

وفيما يلي مجموعة من الرسائل للدلالة على الفوضى التي سادت منطقة الشمال عموما آخر أيام المولى عبد العزيز مما دفع بالريسوني للقيام بواجبه نحو قومه. الرسالة موجهة إلى عامل سلا عبد الله بن سعيد الصنهاجي بعد غزو القبائل الجبلية وقت قيام المجرم أبو حمارة الذي وجد من بعضها التأييد

تقرير من القائد محمد بن احمد العسري حول أحوال المهربين

من قائد قبيلة كبدانة بالريف عمرو بن عمر هرفوف الكبداني يتظلم من قبيلته

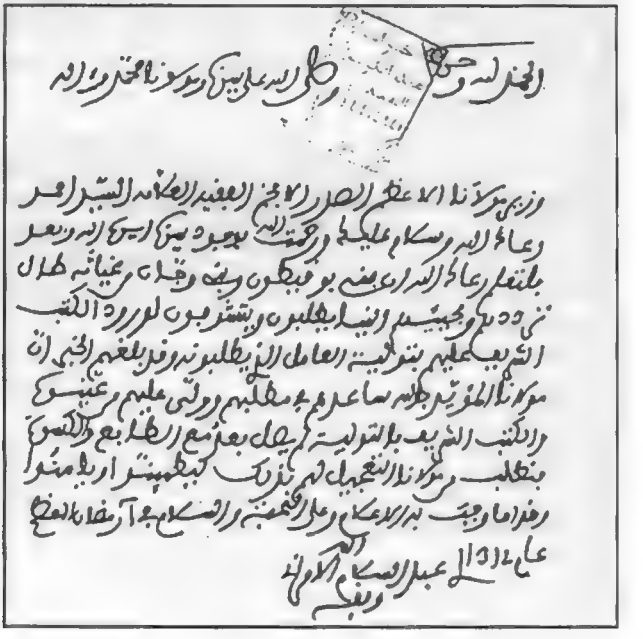

ملخص الرسالة كما هو خلفها الناظر بالزاوية الادريسية عما كتب له في شأن ما بلغ للعلم الشريف من تفاحش كثرة النهب والهجوم على الديار هناك. وان المتصدي لذلك هو علي بن الفاطمي ومن معه بان ذلك كله صحيح وان الرجل المذكور يجمع عليه بعض أهل الفساد من أهل الريف وجباله، كما أن آخر اسمه الزفاطي مشهور بالسرقة وقطع الطريق هو ومن معه وكذلك رجل آخر يقال له الحاج التهامي ولد حماني عيسى وولده، وآخر يقال له متى مع سيدي عمر بن سيدي ادريس بن عمر، وقد تفاحش الهجوم ونحوه في الزاوية حتى صار الناس يخافون على أنفسهم للقيام لصلاة الصبح وأما الهجوم على الدور، فقد كثر امره جدا ولمولانا النظر. وعبد الهادي غلاب هذا كما سبق أصلا من الأدارسة السبعيين السوسيين. وأما نسب أولاد ابن السبع سكان سوس كما أرخ لهم عميدهم كبير علماء الأطلس المتوسط وإمام المجاهدين الشريف احمد بن الحسن السبعي الصغروشن. فهم من أولاد الحسن بن يوسف بن علي بن عمرو الذين خرجوا من غزوان بعد الفتنة المذكورة في كتابنا التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير فصل، فروع الادارسة وتفرقهم بعد زوال مملكتهم» وهؤلاء بنو الحسن بن يوسف بن ابراهيم بن علي بن عمرو معروفون في غزوان نفسه بأولاد عبد الله بن هبة الله، وفي ناحية مراكش، والساقية الحمراء، وهم أبناء احمد بن موسى بن علي بن عمرو، وبهذا الاسم يعرفون قوة في سوس. وأولاد غلاب منهم فهم أولاد أحمد بن موسى بن علي بن عمرو بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن، بن القاسم بن عيسى بن علي بن عبد الله بن عمران بن زيد بن صفوان، بن خالد بن زيد بن عبد الله بن إدريس الثاني بن إدريس الأول بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط. وهؤلاء آل غلاب قد موا من تونس حيث كانوا بمدينة توزر كما عند الناصري في رحلته وعنه نقل صاحب الاعلام التعارجي وقد بقي منهم فريق في تونس حتى اليوم ويعرفون بهذا الإسم: غلاب

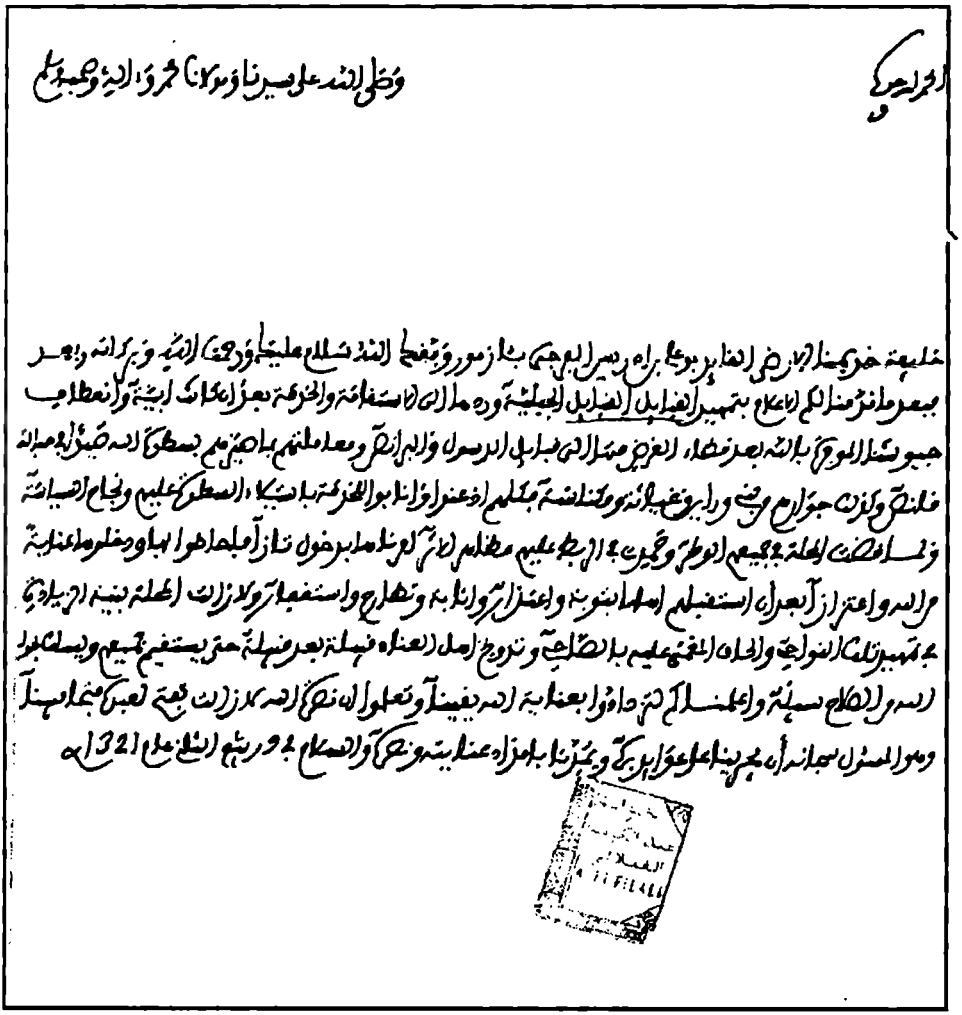

الرسالة تصور الوضع وما كان عليه بعد موت أحمد بن موسى وتنصيب محمد بن المفضل غريط ثم الاسلامي عبد الكريم بن سليمان، والاسباني كاباص «محمد الجباص»

الحمد لله وحده

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

خليفة خديمنا الأرضى القائد عيسى بن عمر العبدي وثبت الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فبعد ما كنا قدمنا
لكم الإعلام بتمهيد القبائل الجبلية ورديها إلى الاستقامة والخدمة بعد أن كانت آبية وانعطاف جيوشنا
الموقرة بالله بعد قضاء الغرض منها إلى قبائل الدسول والبراخص ومعاملتهم بما صيرهم بسطوة الله صيدا في حبالة
قانص وكذلك جوارهم من بني ورابر وغيانة ومكناسة فكلهم أذعنوا وأنابوا للخدمة باستيلاء السطوة عليهم
ونجاح السياسة ولما قصت المحلة في جميعهم الوطر وحمدت في الربط عليهم مظاهر الأثر أمرناها بدخول
تازا فأحاطوا بها ودخلوها عناية من الله واعتزازا بعد أن استقبلهم أهلها بتوبة واعتذار وإنابة وتضارع
واستغفار ولا زالت المحلة بنية الزيادة في تمهيد تلك النواحي وإلحاق المغمى عليه بالصاحي وتدويخ أهل
العناد قبيلة بعد قبيلة حتى يستقيم جميعهم ويسلك بحول الله من الصلاح سبيله وأعلمناكم لتزدادوا بعناية
الله يقينا وتعلموا أن نصرة الله لا زالت تفتح لعبده فتحا مبينا وهو المسئول سبحانه أن يجرينا على عوائد بره
ويمدنا بإمداد عنايته ونصره والسلام في ٩ ربيع الثاني عام ١٣٢١

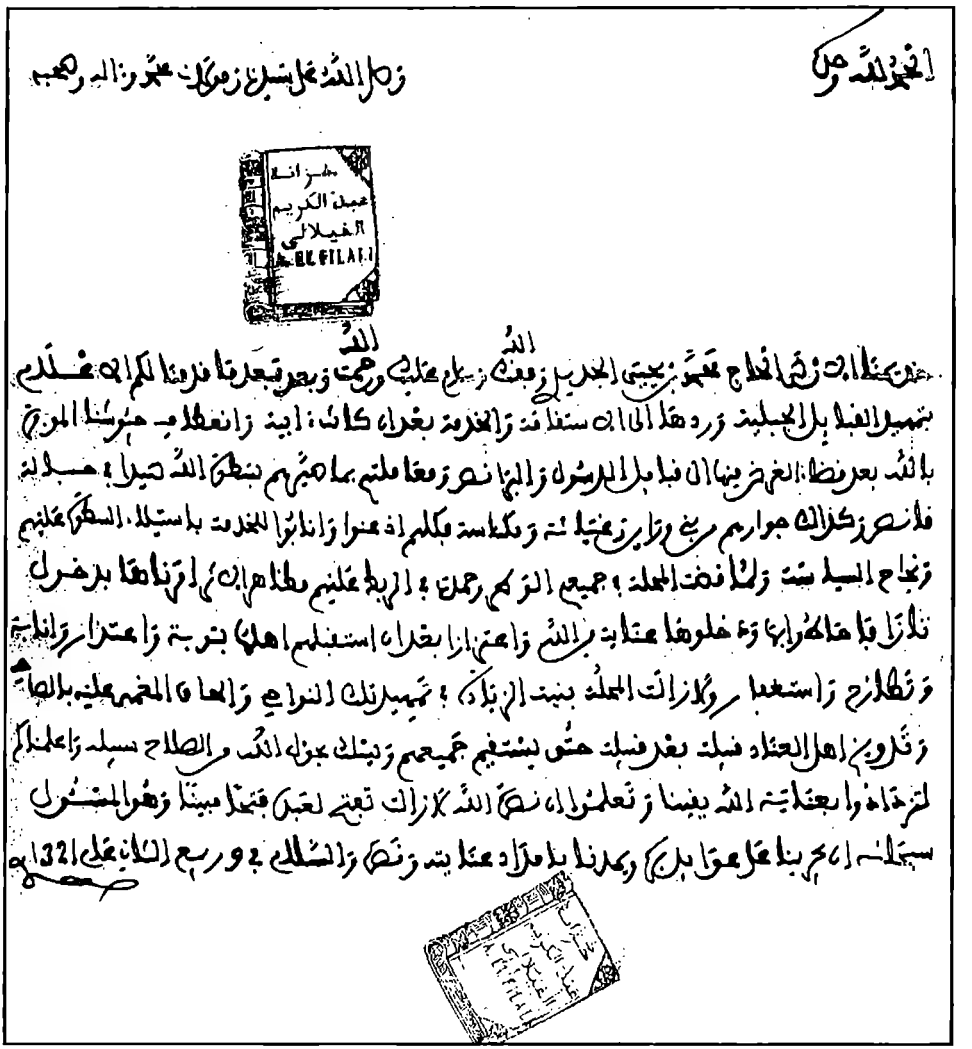

المخزن والاخبار برد القبائل السائبة

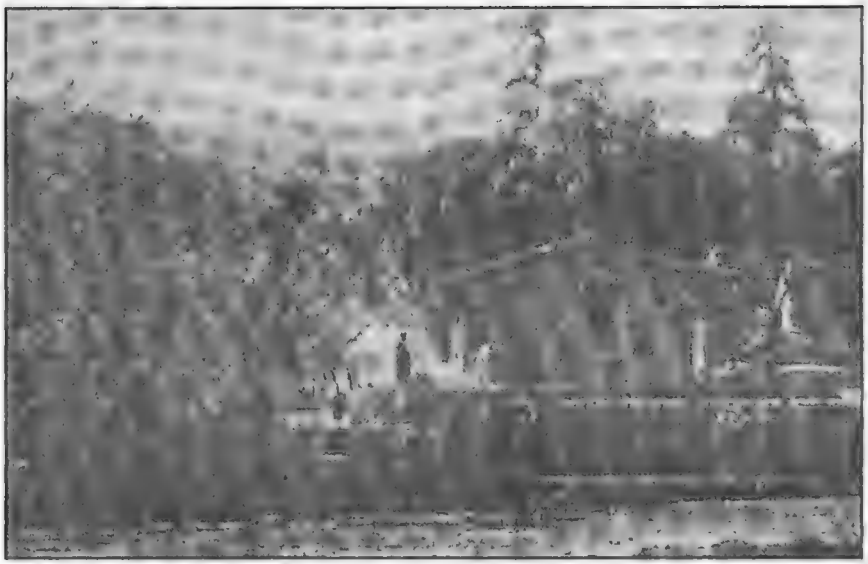

صورة احد الملاجي بناه رجال المخزن للمراقبة في وسط غابة الارزبجبال اكتامة

البطل الشريف احمد الريسوني

البطل احمد الريسوني

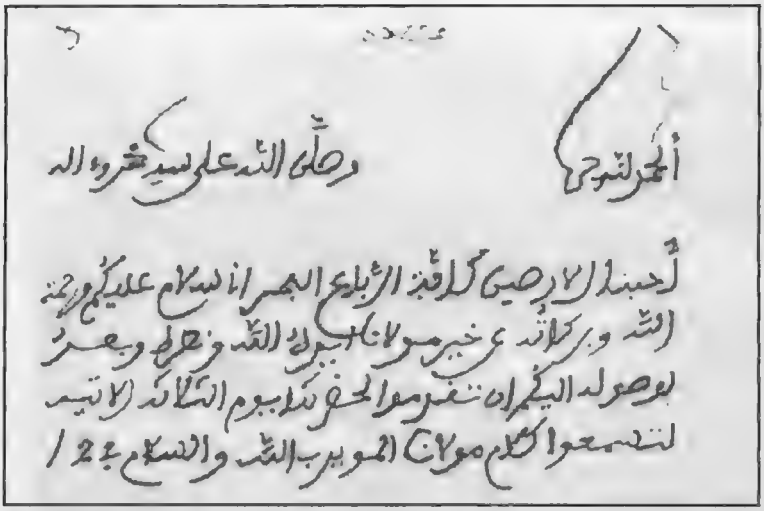

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

أحبتنا الأرضين كافة الرباع البحر إني سلام عليكم ورحمة
الله وبركاته عن خير مولانا أيده الله ونصره وبعد
لوصوله إليكم أن تقدموا لحضرتنا يوم الثلاثاء الآتية
لتسمعوا كلام مولانا المؤيد بالله والسلام في 22

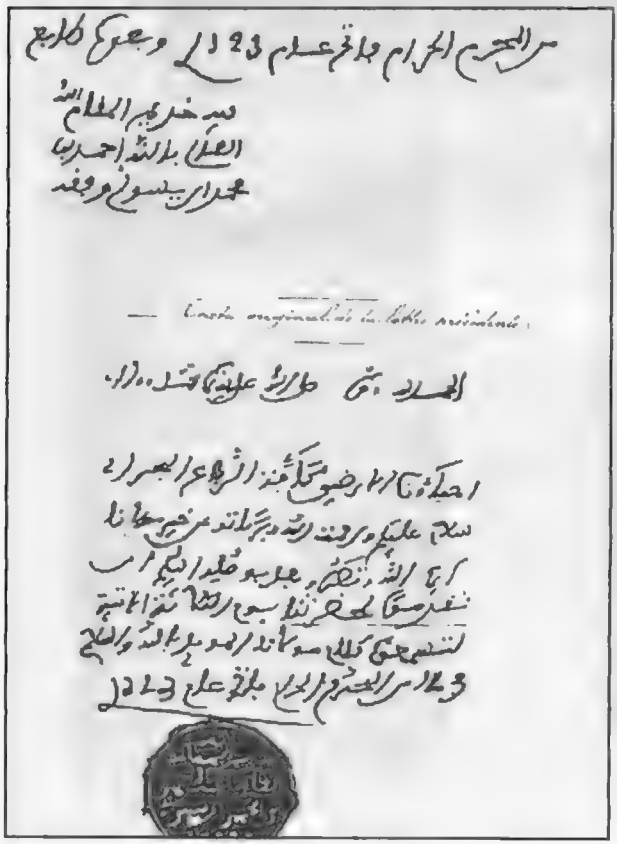

من المحرم الحرام فاتح عام 1123 وبعده طابع

لله خديم المقام الله
العالي بالله أحمد بن
محمد الريسوني وفقه

— Carta originalis in lectio [illegible]

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

أحبتنا الأرضين كافة الرباع البحر إني
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا
أيده الله ونصره وبعد وصوله إليكم أن
تقدموا لحضرتنا يوم الثلاثاء الآتية
لتسمعوا كلام مولانا المؤيد بالله والسلام
في 23 من المحرم الحرام فاتح عام 1123

وفيما يلي مجموعة من رسائل الريسوني ومنها يستدل على مكانتهم وما كان لهم من جاه في مجتمعهم يتقدمهم البطل المجاهد أحمد بن محمد الريسوني

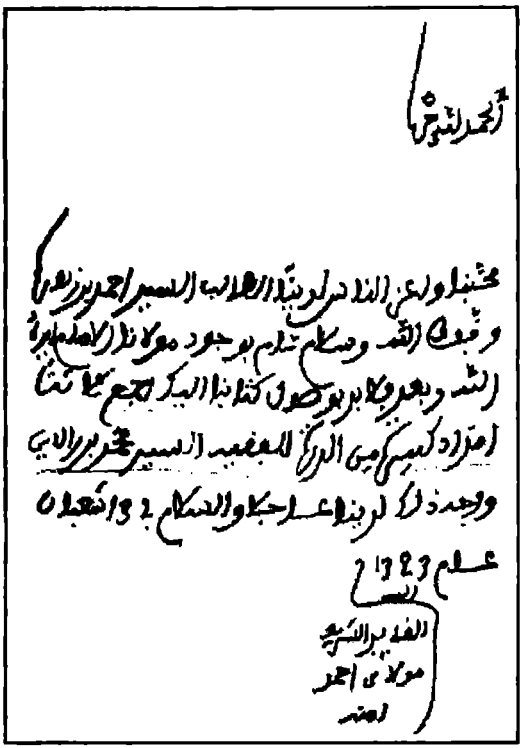

الحمد لله وحده

محبنا وأعز الناس لدينا الطالب السيد أحمد بن زهرة
وفقك الله وسلام تام بوجود مولانا الإمام أيده
الله وبعد فلا بد بوصول كتابنا إليك أجمع ثلاثة
أمداد كبيرة من الدرة للفقيه السيد محمد بن الدين
ووجه ذلك لدينا عاجلا والسلام في 13 شعبان
عام 1323

القدير الشريف
مولاي أحمد
أمنه

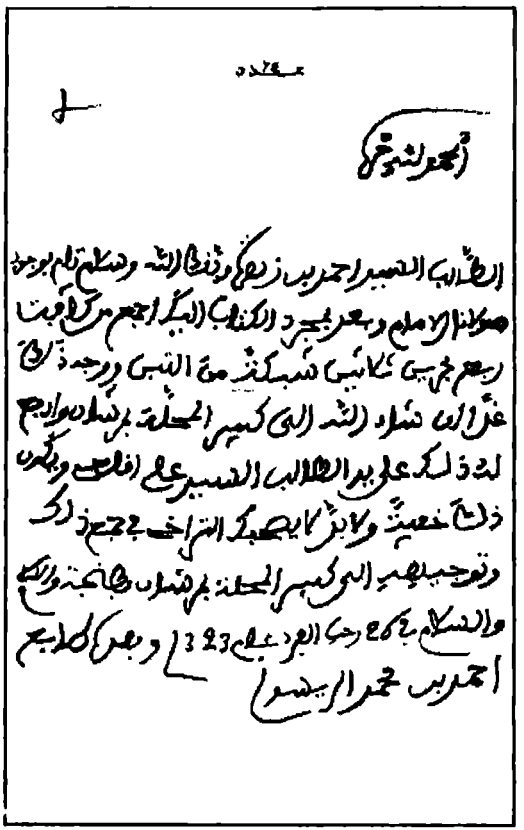

الحمد لله وحده

الطالب السيد أحمد بن زهرة وفقك الله وسلام تام بوجود
مولانا الإمام وبعد بمجرد الكتاب إليك أجمع من كافة
ربع مجرين ثلاثين شبكة من التبن ووجه ذلك
غدا إن شاء الله إلى كبير المحلة بمرشان وأبلغ
له ذلك على يد الطالب السيد علي أقلي ويكون
ذلك خفية ولا بد لا يصحبك التراخي في جمع ذلك
وتوجيهه إلى كبير المحلة بمرشان بطانجة والسلام
والسلام في 26 رجب الفرد عام 1323 وبعده طابع
أحمد بن محمد الريسوني

من أسباب قرار الريسوني أن الأوامر صدرت ضد كل القبائل المجاورة للمراسي كما ضربت حكومة غريط صفحا عن الامتيازات التي كانت لاسرته راجع الوثائق حوله.

وفي الرسالة ينص صاحبها على ابن محمد الريسوني أنه لا يريد الفتنة إلا مع الكفار

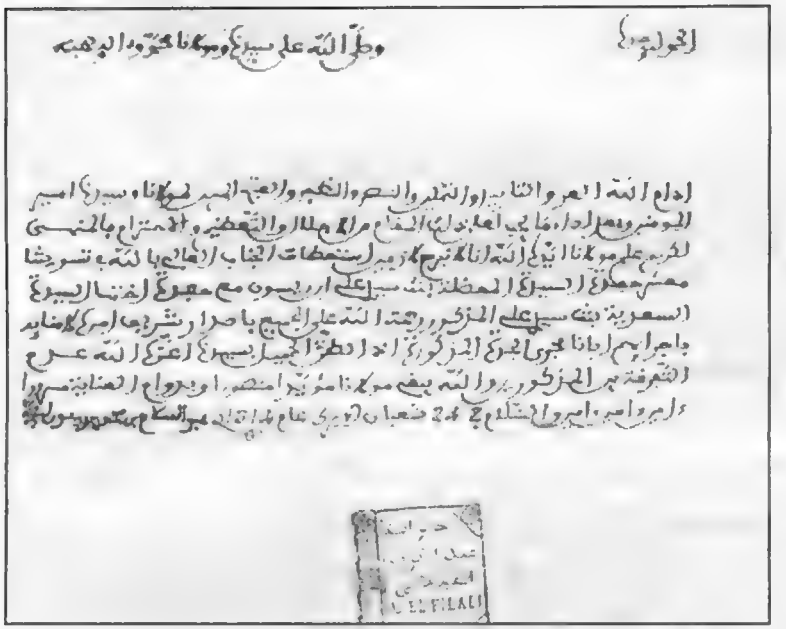

علق احمد بن موسى بقلم الرصاص بما يلي: بيان ما تقبضه الأولى وما تقبضه الثانية والاصل في التنفيذ

لم يكتب عليها تلخيص كاتب الحاجب وإمضاء الحاجب نفسه قرأها وكتب عليها بخط تنفذ لها وهذا منتهى العناية

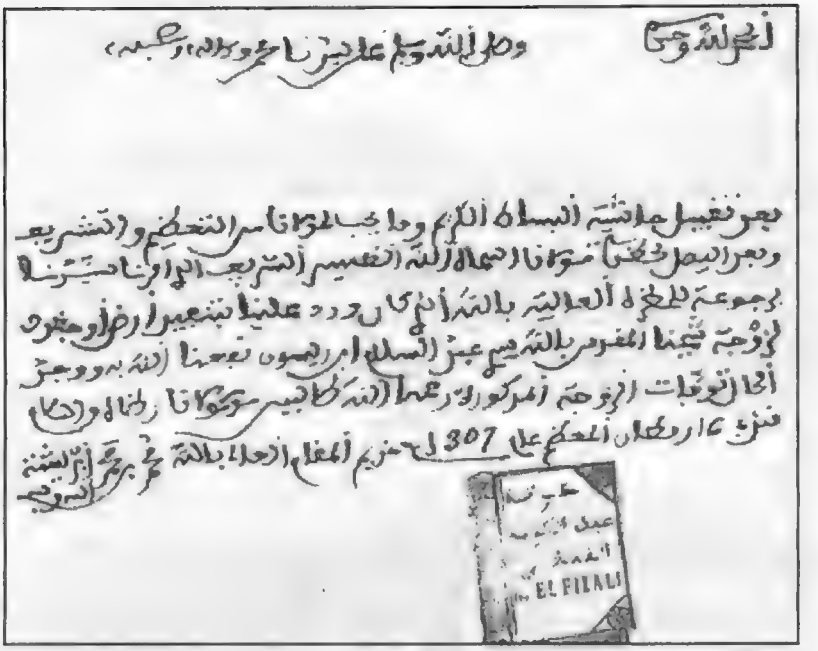

ملخص الرسالة بخط كاتب الحجابة

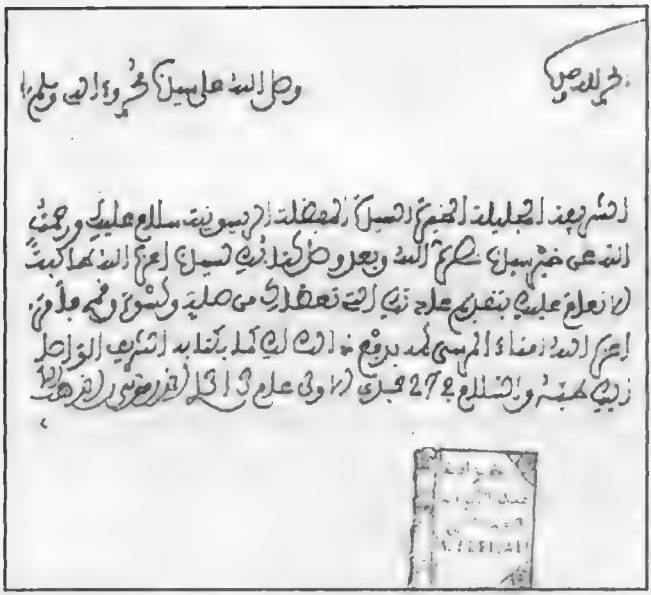

رسالة موجهة إلى
السيدة المفضة
الريسونية بتوقيع أحمد
بن موسى

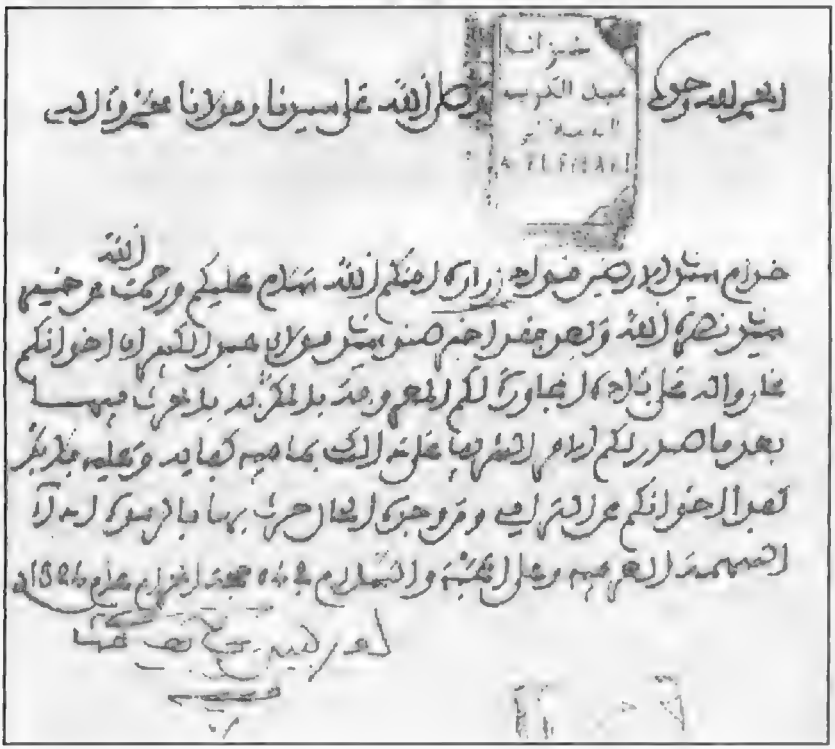

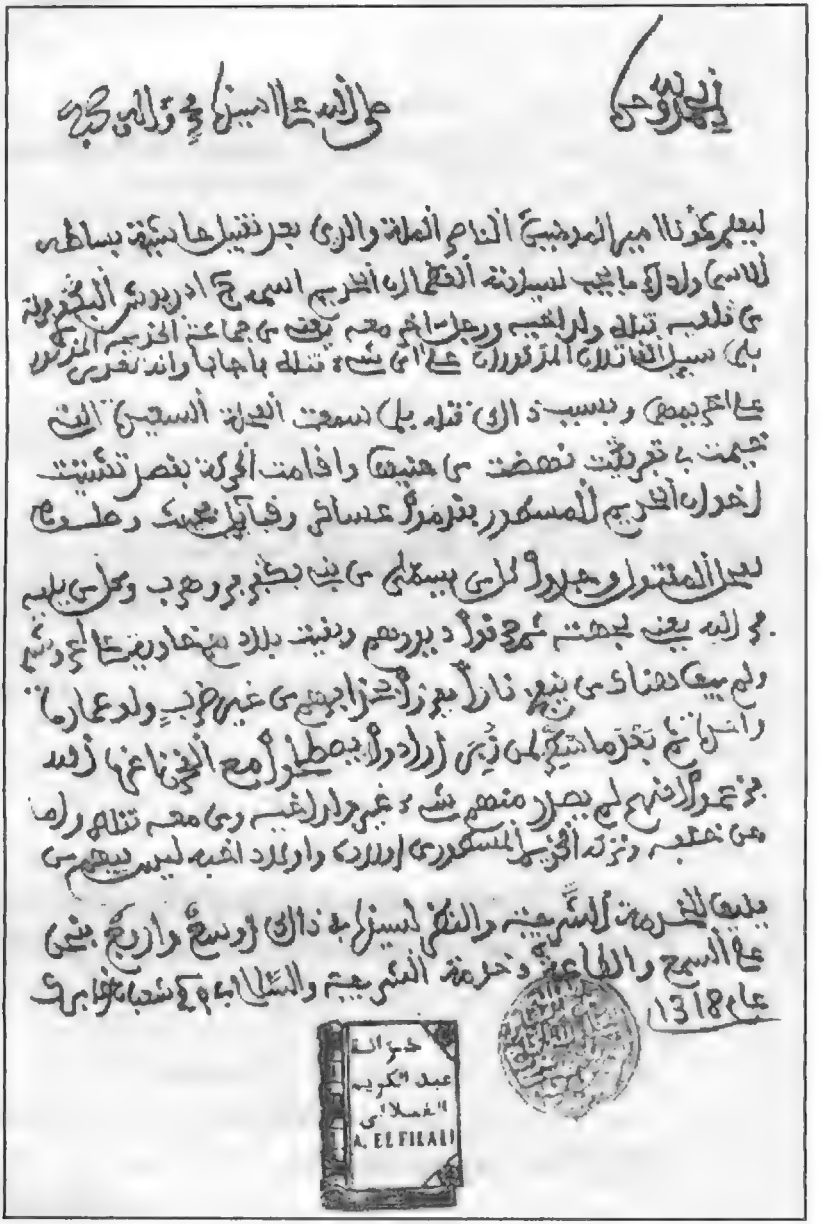

AL EHLALI

الفصل الواحد والعشرون بعد المائتين

موقف الريسوني من الاستعمار

لقد عرف الريسوني كيف يؤكد فعاليته في المنطقة حيث استمر عصيانه للمخزن الضعيف وإخلاله للأمن العام في المنطقة عن طريق الفروسية التي كان يتحدى بها الجميع، خصوصا الفرنسيين الذين كشفوا القناع عن تدخلهم السافر ضد البلاد والعباد، الأمر الذي دفع قوات المخزن إلى محاصرة قرية "زينات" زمنا انتهى بضعف المخزن وعدم جدواه، لأن الدافع كان هو احتجاج الفرنسيين، ووقتها بدأت القبائل في الشمال تجهر بالعداء ضد كل ما هو فرنسي، في حين أن عداء الريسوني كان ضد كل ما هو أجنبي كما عبر عن ذلك بلفظه في إحدى مراسلاته للسلطان عبد الحفيظ بقوله: "..وأنا نحن ما نبغوا الفتنة إلا مع الكفار(27) لكن غير الفرنسيين من الأمريكيين والانجليز وقد اغراهم ما رأوا من حدة العداء ضد الفرنسيين، ظنوا أنه فقط قاصر على هؤلاء، وكانوا في تنافس معهم، حيث كان للأمريكين أسلوبهم بواسطة أمثال ديكاريس اليوناني الأصل، وصهره الأنجليزي فورلى، وللأنجليز أسلوبهم المعروف شرقا بواسطة لورانس، وفي المغرب كان هاريس يعمل باسم مراسل صحيفة التايمز تارة، وأخرى باسم تحقيق دراسة اجتماعية لفائد موسوعتي شعوب العالم وبلاد، العالم(28) وقد انتهى به المطاف إلى امتلاك دار بمدينة مراكش، ثم تنادم فرفضها كما نص على ذلك في مظاهر يقظة المغرب جـ2/575.

ومهما يكن فإن عددا من الأجانب في فترة الانهيار بعد موت أحماد بن موسى 1318هـ/1900 كانوا قد تكاثروا بشكل مزعج خصوصا من منطقة طنجة. لكن مآل

(27) المصدر وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي ملف الريسونيين.

(28) جـ 5/3560-3595 ط انجليزية، وفي جـ 1 منها صورة هاريس.

الجميع كان الاختطاف والاعتقال وفيهم الحراب الأنجليزي ماكلين الذي اختطفه في قبيلة سريف، ولم يطلق سراحهم إلا بفدية تضاربت الأقوال في مقدارها، فمن قائل 70000 دولار فدية ديكاريس 300.000 فرنك فدية هاريس 750000 فرنك فدية القائد مكلين(29) وهي أرقام بعيدة كل البعد عن الحقيقة كما سنرى.

ومما يستدل به على أنّ أهداف الريسوني كانت وطنية سياسية، هو أن عمله لم يقتصر على هؤلاء فقط، بل كان ضد كل من يستشعر أنه مدفوع ضد مصلحة المغرب حتى ولو كان مسلما وهذا ما حصل بالنسبة للجزائريين الذين استعملتهم فرنسا كجواسيس 1906 حين أدركت أن أمر الفرنسيين افتضح، فكان مصير الجزائريين العملاء هو مصير كل عدو، في الوقت الذي كان هناك الكثير من الجزائريين، سواء في طنجة أو تطوان وغيرهما، فلم يمسهم أحد بسوء، ثم جانب آخر يستدل به على وطنية الريسوني ومقاومته ضد الأجانب المفسدين هو تلك المقاومة والمعارك التي خاضتها قبائل اجبالة بزعامته ضد الإسبانيين، فعندما أخذ الإسبانيون يحتلون بعض المراكز قبل إعلان فرض الحماية اقتداء بفرنسا التي اقتسمت معهم المغرب، كان الريسوني منذ انتصار المولى عبد الحفيظ قد أصبح عاملا على منطقة أصيلة، وقبائل الجبل ثم القصر الكبير، والعرائش ورغم استسلام الكثيرين من رجال السلطة حسب تعليمات المخزن فإن الريسوني لم يفعل لأنه اقتداء بعبد الحفيظ الذي نصبه لم يقبل أن يكون تحت سلطة الإسباني سيلفستري الذي حاول معه فلم ينجح، وهو ما يبطل تهمة ابن عبد الكريم الخطابي للريسوني رغم ان الاسبانيين كانوا قد احتلوا المراكز خصوصا عندما ظهر جليا أن المخزن أواخر عهد المولى عبد الحفيظ لم يعد قادرا على حماية البلاد بما آلت إليه مرافق الدولة من تفكك وضعف، وفي منطقة الشمال أكثر، نتيجة لماسبق من فتن أبي حمارة ومشاركة أكثر القبائل شمالا في تلك الفتن، وحتى إذا ما تطاول الفرنسيون باحتلالهم لكثير من الجهات فإن الاسبانيين الذين صرحوا باهمال الفرنسيين لهم وعدم

---

(29) كريم ثابت ص 20 ط 1925.

(30) راجع الوثائق في كتاب محمد بن عزوز حكيم جـ1 ط الرباط 1981 ثم راجع كيف تم اختطاف الريسوني وجماعته لديكاريس حسب الوصف الذي أورده روم لا ندو المذكور قبل، ص 64 على أن هذا الأفاق كعادته يخلط كثيرا راجع ص 65.66.

إشراكهم في حرب الشاوية ووجدة وما حولها من بني يزناسن، ولذلك قاموا في منتصف فبراير عام 1908م باحتلال بعض الأماكن من شمال المغرب بدعوى أن المخزن لم يعد قادرا على حماية المناطق المجاورة لمراكزهم حسب معاهدة 1894م، خصوصا وأن قوات المخزن كانت قد انسحبت بسبب ما انتهى إليه أمر الفتان أبو حمارة، بل تقدمت قوات الاسبان الى أن احتلت قبيلة كبدانة والمناجم التي في أرضها، كما حاولت مثل ذلك في قبيلة أنجرة(31) مما دفع بقبائل الريف إلى التفكير في الدفاع عن نفسها، ومما دفع بالمولى عبد الحفيظ إلى بحث هذه المشاكل مع الوزير الاسباني المفوض الذي قدم إلى مدينة فاس من أجل تقديم أوراق اعتماده أوائل مارس 1909 حيث طالب السلطان باخلاء المناطق التي احتلتها اسبانيا، لكن الوزير أجاب السلطان ليس لديه تعليمات حول هذا الموضوع، وبدلا من هذا تقدم الوزير الاسباني بعدة مطالب جديدة منافية لما ورد في عقد الجزيرة وهي :

1) قبول احتلال الاسبان للمرتفعات المشرفة على مضيق جبل طارق، بين سبتة وطنجة.

2) التصديق على الامتيازات المنجمية التي منحها أبو حمارة لبعض الشركات الاسبانية.

3) إقامة بعثة تبشيرية فرنسيسكانيه، بصورة دائمة في مدينة فاس.

وهكذا ما كان للاسبانيين القيام بمثل هذه الاعتداءات لولا أنهم أدركوا أن المنطقة أصبحت مكشوفة، وأن الضعف قد دب في أوصالها ولم يعد لقوادها من القوات ما يستطيعون بها المواجهة وحماية الحمى، لأن المخزن آل إلى الضعف، وأمثال الريسوني أصبح رجل سلطة مسؤول، ولا يستطيع الحركة بغير إذن من الإدارة المركزية، وإذا هو أراد أن يقاوم، عليه أن يتخلى عن الوظيفة المخزنية وحتى لو أراد كان الزمن قد تخطاه وتم الاتفاق بين كل من فرنسا اللائكية واسبانيا الكاثوليكية ضد المغرب الذي تمزق ثم أصبح الهدف من تحقيق ما تم من اتفاقيات سرية بين فرنسا وايطاليا 1900ـ1902ـ1904 وبين فرنسا وبريطانيا 1904 خصوصا المادة الثامنة من هذه الاتفاقية التي ورد فيها: "أن

(31) راجع قبل من هذا الكتاب فصل واقع المغرب والظروف التي بويع فيها عبد الحفيظ.

الحكومتين مدفوعتين بشعور صداقتهما العميق نحو اسبانيا تأخذان بعين الاعتبار المصالح التي تستمدها اسبانيا من وضعها الجغرافي، ومن وضع ممتلكاتها على الشاطئ المغربي للبحر الأبيض المتوسط، وبالنسبة لهذه المصالح ستتوصل الحكومة الفرنسية إلى تفاهم مع الحكومة الاسبانية ويبلغ أي اتفاق يتوصل إليه بين فرنسا وإسبانيا على هذا الموضوع إلى حكومة صاحب الجلالة البريطانية، ولولا تطور الأحداث التي قلصت مطامع الاسبان، لما كانت مدينتا فاس وتازة من نصيب فرنسا، لأن مطامع اسبانيا كانت قوية جدا، لكن ديلكاسيه وضع حدا لذلك بالاتفاق الذي وقعه مع وزير خارجية اسبانيا، السنيور ليونسي كاستيو، بتاريخ 3-10-1904 وهو الاتفاق الذي خطط للأسلوب الذي ستسلكه كل من فرنسا واسبانيا في احتلالهما للمغرب، ولم يكن غير الشروع في الاحتلال العسكري الذي تقرر في الاتفاقية المذكورة، والتي ورد فيها:

أ ـ إذا ما انهارت سلطة السلطان وتلاشى النظام السياسي في المغرب.

ب ـ إذا ما أصبحت صيانة الوضع الراهن مستحيلة نتيجة عدم قدرة الحكومة الشريفة على حفظ الأمن العام.

جـ إذا ما برهن لأي سبب آخر خاضع بطبيعته إلى الاتفاقية الفرنسية الاسبانية أن صيانة الوضع متعذرة.. الخ.

في هذا الوضع وجد الريسوني الذي أصبح قومه وغيرهم من سكان الشمال تحت وطأة التآمر الاسباني الفرنسي بل أمام هذا الوضع الشاذ الذي انتهى إلى مواجهة بين المولى عبد الحفيظ والاسبان إلى درجة أنه توعد أمام سفراء الدول ليحاربن اسبانيا، الأمر الذي دفع سفير اسبانيا إلى محاولة ترضية السلطان واتهام فرنسا بأنها السبب في إثارته ضدها مما جعل رينو يتدخل، فعاد السلطان إلى تعيين مهندس اسباني معاون للمهندس الفرنسي الموجود، ولكن ذلك لم يرض السنيور مارى دالفال، فأعلن من وقتها عزم إسبانيا على الوقوف في وجه السلطان، وإضعاف جانبه، ولو بالسلاح اقتداء بفرنسا التي اتخذت لاحتلالها كلا من الشاوية ووجدة عام 1907م اسبابا تافهة صنعتها صنعا، ففي يوم 9 يوليه 1909 قتل أربعة من العمال الاسبان وهم يشتغلون في السكة الحديدية المعدنية في مليلية رغم أنهم كانوا يتمتعون بحماية ما حولهم من الجنود، وماتحيط بهم

من وسائل الحراسة، فكأنهم دفعوا لذلك دفعا، لأن حكومة المغرب طالما حذرت الحكومة الاسبانية من مغبة أعمالهاغير المشروعة للمعدن بأرض قبيلة قلعية مما دفع هذه القبيلة إلى الاعتماد على وطنية رجال بقيوة والحيلولة دون تقدم سفن الاسبان نحو الشاطئ، لكن الاسبانيين الذين اعتمدوا ترخيص أبي حمارة لهم باستغلال المنجم الكائن في زغنغن من قبيلة، بقيوة، دفع بهم إلى التحدي وعدم اعتبار احتجاج الحكومة المغربية، مما دفع بالمواطنين إلى حماية أنفسهم وبلادهم، فنظمت المقاومة التي قادها الشريف مزيان رحمه الله(32) وكانت من أول المعارك التي خاضها رجال قبيلة قلعية أن قتل فيها العمال الأربعة المشار إليهم، فما كان من اسبانيا وقد كانت وقتها لا تتفوق كثيرا عن الدول المتخلفة إلا أنها جندت خمسة وستين ألف جندي 65000 ثم حشدتهم في جبل "كوروكو" المطل على مليلية، فكانت النتيجة أن عم الاستنفار من أجل الجهاد مجموع قبائل الريف واجباله فكانت النتيجة وقد تحولت المعارك بعد الاختلاط إلى المواجهة بالسلاح الأبيض، مما أسفر عن قتل ما قدر بعشرة آلاف منهم الجنرالين بينيتو، وفيكاريو لكن عدم توفر قبائل الريف وجبالة، على السلاح اللازم، حول القوة في جانب الاسبان الذين أحاطوا

---

(32) إن ما نتماه هو أن يقوم المهتمون من أبناء المنطقة بدراسة ميدانية للكشف عن أسرار مقاومة هذا البطل العظيم الذي لم يكشف لنا التاريخ بعد شيئا منها، وقد استشهد رحمه الله يوم 1912/5/15 وللأسف لم نتمكن مما يجعلنا نخصص لهذا البطل العظيم دراسة تتفق وما قدم في مجال المقاومة، حيث دارت المعارك في بوعرق قرب مليلية يوم 14ـ2ـ1907 ورأس سيدي البشير يوم 3/12 من نفس السنة وفي قبيلة بويحيى بتاريخ 12ـ1ـ1908 ضد الفرنسيين وكل الذي توفرنا عليه هو خوضه للمعارك المذكورة وهي:

1) معركة حد بني شيكر 2) معركة قصبة سلوان 3) معركة جبل لحمام 4) معركة زغنغن 6) معركة أزرو "الحجرة" 5) معركة وادي كرت 7) معركة تيكرمين.. الخ 8) معركة مرسى كبدانة 9) معركة تانكمارت.

وبالتالي فإن المعارك التي خاضها الشريف محمد مزيان قد قتل فيها الجنرال بينتو، والجنرال فيكاريو، وبالتالي فهي تعد بأكثر من 120 معركة وذلك في الوقت الذي لم يعد فيه للدولة المغربية وجود مادي في المنطقة التي سادت فيها فوضى أبي حمارة، حتي إنه باع للاسبانيين مناجم ويشن للحديد بثمن بخس، قالت عنه مصادرهم 650000 بسيطة لمدة 99 سنة، ذلك بظهير مزور تاريخه 4ـ4ـ1908م والاستغلال بدأ بتاريخ 7ـ5ـ1908 ولولا مقاومة الشريف مزيان التي ردت الاسبان وحطمت معنوياتهم لكان الاحتلال لما جاور مليلية وسبتة قد تم، ولأصبح للاسبان موضع قدم قبل الحماية يزعمون له ما يزعمونه اليوم لسبتة ومليلية، وبالتالي فقد استشهد محمد أمزيان رحمه الله حيث قتل مغدورا يوم 15ـ5ـ1912م ورغم ما قدمه لهذا الوطن من جميل فكأنه في اعتبار القوم لم يمر ولم يترك أثرا في هذه الديار، وإلى الله المشتكى وعنده تجتمع الخصوم، بل ولسوف يعلم الذين ظلموا أي منقلب بنقلبون، لأن هناك طائفة مندسة لا تريد لامجاد هذا الشعب أن تذكر.

مدينة مليلية بقوة لا قبل للمجاهدين بمقاومة ما كانت تتوفر عليه من سلاح، وإذا ما دخلت كل من اسبانيا، وفرنسا، في تسابق من أجل الفوز بأكبر نصيب من الغنيمة، وإذا ما آل أمر الدولة المغربية إلى الضعف، بل وإذا ما تم الاتفاق بين القوتين على التوزيع، فإن كلا منهما كان قد احتل من الجهات الموالية له ما يدفع إلى الاطمئنان على مصيره في المنطقة التي خصصت له، وقد كانت فرنسا قد خصصت للاسبان مساحة قدرت بـ 28000 كم، ووقتها كان على البطل الريسوني أن يظهر بما يليق بأصالته .

الفصل الثاني والعشرون بعد المائتين
الريسوني وتنظيم المقاومة ضد الاحتلال الاسباني لشمال المغرب

في الوقت الذي بدأ كل من دالادي غربا، وليوطي شرقا، في الاحتلال كان الاسبانيون يتميزون غيظا على الفرنسيين، وقد أعياهم الاحتجاج وإظهار الغضب على عدم اشراكهم في التخطيط والغزو، خصوصا للشاوية مادام قد قتل لهم مواطن أسباني في الدار البيضاء ولذلك اخترعوا فكرة الصدام على أبواب مليلية حتى يجدوا المبرر للغزو الذي خططوا له،، وفعلا بعد المعارك المشار إليها عين العقيد سيلفيستري ليقوم بالدور الذي قام به ليوطي، لكن بلادة حس سيلفيستري واعتماده على صداقة الملك الفونصو 13 أدى به إلى الخسران المبين من البداية إلى النهاية كما سنرى أثناء حربه لمحمد بن عبد الكريم.

لقد أخذ سيلفيستري يهيء لاحتلال أصيلة والقصر الكبير والعرائش وقبل ذلك احتل المراكز التالية:

1) العرائش بتاريخ 13 يونيو 1911
2) مركز العسل 7 يوليوز 1911
3) مركز خميس الساحل 8 يوليوز 1911
4) دشرة العبيد قرب القصر 5 غشت 1911
5) مركز كرمان على ضفة وادي لكوس 6 غشت 1911
6) سوق سيدي اليمني 21-10-1911
7) أصيلة 17-8-1912

وإذا كان الريسوني وقتها وهو عامل مدينة أصيلة قد فوجيء بما لم يكن يحسب

من غزو، فإن عليه أن يغادر المدينة بعد احتلالها، وذلك ما فعل، وتوجه إلى مدينة طنجة، بتاريخ 30-11-1912 أي بعد ما يقرب من الأربعة أشهر.

لم نتعرف علي ما حصل فيها بينه وبين قوات الاحتلال والقائد العسكري سيلفيستري، وإن كان(33) قد قيل إنه أخذ يراوده في العمل والاستقرار في عمله تحت اشراف الإدارة الجديدة للأسبان، لكن دون أن يرجع في الاذن إلى السلطان، وقيل إنه لم يتفاهم مع سيلفيستري.

كان الريسوني حين رحل إلى طنجة يخطط للإقامة فيها مع أسرته التي أخذ ينتظر وصولها وقد اختار مدينة طنجة حتى يكون في مأمن هو وأسرته، إذ ربما لاحظ من الممثل الاسباني ما لم يسترح إليه من تصرفات، وإذا كان الاسبان قد عرفوا بعدم الأمانة، فإن الحاكم العسكري الجديد ربما عندما رحل الريسوني دون أن ينتظر أسرته دخله ريب فمد يده لتفتيش المنقول من متاعه، وفي الصناديق التي خلفها الريوسوني وجد سيلفيستري 500 بندقية و113000 طلقة نارية فلم يكن منه إلا أنه صادر الجميع وأرسل إليه الصناديق فارغة(34)..

كان الريسوني قد علم من محمد كاباص بل ومن ممثلي ابريطانيا وألمانيا أن المنطقة بحكم المعاهدات الدولية والاتفاق على عقد الحماية الفرنسية قد أصبحت تحت حكم الاسبان وهو ما لم يقل به الريسوني ولا وافق عليه، وربما هذا هو الذي ألجأ سيلفيستري إلى النهج الذي سلكه مع الريسوني وأسرته، ناهيك وأن هذا الأخير وحسب معطيات إدراكه وإمكاناته السياسية تمسك بمشروعية سلطته المستمدة من تولية المولى عبد الحفيظ له، وعدم هضمه للوضع الجديد إلى درجة رفض ما عرضه عليه سيلفيستري الذي قيل إنه عرض عليه أعلى وظيفة، لكنه رفض بدعوى عدم قبولها ما لم تكن من المخزن الذي بقي الريسوني متمسكا به رغم تمزيقه وزوال سلطانه، حتى إن أولاد بومعزة من قبيلة سريف، الذين ثاروا على المخزن تأثروا بما سبق لأبي حمارة ومن ناصروه، فضلوا الإلتجاء إلى القوات الاسبانية، وطلبوا حضورها إلى قريتهم بطريقة عشوائية

(33) بن عزوز حكيم المصدر السابق 28-29-55. ط الرباط 1981

(34) المصدر السابق.

استجاب لها الضابط سيلفيستري بطريقة فيها شطط وتهور، حيث لم يرجع إلى رؤسائه ولا أخذ الإذن من أحد، معتمدا في اندفاعاته على ما له من حظوة عند سيده الفونصو الثالث عشر، وذلك ما جعله يقرر غير مكترث عدم سفر أسرة الريسوني من أصيلة إلى طنجة حيث بقيت موقوفة أكثر من ستة أشهر من ديسمبر 1912 إلى ماي 1913 وفي بحر هذه الفترة قيل إنه أمكن للريسوني أن يصل إلى اتفاق مع الوزير الاسباني بطنجة وقع يوم 2-2-1913 ومما جاء في هذا الاتفاق وبنوده الست، عودة الريسوني إلى أصيلة التي سيعين فيها صنوه محمد خليفة له، وتوجيهه رسائل بما تم إلى قبائل الجبل، ومما ورد في الاتفاقية أيضا عدم رجوع الريسوني في إدارته إلى سيلفيستري، وإنما للقنصل الأسباني بأصيلة ثم إطلاق سراح أعوانه الذين كان سيلفستري قد اعتقلهم وكذا تسريح عائلته التي كانت ملزمة بالإقامة الجبرية في أصيلة(35) حسب أوامر سيلفيستري الذي ما كاد يعلم بما تم من اتفاق حتى أزبد وأرعد وهدد بالاستقالة التي أبرق بمضمونها إلى وزير الدفاع بتاريخ 5-2-1913 معتبرا أن ماورد في الاتفاقية بالإضافة إلى إبرامها دون علمه إهانة له وانتقاصا من مركزه.

إن المدة الطويلة التي قضاهاالريسوني بطنجة، والتي فيها توفيت والدته يوم 15-1-1913 والتي بلا شك عرف فيها مع توتر الأعصاب ما يدفع إلى أكثر من التذمر من الاسبان، كيف أمكنه مع ذلك أن يبرم الاتفاق المشار إليه مع الوزير المفوض "فييا سيندا"، هل لأنه كان يقدر أن الاتفاق مع الأخير فيه إهانة لعدوه سيلفستري أم أنه كان يقصد فقط تحرير أسرته، وبعدها يختار له الموقف الذي يريد ويحفظ كرامته وكرامة قومه، إنما نعرفه عن الريسوني أنه لم يكن رجل سياسة مراوغ، بقدر ما كانت سياسته واضحة وتتسم بالفروسية، وإذا هو أبرم الاتفاق المذكور فإنه لم يكن يقصد غير ما جاء فيه، والذي ربما كان نتيجة تدخلات واتصالات أقنعت الوزير المفوض أن من الخير كسب الريسوني، بدلا من الاعتماد على سياسة سيلفيستري الهوجاء التي إن لم يجعل لها حد فستخلق للأسبانيين المتاعب التي لا قبل لهم بمواجهتها، والتي هم في غنى عنها، ومهما يكن فإن حلقة الربط في هذه الفترة غير معروفة مادام الريسوني قد غادر أصيلة كما رأينا ثم حصل له ما حصل مع سيلفستري مما لا يمكن أبدا معه أن يقبل الريسوني

ماتقرر في الاتفاقية والحاكم العسكري بأمره هو سيلفستري الذي رغم مواجهته للاتفاقية بتلك الثورة العارمة لم يكن أمام وزير الدفاع ورئيسه المباشر إلا أن يعمل على ترضيته بارسال الكولونيل باريرا، مدير ديوانه إلى مدينة طنجة، الذي حل بها بعد تاريخ الاستقالة بستة أيام، ثم اجتمع بالوزير فييا سندا، والريسوني، وبعد يومين مع الوزير وسيلفستر الأمر الذي دفع هذا الأخير إلى اعتبار أن ما قامت به وزارة الدفاع من إرسال مدير الديوان ثم اتصاله أولا بالريسوني، شيء غير مقبول، لأن الريسوني حسب رأيه الجديد تحول إلى رجل لا قيمة له ولا اعتبار، ناسيا أنه بالأمس فقط وقبل أن يتمكن الصراع كان يقول في حقه ما جعله يرشحه في عدة تقارير إلى أنه الرجل المختار لمنصب الخليفة السلطاني في المنطقة(36) لكنه لم يكن يدري أن دولته بالتبعية لمن مكنتها من الغنيمة وهي فرنسا تنص اتفاقية الحماية أن لا شيء يتم دون موافقة السطان، وبالتالي موافقة من ينوب عنه، ولذلك ما كادت اسبانيا تدخل مدينة تطوان بطريقة باردة يوم 19ـ2ـ1913م حيث دخلها الجنرال ألفاو، الذي سيعين مقيما عاما، حتى تم تعيين الخليفة السلطاني مولاي المهدي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الرحمن السلطان.

في اليوم التالي لدخول تطوان وهو يوم 20ـ2ـ1913 تم اجتماع بمدينة طنجة، وفي مقر الوزير المفوض الأسباني فييا سندا حضره بالإضافة إلى مدير ديوان وزارة الدفاع الريسوني، وسيلفستري، وإذا ما عرفنا العلاقة بين الأخيرين ندرك لماذا انفض الاجتماع دون تحقيق أي تقدم فيما يتعلق بكسب الريسوني، ومع ذلك لم توقف المحاولات، بل تبناها الجنرال ألفاو الذي كان على مذهب الوزير "فييا سندا" فيما يتعلق بسياسة الأسبان التي لا تستغنى عن الريسوني في المنطقة التي لا يستهان بما له فيها من نفوذ، ولا يمكنها أن تقبل التصادم معه.

لقد رأينا كيف كان على الريسوني أن يسلك كل السبل من أجل فك الحصار على

---

(36) هذا المنصب حسب التقاليد والتاريخ، لم يكن يوجد زمن العلويين في غير مدينتي فاس، ومراكش، وتافيلالت وفي عهد الحماية أحدثت تطوان بالنسبة للشمال وتزنيت بالنسبة لسوس، وقد عين في تطوان مولاي المهدي بن اسماعيل بن محمد بن عبد الرحمن، الذي حل بها يوم 29ـ2ـ1913م ذلك لأن هذا المنصب كان قاصرا على أفراد الأسرة ولا يمكن لغيرهم.

أسرته واستقدامها من أصيلة، بل قيل إنه طلب منه السفر إلى مدريد لمقابلة ملك الاسبان، ومن أجل أسرته كاد يفعل رغم أن أعز ما في أسترته والدته التي كانت قد توفيت كما أشرنا، لكن شيئا من ذلك لم يحصل، وعادت إليه أسرته التي استقبلها في طنجة يوم 1913/4/13م وإذا هو تفقد متاعه ثم وجد أن لصوصية سيلفيستري فعلت بصناديق السلاح مافعلت(37) فإن رأيه قد تبدل وبعنف عنيف في كل ما كان يؤمل من معاملة سليمة مع الاسبان، وبالأخص سيلفيستري، ولذلك تمارض ولم يتوجه حسب الاتفاق إلى الباخرة التي كانت ستنقله إلى قادس للقيام بالزيارة الملكية المشار إليها.

كان الريسوني منذ أدرك أن سيلفيستري لم يتأخر عن عداوته، ومنذ أن استرجع أسرته أخذ يتصل برجال القبائل الجبلية بواسطة المراسلة يحثهم فيها على الاستعداد لتنظيم المقاومة ضد الاحتلال الاسباني بل يقول بعضهم إنه بدأ عمله هذا مذ كان في مقر قيادته بأصيلة ومدة إقامته بطنجة كانت اتصالاته في هذا المجال بقرية لمرينات التي كان يتردد عليها أثناء محاولة حل مشكل أسرته واسترجاعها من أصيلة.

لقد كانت محاولات الجنرال ألفاو، كلها تنصب على إعادة الريسوني إلى مقر قيادته، وإذا كان يعلل ذلك بأوامر المخزن، فإن وزارة خارجية اسبانيا أبرقت إلى المقيم العام الجنرال ألفاو في اليوم الذي حل فيه الخليفة السلطاني بتطوان، وتقول البرقية : "إن الريسوني إذا أراد أن يحتفظ بمنصب الباشا؟يجب عليه أن يتوجه إلى تطوان لتقديم البيعة لسمو الخليفة ثم يعود إلى أصيلة، وإن لم يفعل فسيعفى من منصبه(38)" ومعنى هذا أنه كان لا يزال محتفظا له بمنصبه، وما كانت الإدارة الجديدة لتفعل رغم إرادة سيلفيستري لولا ما للرجل من اعتبار.

لست أدري إن كان الريسوني في هذه المرحلة قد اتصل بالسلطان عبد الحفيظ الذي كان هو الآخر قد رفض معاملة"الكابتين" كما عبر شعرا، أم لم يكن اتصل به، وما لم نتأكد لا يمكننا أن نقحم رأي المولى عبد الحفيظ الذي كان غاضبا ونافرا من الجميع، بما في ذلك الخلافة الجديدة في تطوان، التي رفض الريسوني ما ورد إليه في البرقية نحوها، وإذا كان عبد الحفيظ في هذه الفترة اتصل بمحمد احمو الزياني ثم زوده

(37) المصدر السابق 76.

بالمال حتى يثور وهو بعيد في الأطلس المتوسط. فإنه لا محالة كان عليه أن يفعل مع الريسوني وهو القريب مكانا وأفكارا لكننا مع الآسف لا نتوفر على ما يؤكد ذلك من الوثائق التي حصلنا عليها بالنسبة لعبد الحفيظ وجماعة حزب التقدم والترقي ثم جماعة الجهاد الاسلامية بل والألمانيين مع محمد بن عبد الكريم الورياغلي.

مهما يكن فإن الريسوني كان قد غادر مدينة طنجة وقت ورود البرقية التي علم أو لم يعلم عنها شيئا، ثم توجه إلى قرية زينات بالفحص، ولأسباب كانت قد هيئت غادرها كذلك بعد ثلاثة أيام أي يوم 3-4-1913م وهو اليوم الذي قيل إن سيلفستري بعث إليه بما وصله في برقية وزارة الدفاع بتاريخ 5-4-1913م تقريرا يؤكد فيه ما سبق له من رأي ضد الريسوني الذي قال في حقه هذه المرة «أخبرت اللحظة أن الريسوني غادر طنجة واستقر بالزينات حيث أخبر الجميع بأنه قطع جميع علاقاته مع اسبانيا وأنه سيقاومنا بكل ما يتوفر عليه من قوة، وهذا ما يؤكد ما قلته لكم مرات متعددة، بأن هذا المغربي هو أصعب خلق عرفته، فهو قوي العزيمة ثابت الإرادة، لا يمكن لأي بشر أن يستعمله في أمر من الأمور(39).

إن ما يستدل به على التناقض في رأي سيلفستري، بل وفي تقريره هذا شيء غير مستغرب في حق أمثال هذا المغرور الذي سنتعرف على نهايته الطبيعية في حرب الريف عام 1921م التي أذلته ومرغت تاريخ اسبانيا بالمغرب في الوحل الذي لم ولن تغسله التقلبات مهما طال الزمن واستمرت الحياة.

كان الريسوني فعلا لما استقر بالزينات أخذ يتصل برجال القبائل من أهل الجبل وما حول تطوان والتي عود أهلها منذ عهد بعيد حماية أرضهم والدفاع عن الدين والوطن بكل حماس، وإذا كان الاسبانيون اليوم قد تطاولوا، فإن الذي يحتاج إليه المجاهدون من رجال قبائل جبالة هو القيادة أولا والسلاح ثانية، وذلك ما سيتوفر بواسطة الريسوني الذي تمرس على القيادة وتعرفه قبائل المنطقة كما يعرفه رجال الدولة إن هو قال فعل، وهذا ما كتب به سيلفيستري كما رأينا، كما كتب أيضا مؤكدا على وزارتي الدفاع

(38) المصدر السابق79.
(39) نفس المصدر 80.

والخارجية بتاريخ فاتح سبتمبر 1913م أنه ثبت له أن أعوان الريسوني بعثوا من قرية الزينات لحد الان 500 بندقية قام الريسوني بتوزيعها على القبائل"(40) صحيح أن مدة خمسة أشهر أو تزيد على الفترة التي أخذ الريسوني فيها يستعد لتنظيم المقاومة كافية كي يتجمع له مثل هذا العدد، لكن لماذا خمسمائة وهو نفس العدد المصادر من متاع الريسوني، حين غادر أصيلة إلى طنجة بتاريخ 30-11-1912.

لقد أصبح من المحتم على الريسوني وقد بلغ الحقد بسيلفيستري إلى ما رأينا من استعمال كل الوسائل لانتزاع أوامر المسؤولين حتى يتمكن من تحقيق ما يدفعه إليه حقد الصليب على الهلال ولقد أورد الريسوني هذه الحقيقة التي كانت تعبر عنها أعمال الضابط الاهوج المتهور، والتي إن لم يبادر بتنظيم ما يقاوم به تلك النزعة الفاسدة التي تعمل في نفس سيلفيستري سيكون هو وقومه فريسة للحقد الذي يرمي بالشرر عن طريق الغزو هنا وهناك، ومن أجل ذلك أشار بأول اجتماع عقده، بعض رؤساء القبائل باشراف محمد بن الحسن المعروف بشريف تاكزارت والذي كان قد أسس أول رباط للجهاد بديار ابن قريش، كان شبه اجتماع عام بزاوية يسف التليدي بقبيلة الأخماس، وذلك بتاريخ 7-5-1913م حضره جميع رؤساء القبائل، وقيل لم يحضره الريسوني حتى لا يتهم بالرغبة في الرئاسة، وانفض الاجتماع بعد قرار الاتصال بمن تبقى ممن لم يحضروا، ثم العودة إلى اجتماع عام بعد أربعة أيام، ويكون في "عزيب" مزرعة الحاج قدور بالفحص، ورغم هذه البداية لم يتقرر فيها شيء غير إثارة حمية القوم بواسطة الذين كلفوا بذلك برئاسة محمد بن الحسن صاحب تاكزارت، والفقيه محمد الحراق، فإن الأسبان الذين تلقفوا الخبر بواسطة عيونهم أدركوا أنها بداية المتاعب، وذلك ما عبرت عنه الاتصالات والمراسلات التي حصلت بين جميع الأطراف، والتي أرعبت سيلفيستري حتى أنه طلب الإذن باحتلال قرية الزينات مركز الريسوني، كما حاول كبار المسؤولين المقيم الجنرال ألفاو والوزير الصدر لدى الخليفة السلطاني محمد بن عزوز، وكلاهما كتب إلى الريسوني، لكنه لم يستجب رغم أن ألفاو اتخذ لذلك ابن عم الريسوني عبد الصادق

(40) المصدر السابق 114.

الريسوني الذي كان قاضيا بالقصر الكبير(41) وقتها، وفعلا فإن تقديرات الاسبانيين وما أبداه بعضهم من تخوفات نحو التحركات والتحرشات التي بلغهم صداها كانت صحيحة، وحتى يؤكد الرجل الذي عرفنا قبل مدى فعاليته في هذا الميدان، وأن منصب السلطة الذي كان قد انتزعه، ورفقا بنوايا المولى عبد الحفيظ الذي بعد أسنده إليه فعرفت البلاد الأمن والاستقرار ولما غادرها وزعت قيادته على ثلاثة فيهم خادمه ادريس الريفي وبوسلهام الريفي وفاضل بن يعيش، ومع ذلك لم تعرف البلاد استقرارا لأن منطقة الجبل لا يمكن أن يعمل فيها شيء بدونه كما كان يقول ويردده عن جدارة(42) "بدوني لا يعمل أي شيء بناحية اجبالة".

لقد عرفنا عن الريسوني أنه في كل المواقف كان يفرض نفسه بأسلوبه وفروسيته، لكنه في هذا الموقف - موقف الجهاد ومقاومة الاستعمار الاسباني بقوة السلاح لم يستعمل أسلوب الفروسية والاستبداد، بفرض نفسه على الذين سيقاتلون معه، بل استعمل أسلوب الشورى - حسب الظاهر - ولربما يكون قد دفع أعوانه من أجل اقناع الآخرين بزعامته، لكنه لم يظهر إلا بعدما قرر رجال القبائل تلك القيادة في جمعهم العام الذي انعقد بتاريخ 4 جمادى الثاني عام 1331هـ/11-5-1913. وفي هذا دلالة على دهاء الرجل وأصالته التي حاول عملاء الاستعمار والذين في أفواههم ما: أن يصفوه بما لا يذكر في حق الرجل.

كان هذا الجمع قد ضم أكثر من عشرين قبيلة حضر من كبارها مائة وأربعة عشر(43) قرروا ما يلي:

1) إعلان الجهاد ضد التدخل الاسباني.

2) إسناد إمارة الجهاد إلى الشريف الريسوني.

3) مشاركة القبائل في تكوين "الحركات"(44) أمرا إجباريا على كل من يمكنه حمل السلاح، وذلك عن طريق التناوب المعروف بـ"الإدالة"(45).

---

(41) نفس المصدر.

(42) نفس المصدر 106.

(43) نفس المصدر 85.91.

(44) الحركة بسكون الراء التجمع المسلح من أجل الحرب ضد العدو وهو إطلاق مغربي.

(45) الإدالة في الاصطلاح المخزني الفرقة من الجيش المعين للإشراف على أمن ناحية معينة.

4) تكوين محلة نظامية منظمة على الطريقة العصرية؟ يتكلف قادة الثورة .
بتموينها وتزويدها بالسلاح والعتاد.

5) تكوين لفيف متنقل من 100 راجل و50 فارس تكون مهمته ربط الاتصال بين المراكز المختلفة.

6) إحداث رباطات عديدة في الأماكن الاستراتيجية"؟" تقابل المراكز المهمة المحتلة من طرف الجيش الأسباني.

7) إحداث خزائن للسلاح والعتاد في كل قبيلة.

8) تعيين قائد علي رأس كل قبيلة يكون مسؤولا على الأمن وشؤون الجهاد في قبيلته.

9) تأليف مجلس أعلى للمقاومة تكون مهمته اتخاذ القرارات الخطيرة، ويجتمع بطلب من الشريف الريسوني مكون من السادة:

- محمد ولد أحميدو الخراز،
- عبد السلام بن دكون ولد الفار.
- أحمد الريسوني السماوي
- العياشي الزلال
- مصطفى الريسوني
- علي الريسوني.
- عبد الكريم ولد المعلم

10) تأليف مجلس استشاري للمقاومة، يتكون من علماء القبائل والفقهاء: التالية أسماؤهم :

من الأخماس :

شيخ الجماعة الفقيه أحمد بن دكون القاضي الطيب الزباخ.العلامة محمد بن خجو القاضي محمد المعطي العمراني.

من غزاوة: شيخ الجماعة محمد العبودي(46).

من بني عروس شيخ الجماعة محمد بن الحسين بن حليمة

من بني مسارة : شيخ الجماعة محمد بن الطيب كنون.

من رهونة: شيخ الجماعة العياشي بن رحمون.

---

(46) ويوجد آل العبودي أيضا في كنداماس من قبيلة سو ماته.

من واد راس: شيخ الجماعة الحسن الوزاني
من بني كرفط: شيخ الجماعة محمد الصروخ والعلامة محمد غيلان.
من الخلط: شيخ الجماعة مبارك الخمال.
من بني يسف: شيخ الجماعة محمد بن عتو
من الساحل: العلامة أحمد اليملاحي
من أهل سريف: القاضي أحمد الطاهر الحراق.
من سماتة: العلامة محمد بن عياد، والعلامة محمد الشدادي.
من بداوة: الفقيه أحمد مرصو.
من جبل الحبيب: العلامة عبد السلام بن برماق والعلامة عبد السلام بن الحاج.
من بني منصور: شيخ الجماعة أحمد بن الراشدي.
من الفحص: شيخ الجماعة محمد التومي.
من الغربية: شيخ الجماعة المختار العلمي
من بني يدر: شيخ الجماعة عبد السلام السرحاني.
من انجرة: شيخ الجماعة محمد تاج الدين بن عجيبة.
من غمارة: العلامة أحمد الخراز والعلامة عبد القادر الخريم، ومحمد المكي الحليمي.(47) ولعله من خلال إجماع هذه العناصر يدرك المرء قيمة أحمد الريسوني وأهليته للزعامة. ورحم الله القائل. ما العز إلا ما كان للمرء بين أهله.

وهكذا ما كادت القيادة تنصب والميثاق يوقع بالتزام، ومجلس الشورى يعرف من الجميع، والدعاية تتمكن بواسطة خطب الجمع في المساجد، حتى قام رجال جبالة يقودهم الريسوني بعمل يؤكد فعالية ما اتفقوا عليه ويعطي درسا للقيادة الاسبانية ممثلة في شخص الضابط المتهور المغرور سيلفيستري، فكان أول عمل هو الهجوم على مدينة أصيلة التي تحركت النخوة في نفوس ساكنيها، فأخذ الأحرار منهم يرددون صدى أعمال المجاهدين ويشحذون العزائم من أجل ازعاج الجنود الاسبان وتشويش راحتهم، وإذا ما

(47) المصدر السابق 92.

تكرر الهجوم فإن سلفيستري زاد الطين بلة حين أمر بتجريد المغاربة المجندين في صفوف قواته من السلاح، وإلزام الجنود الاسبان بعدم التحرك أفرادا وبدون سلاح، بل وضع الرقابة المشددة على المغاربة العاملين ضمن جيوشه، ذلك لأن روح الثورة بمجرد ما ظهر رجال الريسوني في الميدان ـ يقول فيجراس ـ(48) أخذت تنشر بسرعة فائقة بين القبائل، خصوصا بعدما احتلت قوات المجاهدين بقيادة الريسوني المراكز التي أصبح المجاهدون بواسطتها يطوقون مدينة تطوان.

كانت القيادة ومجلس الشورى قد قرروا إنشاء رباطات للجهاد هنا وهناك، انطلاقا من قريتي الزنات مقر أسرة الريسوني، وبني قريش مقر محمد بن الحسن شريف تاگزارت، وبالمقابل كان سيلفيستري قد أمر بإنشاء مركزين هامين هما:

أ ـ كدية فريشكات بقبيلة الخلط.

ب ـ سوق اثنين سيد اليمني بقبيلة الغربية.

وحتى يعطل المجاهدون بقيادة الريسوني مهمة هذين المركزين، استولوا على فندق العين الجديدة، الذي أخرجوا منه الفرقة المرابطة من قبل المخزن، ولما استولوا عليه وأمنوا ظهرهم، طوقوا مدينة تطوان بالمراكز التي تركز فيها المجاهدون، وهي بالإضافة إلى الزينات، وبني قريش، وفندق العين الجديد صدينة وخميس أنجره.

كانت القبائل الجبلية قد استجابت لنداء القيادة العليا حيث اتفق الجميع على تزويد تلك المراكز بما يمكن من الرجال والعتاد، لتشديد الحصار على مدينة تطوان، وأسندت القيادة العامة بهذه المراكز إلي كل من:

أ ـ القائد أحمد ولد الفار(49).

ب ـ السيد الحسن من بني عروس.

ج ـ الطويلب من قبيلة الحوز.

د ـ القائد محمد الغالي وأحمد الغرغاري من قبيلة غمارة.

هـ ـ السعيد والحاج العربي الحسناوي، وولد القنجاع من قبيلة أنجرة.

---

(48) المغرب: لتوماس غارسيا فيجراس ص 159ـ189ط تطوان 1955.

(49) قتل في معركة التنافس بين الريسوني ومحمد بن الحسن شريف تاكزارت بعد يوم 15ـ4ـ1915.

و ـ احميدو السكان من قبيلة بني يدر.

وفعلا فقد اشتد ضيق المسؤول الأول عن السياسة العامة في المنطقة وهو الجنرال الفاو مما أدى به إلى دفع الجنود الاسبانيين، ومن لف لفهم لاحتلال أقرب نقطة إلى تطوان حتي تكون المعارك الفاصلة خارج المدينة التي أصبحت مهددة عن قرب ومن الداخل، بما أخذ يظهر بين سكانها من التضامن بين المواطنين، وكان المكان الذي وقع عليه الاختيار من المقيم ألفاو، هو المكان المعروف بـ اللوزيين، وهو مكان يقع على بعد كيلومترات من مدينة تطوان والذي بادر المقيم إلى احتلاله بقوات ثقيلة يوم 11 يونيه 1913م لكنه كلفه ثمنا غاليا جدا لم تقبله عقول كبار المسؤولين وحكومة مدريد، وفي المقدمة وزيرالدفاع الذي أبدى اندهاشه من ضخامة الخسارة، ذلك لأنها كانت أكثر من مائتين، فيهم واحد وعشرون ضابطا، والباقي من الجنود، الأمر الذي دفع المجاهدين إلى إعادة الهجوم في اليوم التالي شمل بالإضافة إلى مركز اللوزيين مراكز أربعاء العياشية بقبيلة بني عروس، الأمر الذي دفع الاسبانيين حفظا لكرامتهم أن ينزلوا بكل ثقلهم إلى المعارك التي دامت إلى يوم 7 يوليه 1913م كانت فيها خسارة الاسبانيين كبيرة وكبيرة جدا(50) في المعارك التي دارت في الأماكن التالية :

1) أربعاء العياشية بقبيلة بني عروس
2) قنطرة أبو صفيحة.
3) ثلاثاء ريسانة
4) المنزه.
5) القصر الكبير
6) صدينة
7) بوعودة
8) جمعة الطلبة(51).

(50) المصدر السابق ص 101ـ4.
(51) نفس المصدر 115.

الفصل الثالث والعشرون بعد المائتين

الريسوني والمعارك التي كانت مقدمة لحرب الريف

لعله من الأنصاف للتاريخ أن نقول إن الحرب التي قادها البطل أحمد الريسوني كانت هي المدرسة الأولى التي تعلم فيها بطل الريف محمد بن عبد الكريم الريفي خصوصا وأنها دامت زمنا طويلا تمكن المولى عبد الحفيظ وجماعة حزب الترقي ثم جماعة الجهاد الإسلامي ومعهم الألمان من التمكين لدعايتهم في المنطقة التي كيفها البطل العظيم أحمد الريسوني على روح المقاومة والجهاد ضد العدو المشترك بين الجميع الذي هو الاستعمار الاسباني.

لقد كانت المعارك في هذه الأماكن عنيفة وساخنة، الأمر الذي دفع الجنرال ألفاو وقد عجز أمام تكاثر هجوم المجاهدين وعجرفة تطاول سيلفيستري الذي يستبد برأيه بدافع الأنانية وعدم احترام الأوامر اعتمادا على ما أشرنا إليه من حظو له عند العاهل الاسباني، مما دفع بالجنرال ألفاو إلى أن يقدم استقالته بتاريخ 11-8-1913م فحل مكانه الجنرال مارينا الذي عين بتاريخ 15 منه.

كان الجنرال مارينا قد عين في وقت بلغ فيه حقد الاسبانيين على المجاهدين الجبليين في هذه المنطقة أشد نهايته، الأمر الذي دفع إلى تزويد الجنرال بما يتفق وتحقيق أهداف ما تشبع به الاسبانيون وحكومتهم من حقد، كان عدد المجاهدين الجبليين تقول مصادرهم، لا يتجاوز الثلاثة آلاف، وحتى تمكن إبادتهم جميعا حسب اعتبار المقدرين الاسبانيين وقتها، سمح للجنرال باستعمال ما كان في مدينة سبتة من جنود فاق عددهم الأربعين ألف "40000" كما حاول "الكولونيل" سيلفيستري احتلال العقبة الحمراء من قبيلة الفحص يوم 18-8-1913م ورغم الحصار الشديد الذي عرفته المنطقة فإن الغيظ بلغ به إلى أن طلب الإذن من وزارتي الدفاع والخارجية حتى يشفى غليله باحتلال

مركز الزينات، لكن شيئا من ذلك لم يتحقق لهذا الضابط المغرور الذي كان بحق يتجسم فيه حقد الصليب على الهلال، ذلك أنه عمل على رفع درجة الحرارة بين جنوده ضد المغاربة عموما ما وسعه العمل، فأخذوا يسفكون دماء الأبرياء من النساء والأطفال غدرا وفي غير ميدان القتال، مما أجج حقد المواطنين وهيأ لحرب الريف بقيادة ابن عبد الكريم وتمويل السلطان عبد الحفيظ كما سنرى.

لقد خاض سلفيستري الكثير من المعارك ضد المجاهدين الجبليين، وفيها جميعا كان لا يخفي حقده على الريسوني، لكنه كان يمنى بالفشل والذل والمهانة، وخصوصا إذا نحن وضعنا المقارنة بين السلاحين وعدد الجنود الذين كان الاسبانيون يدفعون بهم إلى الميدان، ذلك لأن قبائل الجبل مهما بلغ عدد المجندين منها للجهاد، فإنها لم تكن تتوفر على السلاح الذي تواجه به الطيران والعربات المصفحة، ومع ذلك فقد كانت المعارك حامية وعنيفة، خاضها المجاهدون بإيمان وعزيمة، دفاعا عن الدين والوطن، بل كانت تلك المعارك هي المدرسة التي سيتدرب فيها الرجال الذين سيقفون إلى جانب الثورة الريفية بعد كما سنرى، وإذا نحن علمنا أن بعض مؤرخي الاسبان قد سجل تلك المعارك ثم سجل معها الحسرة التي عرفها الاسبانيون رغم التباين في العدد والعتاد، ندرك مدى فعالية تلك الحروب في بلورة الوعي ضد الاستعمار. ومهما يكن فإن مما يخلد ذكر الريسوني كبطل رغم أنف الدخيل العميل "المقعور"الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصو ر هو أن الريسوني لم يكن يشرف على المعارك من بعيد، بل كان يخوضها كمقاتل لا يعرف الخوف ولا يتوارى خلف الرجال، إلى درجة أنه أحيانا كان يتعرض حصانه للموت برصاص العدو فيستبد له بآخر كما يشهد بذلك بعض المؤرخين الاسبان(42) ومن المعارك المعروفة التي خاضها الريسوني ضد الاسبان في مقدمة المجاهدين الجبليين المعارك التالية وهي ما يقرب من الأربعين معركة.

1) معركة تركونت بقبيلة بني كرفط يوم 18-10-1913

2) معركة ظهر بوفارس بقبيلة الغربية يوم 5-11-1913.

3) معركة سيدي عمرو قيطون بقبيلة أهل سريف يوم 11-11-1913م.

---

(42) نفس المصدر 115-116: المغرب لتوماس غارسيا فيجراس.

4) معركة الكدية الزرقاء، الأولى والثانية نفس القبيلة يومي 22/30-11-1913م.
5) معركة السكدلة بقبيلة الفحص يوم 12-12-1913م.
6) معركة كدية العبيد ببني كرفط يوم 21-12-1913م.
7) معركة بني سالم بقبيلة الحوز يوم 1-2-1914م.
8) معركة الحواط بقبيلة أهل سريف يوم 3-2-1914م.
9) معركة مولاي بوسلهام بقبيلة بني كرفط يوم 16-2-1914م.
10) معركة القلالين بقبيلة الحوز يوم 5-4-1914م.
11) معركة كدية لقصيبة بقبيلة بني عروس يوم 11-5-1914م.
12) معركة جرف الحمام بقبيلة الغربية 13-9-1914م.
13) معركة البيبان بالفحص 15-10-1914م.
14) معارك كدية الريبة بقبيلة البداوة 15-/18-11-1914م.
15) معركة سوق الاثنين بمرنيسة يناير 1914م.
16) معركة قشتالة بقيادة السملالي.
17) معركة سيدي أحمد زروق ماي 1914م.
18) معركة باب مروج والبرانس ماي 1915م.
19) معركة سوق الأحد بمغراوة وجزناية فبراير 1916م.
20) معركة بني مستارة 12 يوليوز 1915م.
معركة زكزن 12-6-1917م
معركة تيسة 29-6-1917م.
معركة بني بوقيطون 30-11-1917م.
معركة بومهاريس ونواحيها 14-9-1917.
معركة بني فكوس وواد جنون 24-4-1917م.
معركة سوق اثنين مغراوة 8-5-1917م - 10-9-1918م.
معركة متيوة 14-9-1918م. وقد خاضها عبد الملك الجزائري ضد الجنرال شيري وضد الفرنسيين.

21) معركة كدية البياض 24ـ10ـ1918م.
22) معركة كدية بوخميس ماي 1920
23) معركة كركور سيدي بوطيب اثنين يوليوز 1920
24) معركة قنطرة واد موسى يوليوز 1920م.
25) معركة باب العربة ابريل 1921م.
26) ثنية المسامير مارس 1922م.
27) سوق أربعاء الفحص غشت 1922م
28) تيفلوين ماي 1923م.
29) تيمزوغت ماي 1923م.
30) تيزي عدني يونيو 1923
31) معركة تادوت 26 يونيو 1923م.
32) اثنين تينمرس يوليوز 1923م.
33) بني زهر أكتوبر 1923م.
34) بني زكوت أكتوبر 1923م.
35) فج أولاد داود 30 ابريل1925م.
36) مولاي بوشتة 24 يوليوز 1925م.
37) بني دركول من 1923 إلى 1925 ..إلخ

تلك هي بعض المعارك التي توصلنا إلى تحديد مكانها وزمانها وكما سنرى فقد اقتربت من ساعة إعلان الحرب العالمية والثانية وأثناءها وبعدها وإذا علمنا أنه في هذه الحرب كان رجال الترك من أعضاء حزب التقدم والترقي وكذا أعضاء الجامعة الإسلامية الذين سبق أن رأينا جولاتهم بالمغرب وعملهم ضد التيار الاستعماري ومنذ عهد المولى الحسن، إلى عهد المولى عبد الحفيظ، الذي اعتمد على بعضهم سياسيا وعسكريا، والذي بعد بيعته 1908م كان من أول شروط الفرنسيين عليه حتى يعترفوا به ابعادهم، بل وإذا كان المولى عبد الحفيظ منذ غادر عاصمة الملك حاقدا على الفرنسيين وهو يعمل ضدهم، وقد زود صهره محمد احمو الزياني بالمال 100000 ريال حتى يقوم ويستمر في ثورته،

فكيف لم يفعل مع الريسوني وهو القريب منه، بل والذي عامله بطريقة لم يعامله بها سلفه، إذ في عهد المولى عبد الحفيظ أصبح أحمد بن محمد الريسوني الحسني حاكما لمدن أصيلة، والقصر الكبير، والعرائش، وما يحيط بهذه المدن من القبائل التي قيل إن عددها خمسة عشر، ولذلك أصبحنا نرى منذ هذه الفترة تحولا واضحا في عدوان الريسوني الأشد عنفا نحو الفرنسيين، ولاشك أنه كان للريسوني من يشير عليه بما يليق وما يكون أهم في هذه المرحلة، ولربما قيل له أنه ليس من المفيد له الاستمرار في الحرب مع الاسبانيين الذين هواهم مع الألمان وربما ومن أجل ما سبق حسب نظرنا حاول الاسبان وقتها التفاوض مع الريسوني من أجل الوصول إلى حل وايقاف القتال، وحتى ندرك جدية الموقف في اعتبار الاسبانيين نجد أنهم كونوا لجنة للتفاوض على رأسها المقيم الجنرال مارينا أو كلاس، والقنصل والترجمان سيرديرا، ومعهما الصادق الريسوني، الذي كان قد اختار جانب الاسبان من أول وهلة، ثم هو وقتها يشغل منصب قاضي، وتقول الرواية إن الريسوني وإن قبل التفاوض إلا أنه قد رفض هذه اللجنة التي قال حسب اعتباره أن التفاوض معها يجعله في نظر الآخرين وكأنه قابل لمبدأ عقد الحماية، ولذلك حتى يبقى منسجما مع نفسه وفيا للمبدأ لا يقبل التفاوض إلا مع الوزير المفوض المقيم بطنجة ولا يقبلها مع الجنرال مارينا ولا مع من ينوب عنه.

وفعلا إذا بدأت المفاوضات قبيل إعلان الحرب العالمية بشهر وذلك يوم 29-5-1914م فإن من أول شروط استمرارها من الريسوني هو إبعاد الجنرال سيلفيستري، وإذا علمنا أن هذا الأخير كان يتمتع بصداقة خاصة مع الملك الفونصو الثالث عشر، ندرك مدى صعوبة هذا الشرط بالنسبة للجنرال مارينا، وإن كان هذا الأخير عمل بكل الوسائل حتى لا يعلم سيلفيستري بتلك المفاوضات، وفعلا لم يعلم بها إلا بعد شهر، وبواسطة الصادق الريسوني، مما جعله يثور ثم يعلن ثورته لرفاقه في السلاح، بل ويعمل بكل وسائله حتي يحول دون فكرة السلام التي يحاولها الجنرال مارينا، بل إن سيلفيستري حاول اغتيال الريسوني، هذا مع العلم أن الطريق الذي انصاع له الريسوني خلق له مشاكل ظهرت بثورة منافسه الجديد الذي رفض كل تفاوض، وهو ابن عمه محمد بن الحسن صاحب تاكزارت، ورفيقه في الجهاد ضد الاسبان الذي نقم على الريسوني تفاوضه الذي كان لا

بد منه والذي سيحقق بعض الهدنة المشروطة في الاتفاق بتاريخ 28-2-1915م ولما لم يوف الاسبان ستعود الحرب وإذا ما اهتم الاسبانيون بما حصل بين الرجلين من خصام ثم عملوا من قريب ومن بعيد على تأجيج نيرانه، وذلك ماقام به سيلفيستري بواسطة الرميقي، حتى أنهم وضعوا قيمة كل من الريسوني ومحمد بن الحسن في المزاد ثم أشاعوا حولهما من الدعاية ما شاؤوا، وحتى يضع الريسوني حدا لذلك ويعطي للاسبان درسا أنه فقط وحده الموجود في قبيلة بني عروس، ولا قيادة لغيره بين قبائل جبالة وجه قوة تأديبية إلى دشرة تاكزارت يوم 15-4-1915م حيث كان محمد بن الحسن، وإذا ما حصل قتال بين الفريقين فإنه قتل فيه أحمد ولد الفار قائد لخماس، وولد الحاج العلمي، قائد سماته وبعد ثلاثة أيام وصل الريسوني إلى بني عروس يوم 18 منه، وفي اليوم التالي حصل اتفاق بين الرجلين الريسوني ومحمد بن الحسن يسلم فيه الثاني للأول بعدما أطلعه الريسوني على كل الظروف والملابسات، وحتى إذا ما عرفت هذه النتيجة التي تشاءم منها سيلفيستري، فقد عمل هذا الأخير على إثارة الفتن بواسطة رجل آخر تطوع للخيانة وهو ادريس الريفي باشا أصيلة الجديد، والمعروف بحماسه في خدمة الأسبان بحقارة.

فقد تطوع الريفي لتحقيق رغبة الجنرال سيلفيستري ضد رغبة الجنرال المقيم مارينا، الذي كان يعمل جاهدا من أجل تحقيق الهدنة بواسطة التفاوض مع الريسوني الذي كان قد عين للتفاوض معه هذه المرة. الكولونيل باريرا، - والقنصل سوكاستي - والترجمان سردييرا - وعلى أقلعي، وقد بدأو مفاوضاتهم في قرية زينات ثم تاصروت، الأمر الذي شدد نقمة الجنرال سيلفيستري، والتي نفذها ادريس الريفي بقتل علي أقلعي غيلة وغدرا، يوم 8-5-1915م، بالقرب من العقبة الحمراء من قبيلة الفحص، حيث قتل ومعه خادمه أحمد تسكال، وكانا متوجهين من طنجة إلى تاصروت كما تقول مصادر الاسبان(43) فكانت النتيجة فصل الريفي من منصبه ثم ابعاده خوفا من قتله، لكنه بقي

(43) راجع محمد بن عزوز حكيم ص 135 وفيه تعليق رقم 308 ص 126 أن الريسوني نفسه تعرض لمحاولة اغتيال مرات متعددة: الأولى كانت في شهر مارس 1911م والثانية يوم 10 يوليوز من نفس السنة ثم تعليق 353 وفيه أن هناك رسالة وجهها الصدر الاعظم في الحكومة الخليفية السيد محمد ابن عزوز إلى المقيم العام يوم 27-6-1915م يطالب فيها بتحويل الحكم بالإعدام على ادريس الريفي إلى السجن المؤبد.

مرعيا من الأسبان إلي أن عين حاكما لتطوان 1931م أما سيلفيستري نفسه فإنه قبل أن يعفى من منصبه تعرض للإغتيال في نفس المكان، ومهما يكن فإن الاتفاق على الهدنة قد تم بين الاسبان والريسوني في 28 فبراير 1915م(44) لكن سيلفيستري الذي كان يعتمد على حظوته عند الفونسو الثالث عشر لم يستسغ ما حصل، وأخذ يدبر ما يدبر مما دفع بالجنرال مارينا إلى أن يقدم استقالته من منصبه، وإذا عرفت الدوافع ثم قبلت فإن قبولها أوجد المبرر لدى حكومة مدريد لإعفاء سيلفيستري الذي أكره هو الآخر على مغادرة المنطقة في نفس الشهر الذي هو يوليوز من عام 1915م، الأمر الذي زاد من قوة الريسوني ثم مكن لنفوذه أكثر في المنطقة، خصوصا وأن الاتفاقية المذكورة نصت بنودها الخمسة على حقيقة أن الريسوني هو فقط، وهو وحده المسؤول عن المنطقة، ولكن ليس على حساب الذين ناصروه وتعلقوا به بل جاء فيها :

1) إن القبائل الخاضعة للشريف الريسوني ستتمتع بالاستقلال الداخلي.

2) إن الجيش الاسباني سيضع حدا للعمليات الحربية

3) إن ضمان الأمن وحرية المواصلات في القبائل سيكون على عاتق محلة(45) الشريف الريسوني النظامية.

4) إن اسبانيا ستمد الشريف الريسوني بمساعدة مادية ومالية لمواجهة النفقات المترتبة عن المحافظة على الأمن والاستقرار.

5) إن هذا الاتفاق سيدخل في حيز التنفيذ غذاة إعفاء سيلفيستري من منصبه.

لقد قيل الكثير عن الريسوني بسبب هذا الاتفاق الذي بحق يعتبر ما ورد ضمن بنوده من إرغام الاسبانيين على الخضوع لما ورد فيه مما يصرخ أنه في صالح قبائل الجبل وزعيمهم، والذي ربما يكون الدافع ليس هو قوة الريسوني التي كانت واقعا معاشا

---

(44) راجع نفس المصدر والمصادر الواردة فيه ص 127 وفيه نص الاتفاقية كما وردت في ص 73 من كتاب المقاومة المسلحة والحركة الوطنية في شمال المغرب للتهامي الوزاني ط الرباط 1980م.

(45) المحلة لغة بفتح الميم وتشديد اللام: منزل القوم الجمع محال، ويقصد به هنا المكان الذي يتجمع فيه المقاتلون ، حسب الاصطلاح المغربي يقال محلة القائد أو محلة السلطان أو محلة القبيلة، ويقصد بها الجيوش المقاتلة أو التي تشرف على الأمن في منطقة معينة ومن القواد ذوي المحال في العهدين الحسني والعزيزي، ابراهيم الأمراني ومحمد الأمراني، وأحمد الصويري، وبوشتى بن البغدادي وعبد السلام لمراني.

عام 1915م وإنما كذلك حتى يتفرغ لمحاربة الفرنسيين الذين دخلوا في حرب مع الألمان والتشويش عليهم في المغرب الشمالي كما هو الشأن في جنوب المغرب والأطلس المتوسط، ربما يكون الدافع بالاسبان إلى ما حصل هو الذي أشرنا إليه، وحتى لو كان فهو انتصار للريسوني، وليس كما يريد أن يؤوله المتأثرون بالاتجاه الفرنسي الذي ركزته إدارة الشؤون السياسية منذ عهد اليوطي ورده أجراؤها.

نريد أن نودع الريسوني الذي ترآى لنا كما هو بحق في صورة البطل المغربي المقاوم للاستعمار ولم نقبل أن يصور لنا كما أراد الاستعمار وعملاؤه أمثال الجاسوس المشهور،. أوالتلمساني المدحور العميل الدخيل عبد الوهاب بن منصور الذي تطاول عليه وعلى غيره من كرام المغاربة. وقبل أن نودعه وقد قمنا معه بجولات لم تتم ولم نأت فيها على الميادين التي خاض فيها كل معاركه، لأن ذلك يحتاج إلي أكثر مما تطوع به غير واحد من أبناء قومه وكرام المثقفين من رجال منطقة الشمال. وقبل أن نودعه وجب أن نقول كلمة حول النهاية أو الخاتمة التي تمت على غير ما كان ينتظر للبطل، بل تحولت إلى مأساة، لكن على يد من؟ على يد بطل عظيم مهما تعاظمت أخطاؤه قبل وبعد فإن الحسنات يذهبن السيئات ذلكم هو بطل الريف المغوار محمد بن عبد الكريم الورياغلي الذي لا تريد رواية الجبليين التنازل على أنه الذي قتله ظلما بيده، ولشاعرهم في ذلك ما خلد به تلك الرواية كما أشرنا قبل(46).

---

(46) راجع فصل الريسوني الثائر المتذمر قبل وفيه أوردنا قول الشاعر الريفي كذلك حيث قال مخاطبا محمد بن عبد الكريم الريفي

أسيدي محمد ماثي في دورنك

الريسوني يموث تنغيث سفوسنك

الريسوني مات لكنك أنت الذي قتلته بيدك. إلخ ويعني بذلك محمد بن عبد الكريم الريفي رحم الله الجميع، ومهما يكن فإن الغيرة والحسد والشعور بالنقصد من ورياغلي أمام شريف النسب له في نفوس قبائل الجبل مالا يمكن أن يكون لغيره من أبناء الشمال ومنهم محمد بن عبد الكريم الورياغلي. ليدفع هذا الأخير إلى فعل أكثر من ذلك. بل من عايش محمد بن عبد الكريم وتعرف على نفسيته وطبعه العنيف وسلوكه الذاتي الذي لازمه طول حياته. خصوصا إذا هو تعرض للوسواس الخناس الذي اندس له من بعض الشوريين ضد حزب الاستقلال ومن هو من العاملين في صفوف حزب الاستقلال كما سنرى بعد، ورغم ذلك فإنه إذا كان للمغرب رجال منهم بل ومن أوائلهم محمد بن عبد الكريم الريفي الورياغلي رحم الله الجميع بل والذي لامحالة وبعيدا عن التاريخ السياسي سوف يتقابل مع الريسوني وغير الريسوني بين يدي الله يوم لا ينفع مال ولا بنون.

ومهما يكن فإن نهاية الريسوني بحق كانت تستحق ممن يستطيع تصور فظاعتها أن يؤلف حولها رواية، إن هي استوعبت الظروف والملابسات تكون بحق أورع ما يكتب حول مآسي التاريخ المعاصر، إنني لا أبالغ ولا أتحيز لأحد الاثنين أحمد الريسوني البطل المقاوم الذي يمثله لنا اليوم مقامو لبنان رغم الفرق، والمقاومون الفلسطينيون الأحرار، وأولئك الذين يختطفون الاستعماريين من عملاء الصهيونية، والذين يقول في حقهم الغربيون جميعا إنهم "ارهابيون"، فهل كان هذا الإرهاب قبل أن يكون إرهاب الصهيونية وبالتالي هل كان ما قام به الريسوني ليحصل لولا ما ظهر من تكالب ضد المغرب بلغ ذروته في العقد الأول من هذا القرن، إن أصالة الريسوني المستمدة من ادريس بن عبد الله الكامل، ثم من عبد السلام بن مشيش رضي الله عن الجميع، لا يمكن أن تكون أهدافه غير شريفة وقد أثبتنا ذلك بواسطة الوثائق التي لم نجد ولا واحد ممن كتبوا عن الريسوني ثم وصفوه بما نعته به الاستعمار قط، أورد لنا واحدة منها، والذي تطوع للكتابة حول الريسوني المقاوم هو ذاك الذي لم يتحيز ولم يحك بل ترك الوثائق رغم اجنبيتها تتكلم عن الريسوني(47) ولذلك أعود فأكرر إنني لم أتحيز للريسوني وبالتالي لم أتحيز للبطل العظيم محمد بن عبد الكريم الذي يعترف لنا وكما كتب عنه كل الذين ترجموا له أنه ما فعل ما فعل مع الريسوني إلا بعدما يئس من اقناعه بالرئاسة العامة للريف، وأهل الجبل، حتى يكون ومن معه ضمن قافلته، لكن الريسوني رفض وأبى، ومع ذلك فقد اتفق معه في العداوة ضد الكفار، وهو المبدأ الذي ما فتئ الريسوني ينادي به ويعمل له، ولولا ذلك لما كان لأهل الجبل وقد بلغ عدد المشاركين منهم في صفوف المجاهدين من أهل الريف نحو العشرة آلاف أن ينضموا له لولا ما تمكن في نفوسهم من عداوة ضد الكفار كما كان يعبر الريسوني، وبالتالي فهل كان من السهل على الريسوني وحسب مفهوم العصر وقتها أن يصبح الشريف أسد الجبل والمستمد سلطته من السلطان الوطني المنقذ، أن يعود فيصبح جنبا إلى جنب مع الذين ينصبهم محمد بن عبد الكريم الخطابي الريفي، وبسبب ذلك الرفض ألقى عليه القبض وهو مريض يوم

(47) راجع كتاب محمد بن عزوز ج 1ط الرباط 1981.

31ـ1925(48) إن الذي يريد أن يكتب سواء عن الريسوني أو عن الخطابي أو غيرهما يجب قبل كل شيء أن يعيش عهدهما بكل مفاهيمه إننا لا نستبعد أنه لو تمكن الريسوني من مسدسه الذي أبعده عنه ابن أخيه حين أشرف رجال محمد بن عبد الكريم على داره التي كان يقضي فيها أخريات أيامه وهو مريض لفعل به ما فعل الرجال ومع ذلك لم يغلب رجاله على أمرهم إلا بعد يومين من القتال المرير، وقبل أن يتمكنوا منه، بل لو تمكن من مسدسه لقتل نفسه ولا يرضى أن تلمسه يد ناقم مهما كان، ومع ذلك فلئن حمل أحمد الريسوني أسيرا إلي بني ورياغل ثم تماسينت، وأسرته إلى سنادة من قبيلة بني يطفت حيث قضى ستة أشهر، وسواء مات أو قتل كما سجل شاعرهم فإن مقاومته ضد الكفار وبالتالي ضد الاستعمار كانت المدرسة التي أنتجت الآلاف ممن ساندوا ثورة أهل الريف بقيادة البطل محمد بن عبد الكريم رحم الله الجميع، وإلى أن نصل إلى عهد مقاومة محمد بن عبد الكريم حسب التسلسل التاريخي نرجع بجولتنا من الشمال إلى الجنوب مادمنا قد نهجنا لخطة سيرنا التاريخ الزمني، وتتابع الحوادث حسب التاريخ وترتيبها على ذلك النهج حتى نمكن لوحدة تاريخ المغرب.

---

(48) بل إن محمد بن عبد الكريم فعل أكثر مع عميد الزاوية الدرقاوية مع أن سلفه من أتباعه، وذلك بسبب تقلبات عبد الرحمن بن الطيب بن العربي الدرقاوي الذي لا يمكن أبدا هو الآخر أن نتهمه بالخيانة بقدر ما كان يبحث عن الأقوى حتى يستفيد منه لقومه وبلاده، وذلك ما فعله نفس عبد الكريم وولداه وصنوه حين عملوا قبل مع الاسبان، ومهما يكن فإن محمد بن عبد الكريم هدم الزاوية الدرقاوية ببني زروال التي فر صاحبها وأهلها إلى مدينة فاس، ولو تمكن منه لقتله كما قتل الريسوني، ومن عرف محمد بن عبد الكريم عن قرب كما عرفناه وقد اشرفت شمسه على المغيب ثم هو في أرض الكنانة غريب، ومع ذلك بقيت روح الاستبداد وما يعلق بها متحكمة في تصرفاته بقوة قاسية وعنف عنيف لكن ما يشفع له سامحه الله هو تلكم الصفحات المشرقة التي أضافها لتاريخ المغرب السياسي المعاصر، بل ولولا تسامح علال الفاسي لقرأنا في مذكراته صفحات جد ملتهبة نتيجة ما تعرض له البطل الريفي من دس جبناء بعض الشوريين المفلسين يتقدمهم.. عبد الهادي بو طالب وأحمد بن سودة ثم المكي الناصري الذين أوغروا صدره ظلما ضد علال خصوصا وحزب الاستقلال عموما بطريقة جد حقيرة هي الدس والخيانة وانعدام الضمير وفساد الاخلاق والحسد الذي يأكل صدور الأغبياء الجبناء.

القبائل التي ساهمت في قتال الاسبان مع أحمد الريسوني ثم مع محمد بن عبد الكريم الخطابي بعد

بني عروس
بني يسف
سوماته
بني زكار
الخلوط وطليق
بني ليث
بني حسان
بني يدر
الفحص
أهل جبل الحبيب
بني بوخليف
بني منصور
أنجرة
واد راس بني حزمار
أولاد استوت
بني اسماح
أرهونة

بني سعيد
الاخماس
بني يحمد
أغزاوة
بني زجل
بداوة
بني مزكلدة
شطة
ومن قبائل غمارة
بني ازيات
بني بزرة
بني سلمان
بني زجل
بني خالد
بني رزين
بني سميح
امتيوة الخ

ELISEO BERMUDO-SORIANO

EL RAISUNI

(CAUDILLO DE YEBALA)

MADRID
Gráfica Literaria del romance G. Vicente
Eloso del Lamba, número 4
1 9 4 1

Prologa Luis Antonio de Vega, ilustre africanista, y dice:

He aquí una firma y una biografía que han de interesar profundamente. Ambas se hallan vinculadas a Marruecos, a esa tierra cálida y brava de nuestro Protectorado Sentimental, donde se forjaron todos los heroísmos que la Patria puso en juego en la hora crucial en que se ventilaba su destino.

El autor del libro, Eliseo Bermudo-Soriano, es uno de los escritores de mejores letras del Africa española, joven aún, pero docto en todos los problemas y afanes de nuestro Protectorado, con hondos conocimientos de las costumbres, virtudes y defectos del mundo islámico.

No es sólo el tipismo y el colorido de los barrios moros de la Zona, donde tejen los sastres y bordan los babucheros lo que ha captado la retina de este fino escritor, sino que su alma ha calado hondo en la idiosincracia de este pueblo noble y guerrero, caballeresco y hospitalario.

Y no podía ser de otra forma, dado que Eliseo Bermudo-Soriano, no fué de la Península con la curiosidad de cono-

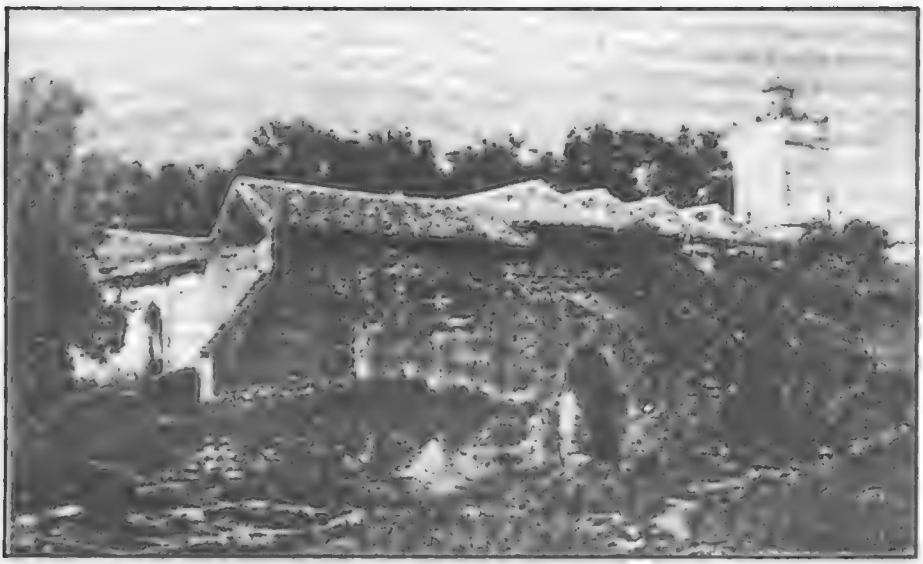

زاوية تازروت العلم

الفصل الرابع والعشرون بعد المائتين

مقاومة قبائل تافيلالت وعرب الصباح في معارك:

حركة الرجل وأوفوس والمعاضيد وتيزيمي، والجوف

ورد في دائرة المعارف الإسلامية جـ512/4 حول تافيلالت أنها تشتمل علي مائتي قصر كانت كلها وسط الحدائق والحقول الخضراء ويسكنها حسب إحصاء 1920 ما بين150000 و 200000"؟"(49).

لكن ماذا عن هذا العدد وماذا عن نموه الديمغرافي ولفائدة من كان؟ لقد كان لفائدة حروب الشرف دفاعا عن الكرامة والوطن، قبل أن يتركز الاستعمار الذي حين تمكن لم تعرف منه جهة ما في المغربي العربي الكبير ما عرفته منطقة تافيلالت من إرهاق وانتقام وتقتيل بطرق تختلف عن التي طبقت في كل من الجزائر وليبيا، وتافيلالت بحكم أنها كانت المركز للسلطة المتصرفة في المنطقة من وادي الساورة وتوات شرقا إلى حدود وادي درعة غربا، فقد تعرضت إلى سيل من الجواسيس المستطلعين منذ بداية احتلال الجزائر، وخصوصا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إذ كان أول فرنسي غامر بالاستطلاع لفائدة الاستعمار في تافيلالت هو الفرنسي Rénékallié رينيه كاييه، عام 1818 ثم رولفس Rohlfs عام 1984 والأنجليزي الاستعماري الشهير المشار إليه قبل في ترجمة الريسوني وهو هاريس 1893ـ1894 أثناء رحلة السلطان المولى الحسن كما سجلت أغلب الحروب في مجلة لوليستراسيون Lillustration من عام 1881 إلى 1934م وكذا غيرها من الجرائد القديمة.

---

(49) لعل هذا الاحصاء كان بواسطة تقديرات الجواسيس الذين عرفت البلاد منهم أفواجا من المتلبسين المندسين وراء ستار ادعاء الإسلام أما في السنة المذكورة فإن تافيلالت لم تحكم إلا بعد اثنتي عشرة سنة أي في يناير عام 1932 كما سنرى.

ولقد كان المنطلق بعد الجزائر هو وربة بني تاجيت بآيت عيسى حيث كان بعضهم ينتحل صفة طالب ثم يقضي بها ما يكفي لبلورة لهجته واقترابها من لكنة البربرة وكم منهم تعرض للهلاك بعد الاكتشاف، خصوصا الذين كانوا لا يتعمقون في دراسة تقاليد المنطقة فيتعرضون لقنص المواطنين لمجرد أنهم كانوا يسبحون في الأنهار بطريقة بعيدة كل البعد عما اعتاده أبناء المنطقة، أو الذين كانوا منهم يضعون في أعناقهم سلاسل وصفائح كتبت عليها أسماؤهم إلخ وأخيرا اهتدى بعضهم فيكر "Ficar" إلD استعمال بعض ضعفاء النفوس كجواسيس إلى أن تمكنوا من غزو المنطقة كما رأينا ونرى بعد، فلم يكن من المواطنين إلا أن اتفقوا على رد الغزو ومقاومته بتنظيم حملة يشارك فيها أكبر عدد ممكن، ويكون الكل فيها راجلا، فأطلقوا عليها "حركة الرجل" بسكون الراء، ولا يفوتنا هنا أن نلاحظ أن كل هذه الحروب التي كانت تخوضها جيوش الاستعمار، كانت نفقاتها في أحسن الظروف على حساب المغرب الذي كانت إدارة الحماية فيه وباسمه من حين لآخر تعقد قرضا لا للنهوض بمرافق الحياة فيه، وإنما لتمويل تلك الحروب(50) وتمكين المعمرين من استغلال الأرض.

نسبت هذه المعركة العنيفة القاسية التي كلفت الفرنسيين كما كلفت المواطنين الكثير جدا من الضحايا إلى قصر مسكي أحد قصور مدغرة فعرفت كذلك "معركة مسكي" لأن الفرنسيين ركزوا عليه بسلاحهم الثقيل إلى أن هدموه، والواقع أن عدد قصور مدغرة وإن كان قد تجاوز الثلاثين، لكن قصرا واحدا منها لم يشارك أهله في أية حرب ضد الفرنسيين، سواء في عهد محمد العربي الدرقاوي الذي تعرفنا على علاقته الغير الطيبة مع بعضهم أو بعده، بل حتى أسرة هذا الشيخ الممثلة في أولاده الأربعة بعد رحليه كان أكبرهم الذي هو التقي قد استبد فيهم، مما دفع بعضهم إلى التزام الصمت، وغيره إلى الهجرة بعيدا عن مدغرة مادام لم يتمكن من القيام بما يجب نحو سيرة الأب الذي كان صريحا في عدائه للفرنسيين ودفاعه عن الدين والوطن لا في المغرب شرقا بل وحتى في الجزائر كما سبق.

---

(50) راجع جريدة السعادة 1-3/25-1916م، 9/14 و11/25 و1916/12/2م ثم راجع مظاهر يقظة المغرب جـ 2/469-88 ثم 512-533 مصدر سابق ط 1985م.

لقد كان من الاسباب التي عجلت بمعركة حركة الرجل ما وجه للتقي ابن الشيخ محمد العربي من تهم، ذلك أنه خرج على النهج السليم الذي سلكه والده بسبب أنه لم يكن أهلا لخلافته على الزاوية الكبرى وما يتبعها من زوايا في المغرب وخارجه، حتى إن الشيخ أسند الخلافة بعده كما رأينا إلى العربي بن بابا عبد الله الهواري، المتوفى يوم الجمعة 5 جمادى الأولى عام 1321هـ وفي هذه السنة بالضبط بدأ الفقير محمد الذي أصبح يعرف افقير من عين الشعير تحركاته لفائدة العسكريين الفرنسيين ضد بلاده، وضد الأحرار في المنطقة، كما يخبرنا أحدهم وهو "أ. بيرنار في كتابه عن" الحدود الجزائرية المغربية ط 1911م" والذي تناول الكثير من خيانات محمد أفقير وغدره لأمثال الزعيم مولاي امبارك 1901م وكذا تسلطه على سكان عين الشعير إلى غير ذلك من أعماله الشريرة، والذي قال في حقه".. إن استسلام قصر عين الشعير خير مثال على التهدئة، إن كبير قصر عين الشعير محمد أفقير قد أقام علاقات معنا منذ أن حللنا بشار سنة1903م ففي عدة مناسبات استقبل ضباطا مارين في دار الضيوف التي توجد بمعزل عن القرية، وفي نهاية 1909م أبدى بإلحاح للكولونيل لاكوبار ضابط دائرة كولبشار، رغبته في أن يأتي هذا الأخير إلى عين الشعير.. وأنه لا يتكلم باسمه الشخصي فقط، بل كذلك نيابة عن الجماعة".

وبتاريخ 22 نونبر لبى الضابط المذكور هذه الدعوة وأثناء المأدبة التي أقامها محمد أفقير على شرفه، صرح بأن هذا هو من أبهج أيام حياته، وأنه فهم منذ وقت طويل أن التعامل مع الفرنسيين أجدى، وأنه أراد بهذا اللقاء التعبير عن صدق عواطفه تجاه الفرنسيين(51).

---

(51) أبيرنار في كتابه المذكور ص 98-199-205-206ط 1911م ومحمد أفقير هذا هو والد حميمين محمد الذي أصبح بعد جنرالا ثم وزيرا للداخلية ثم الدفاع في عهد الاستقلال وبعد موت محمد الخامس وهو صاحب حوادث الغدر يوم 16 غشت 1972 وربما كان وراء حوادث الصخيرات 10-7-1970م يقول بعض رفاقه الذين تمكنوا قبله ومعه وبعده بل وهو الذي دبر المحاكمات السياسية ضد الوطنيين المغاربة ومنها محاكمة مراكش التي دبرها بواسطة عميل له بمقابل هو أرض بطريق زعير مساحتها أربع هكتارا بثمن 13 مليونا دفعت لصاحبتها مدام بيري بنيس في فرنسا حملها إليها السيد عبد السلام الصغير الودغيري الفجيجي، ثم أرض بمدلت تابعة لشركة نورا دفع ثمنها القندوسي وتملكها بعد بمكر مدبرا لمحاكمة هاشم العلوي الموظف بقسم الشكايات بالديوان الملكي بل والذي له رسالة مطولة بايع بها ابن عرفة ويعرفها الكبير والصغير وعن تدبيرات أفقير وأحمد الدليمي راجع جريدة الاهداف أعداد 3 - بتاريخ 15-3-1964م و11 بتاريخ 9-5-1964 وعدد 21 بتاريخ 21-7-1964 ومجلة رابطة القضاة العدد 3 السنة الأولى بتاريخ مارس 1964م.

كان أفقير هذا ممن يتسترون خلف أحد مريدي الشيخ محمد العربي الدرقاوي وهو الشيخ المعروف بسيدي بن محمد من بوذنيب، ولما ربط اتصاله بالفرنسيين كما رأينا أشاروا عليه برغبتهم في الاتصال مع التقي ولد الشيخ محمد العربي حتى يستطيع القيام بالمهمة التي كانوا يرشحونه إليها، وهي التعرف على ما كانت عليه المنطقة وشعور أهلها نحو الفرنسيين، والتحركات التي كانت فيها، ومن هم زعماؤهم، وفعلا قام محمد أفقير بدوره الخسيس فوق ما كان الفرنسيون يقدرون، ولما فرضت الحماية وكان الفرنسيون قد مضى عليهم في بوذنيب أكثر من أربع سنوات أي من 1908م وقبلها أمكنهم أن يتعرفوا على البلاد بصفة جد فاحصة ومركزة، بل أصبح لهم زبناء، ومنهم التقي ولد الشيخ محمد العربي الذي اقتدى بالغالي لمراني، والذي هو الآخر تمكن بمرونته وعمالته المبكرة أن يصبح قائدا حاكما في بوذنيب وفي سنة 1914م وربما في شهر من شهورها الأخيرة قام الكولونيل دوري قائد ـ امية بوذنيب بزيارة التقي ولد الشيخ محمد العربي في قصر رحمة الله البعيد عن ما غرة بما يقرب من 6 كيلومترات وكان يرافقه في هذه الزيارة القائد الغالي والحسين بن عبد الملك البوذنيبي، ولعل دوري أو من أشار عليه بالزيارة لم يكن يقصد التقي فقط، بل كان يقصد كذلك أن يقوم التقي بدور مماثل لدى صهره والد زوجته رقية الذي هو البطل علي بن المكي امهاوش(52) الذي كان يتزعم المقاومة المسلحة في المنطقة ما بين تادلة وزيان وتونفيت.

كان الفرنسيون قد سعوا لتعيين أفقير حاكما على عين الشعير فقط وسموه قائدا رغم أن قريته لم يكن فيها غير خمس عائلات هم اخوته وبعض المجاهدين الذي قال أ. بيرنار إنهم يرجعون في أصولهم إلى سوس،" كما عينوا الغالي لمراني في بوذنيب، مما جعل التقي يتطلع إلى نفس الرتبة إن هو اختار جانب الفرنسيين، ومثل التقي في موقعه يصعب عليه إعلان الاختيار حتى لو أراد، خصوصا وأنه كان مع أهل مدغرة على طرفي نقيض، بل كان مع إخوته أكثر إلا أنه استعان عليهم بمصاهرته لآل امهاوش وهؤلاء كان لهم نفوذ قوي في الأطلس المتوسط رغم إرادة المخزن كما عرفنا، لكن التقي أمام الوضع المهزوز الذي أصبح عليه منذ أن ذاع وانتشر أنه تردد عليه الكولونيل دورى والقائد الغالي، والحسين بن عبد الملك، وأحيانا كان يضاف لهم محمد أفقير وجماعة من أهل

بوذنيب، فلم يعد في إمكان التقي أن ينكر تلك العلاقة التي جرت عليه التهم الكاذبة من أهل مدغرة المتربصين والتي أدرك دوري أنه لم يفعل شيئا لتقوية التقي الذي سوف يتعرض للضيق الذي لا قبل له به، ولا قدرة له على دفعه، وفعلا حصل ما كان منتظرا من تلك العلاقة، وتلك الاتصالات التي ذاع خبرها وانتشر في المنطقة، من أعالي زيز إلى قلب تافيلالت، حيث أصبح التقي في نظر أهل المنطقة وكأنه أشد خطرا من حاكم بوذنيب الفرنسي وجيوشه، وزاد أهل مدغرة تلك الطبخة بهارات، فاحت رائحتها التي زادت في ضغط فئة من المتحمسين، خصوصا منهم أهل أبو عام يتقدمهم أحمد بن علي بن هاشم(53) الذي قدم ومعه نحو الأربعين ممن كانوا على هواه الوطني وغيرته الإسلامية وشهامته العالية والغير يقول اندفاع وتهور، وهو وإن كان كذلك فإن الدافع الأول هو ما وصفناه به.

في شهر من شهور عام 1914م قدم أحمد بن علي بن هاشم على قصر رحمة الله من أجل الانتقام من التقي ولد الشيخ محمد العربي الذي قيل إنه أصبح على صلة بالفرنسيين وما كاد القوم يصلون أطراف صور القصر- رحمة الله حتي أقبل عليهم ولدا- التقي الحسن وأحمد فلم يكن من أحمد بن علي بن هاشم إلا أن وجه طلقة نارية من بندقية أردت الحسن وهو الطفل البرئ قتيلا وثانية جرح من أثرها صنوه أحمد ثم انحاش خلف الباب فظن أنه قتل، وما كاد الخبر يصل حتى هبت جموع الذين كانوا هنا وهناك، لكن القوم الأغبياء الجبناء أثنوا خيلهم ثم رجعوا مسرعين من حيث أتوا ولم يفعلوا لكانت نهايتهم محققة، لأن في الموقف جبن وعدم رجولة مادام الضحية طفلان بريئان، وفعلا فقد كون بعض آيت عطا وآيت ازدك من الذين كانوا إلى جانب التقي

---

(52) راجع جريدة السعادة 4.4.1914م.

(53) تقول الرواية إنه محمدي من تازارين قدم أبو عام ثم عمل مع المسمى الحبابي الذي هو جد أولاد عزيز الحبابي بفاس، والذين هم غير أولاد لحبيبي نسبة إلى جبل لحبيب باجبالة إذ الفيلاليون هم آل عزيز لحبابي كما تاكد لنا ذلك منه رحمه الله، لأنه كان من أصفياء شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي طيب الله ثراه، وقد تحققنا من ذلك حسب الدراسة الميدانية، إذ لا تزال دار آيت الحبابي في قصر" أبو" عام بتافيلالت بل والذي أكد لي ذلك أكثر هو أنه لما حضر الاستاذ محمد الفاسي إلى الملتقى الثقافي الأول "بسجلماسة 23.27/3/1988م وحين التقينا سألني عن دار آل الحبابي التي كنت أجهلها، ووقتها القيت السؤال على عميد العلويين المحمديين بتافيلالت بقصر ابوعام المولى اسماعيل بن النصر. قدلنا على الدار ثم ثم قص علينا خبز أولاد الحبابي المعروفين عندهم معرفة جيدة.

جماعة توجهت إلى قصر أبو عام من أجل الانتقام من الفاعلين لكنهم لم يتمكنوا منهم خصوصا وقد ظهر تضامنهم مع الجاني بدافع ما انتشر من دعاية ضد التقي البرئ المفترى عليه.

كان هذا الموقف رغم المأساة التي راح ضحيتها البريئان، الحسن وأحمد ضد التقي ولد الشيخ محمد العربي، خصوصا عند ما بلغ الخبر إلى القيادة العسكرية في بوذنيب ثم أخذت تعمل لتقوية التقي بطريقة مكشوفة، وتكررت تقارير الكولونيل دوري حول الموقف المخيف الذي ربما سوف لا يقتصر على التقي بل سيتكرر ما عرفته بوذنيب من معارك أبيد فيها الآلاف من الجنود الفرنسين منذ 1904م ـ 1908م(54) إذا الحرب العالمية على الأبواب ومعارك زيان وتازة على أشدهما فإنه إذا لم يوضع حد لتقدم الذين بلغ الخبر اليقين أنهم يستعدون في المنطقة، فإن أكبر الخطر يكمن في الالتحام الذي إن تم بين من في الجنوب ومن في الشمال فإن مأساة فرنسا في المغرب سوف تكون أشد وأنكى، وفعلا تكثف نشاط ليوطي في هذه المرحلة بما فوق العادة.

كان على اليوطي وقد تحقق من اتفاق حلفي آيت عطا وآيت يافلمان على تكوين حركة قوية يشارك فيها أكبر عدد ممكن من الذين يتوفرون على السلاح، بندقية وخمسين طلقة فما فوق، وأن لاتستعمل فيها الخيل، لأن المنطقة عبارة عن منبطح ممتد مسافة مآت الكيلومترات المربعة ذلكم هو المكان المعروف من وادي بوبرنوس إلى بوذنيب، ورغم أن الاستنفار لم يكن عاما وأن الدعوة للاستعداد بدأت منذ عام 1914م، فالقيادة العسكرية بدورها في بوذنيب هولت الموقف ودفعت الإقامة العامة إلى اتخاذ التدابير على الصعيد الوطني استعدادا للموقف المهول كما تصوره، والذي زاده هولا ما عرف من المعارك التي دارت في المنطقة مثل معركة لمنابهة ومعارك بوذنيب المشار إليها قبل، ومن تلك الاستعدادات مراسلة التقي باسم السلطان وطابعه ضد الجهاد. ثم إسناد منصب قائد إلى التقي عام 1915م.

كانت إدارة الحماية في سنواتها الأولى، قد نصبت على رأس الوزارة وما أطلقت

(54) راجع مجلة لوليستراسيون 6 جوان 1908 ص 384 و7 جويي ص 430 وجهاد العالم الجليل مولاي أحمد الحسن السبعي قبل.

عليها الصدارة رجلا عرف بخيانته قبل الحماية وعمله اللامشروط لصالح فرنسا في المغرب، ذلكم هو محمد كاباص "الجباص" الذي كان وكما عرف عنه يهز رأسه بالقبول كما يفعل الحمار، بمخلاته "معلفته" كلما أبدى المقيم العام الذي هو الجنرال اليوطي رأيا جديدا لسحق ومحو الذاتية المغربية التي ليس للجباص فيها جذور، ولا هو من المؤمنين بوجوب الكفاح من أجل التمكين لها والمحافظة عليها، والتي كان اليوطي يعمل جاهدا لحقها بطريقة جد ملتوية، تارة بواسطة مرسوم، وأخري بواسطة ظهير مزعوم، وغيرها بالتخطيط لمعركة عسكرية يكون القاتل والمقتول فيها من المغاربة السذج المكرهين، والجزائريين والسنغاليين والتونسيين المجندين، وإذا كان كل من اليوطي والجباص يعرفان أسرار الدسائس التي حيكت لسكان تلك المنطقة، الأول بعمله العسكري منذ حل بالعين الصفراء 1903م والثاني قبله ومعه منذ عين على رأس لجنة تخطيط الحدود كما أشرنا قبل في عام 1902م، بل كان اليوطي يحقد على سكان هذه المنطقة ويحسب لهم الحساب كلما تذكر عدد الموتى من الضباط والجنود الفرنسيين الذين لاقوا حتفهم في المنطقة وغيرها، من أول ضابط هو الملازم شاردوني الذي قتل في فاس ومعه أربعون جنديا ساهم في قتلهم درقاوة الجنوب بقيادة الحجامي(55) ثم المعارك التي كانت دائرة في مختلف الجهات شرقا وغربا شمالا وجنوبا.

جمع اليوطي هيأة أركانه وغيرهم ليساعدوه في وضع الخطة حتى يوقف تيار الحملة المنتظرة والتي ذاع خبرها بما كان يستعد لها الفيلاليون وقبائل الجنوب، ولهذا التخطيط كما تخبرنا مصادرهم أنه حضر كل من:

1) دوسانت أولير 2) الكولونيل سيمون 3) الكومندار بيريو 4) القبطان فيليه.5) الترجمان نيجل، كما أسهم في التخطيط 6) الجنرال جيراردو رئيس جيوش الاحتلال بناحية وجدة 7) والجنرال بومكارتن 8) والكونيل كارني دوبلسيس. 9) والكولونيل سافي 10) والجنرال هنري قائد حامية مكناس 11) والجنرال گورو 12) والكولونيل بليه

(55) راجع ما سبق وقد كان ذلك بتاريخ 28.25 ماي 1912م ثم راجع الفصل 38 من كتاب "الاثار المجيدة لفاتحي المغرب للكولونيل فوانو، حول قصر السوق والمعارك التي دارت في المنطقة من 1904 إلى 1933 وهي في مجموعها بما فيها معارك دائرة أرفود 28 معركة سنتعرض في هذا الفصل لما حصل منها قبل إلى 1918م.

13) والجنرال باترويلار 14) والجنرال دايت 15) والجنرال دالا موط 16) القبطان هارفي الذي سقط منطاده بآيت محمد 17) وأخيرا الجنرال همبرت.

يتعجب المرء من جمع كل هذا الخليط من أجل الاستعداد لإحباط معركة حركة الرجل بتافيلالت، لكن وحتى يزول العجب يجب أن يعلم أن الزمن زمن إعلان الحرب العالمية الأولي والاستعداد للمعركة أخذ له دورا غير عادي، بحيث انتشرت الدعاية من أجل المشاركة والاستعداد في المنطقة ما بين تادلة في الشمال الغربي إلى حدود وادي ذرعة جنوبا ومن آيت يحيى ويوسف بتونفيت إلى تالسينت وآيت صغروشن وإذا ما تم انجاز التخطيط فإن الخطر لا يقف عند حد منطقة بوذنيب وقصر السوق وما حولها، بل ستلتحم قوات المجاهدين هنا وهناك من تازة شرقا إلى تادلة غربا، وربما تكون الطامة الكبرى على الاحتلال الذي تم هنا وهناك وفي كل الجهات، بل ومن أجل ذلك كانت الضجة قائمة في البرلمان الفرنسي حتى تنسحب القوات الفرنسية من المغرب، لكن التزام اليوطي واعتماده أكثر على العملاء الجدد في المغرب، والذين يتقدمهم محمد كاباص "الجباص" الذي أسند له وقتها منصب الوزير الصدر وهو الدخيل الذي ليست له جذور في المغرب مكنه من موافقة البرلمان على إبقاء ما هو كائن دون أن ينتظر شيئا من فرنسا، بل تنطعا منه وتحديا أرسل من المغرب 150000 مجند قال عنهم اليوطي فقط خمسا وأربعين ألف رجل قتلوا ولم يعد منهم 1918 غير تسعمائة وخمسين كما صرح .

كانت الأوامر قبل قد صدرت أواخر شهر مارس وأول أبريل من المقيم للكولونيل برتران الذي كان في بوذنيب، كي يتقدم نحو لقصابي شمالا والواقعة في الحدود بين تراب آيت وافلا، وآيت يوسى، وإذا هو سلك طريق الجنوب الشرقي، فإنه بعد أسبوع كان على بعد ثلاثين كليلومترا منها ورغم مواجهة الجنرال هنريس، رئيس حامية مكناس، لكل من علي أمهاوش، ومحا وسعيد الواراوي، حتى لا يلتحما مع محمد احمو الزاياني، فقد صدرت إليه الأوامر منذ أول أبريل(56) كي يساند الكولونيل بيرتران، وذلك بعدما يفصل بني مجليد عن زايان، وفعلا أنشأ الجنرال هنريس مراكز عسكرية تفصل بين بني مجليد وزايان، لكن إدارة الحماية لم تنجح حسب اعترافها، إذ تقول المصادر الفرنسية

(56) جريدة السعادة بتاريخ أول أبريل 1914م.

«ولا تظن أن زيان تنقاد للنصيحة، ولا سيما ومن ورائها علي امهاوش الذي يضرب بوق الفتنة وينادي بالثورة»(57) ثم أضافت الصحيفة التي كانت مهمتها التمزيق والتفريق فقالت «إن المحافظة العسكرية في تادلة أنظارها متجهة إلى الجبل المجاور لها حيث يوجد علي أمهاوش المعروف هناك بسلطان الجبل، ولا حاجة بنا لقص تاريخ علي أمهاوش فهو معلوم عند الخاص والعام، وقد اشتهر بعد أن قتل صنو مولاي الحسن وعجز المخزن عن الانتقام منه، وكان المذكور ضرب على الجنود الفرنسوية في بوذنيب 1908م ومنذ ذلك الحين سكن الجبل حتى ابتدأ يرى الاعلام المثلثة الأولوان في تادلة، أحب أن يتظاهر بالقوة، والله أعلم بقوته وعصبيته، وكان خوفه شديدا من دخول زايان في طاعة المخزن وبقائه وحيدا عرضة لحوادث الدهر، وقد دعى الناس للجهاد من بني مجليد إلى ذرعة، فأجابه شيخ الناصرية بالرفض، ولذلك ترى الكولونيل دليبسي يتجول في تادلة ويدنو من حدود الأطلس مراقبا لعلي أمهاوش لعل جنوده قد تدخل زايان يوم يفتحها الجنرال هنريس من ناحية بني مجليد(58).

وهكذا نجد الإقامة إتماما للكماشة ضد المجاهدين في الجنوب بعدما وجهت برتران نحو بوذنيب، وجهت كذلك الجنرال :گورو ناحية وجدة ومسون، وبومكارتن ناحية تازة، وفي الجنوب تطوع المجرم الحقير المدني الجلاوي بالعمل من أجل توهين العزائم والاتصال بالخليفة السلطاني المهدي بن الرشيد الذي رحل إلي مراكش ثم عاد يحمل رسائل لرجالات المنطقة(59) كان مصدرها محمد كاباص "الجباص" مزعومة علي السلطان المولي يوسف وتقول "إن محاربة الجيوش الفرنسية التي هي في خدمة السلطان بحكم عقد الحماية، تعتبر غير مشروعة إذ لا جهاد بدون أمر أمير المؤمنين(60) وإن من

---

(57) نفس الجريدة 4 أبريل ص 1 عام 1914م.

(58) نفس المصدر ثم نفس الجريدة بتاريخ 29 ماي 1914م ص 1.

(59) راجع جريدة السعادة 11.4.1914م ص3 ودفعا لتضييق الكماشة على تافيلالت اتصل اليوطي بالمتوكي وأنفلوس حيث احتفى بهما يوم 24.4.1914 راجع جريدة السعادة 25منه.

ومقابل هذا النشاط المضاد من المدني الجلاوي الذي وهب ولده للفرنسيين حيث قتل في حربهم ضد الألمان وسموه بوسام "گران أفسيه" بتاريخ 29/غشت 1916م والمهدي بن الرشيد الذي كان خليفة للسلطان في تافيلالت تم تعيينه في شهر جمادى الثانية عام 1336هـ/ 1916م.

(60) راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية.

مات وهو يقاتل يموت ميتة جاهلية»؟. ورغم تلك التحركات المكثفة والتخطيطات العسكرية الحاقدة فإن نهاية السنة بالإضافة إلى أعباء الحرب العالمية كانت مشؤومة على الفرنسيين بالمغرب، فقد رأينا الخسارة التي تكبدتها جيوش الفرنسيين في موقعة لهري التي أبيد فيها وفي صباح واحد فقط، هو صباح يوم 13 نوفمبر 1914م(61)، وإذا ما ذاع وانتشر خبر هذا الانتصار، فإنه كان بمثابة النار في الحطب الذي أجج روح المقاومة في المنطقة، وزاد من حماس قبائل الأطلس القريبة والمحيطة بتافيلالت، حيث استمر الاستعداد لمعركة "حركة الرجل" على أشده في كل مكان، واستمر الالتزام بكل عزم وثبات إلا ما كان من الذين غرروا بواسطة الرسائل التي حملها العقيد دوري للبعض منهم، والمهدي بن الرشيد الخليفة السلطاني للبعض الآخر، ورغم أنه ورد في هذه الرسائل ما يدفع الناس إلي توجيه الأسئلة لبعض العلماء عن شرعية الجهاد وعدمها، فإن حماس بعض العلماء الذين كانوا يخطبون على المنابر في الجمع ارتفع فوق المعدل منددا بتلك الرسائل وما ورد فيها، وقد جاء هذا خصوصا في خطب آئمة قصور السفالة وأبو عام من تافيلالت ثم مساجد قصور آيت عطا وآيت صغروشن تالسينت(62).

وإلى هنا من تاريخ مرحلة الاستعداد لمعركة حركة الرجل، نكون قد تحققنا من أن التقي ابن الشيخ محمد العربي أصبح وثيق الصلة بالإدارة العسكرية في بوذنيب، وبذلك أصبح يلاقي عداوة لا قدرة له على مواجهتها، سواء من أهل مدغرة أو من غيرهم كأهل أبو عام والسفالة، ولم يبق له غير بعض آيت عطا الرتب، وبعض آيت مرغاد الذين كونوا شبه حراسة دائمة له بقصر رحمة الله، المنفصل عن قصور مدغرة، الأمر الذي دفع الإدارة العسكرية في بوذنيب، خصوصا ونتائج الهزيمة المنتظرة أو الانتصار محسوبة عليها، مما جعلها تكثر من التقارير بذلك للجهات المعنية خصوصا وأن شبه التنافر بدأ بين التقي وصهره على أمهاوش العدو اللدود للفرنسيين وللمخزن معا حتى إنه - أي التقي - بعد سيرسل لاستقدام ولده "أب سيدي" الذي كان يقاتل الفرنسيين إلى جانب جده

---

(61) راجع موقعة لهري قبل في هذا الكتاب.

(62) تتوفر على الكثير جدا من خطب الجمع الداعية إلى الجهاد في هذه الفترة وهي من انشاء علماء تافيلالت.

أرسل إليه حتى يعود، ومن أجل كل ذلك وحتى يتردد مدى استفادة الذين اختاروا جانب إدارة الحماية والمخزن بادرت هذه الإدارة فنصبت التقي ولد الشيخ محمد العربي قائدا عام 1915م ولسوف تجدد تنصيبه بتاريخ 3 صفر 1342هـ/15-9-1923(63) ورغم أننا في كل ما مضى لم نعرف أن التقي قام بعمل ما ضد الدين والوطن، بل كل ما في الأمر أنه استهدف ليكون وسيلة من وسائل نشر الدعاية لصالح الحماية في المنطقة، بل ولم يقم بشيء من ذلك، وإنما فقط استقبل القائد العسكري الفرنسي لمنطقة بوذنيب العقيد دوري الذي قصده صحبة القائد الغالي لمراني، والحسين بن عبد الملك البوذنيبي ومحمد أفقير لعيوني، وهؤلاء جميعا ذاع وانتشر أنهم تلوثوا، فلم يكن من أمر الفيلاليين وحمية المتطرفين منهم، إلا أن طبقوا في حق التقي المثل السائر «قل لي من ترافق أقول لك من أنت» خصوصا وأن الاتصالات استمرت بتوادد مع الجميع الأمر الذي دفع مرضى النفوس من أهل مدغرة إلى أن يشيعوا أن ذلك الاتصال كان زمن محمد العربي الذي كان أكبر عدو للفرنسيين في غرب افريقيا كما أكدوا ذلك في ما كتبوه عنه بدائرة المعارف الإسلامية جـ 9/203.

إنه يعز على من تعرف على مكانة ومقام الشيخ محمد العربي أن يرى ما آل إليه أمر دعوته في أقرب الناس إليه وهو ولده الذي وضع حدا لما سبق من المجد الذي حوله إلي الضد منذ تمكن بصك الاتهام الذي هو وظيف القيادة، بل إن بعض أهل مدغرة أكثر من غيرهم بالغوا في وصفه بنعوت لامبرر لها، وإنما هو أقل ضررا بالنسبة لغيره في المنطقة، بل حتى من زوجته رقية أمهاوش التي كانت تنتقم من أشرار أهل مدغرة حيث

(63) سمي وقتها قائدا لمدغرة وفي مصادرهم أنه تولي عام 1334هـ 1915م وأنه زال وحل محله ولده بتاريخ 3 صفر 1342هـ/15-9-1923م و23 جمادى الأولى عام 1342هـ/1-1-1924 إذ كان قبل سمي قائد زيز، وبعدها قصرت قيادته على مدغرة التي لا تزيد قصورها علي اثنين وثلاثين راجع المجلة المغربية للقوانين والمذاهب والأحكام الاهلية عدد 2 بتاريخ 1935-36 الباب 8 ص6 وهكذا بسبب موقف آيت أحدا فرع آيت عطا من التقي والدفاع عنه ستسند القيادة أيضا لعلي وحدا المذكور قبل كمقاوم ضد الفرنسيين كما ثبت ذلك في دائرة المعارف الإسلامية ج 9/203 وقد توفي على وحد بفنكيگ بتاريخ 20-8-1941م. ثم راجع البحث الذي أنجزه الأستاذ المكي المالكي حول النشاط السياسي للدرقاويين ندوة المقاومة في المغرب الشرقي وجدة ص165-219 نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير بتاريخ ج2 عام 1415 نفمبر 1994. وهو عمل يستوجب التقدير رغم قليل من عدم التركيز فيما يتعلق ببعض الأسماء والمواقف.

تضع على عين الرجل الذي تريد تأديبه عمامة أو تدخله في جراب غليظ النسج "تليس" حتى لا يتبين معالم وجهها ثم تجلده بيدها جلدا مبرحا أليما، حتى إذا ما بالغت في إذلاله ألقت به في العراء إن كان الفصل شتاء. أو في خظيرة مشمسة إن كان الفصل صيفا، ومنهم من تزيده خوف ذلك ليعمل أعمالا شاقة مدة أيام تحادها، ومن تعرف على خبث وتفاث وأذى بعض أهل مدغرة يدرك أن ماكنت تفعل بهم رقية امهاوش إنما هو عن دراية وعميق إدراك لذلك الخبث والنفاق والأذى(64) الذي عرفت به طائفة منهم تتوارثه أجيال بعد أجيال ومنهم من استعمل تلك الموبقات في مجال أوسع ضد المغرب والمغاربة حتى انتهى ببعضهم إلى شخص محمد الخامس قبل وبعد نفيه وأسرته ومن أمثلة ذلك صاحب برنامج بين الشرق والغرب الذي كان يديعه من إذاعة الرباط الجاسوس الفصلوي وهو علي بن الشريف العلوي بل وضد باعث المغرب الجديد شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي رحمه الله رغم ما حاوله هذا الإمام وما قام به من أجل رفع مستوى أهل مدغرة بصفة(65) عامة ضمن جموع المغاربة الذين يدين الأحرار منهم لهذا الإمام بالذكر الجميل والوفاء الصادق، بل ان الفرنسيين أنفسهم أدركوا هذه

(64) راجع أرشيف محفوظات الإذاعة وجريدتي السعادة والوداد خصوصا سنوات ما قبل الاستقلال وما يخص منها برنامج " بين الشرق والغرب" الذي كان صاحبه علي بن الشريف العلوي المدغري الذي كان يسكن درب فران خشان بالرباط وقد تعرض من أجل ذلك للقتل مرات، لكنه انفلت من رصاص الفدائيين بأعجوبة وفي عهد الاستقلال أصبح من رجال السياسة البرلمانيين نيابة عن مدينة السويرة التي لم تطأها قدماه ولم يكن له بها ولا بأهلها سابق معرفة أو اتصال ومثله كثيرون جدا ولسوف نتعرف على صورته وما كان عليه وقتها أيام عمالته مع إدارة الحماية بل وعلى مدغرة نصب هاشم ولد محمد افقير نائبا في برلمان 1970م باسم «مولاي هاشم افقير العلوي» كما نشرت مجلة التعاون الوطني وقتها وكان الكاتب والناشر وقتها هو المذكور قبله ومع ذلك ورغم إلصاق الاف الأوراق تحمل صورة المفتري المهين على جدران قصور مدغرة لم يتحرك أحد من أهلها ولا قال أحد منهم هذا بهتان وضلال. ثم راجع كذلك رسالة الولاء لابن عرفة والطعن على محمد الخامس للهاشمي العلوي الموظف بقسم الشكايات في الديوان الملكي ضمن وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية وهي معروفة لدى الكثيرين منهم ولا من يحرك ساكنا.

(65) كان أكثر الذين ركز شيخ الإسلام على انقاذهم من أهل مدغرة من المفترين على الدين الذين كانوا يتجولون باسم آل البيت بين قبائل البربر يستجدون الأعشار ويوزعون البركة فعمل شيخ الإسلام بطريقة جد عجيبة من أجل انقاذهم وانقاذ المجتمع من شعوذتهم، وبعد الاستقلال وحين ظهرت مواقف الشيخ السياسية كمعارض لكل ما هو فاسد كان من الذين تطوعوا لتملق ذلك الوضع المتعفن وضد المنقذ العظيم وأفكاره هم أولئك الذين تعودوا أن يلبسوا لكل زمن لبوسه، حتى إن الهاشمي العلوي المذكور الذي كان بالأمس القريب يتقمص دور المرأة =

الحقيقة في سلوك بعض أهل مدغرة الذين بادروا لمزاحمة التقي العلوي المعلم بالقرويين والذي كان في الخمسينات يتردد على الاستعلامات بفاس بدعوى أنه يعلم مسؤلها اللغة العربية وكان ذلك هو موقف بعضه المتوارث قبل حينما علموا أن النصر محقق في جانب الجيش الفرنسي كما سنرى بعد قليل.

مهما يكن فإن المنطقة عرفت تحركات من هؤلاء وهؤلاء، إدارة الحماية لتثبيط الهمم وافشال التجمعات هنا وهناك والمواطنين وزعماء المجاهدين منهم من أجل جمع الكلمة والاستعداد لأكبر هجوم علي الجيوش الفرنسية في بوذنيب وضمنها الانتقام من الذين اختاروا جانب الحماية وهنا يدخل في الحساب الخليفة السلطاني المهدي بن الرشيد نفسه الأمر الذي دفع كلا الطرفين إلى العمل بسرعة وبحكم التضارب الذي لم تتحمله عقول الكثيرين من أبناء المنطقة ما دام قد أقحم في الميدان رأي السلطان المنسوب للرسائل الواردة هنا وهناك عن طريق الخليفة المذكور تارة وأخرى عن طريق كل من الكولونيل دوري مرة وبواميرو أخرى وبسبب هذا الصراع اضطرب البعض والبعض الآخر وجدها فرصة مكنته من الاتصال بإدارة الحماية وفعلا انضم في المنطقة كل من به، محا وعسو ازلماط، واب سيدي ولد التقي وعبد الرحمن الحمزاوي الذي كان يقود آيت حديد ومشيخة علي مهدي وحسن حمو نايت حرزوزة وبه آيت ارهو والد "عدي وبه"

= ليضحك مخدومه القائد مسعود أحرطان، ومثله فعل مع الشيطان الأعرج ادريس لحمدي أيام وزارته للداخلية وإدارته للديوان الملكي، والذي كان حين ينتشي سكرا يلبسه لباس المرأة ثم يامر بالرقص بل نسي الرجل كل ذلك ثم وصف الشيخ الإمام بـ«المتقمص لفكرة السلفية» وذلك فيما نشر مما صادرته الشرطة من بعض المذكرات التي كانت بخزانتنا 1968م وأطلق عليه الكفاح المغربي المسلح، ص 93 ط مطابع الأنباء بالرباط ط1987.

ورغم ما أدخل عليه من تشويه فقد جر معه السيد محمد المعزوزي الذي حين سئل تبرأ من كل ما كتب في الموضوع الذي كل من قرأه يتعرف على الرجل الذي أقصى ما حققه من طموح في حياته أنه كان يضحك مجالس القائد مسعود احرطان ونساءه وادريس لحمدي، وبقدرة قادر واستهتار بروح المقاومة والحط من شأن المقاومين انتسب إليهم ولامن يستنكر أو يقول هذا زعم باطل وضلال، بل جره ادريس لحمدي إلى قسم الشكايات بالديوان الملكي. كما جر غيره من غير اعتبار لا للقيم ولا للتقاليد بالبحث عن الشخص ما فيه وسيرته وسلوكه وذلك أضعف الإيمان. ولو فعل هذا مع الشيطان الأعور محمد ولد أحمد بن عبد القادر لغريسي "أحمد العلوي" ومع أحمد بن عبد السلام بناني ومع الجاسوس المدسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور، ومع المهدي ولد عبد السلام بن العربي بني المهدي ابن لونا اليهودية. فو الله ما كان لوسخ لأي منهم نصيب في الوصول الى الحما المقدس. لكنه نسوا جميعا ان للبيت ربا يحميه.

صاحب فضيحة اجهاض الاستقلال 1957م «راجع كتاب التحدي ص 110.

وبالتالي دخلت الفتنة والتشويش صفوف الحلفين آيت يافلمان وآيت عطا بسبب الرسائل المزعومة على السلطان المولى يوسف والتي أكثر منها اليوطي ومحمد كاباص " الجباص" إلى مختلف الجهات والتي كانت من مبتكرات اليوطي وإدارته زمن الحرب العالمية.

لقد قررت الإدارة العليا لإدارة الحماية أن تكون الحملة العامة بتاريخ نونبر 1916م هذا ما استطاع جماعة من المجاهدين المقاومين أن يكتشفوه بواسطة لعبة قاموا بها وانطلت على الكولونيل دوري، ذلك أنهم استطاعوا أن يبلغوا رغبتهم المفتعلة من أجل التفاوض إلى العقيد دوري الذي ماكاد يسمع الخبر حتى رحب بالراغبين الذين لم يكونوا يقصدون في الواقع غير الاستكشاف والاطلاع على قوات العدو عن قرب كان من بين هؤلاء:

1) زايد اسكنتي المرغادي م تاديغوست غرب كلميمة من قبيلة آيت الطالب.
2) أهرو وخالق من قصر أدموما وسمگات.
3) أعرجي آيت محند من قصر سمگات.
4) حساين وعمرو من آيت الشاون.

ذهب هؤلاء الأربعة إلى بوذنيب باتفاق مع كل الذين لهم دور من قومهم في التنشيط لفائدة "حركة الرجل"، وذلك حتى يطلعوا على قوات العدو، وفعلا استطاعوا أن يتعرفوا على الظاهر القريب منها، وحسب إمكاناتهم الفكرية ظنوا أن مارأوه في المعسكر ومن بعيد هو كل ما هنالك مما سيحاربهم به الفرنسيون، ولم يعرفوا أن خريطة الميدان كما وضعتها قيادتهم العليا طويلة وعريضة كما سبق وسنرى.

اتصل الأربعة بالكولونيل دوري الذي أظهر لهم من الاعتبار والفرح بهم وبرفاقهم ما جعل بعضهم ينبهر، خصوصا يقول بعضهم عندما كان المترجم يترجم لهم ما كان يقوله الكولونيل دوري الذي كانت أسارير وجهه ينعكس عليها ما كان يشعر به من الفرح الذي كان يعبر عنه وعلى لسانه بعبارات ضاحكة، كل من الضابط تيابو، والقائد الغالي، ومحمد أفقير، والشاوش "الطالب الخليفة الجريري، وغيرهم ممن لم يتعرف القوم على

أسمائهم، ذلك أنهم قد أخذوا الموقف بجد ولم يحسبوا غير أن القوم لم يقدموا إلا بموافقة الجميع علي التفاوض من أجل الدخول فيما دخل فيه كل المشار إليهم قبل، في حين أن مقاصد القوم والذين أرسلوهم كانت هي كسب الوقت حتى يتجمع أكبر عدد من المجاهدين، وفي نفس الوقت يقومون بالاستطلاع على مدى إمكانات العدو، لكنهم بالنسبة لهذا لم يحذقوا شيئا من ذلك. لكن ماذا حصل في المنطقة عموما مما سيكون السبب في الضعف والانهزام.

في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ المنطقة كانت مدغرة بقصورها واقعة تحت وطأة جماعة تقدمت الصفوف، وأصبح لها الرأي الأول في المواقف وكان من بين هذه الجماعة الصالح والطالح، كان فيها صادق العزم والمتخاذل، ومادامت قد عرفت بتضامنها في موقفين حرجين من أصعب المواقف في تاريخ المنطقة عموما، وضمنها بعض سكان منطقة مدغرة، ذلكم هو موقف مقاومة الفرنسيين حين أجمع المواطنون ثم عزموا على "حركة الرجل" التي نحن بصددها، والثاني بيعة اليهودي الأصل الذي زعم النسب وهو امبارك بن الحسين التزونوني الذي سيظهر بعد وباسم مدغرة في تافيلالت عام 1918م والذي ستقدم له الجماعة المذكورة بعد زيادة على البيعة فتاتين هدية، هما بنت محمد بن الصديق من القصر البراني، وبنت محمد بن قاسم من حوش تاوريرت كما سنرى بعد.

وأما أفراد هذه الجماعة، جماعة أهل الرأي في مدغرة فهم دون ترتيب في المنزلة والاعتبار.

1) عبد الهادي من زاوية مولاي البكري.
2) محمد بن الصديق من القصر البراني.
3) م َالحسن الاعرج وهذا والذي قبله أصلا من الوادغيريين فرع بني جمال بفجيج هاجر سلفهم اثر خلاف إلى مدغرة.
4) عبد الرحمن بن الطيب: القصر الجديد.
5) مولاي الزاهد بن الطيب: القصر الجديد.
6) عبد الله بن شيخ الجماعة السني "سيدي" بن محمد من قصر حمو داود
7) م َ التهامي من تاوريرت العالية.

8) مَ الزاهد من تاوريرت الزاوية.
9) مَ عبد الله بن المدني أدبار الجديد المتصل بالقصر الجديد.
10) مَ المهدي بن الحبيب إلخ.

هؤلاء هم الذين توجهوا لطلب الأمان من العقيد دوري يوم 11 يوليوز عام 1916(66) وليس هذا فحسب مما أتلف رأي أهل مدغرة بل هو ما كانت جموعهم تعانيه كذلك من تطاحن حزبين متناحرين هما :

أ ـ حزب آيت الحنفي.
ب ـ حزب آيت الكيحل.

وهؤلاء أمكنهم قبل أن يستعينوا على آيت الحنفي بآيت عطا الذين كانوا قد أحرقوا نصف قصر آيت الحنفي، مما أدى إلى معركة القصر الدخلاني حيث أحرق في برجه عشرون شابا، واشتدت المعارك بين آل قصر أبي عبد الله، وهم فرقة أصلها من قصر تيعيرمت بتافيلالت كما سبق، وبين آل قصر أبو حامد الذين كان على رأسهم مولاي العربي الكاوزي(67) إلخ.

تحت وطأة هذه الظروف وما جد من تحرشات الفرنسيين وشبه عداء المقاومين لعموم أهل مدغرة الذين رفضوا الانضمام للمقاتلين إلا ما كان من أهل قصر مسكي، اتفق المشار إليهم قبل وهم جماعة الرأي على طلب الأمان(68) من الفرنسيين زعما منهم أن إدارة الحماية ستختارهم بدلا من التقي ابن الشيخ محمد العربي الذي كان عندهم العدو الأول، الأمر الذي أدى بالتقي إلي أن يرمي بولده أب سيدي في أحضان القيادة العسكرية وقتها، حيث حمل السلاح معهم بلا خجل ولا وجل(69) وربما كان هذا منه مقابل ما قامت به جماعة الرأي التي لم يكتف أفرادها بالتبرؤ من المقاتلين وطلب الأمان، بل واحد من بين أفراد قصورهم اسمه ولد الحاج كان قد جاهر بالرغبة في الجهاد وأخ يدعو لذلك، فكان جزاؤه أن تبرءوا منه بالإسم. .

(66) راجع جريدة السعادة بتاريخ الأحد ـ الاثنين 16ـ17/ يوليوز 1916م.
(67) راجع ترجمة الشيخ محمد العربي قبل.
(68) راجع جريدة السعادة 20 جوان 1916م.
(69) نفس المصدر 13/جوان 1916 ص 1.

كانت معلومات الفرنسيين حول أهل مدغرة جد دقيقة ومستوفاة ومركزة كما هو الشأن بالنسبة للمنطقة بصفة عامة، لأنهم قبل أكثر من ثلاثين سنة مضت وهم يوجهون لها الكثير من جواسيسهم، تارة باسم طلبة مغتربين جزائريين من قبائل زواوة، حتى يكون ذلك مبررا للكنة ألسنتهم ولهجتهم المتبربرة الغير الفصيحة، وأخرى باسم آل البيت من أهل وازان الذين كان يتزعمهم العميل الأول عبد السلام بن العربي الوزاني الذي عرفناه قبل، ومن هذا النوع من تمكن في بعض الأماكن من تحقيق مكانة عالية جدا تقديرا للنسبة النبوية المفترى عليها، حتي إن أحدهم المسمى "مولاي الحاج؟" الذي عرف كيف يستهوى جماعة من أهل قصر المعاضيد، أمكنه أن يتحكم فيهم وأن يسلط جماعة على أخرى حتى يضعفهم مما أدى إلى فتك بعضهم بالبعض الآخر، لكنهم أخيرا اكتشفوه فكانت نهايته القتل احراقا بالنار، ثم علقوا رأسه على نخلة، لكن بعدما كان قد حقق فيهم حسب التخطيط الاستعماري ما أراد من التمزيق والضعف والتنافر ومن أجل ذلك سينتقم له التزونيني بعد منهم. وقبل أن نغادر قصر المعاضيد(70) نتعرف على رجالاتهم الذين أطروا جماعات الجهاد والمقاومة فيهم وهم من الذين سبق ذكرهم.

1) العربي بن عبد الكريم
2) أب عمار بن طلحة.
3) الغالي ولد عمي حيدة
4) الشريف السليماني حمزة الحوتي وهو أول من قيد ركبتيه بعمامته حتى لا يجفل ثم قاتل حتى استشهد رحمه الله، وبه يتغنى الرجال والنساء في قصر المعاضيد حتى اليوم.
5) أب حنيي ولد الحاج بلقاسم.

---

(70) المعاضيد فرقة من عرب الصباح تافيلالت، أصلهم وغيرهم ممن في الشام: عشائر الشام لوصفي زكريا ج 42/1 أو في العراق عشائر العراق للعزاوي ص 257 وحكام الكويت الذين رحلوا من تافيلالت على دفعتين كما عند الزياني في الترجمان والبستان والضعيفي السوسي، والمعاضيد أصلهم كإخوانهم عرب الصباح فخد من حجيلات، من كرفة، من أثبج، من بني هلال، بن عامر، من العدنانية، راجع كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني ص 130 والجمهرة لابن حزم 294 ـ 95 ـ 1971 ونهاية الأرب للقلقشندي 312 ط 1959 ولب اللباب في تحرير الأنساب للجلال السيوطي ص 160 ط بغداد الخ.

(71) راجع الأدارسة في الجزء الأول من هذا الكتاب.

6) الهاشمي بن مولود.
7) العربي بن لحسن.
8) خيي المدني بن عبد الكريم.

وأما جماعة تيزيمي والذين أطروا رجالاتهم في الجهاد أيضا فهم من عرب الصباح فريق أولاد معطى الله، والادارسة من أولاد بن عيسى وغيرهم منهم :

1) أباالحنيني بن الحاج الغالي من أولاد معطى الله، قتل بعد رميا بالرصاص حيث كتب له الموت شهيدا رحمه الله.
1) المهدي الخندقي.
3) حمينة من قصبة ابن علي.
4) أحمد بن الحاج أعبيد من أشراف أولاد بن عيسى الأدارسة(71) قصر أولاد بوزيان وصنوه الحاج المدني ولد الحاج أعبيد الذي كان رفيقا للزعيم أب سيدي بن المصطفى.
5) خربوش من هبيبات
6) زاموط من قصر الخندق؟
7) العياشي بن الحاج من قصر أرزيقات؟
8) محمد بن كروم، والحاج عبد الله بن الغزال من قصر الجعرانة، والأول هو جد المؤلف لأمه وصنوه المدني بن كروم جد المؤلف لأبيه وقد قتل الأخير غدرا كذلك من جيوش الاحتلال، كما ضاع بصر والد المؤلف من كثرة مشاركته في المعارك.
9) ابن الحاج اسعيد، من قصر الجعرانة أيضا وقد كان هو حاكم المنطقة عن وراثة منذ عهد السلطان اسماعيل كما عرفنا قبل وهو عم والد المؤلف كذلك.
10) الحاج الخليفة ولد بابا حماد عن قصر اللحاين، وهو أصلا من درعة.
11) الحاج ابراهيم الفجيجي وولده محمد(72) عن قصر اللحاين أيضا"؟" وقد ذكر في وثائق المجاهد أحمد السبعي وهما أصلا من الاشراف الوادغيريين بفجيج فرع أولاد بوسحابة.
12) الهاشمي بونويف.

---

(72) راجع ترجمة احمد بن الحسن السبعي قبل.

13) أب باشا عن قصور السيفة لجلاجلة، وعن أولاد حسين، وابريك، وحدا بن ابريك وسيدي الأمين، كما كان عن قصور قبيلة الجوف اليمنية التي حولت إلى الجرف: أولاد عيسى وأولاد امبارك وأولاد غانم، ثم تيلوين، والقصر الكبير، وفزنة، ولقفيفات، وأولاد بوشيحة وغيرهم ممن سنذكر بعضهم بعد المعركة، خصوصا من استشهد منهم:

وأما الذين أطروهم وقادوا جماهيرهم في المعارك، سواء في بوذنيب 1908م وحركة الرجل، ثم معركة المعاضيد بيردي، فهم وليس على سبيل الحصر:

1) من قصر الترعة : القائد العام مولاي مصطفى بن الحنفي، ومولاي عمر بن الحنفي، المعروف "أب سيدي من قصري الجرامنة. والكنز أوفوس.

المعطي بن حمادي. المكي بن الهواري. بابا عربي بن العياشي.
حماني بن عبد السلام. أب حماد بن ابراهيم. لحبيب بن الصديق.
بابا عربي ولد عبد الهادي.

2) ومن قصر أولاد موسى. احبيبي ولد الحاج عبد الله. العربي بن ابيه.
العربي بن بوطيب. مولاي ابراهيم الحاج هارون. العياشي كرداس
ابراهيم ولد يطو.

3) ومن قصر أولاد ابريكة. الحاج بن المحجوب. المدني بن حماني.
الهاشمي بن الطاهر. محمد ولد الحاج أحميدة. أحمد بن لحسن.
المدني بن الطاهر. محمد بن الحاج ولد الحاج المدني.

4) ومن قصر المنقارة. علال بن سالم المدعو ولد «فطينا». وقدور بن المعروف.

5) ومن قصر حنابو "؟" المهدي ولد الحاج اكرين.

وأما عن قصور بني محمد(73) ووادي يفلى والسفالة، والغرفة، وأبو عام، فقد كان منهم الكثير وسنتعرض لبعضهم كذلك بعد، وإذا كان من المؤطرين الكبار لأهل الجرف المولى المصطفى بن الحنفي، فهو من قصر الجرامنة أوفوس(74).

---

(73) سنتعرض بعد لأصول وفروع بني محمد حين كلامنا عن آيت عطا وحرب صاغرو لأنهم ضمن حلفهم الكبير.

(74) كان نفوذ هذا البطل يمتد عبر الأطلس المتوسط إلى آيت امجليد، كما كان يوجه الرسائل باسمه إلى مختلف القبائل حتى تشارك برجالها في الجهاد ضد الغزو الفرنسي قبل أن يتوغل في الجنوب الشرقي، راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية أو مديرية الوثائق ثم راجع ما كتب عنه لفضيلي في الدرر مصدر سابق.

وهكذا فقد استجاب عشرات الآلاف لنداء الجهاد الذي عم مختلف الجهات من آيت امجليد وآيت شخمان شمالا إلى آيت صغروشن، وآيت عيسى ثم آيت مرغاد، وآيت احديدو إلى تخوم تافيلالت وآيت عطا بالطاووس، والنيف، وحتى إذا ما تجمع المجاهدون في المكان المعروف بوادي بوبرنوس بأعدادهم الكبيرة التي قدمت من كل الجهات المشار إليها، كما كانت إدارة الغزو، ومنذ عهد بعيد قد سلطت عيونها القداما والجدد لمعرفة كل التحركات، ولذلك استعدت رغم ظروف الحرب للقضاء على كل ما كان سينتج عن ذلك التجمع من خطر لا يهدد المنطقة فحسب، وإنما جهات متعددة إن هو حقق الانتصار والتحم بالمناطق التي كانت بعد لم تستسلم، وهي كثيرة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا.

كانت قوات الفرنسيين بالإضافة إلى تمركزها بأعداد هائلة وسلاح عتيد في بوذنيب، وبعد أن استهوت الذين فعلت في نفوسهم ما فعلت مراسلات الإقامة العامة بإشراف الصدرم محمد كاباص ؛الجباص" وعليها الطابع السلطاني كما سبق، حيث انضم إليها كما أشرنا عمر الحمزاوي، وآب سيدي بن التقي، ثم انضاف إليهما القائد أقمني الذي عرف بتذبذ به وجر قبيلته آيت بومريم ، حيث توجه القائد المذكور إلى رئيس مركز تالسينت، الأمر الذي وجه بعض المعارك إلى بني تاجيت وما حولها، بل وإلي ميسور حيث تحركت الفرق المتنقلة ضد آيت عيسى، وآيت حمو وسعيد، وآيت صغروشن، كما تحركت القوات التي كانت مرابطة ناحية تادلا ضد محا وسعيد، حيث اشتدت المعارك في واويزغت ووادي العبيد، بقيادة الجنرال برويلا، كما وجه دي لاموط إلي ناحية آيت عتاب(75) كما تحركت قوات أخرى في الناحية الشرقية وزيادة في التضليل توجهت قوات خفيفة في تجاه يردي أرفود حتى يتبعها المجاهدون لكنهم لم يفعلوا فرجعت.

كانت كل هذه التحركات حتى توضع قوات المجاهدين داخل كماشة تدفع إلى الاضطراب والتمزيق فتشتة جموعهم وتتفكك قواهم وتنحل عزائمهم، وفعلا فقد كانت تلك الجموع التي أختلف في تعدادها، لكنها بحال لم تكن دون الخمسين ألف على أقل تقدير،

(75) ايت عتاب هم من سلالة عتاب بن علقمة اللخمي، الذي كان عاملا على شنونة بالأندلس وقت دخول عبد الرحمن الداخل 138هـ العبر لابن خلدون 440/6 وقد أشرنا إلى أن العقيد فوانو (فصل27) أكد أن خسارة فرنسا في تادلة كانت 4347 جندي.

لأنها وبشهادة الفرنسيين أنفسهم كانت في مساحة طولها أربع كيلومترات وذلك في المكان المعروف، ب "اتماسين وفم لخناگ" الواقع بين تازكارت وبوذنيب، بحيث أصبحت المنطقة عبارة عن تجمع شاركت فيه المرأة العطاوية والمرغادية، إلى جانب أزواجهن ومبالغة في الدس والكيد خططت القيادة العسكرية لغزو أرفود الذي توجهوا إليه عن طريق الجنوب حتى يتحول ميدان المعارك إلى الغرب بعيدا عن المواقع الوعرة التي كان يتخوف من اتجاه المجاهدين إليها ناحية الريش، وآيت حديدو حيث كانت بعض قوات الفرنسيين في تعلالين وجبل آيت عثمان، قد تركزت منذ أول شهر يوليوز 1916م.

الحمد لله وحده ولا يدوم الا ملكه
وصلى الله على من لا نبي
حفظ الله بمنه وكرمه وعز بجاه نبيه
يعني بذلك مقام سيدنا ومولينا وشيخنا
سيدنا ومولينا احمد بن الحسن سلام الله
عليك كثير السلام وعلى اهلك واولادك ومن
كان معك. اعانك الله بجاه رسول الله (ا)
صلى الله عليه وسلم من المسلمين عليك جماعة
فرتماشرا ما بعد يا سيدنا نحن في عار الله
وعارك ما قبلنا هذا الكفر ولا رضينه ونحن
مسلمين وتائبين الى الله ورجعنا اليه
لان غلب علينا هذا النصرانية ونزل بوسط
بلدنا ولم نقدروا على ضربه ولا على الهجر
في هذا الوقت وحالنا لا يخفى عليك
ونحن ننتظروا الى الله واليك فان وجدت
النصر من الله والمسلمين فنحن ان شاء
الله معك والسلام

خزانة
عبد الكريم
الفيلالي
A. EL FILALI

استغاثة واستنجاد بالمولى احمد بن الحسن السبعي والمستغيثون هم أهل قصر أيت حدّو بأيت عيسى وقد حضر معه منهم في معركة لمنابهة على أمقران وموحا وحمو وكانت المعركة بتاريخ 17 حجة 1327هـ 1908

خطبة من خطب الجمع التي ظهرت بعد المنشور الذي اذاعه اليوطي 1914 والجباص وأنه لاجهاد بدون إذن من الأمير

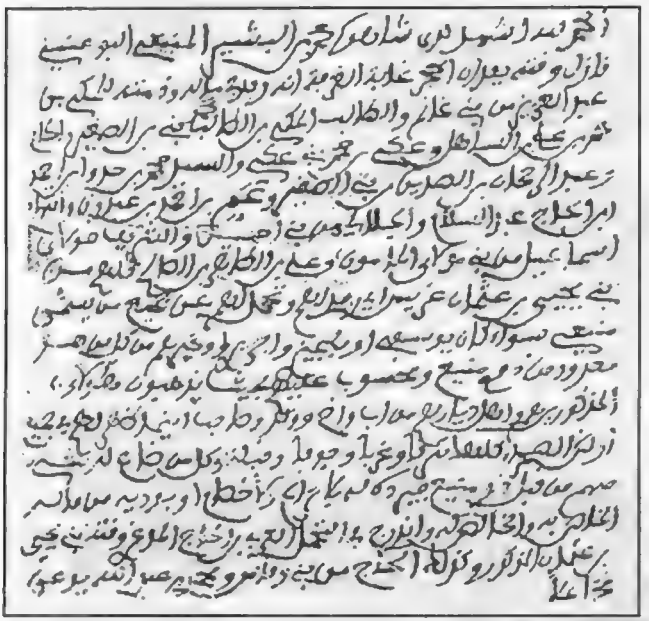

عقد التزام بالحماية زمن الفوضى
يلتزم صاحبه بحماية طالبها

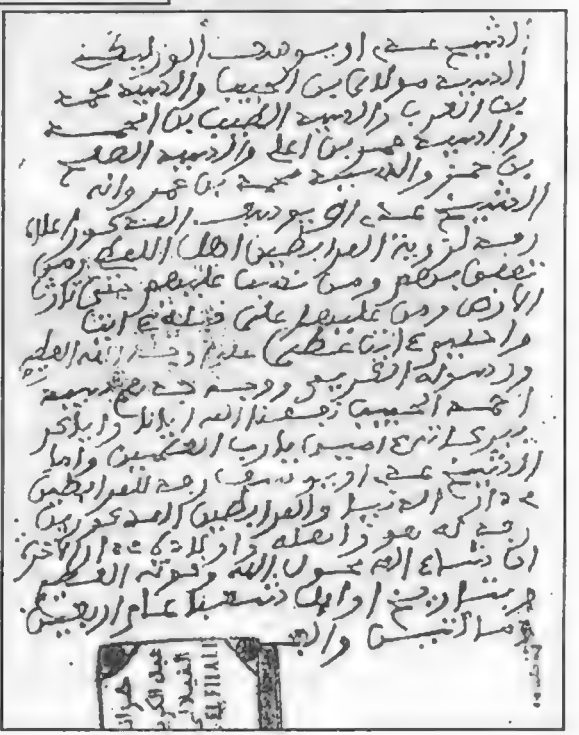

عقد التزام بحماية المذكورين في العقد ضد
أي اعتداء عليهم حيث كانت هذه الحماية
زمن السيبة مشروعه القوي يحمي الضعيف

من العالم الجليل المولى أحمد الحسن السبعي إلى أهل تالسينت في شأن الجهاد كذلك

خطبة من خطب الحث على الجهاد ضد الغزو الفرنسي لتافيلالت

الفصل الخامس والعشرون بعد المائتين

المفاجأة القاتلة أثناء حركة الرجل

نفمبر 1916 بوادي بوبرنوس

وهكذا ففي الوقت الذي لم يكن للمجاهدين مخطط ولا قياد عامة تضع للميدان خريطة قتال تعتمد على مقدمة، ومؤخرة، وميمنة ومسيرة، لم يكن شيء من ذلك، وكان للغزاة عكس ذلك حيث جعلوا خريطة الميدان تعتمد على مساحة شاسعة وممتدة ما بين بوذنيب وگرامة في الجنوب الشرقي، وطريق الريش تيعلالين، وجبل آيت عثمان، حيث نزلوا من طريق الخنگ إلى وادي زيز، في الجنوب الشمالي، ثم جبل زعبل، وجبل دايت، وتيمزراي، ثم يفري، ومن جهة الغرب شمالا كان المجرم العميل التهامي الجلاوي ومعه حاميتان من جيش الاحتلال للكشف والتعرية، ركزت غرب تينغير.

كانت قيادة تلك الجماهير موزعة بطريقة لا تختلف عما سبق من تدويننا لأسماء كبار كل فريق، وبالتالي كان تجمع كل فريق في مكان معين وضع فيه خيامه، وربما حفر فيه خنادق الوقاية من غارة الطائرات التي ستعرفها المنطقة لأول مرة.

في يوم 7 يوليوز 1916م كانت كل قوات المجاهدين قد تجمعت في المنطقة المذكورة،وفي اليوم الثامن منه زحفت الفرق المتنقلة من جيوش الغزاة من ناحية بوذنيب، لمراقبة أحوال وأعمال المجاهدين، فلم يكن من المجاهدين وقد كان حماسهم في أعلى حرارته، وجموعهم متماسكة، إلا أن عاموا على الأولى من تلك الفرق المتنقلة فأتوا عليها دون أن ينفلت منها ولا واحد، الأمر الذي دفع الفرق الأخرى إلى التقهقر بطريقة فيها رعب اغتر به المجاهدون الذين لم تكن لهم فرق استطلاع وإنما اكتفوا بما حققوه من انتصار ثم عاد كل منهم إلي مكانه لينشغلوا بما كانوا عليه في الوقت الذي كانت قوات العدو قد استعدت لرد الفعل بتنظيم حملة مركزة وشاملة للمنطقة كلها، وفي هذه الفترة

أي فترة الانتظار حصل ما لم يكن في الحسبان ذلك أن علي ولد أحدا العطاوي وشقيقه لحسن وهما كبقية أخويهما ووالدهم من اتباع الطائفة الدرقاوية الذين كان تعلقهم قويا وشديدا بمحمد العربي، وبالتالي بولده التقي الذي قتل ولده الحسن وجرح أحمد(76) قبل سنتين بتهمة غير واقعية وجهت لوالدهما، وإذا كان آل احدا قبل قد تزعموا جماعة للانتقام ثم ذهبوا إلى قصر أبو عام لكنهم لم يحققوا شيئا، فإنهم اليوم والغريم أمامهم وقد ثبت لهم ولغيرهم أن أحمد بن علي بن هاشم هو القاتل، فلماذا لم يقتلوه، خصوصا وأن طائفة كبيرة من أهل أبو عام تبرأت من عمله بل وطعنت حتى في نسبه، حيث نسبوه إلى تازارين، وأنه إنما انتسب إلى أشراف أبو عام دون أن يكون أصلا من أي فرقة من فرق المحمديين الثلاث، إذ المحمديون أهل أبو عام فرقهم هي أ) أولاد عبد الواحد. ب) ادريبيين وهم أهل الدرب: اسم مكان. ج) أولاد عمي حسن . وأحمد بن علي بن هاشم لا يرجع لفرقة ما من هذه الفرق، بل جده هاشم هو الذي قدم من تازاريين، وكان خماسا عند المسمى "الحبابي" ثم تزوج شريفة مسنة من أهل أبو عام يقول بعضهم، أو لعله بذلك إنما أراد أن يبرر قتله بدم المغدور المعتدى على طفولته، مما زاد من اندفاع آيت احدا للإنتقام إذ لو كان العكس ووجد من أكد لهم أنه من آل البيت لما أقدموا على ما أقدموا عليه، لأن من الأعراف الراسخة في المنطقة عدم سفك دم الشريف من غير الشريف حتى ولو كان المطلوب قاتلا حقا، لأن الناس في هذه المنطقة لهم تعلق قوي بالدين والرسول وآل البيت، حتى إن بعضهم عن جهل ليتعاقد مع من له مكانة دينية بعقد مكتوب فيه أنه يحميه في الدنيا، والآخر «يحميه في الآخرة» وقد وقفنا على كثير من هذه العقود التي تمت في عهد السيبة وعدم وجود سلطان القانون في المنطقة، بل وحتى اليوم يتمسك خلف آيت احدا أن الذي قتله كل من علي ولحسن، ليس بشريف لأن لهم تعلق قوي وصادق بحب آل البيت، ثم هم رغم عُروبة آيت عطا ينسبون "كبربر صنهاجة" لا يعرفون التلون حسب الزمان والمكان(77) بل العطاويون جميعا عرفوا بالتمسك بما يلتزمون له

---

(76) توفي أحمد يوم 12-1-1982 في قصر رحمة الله الذي توفي فيه والده يوم الجمعة 23 جمادى الأولى عام 1342هـ/1923م.

(77) راجع قصة كتاب: الأنوار الحسنية لأحمد بن عبد العزيز التيعرمتي ص4-ط الرباط 1966. تحقيق المؤلف.

ويقر في أذهانهم ويرسخ في عقولهم، حتى ولو كان هو الخطأ الصراح، مادام في اعتقادهم صوابا، وهذا ما دفع كلا من علي واحدا، وصنوه لحسن، إلى أن توجها في ليلة من ليالي التجمع الكبير لحركة الرجل إلى حيث مقر جماعة "أبو عام"، وبالضبط خيمة أحمد بن علي بن هاشم التي كان لحسن احدا قد تعرف عليها وحدد المكان الذي ينام فيه الغريم منها، ولما وقفا عليه وهو نائم في الجانب الأيمن من الخيمة ممتدا على ظهره وقد أثنى ساقيه والتف ببرنوسيه الأبيض والأسود، ولما حركه لحسن برجله وكشف عن وجهه قدح الزند حتى تحقق أنه هو، فلم يكن من علي واحدا وقد كان مستعدا، إلاأنه أطلق عليه الرصاص من بندقيته وقد صوب فوهتها إلى رأسه ثم لاذا بالفرار خارج مخيم أهل أبي عام الذين هم توا أدركوا أن الفاعل هم آيت احدا بحكم ما كان يشاع ويذاع عن رغبتهم في الأخذ بالثأر لابن شيخهم، لكنهم ماذا يفعلون وعصبية الغريم أقل وأضعف من أن تواجه العطاويين وغيرهم من المتعاطفين مع التقي ولد الشيخ محمد العربي، ومما يدل على تحديد مقاصد آيت احدا أن الخيمة كانت تضم كذلك محمد بن الرشيد بن السلطان محمد بن عبد الرحمن، وأب عمر من أولاد المونن، وسيدي الأمين من قصر لجلاجلة بالسيفة وغيرهم لكن القوم لم يقوموا بشيء بعد قتل القاتل ولم يظهروا أي حماس نحوه.

كان هذا في الوقت الذي استمرت المعارك حامية بين المجاهدين والفرنسيين لمدة أسبوعين، كانت قوات الفرنسيين فيها تعتمد علي الطائرات والمدافع الثقيلة والعربات المصفحة، في الوقت التي لم تكن للمجاهدين قيادة عامة ولا تحركات منظمة، ومع ذلك فقد كان عدد القتلى من جيوش الاستعمار كبيرا وكبيرا جدا، ولقد حاولت صحافة الاستعمار ممثلة في "جريدة السعادة" لسان حال الإقامة العامة بالعربية وقتها، أن تشوه سمعة تلك المعارك الساخنة والعنيفة أيضا، حيث كانت تذكر عدد القتلى من المقاومين فقط ولا تتعرض للخسارة الكبيرة التي كانت تلحق جيوش الغزاة، فقد ورد فيها ما يلي:(78).

"زحفت الحملة النقالة خامس يوليوز على رحمة الله ـ القصر الذي يسكنه التقي ـ

(78) بتارخ 16ـ17 يوليوز 1916م.

لمراقبة- مسكي : قصر من قصور منطقة مدغرة التي هي مركز العصاة وفي 7 الجاري خيمت حركة العصاة أمام مسكي على محل محصن من قبل، مساحته ما ينيف على أربع كيلومترات(79) وفي اليوم الثامن من الجاري حاول العصاة الهجوم على الفرقة الحامية لمورد البهائم في زيز، وفي اليوم التاسع عند الساعة الرابعة ونصف قرر الكولونيل دوري مهاجمة العصاة، فالتقى الفريقان عند الساعة الثامنة ونصف فاعتصم العصاة وراء خنادق يقف بها الراجل للرماية، وعند الساعة 11 أخذ الجنود بجب الكمين، فقامت الجموع للمقاومة فما نفعها غير الهرب بعدما تركت 500 جثة على الصحصحان وحرقت مدافع الحملة مسكي».

«وكان الكولونيل دوري ترك في رحمة الله فرقة للمحافظة على خيام الحملة، فهاجم العصاة هذه الفرقة فردت المهاجمين، وفي يوم "11 الجاري جاء أعيان جماعة مدغرة والرتب وطلبوا الأمان وفي 12 منه عادت الحملة إلى بوذنيب مارة على بوبرنوس».

ثم عادت جريدة السعادة(80) لتقول إنه وجد من بين جثث القتلى في هذه المعركة، ابن قائد المعركة دون أن تذكر اسما معينا، ثم قالت إن "علي والحاج" وهو قائد من قوات آيت ازدك، ومولاي أحمد بن الحسن السبعي، فرا من گير إلى فركلة، ثم تستمر فتقول «وقد استعرض الجنرال "بومكرتن" كبير العساكر بوجدة، حملة بوذنيب في 14 يوليوز، بعدما رجعت إلى معسكرها في المحافظة المذكورة» ثم تقول: "وبلغت أخبار انكسار العصاة في مسكي جبال البربر، فأثرت على المعتصمين فيها إلخ(81) وفي أول أكتوبر التحقت الجيوش المرابطة بناحية مكناس لتساند الكولونيل دوري في بوذنيب،وذلك استعدادا للمعركة الفاصلة التي حدد لها من طرف الغزاة يوم فاتح نونبر 1916م(82).

فعلا كانت الجيوش المرابطة ناحية مكناس قد أمرت أن تتوجه إلى تافيلالت وكان

---

(79) بل كان التجمع في الفضاء المقابل لمنطقة آيت اخليفة إذ قصر مسكي موقعه غرب وادي زيز.. وقد فصله الوادي عن مكان التجمع. لكنه مع ذلك تعرض للقصف المركز بالطائرة والمدافع.

(80) بتاريخ 23 ـ 24 يوليوز 1916م.

(81) راجع جريدة السعادة بتاريخ 8 غشت 1916م فإن فيها ترجمة مطولة ضد المولى أحمد بن الحسن السبعي ثم في عدد 19 سبتمبر كذلك، وهو الرجل العظيم الذي أذل جيوش الاستعمار في غير ما مكان ولمدة ست وثلاثين سنة. كما سبق.

(82) راجع نفس الجريدة 31.10.1916 ص 1 عمود4 ـ نفس المصدر بتاريخ 2.3.12.16.17.23 – 1916/7/24م/ 1916/11/25م/1916/12/5م/ 2 ماي 1917م.

يقودها الكولونيل بواميرو. الذي أصبح بعد جنرالا، والذي بعد ما قتل وضع له تمثال بمدينة مكناس وقد وقف على قاعدة وهو يشير بيده في اتجاه الجنوب.

لقد كانت قوات الغزاة بطائراتها قد حملت على قصري مسكي والقصر البراني بمدغرة، حملة عنيفة كل العنف، وقاسية كل القسوة، حولتهما إلى أطلال، وإذا ما رجعت قوات الكولونيل دوري إلى قصر السوق لتستقبل الإمدادات ثم تستعد أكثر ليوم فاتح نونبر، وفعلا ما حل التاريخ المذكور حتي كانت قوات الغزاة قد تجمعت بأعداد هائلة، وفي نفس التاريخ بدأت السير في اتجاه زاوية أملكيس بأوفوس دون أن تجد في طريقها مقاومة، وأن الإدارة العسكرية فرضت غرامة قاسية على جميع أهل مدغرة وإذلالا لهم أسندت جمعها منهم إلى يهودي من سكان قصر السوق اسمه «يحيى ولد مسعودة» كما أمرت بجمع كل ما في مدغرة من خيل وبغال وحمير، وما فعلت ذلك إلا من شدة الغيظ على ما حصل بجيشها من خسارة لم يكن لأهل مدغرة آي مشاركة فيها.

كان بعض أهل أوفوس قد تأثروا بما سبق، ومنهم من اقتدوا بالتقي ولد الشيخ محمد العربي حيث استسلموا دون مقاومة، بخلاف أهل قصور الزريقات، والدويرة، والمعاركة، والزاويتين، القديمة والجديدة، فمن هذه القصور تجمع المجاهدون الذين واجهوا الغزاة مواجهة قوية وعنيفة، رغم مشاركة الطائرات والعربات المصفحة والمدافع الثقيلة، ولولا تمكن الغزاة من المرتفعات المشرفة على تلك القصور، مما مكن قواتهم من النزول قرب قصر تامعاركيت في انتظار أن يخف فيضان وادي زيز الذي كان وقتها قد حمل بالسيول المهولة، لكان الاستسلام بعيد المنال، ومع ذلك ففي يومي 12ـ13/11/1916م اشتد الوطيس بين المجاهدين وقوات الغزو، فكان من بين الضحايا الذين توصلنا بأسمائهم حسب الدراسة الميدانية.

من أهل الدويرة:	ومن آيت اسفول بقصر أولا عميرة
مولا الحسن بن المصطفى	الاخوة الثلاثة رميا بالرصاص
سيدي محمد ولد أب هدي	عسو وسعيد
مولاي علي بن عبد القادر	حمو وسعيد
أب رشيد بن اليمني	علي وسعيد
اب مصطاف بن المصطفى	علي بن مولاي
أب اسماعيل بن المهدي	احماد ايوسف من ايت خباش أولاد عميرة.
مولاي عبد السلام بن عبد الله ابشيبيشة	أحدا وتشكوك ـ تاخيامت

وقتلى الخزان "الخزان عبارة عن سد في منطقة الرتب" :منهم

أب يزيد بن الحسن	عسو وعجو قصرا جرامنة
ديدي بن الشريف	عمر نايت عسو قصر زوالة.
أب زيدان ولد زهور	ومن قصر تامعاركيت
سيدي محمد المستعين	لحسن بن الهاشمي
أب الشريف ولد أب الحسن.	التهامي بن عمر
محمد ولد أب اسماعيل	أحا بن الحاج أحمد
الشاذ بن أحمد	اعريب بن احمين
ولد لحسن الباهي	

وأما أهل الزريقات فإن الفرنسيين مبالغة في إيلام أسر القتلى منهم رميا بالرصاص(83) جمعوهم أمام جثث الآباء والإخوة بعدما جردوهم من السلاح ثم أمروهم بترديد كلمة "أنا فرحان" حيث لايزال بعض الذين رددوها تحت قهر السلاح على قيد الحياة كما يقول الراوي الذي لم نتعرف منه على أسماء كل الشهداء رحمهم الله، ومهما يكن فإن غيرة وحمية أهل الزريقات قصرى الكارة وأولاد الناصر، لم يفقدوا حماسهم وصادق وطنيتهم حتى اليوم، وكذلك أهل قصر "الدويرة" تصغير دار، وهم جميعا باستثناء المنضمين إليهم من خدم وغيرهم ـ أبناء هاشم بن الشريف بن علي، وهاشم هو صنو محمد، والرشيد وإسماعيل، إلا أنه كان على جانب كبير من العلم بحيث خلف لنا من آثاره ما يستدل به على كبير معرفته إلى جانب صنوه الحفيد بن الشريف.

(83) راجع عن حرب وقتلى الزريقات جريدة الترقي بتاريخ 1916/11/25م ـ1917/1/30 ـ 1917/7/18ـ 1917/10/10م وحول آيت حمو 1917/11/30م حول حرب آيت يافلمان وتحتفظ ذاكرة المواطنين بذكريات الشهداء الذين كانوا يقيدون من أيديهم وأرجلهم ثم يقتلون رميا بالرصاص، وكان المنفذ هما، رزوق والطالب لخليفة. وهما معا من قبيلة أولاد جرير، حيث كانا يمنحان عن كل رصاصة تطلق على قتيل بالغدر رطل ونصف رطل سكر).

نصب هذا التمثال للقبطان بورنازيا بقصبة الريصاني قصر السلطان المولى سليمان بتافيلالت كما يخبرنا هنري بوردو في كتابه عن بورنازيل يوم 20 ابريل 1934

جيوش الغزو الفرنسي لتافيلالت

مقبرة الجنود الفرنسيين قتلى وقعة لهري التي خاضها محمد احمو منطقة
خنيفرة زيان 1914 وعددهم 613

مقبرة معركة لهري التي قادها محمد أحمو الزياني

الفصل السادس والعشرون بعد المائتين

بطولات عرب الصباح بقيادة الشريف السليماني

حمزة الحوتي وتاريخ المعارك الطاحنة

ما بين 1916ـ1919م

تحركت قوات الغزو غربا في اتجاه قصور المعاضيد، وإذا علمنا أن صدى ما حصل في وادي بوبرنوس "حركة الرجل وأوفوس قد تردد صداه بين مختلف الجهات فإن أبطال كل من المعاضيد وتيزيمي والجرف والسيفة وبني محمد وتافيلالت الغرفة والسفالة، أبو عام، قد استعدوا لخوض المعارك بكل ما أوتوا من حزم وعزم وامكانات، ولعلهم في هذه المعارك اعتبروا ما عرف لهم من تقسيم قديم قوامه الأحلاف السياسية قبل العرق الذي كان ساندا ومتمكنا.

لقد عرف سكان المنطقة الممتدة من غرب يردي شرقا إلى السيفة، وحدود بني محمد، غربا، ومن قصور تيلوين وفزنة شمالا إلى قصور أولاد الزهراء جنوبا، بعرب الصباح زيز، في الوقت الذي نجد معظم هذه القصور لا يخلو من أشراف أدارسة كأولاد بنعيسى، وعلويين محمديين، ويوسفيين، ومع ذلك فقد قسم القداما سكان تلك القصور، إلى ما أطلقوا عليه أخماس فمثلا:

أ ـ المعاضيد والشياحنة وأولاد الزهراء، خمس.

ب ـ لحويطات والركائبيين في لحساسنة وأولاد لكحل، والدخيسات، خمس

ج ـ اللحاين والجعرانة، خمس.

د ـ العقبان وهم أولاد عقبة، وأولاد غانم، "وحنابو" وقصبة ابن الحسن، خمس.

هـ ـ لحارزة الذي هم من هلال في قصور السيفة لجلاجلة وأولاد حسين، خمس.

وإذا كانت هناك كثير من القصور لم نتعرض لذكرها فهي جميعا تدخل في

الأحلاف المذكورة(84) وإن كانت هذه الأحلاف نفسها قد عرفت تغييرات متكررة حسب الظروف منذ عهد المولى اسماعيل إلى عهد الاحتلال الفرنسي الذي عرف مواجهة عامة وشاملة شاركت فيها كل العناصر من القادرين على حمل السلاح، وإذا كانت مصادر الفرنسيين قد سجلت لنا أن المقاومين في معركة المعاضيد التي شارك فيها أهل تيزيمي والجرف والسيفة وبني محمد(85) والسفالة بتافيلالت كان عدد الشهداء فيها ستمائة 600 رجل من مختلف القبائل التي شاركت في المعركة.

في يوم 1916/11/15م كانت جيوش الاستعمار تتمركز بالمكان المعروف «يردى» عين لمشارفة جنوب لبروج ولم يكن العسكريون بعد معركة حركة الرجل، وبعد التقتيل الذي باشروه في أوفوس، وبعد انضمام كثير من العناصر إلى صفوفهم، لم يكونوا بعد كل هذا يحسبون أنهم سيلاقون تجمعا مثل الذي لاقوه، ومبالغة في روح الفداء ودافع الحماس الذي عم كل المقاومين انتشر الكثير منهم بين غابة النخيل، وصعد بعضهم إلى رؤوس النخيل، والبعض الآخر اقتداء بالشريف حمزة الحوتي عقلوا أرجلهم بالحبال حتى لا يتزحزحوا من أماكنهم، إذ كان أول من عمل ذلك واقتدى به المجاهدون، هو الشريف السليماني الشهيد يومه حمزة الحوتي الذي تعرفنا عليه قبل في ترجمة الشيخ محمد العربي الدرقاوي، ورغم المدافع الثقيلة والسيارات المصفحة، فقد بقيت المعارك (مستمرة لمدة أيام(86) وكما تقول الرواية الفرنسية أن الذعر دخل الخليفة السلطاني المهدي

---

(84) يستثنى من تلك الأحلاف قصر الجعرانة. إذ سكانه أبناء رجل واحد هو مسعود بن عبد الله صاحب السلطان إسماعيل والذي كان المسؤول عن المنطقة إلى جانب ولده المامون بن اسماعيل في عهده إلى عهد محمد بن عبد الله الذي هدم قصر المامون برگ اللحاين ثم نقل أولاده إلى قصر اگرينفود جوار قبر الحسن بن قاسم الداخل.كما هدم قصر الجعرانة لأولاد الطاهر بن مسعود وهو المجاور للحجيرة ثم أخذهم كمسجونين إلى مدينة مكناس. وهم أهل حومة تيزيمي التي استوطنوها قبل عودتهم حيث كان اخوة لهم يكونون فريقا من جيش البخاري الذي كونه السلطان إسماعيل الذي اعتمد عليهم لأنهم كانوا ضمن قافلة المؤسسين الأوائل للدولة العلوية. ولذلك أرسل إليهم ولده المأمون.كخليفة له في المنطقة يحكمها من وادي الساورة وتوات إلى وادي درعة وقد تخلفت كل أملاكه بتزيمي في أسرة المؤلف حيث لا يزال عقد تركته الذي تخلف بيد الطاهر بن مسعود جد المؤلف ضمن محتويات وثائق خزانة المؤلف.

(85) مجموع قصور تيزمي والمعاضيد والسيفة، والجرف، وبني محمد، والسفالة 157 قصر فيها من الدور 1230 ومن السكان ما قد يقدر وقتها وعلى وجه التقريب بما يقرب من المائة ألف لاشك أن المساهمين منهم في قتال معركة المعاضيد لا يقل عن عشرة آلاف.

(86) جريدة السعادة 1916/11/28 ص 1 عمود 1.

بن الرشيد الذي قدم على الكولونيل"دوري" مع إخوته قصد زيارته فأدت له فرقة من الجنود التحية، كما سجلت أنه قضى ليلة بالمعسكر الفرنسي، وفي يوم 20-11-1916 رجع إلى تافيلالت ترافقه فرقه من جنود الحملة الاستعمارية، وفي المساء أرسل الطعام إلى الجنود المرابطين بأولاد الزهراء، وفي يوم 22-11-1916 رجعت فرق الجيش إلى منطقة لبروج ظاهر قصور المعاضيد شرقا(87).

وهناك وبعد انتصارهم بقوة الحديد والنار، حكم الفرنسيون سيفهم في الرقاب، وقد قتل قبل وبعد معارك يردي لمعاضيد، وتيزمي من الرجال الكثير جدا، حتى إننا لم نستطع حصرهم، ولكن على سبيل الذكر نتعرض لبعضهم، فمن رجال المعاضيد قبائل التغيان و"المكابر" و"العبادلة" وأهل القصيبة «لمحريكية»

الشريف السليماني حمزة الحوتي(88)

أب حاجي بن زركون	اب غالي ولد خيي المدني
حمادي بن موحا بن الحاج الطاهر	البرباري بن البربار.
عمي الطاهر بن المليانى	اعميمي بن الحاج الصديق
العربي بن خليفة	الغالي ولد خيي حدا
مبارك بن خليفة	أب خيي ولد بيي احنيني
محمد بن خليفة	حاجي بن عمار
سالم بن ادريس	محمد بن محمد بن لعرابي
باري بن الشاوي	

(87) نفس المصدر.

(88) لقد كان لهذا الرجل العظيم دور كبير في تنشيط روح المقاومة في المنطقة على مدى ثلاثين سنة لم ينقطع فيها عن الجهاد ضد الفرنسيين المستعمرين من 1881 إلى 1916م حيث استشهد بطريقة لم تعرف لمجاهد قبله إلى أن ابتدعها هو رحمة الله عليه وبها يتفاخر المعضاديون وهي طريقة عقل الركبتين والساقين مع الفخدين حتى لا يضعف ويفر.

ولقد عوضه صديقنا ورفيق النضال ولده الذي ولد اثر استشهاده فسمي باسمه حمزة الحوتي نسبة إلى عين الحوت مركز الاشراف السليمانيين وقد سجل التاريخ له الكثير من المواقف المشرفة وطنية ومقاومة منذ 1944م رحمه الله واحسن إليه إلى أن توفي بالقنيطرة يوم الاثنين 16-2-1986م مخلفا من الأبنا. الذين ساروا على نهجه دينا وخلقا واستقامة رحمه الله وأحسن إليه.

على بن رزوق
محمد بن علال بن رزوق
عمار ولد خيي المدني
الطاهر بن الغالي بن المدني
اعميمي ولد ديدي
الغالي بن المدني بن اعكيدة
علي بن طلحة
الغالي بن الراضي - أولاد الراضي
هؤلاء وهم اخوال المؤلف من بقايا
بني حسن الذين نقلهم الموحدون إلى
منطقة الغرب في القرن 7هـ
المدني بن الراضي المعروف
«بسيدي المدني»
الغالي بن الحاج محمد
الشريف محمد ولد الحاجة الزهراء.
هشوم بن مولود. اعدم بسبب بندقية
وجدت عنده مما غنم في
بوذنيب1908م
ومن أهل لقصيبة لمحريكية:
كيكي بن اليمام.
أب احنيني بن ليمام.
ثم عبد الواحد المكي بن اعطية
سالم بن ادريس
لحبيب ولد أب لحسن
أعلى ولد أب محمد

محمد ولد لالا امًّا
لحسن بن اخليفة
محمد بن اعطية
الحاج امدان.
السيد محمد بن الشريف
الغالي بن الصالح
احمين بن الصالح احمين بن المبارك
أب علة بن الهاشمي بن بوجمعة.
الهاشمي بن البشير.
الطاهر بن خلوق
الزين بن محمد
بابا حبيبي بن السهلي
سدي عبيد بن محمد العربي.
البشير بن مدان.
البشير بن بولمان.
محمد بن لبيض
مولاي أحمد ولد لالة أما.
لعرابي ولد الزا بوبكر
لعرابي بن البربار
ومن الذين قتلوا رميا بالرصاص
أمام الملأ.
أب حنيني بن الحاج الغالي من أولاد
معطى الله المشار إليه قبل.
ومولاي اسماعيل بن المصطفى بن
الحنفي رحم الله الجميع.

عرب الصباح تافيلالت المعاضيد وتيزيمي والجرف والسيفة وتيلوين هم كما يلي:

هم بنو صباح بن طريف: بطن من ضبة من العدنانية وهم بنو صباح بن طريف بن زيد، بن عمرو، بن عامر، بن ربيعة، بن كعب، بن عميرة، بن سعد، بن ضبة، بن أد بن طابخة(89) وقد عرفوا المغرب في زمن الفاطميين، وهم الذين نقلوهم من مصر إلى المغرب عام 445هـ كما سبق، ويوجدون اليوم في قصور السيفة وبني محمد، والسفالة بتافيلالت، بحيث أصبح بعضهم يعرفون، بأسماء غير أسماء أصولهم في تيزيمي، وتيلوين، والجرف.

ومنهم في ناحية الرباط وزعير حيث نقلهم السلطان محمد بن عبد الله عام 1197هـ/1782 إثر حادث قتل الحسين بن السلطان إسماعيل لثلاثة من أبناء ابن أخيه زين العابدين فانتصر الصباح للمتظلم ثم وقفوا في وجه السلطان محمد بن عبد الله الذي أراد نقل القاتل من غير جزاء ولا قصاص(90) ولهم أصول وفروع وأفخاذ وبطون استمدت تسميتها من الأفراد الذين كانوا ذوي شأن في المغرب بعد استيطانهم فيه فمثلا: وهؤلاء المعاضيد الذين هم بلا شك استمدو تسميتهم من التعاضد أقسامهم كما يلي:

التغيان منهم:
- أولاد معطلة
- أولاد عمار
- أولاد بوعيش
- لعرابيين
- أولاد السهلي
- أولاد بن عبد الكريم
- أولاد لغزال
- منهم أولاد مولود
- أولاد بابا قاسم
- أولاد اب بن لحسن

(89) راجع نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ص 312 ط 1959 ومعجم قبائل العرب لعمر كحالة ج 1/628.29 واخوانهم هم سكان ما بين تمارة والصخيرات وبوزنيقة بين الرباط والدار البيضاء وكذا «أمراء» الكويت الذين هم من أولاد جبور ويرجعون إلى قصري الشلالفة وتيلوين.

(90) راجع الضعيفي السوسي الرباطي، والزياني في المصدرين المذكورين قبل. ومكانهم اليوم بين الصخيرات وتمارة وزعير عين اسبيت.

عدد قصورهم 43 بها من الدور 3515 ومن السكان وقتها ما يقدر بأربعين ألف.

لكابر منهم:
- أولاد طلحة.
- لمانسة. كما يوجد بينهم الاشراف السليمانيون وغيرهم
- كأولاد مشيش
- ثم أولاد حامد

والعبادلة منهم:
- أولاد حمو بن حامد
- أولاد بوجمعة
- أولاد الراضي وهم بقايا بني حسن الذين كانوا في المنطقة ثم رحلوا زمن الموحدين والرميلات

وهؤلاء المعاضيد أصلا من الوهبية يشتركون في الأصل مع آل ثاني أمراء قطر كلهم من قبيلة تميم بنجد، راجع عمر كحالة1/126.

وهكذا ففي المعاضيد غير هذه الأقسام خليط ترجع أصولهم إلى جهات ليست عربية ولا بربرية وهذه أسماء بعض قتلى تلك المعركة حسبما تيسر لنا جمعه.

ا) بعض قتلى قصر لحساسنة بتيزيمي
حباب بن عمر
الجلالي بن عمر
أب موسى
المدني بن الطاهر
محمد بن عبد الله بن المكي
أب سيدي بن حمان
محمد بن القائد
علي بن عمر
احمين ولد العود
2) بعض قتلى قصور الجرف:
قصر أولاد عيسى:
لعرابي بن أحمد
الصديق بن محمد
حماني بن الحاج
لحبيب بن الحاج
الحاج دحان
عبو بن امبارك
الهاشمي بن ابراهيم
الجلالي بن عبو
عباري بن امبارك
الغالي بن امبارك
المعطي بن امبارك
ابراهيم بن حمو
أحمد بن حمو
3) قصر أولاد امبارك

الحاج العربي ولد موسى
عبد السلام بن العياشي
لحسن بن القائد
4) قصر أولاد غانم:
العربي بن المهدي
المدني بن اعراب
الحاج محمد بن قدور
لخليفة بن محمد
حماني بن لخليفة
العياشي بن بلقاسم
حماني بن علي
العياشي بن عروب
الحاج العربي بن عيسى
علال بن الطاهر
المدني بن أحمين
المعطي بن علي
مجبر بن أحمين
حداني بن عروب
حاجي بن عروب
عبد الفاضل بن لخليفة
الحاج الجلالي الغانمي
5) القصر الكبير
دحان بن اترون
قدور بن علال بن اترون
ابريك بن اترون
حمادة بن احميدة
العياشي بن المدني
الجلالي بن أحمد
حمو بن سالم
حمو بن المسلوقة
6) بعض قتلى قصر تيلوين
محمد بن قدور القصر الجديد
محمد بن حداس وأخوه أحمد
عبد الرحمن بن عمر
الجاح الجلالي لخليفي
الحاج الهاشمي بن المدني
اب حميدة بن المدني
حمان بن الحاج بوعزة
محمد بن الحاج بوعزة
الطيبي بن اعقيدة
7) بعض قتلى قصر عنتر تيلوين
أحمد بن عبد القادر الحفيان
ابريجة بن عبد المومن
الجلالي بن عبد المومن
احمد بن الجلالي زمراكي
المختار بن المدني الزمراكي
محمد بن الجلالي ولد علي الزمراكي
ابن حاجي
8) بعض قتلى قصر أولاد بوشيحة
بتيلوين
اب عربي بن لقصابي
عبد الرحمن بن عبد الله
أحمد بن عبد الله

الجلالي بن عبد الله
اعلي بن قدور
التهامي بن قدور
قدور بن موحا
موحا والمكي
الحاج بن القايد
عمر بن الهواري
محمد بن أبيه
الطيبي ابن سعيد
الحسن بن الحاج
الغازي بن أبيه
الجلالي بن عبد الله
9) قصر الخندق
قدور ولد حبابي
المهدي بن الحاج.
امبارك بن الحاج
لحبيب بن محمد
علي بن الحاج
عمي.أبيه.
10) من قصر قصبة ابن لحسن:
لحبيب ابن العربي.
الصديق ابن العربي.
11) ومن قصر ويغلان تافيلالت:
الحاج محمد بن البشير.
الحاج عبد الرحمن.
والحاج عبد السلام بن المهدي وغيرهم.
12) ومن قصر تابع صامت:
عبد القادر بن المصطفى.
ومحمد بن أحمد المدعو باب حمو..
13) ومن قصر إيراراة:
الحبيب بن الحسن.
ومولاي بوبكر بن علي وغيرهما.
14) ومن شرفت باحاج "أي الحاج يوسف"
مولاي عبد الملك بن الشريف إلخ.
وكذا غير هؤلاء من مجموع قصورتافيلالت مثل قصر أولاد سيدي ابراهيم.
الحاج لحبيب بن محمد بن التهامي:
والحبيب بن الحاج العربي بن عبد السلام،.
ومن قصر أمسيفي بالغرفة تافيلالت:
ابن المختار ولد الحاج المختار.
عبيد بن المكي.
محمد ولد اما.
الصالح بن الطيب.
أحمد بن الطيب.
مولاي الكبير.
مولاي اليزيد.
عمي اعلي

ومحمد بن الحاج بن احميدة، وغيرهم نحو الثلاثين كلهم استشهدوا ما بين معارك بوبرنوس وأوفوس، والمعاضيد، وكذا من آيت عطا والاشراف الذين بقصورهم النيف خصوصا أهل قصر أشبارو وأم سيسي وأعشيش، ووجلان، وغيرها من القصور كما سنتعرض لبعضهم بعد حين كلامنا عن معارك البطحاء وصاغرو إن شاء الله(91).

لقد تعودت الإقامة العامة منذ شرع اليوطي في غزو المغرب أن تركز على الذين كانوا يتصفون بأشد القساوة ضد المغاربة، خصوصا أولئك الذين كانوا لا يلتزمون بأي نوع من احترام القواعد المعروفة بين المتحاربين، حتى إنهم وبجبن وجب على مغاربة عهد الاستقلال وقبل التقادم أن يقوموا بتسجيل تلك الفظائع التي ثبت لنا وبدراسة ميدانية أنها طبقت في كل ركن من أركان الوطن، ألا وهي قتل الأبطال المتحمسين من رجال كل قبيلة كانت تنتصر عليها قوات الفرنسيين، حيث كانوا يجمعون بعد تجريدهم من السلاح ثم يقتلون رميا بالرصاص أمام الجماهير التي كانوا يجمعونها لذلك، وهذا ما فعله كل من الكولونيل دوري ثم الكولونيل بواميرو، حيث قتل الأول بطريقة حقيرة الكثير من الرجال في الميادين رميا بالرصاص بعد أن تكون المعارك قد انتهت وسلم المغلوبون وذلك ما طبقه الكولونيل دوري الذي استحق من الإقامة العامة أن تعقد اجتماعا تتدارس فيه الموقف وما يجب من تكريم للكولونيل دوري أكثر من غيره لأنه فعل أكثر مما فعلوا. وقتل الآمنين رميا بالرصاص بعدما استسلموا.

كان في جدول أعمال الإقامة العامة كما سجلت الصحافة وقتها، وبعد الانتصار الذي تحقق في وادي زيز والحركة التي قام بها الجنرال دي لاموط والكولونيل أوبير في تادلة، وكذا ما حصل في أنتيفة، وأزيلال، وسوس إلا أن ما حصل في منطقة زيزكان أحق بالعناية إلى درجة أنها أقحمت اسم السلطان في العناية بالكولونيل دوري ووجوب تكريمه «.. فاستحسن جلالة مولانا السلطان هذا التقدير وأظهر سروره من نشر الأمن بالإيالة، وعنوانا على ما خامره من الفرح أمر سيادة الصدر الأعظم - محمد «كاباص"

(91) ألاحظ أن هناك لوائح صادرتها الشرطة من خزانتي بتاريخ 14-6-1968م بدعوى أن ما فيها يخل بالأمن العام. بيد أنها نشرت باسم "الكفاح المغربي المسلح" باسم ذ محمد العزوزي والهاشمي العلوي. ولما اتصلت بالسيد محمد المعزوزي قال أنه لا يعرف عنها أي شيء إلخ وان الذي وضع اسمه لم يطلعه على كثير مما نشر.

أن يحرر كتاب التهنيئة للكولونيل دوري، ويكتب إلى مولاي المهدي خليفة السلطان في تافيلالت، الذي ساعد الكولونيل دوري، في النجاح بتلك المهمة»(92) وكان هذا رغم الخِزْي الذي علق بتاريخ فرنسا في هذه المنطقة وغيرها، إذ يكفي أن صحافتهم اعترفت أن القتال في معركة المعاضيد طال رغم وصول الطائرات التي طلبها المقيم، والتي كانت قنابلها «إذا انفجرت منها عدد من القرطاس " الاعيرة النارية" وأصابت مائة جهة»(93) كما أخذت الصحيفة توضح مهمة الطيران في الكشف عن التجمعات وحمل الدخيرة لفرق الاستعمار وارشادهم إلى المواقع والضرب والهجوم على أماكن تجمعات المقاومين.

كانت جيوش الاستعمار في المنطقة بقيادة دوري وبعدما عمقت الجراح وظنت أنها أطفأت المشاعل بتركيز قواتها في جبل أرفود عادت إلى بوذنيب يوم 25-11- 1916م حيث أقلعت من البروج بالمعاضيد عن طريق الجنوب(94) ولا عجب إذا قيل أنها وجدت في الطريق من كانوا يطاردون مؤخرة الجيوش، وكانوا من أهل الطاوس، وتاديغوس، وتنجداد، وآيت هاني وأملاگو وأسول وأم اللعب، وهم الذين شاركوا في حركة الرجل ثم عادوا قبل أن يلحقهم ما لحق أهل مسكي، والقصر البراني، وأوفوس، والزريقات، والدويرة، والمعاضيد، وتيزيمي، والجرف، والسيفة، وبني محمد، والسفالة، وإذا كانت جيوش الغزاة قد استنفدت جل قواتها وقت العودة، فإن الذين اعترضوا طريقها في العودة أمكنهم أن يلحقوا بها من الخسارة ما جعل من مراسلة الإقامة العامة شيء لا بد منه للنهوض بالهمم وتجديد عزائم الذين كانوا في شك من أهل البلد يتقدمهم الخليفة السلطاني المهدي بن الرشيد، كما كتبت الإقامة العامة وقتها إلى مختلف الجهات تدفع العسكريين بمساعدة بعض القواد والمنضمين إلى جمع ما أمكن من الشباب القادرين على حمل السلاح، حتي يوجهوا للخطوط الأولى في القتال الذي كان دائرا بين الفرنسيين والألمان، فمن المغاربة وبقية المستعمرات جند من الرجال 818.532، من المستعمرات وهم الذين حولوا تيار الهزيمة إلى صدور الألمان حيث استرجعوا لفرنسا

(92) جريدة السعادة 1916/12/2م ص 1 عمود1.
(93) نفس المصدر 5-12-19 ص 1-16.
(94) نفس المصدر 12-12-1916 ص 1ع2-19/12/13 ص1.

في أسبوع ما استولى عليه الألمان في ستة أشهر بناحية ڤيردان(95) التي سقط في سبيل تحريرها مليون من الرجال جلهم من أبناء المستعمرات، وإذا كان للمغاربة في ميادين القتال ما سجل التاريخ فإنه لم يكن للفرنسيين وقد مكن لهم السلاح المتطور من طائرات ومدافع ثقيلة وسيارات مصفحة أن يعملوا كل وسيلة لاحتلال هذا المورد البشري العظيم، حتى يرفع عنهم الضيم الذي ألحقوه بكل حي في المغرب، وكل دار في المغرب العربي الكبير من أقصاه إلى أدناه في الوقت الذي كانوا قد عرفوا الذلة والهوان، من أحدية الألمان، التي مهما طال الزمان سوف تعود لركل وجوههم وأظهرهم وقد رأيناها تفعل أثناء الحرب العالمية الثانية، ولسوف تعمل ثانية ومهما طال الزمن سواء بأحذية الألمان وغيرهم لأن الفرنسيين أكثر من غيرهم أساؤوا إلى الشعوب التي وقعت تحت نير الاستعمار.

كان الفرنسيون كغيرهم بريطانيا واسبانيا وألمانيا قد تعرفوا على امكانات المغرب الصالحة والمتعددة من بشر وغداء وبهائم للمواصلات، ورغم أن فرنسا في المغرب وقتها كانت تواجه حروبا قاسية في الجنوب والشمال والشرق والغرب، فإن اليوطي كان على رهان مع حكومته قبل نفسه، حتى ينتصر رأيه الذي كان يردده في زهو أن فرنسا ستعرف فتحا جديدا باحتلال المغرب الذي كان المدنيون عندما اشتدت الحرب يفكرون في التخلي عنه، أو بالأحرى عن الجهات الوعرة التي تكلف الكثير من مناطقه المتوغلة والبعيدة، وهذا ما دفع القوات الفرنسية رغم الانتصار الذي حققته بعد معركة "حركة الرجل" أن تعود إلى بوذنيب ولم تعد لاحتلال أرفود إلا بعد نهاية الحرب العالمية بسنة، بل ولم يتم لها احتلال تافيلالت إلا بعد خمسة عشر عاما أي في عام 1932م وبعد حرب كانت كلها انتقام بعنف عنيف وقسوة قاسية من الفرنسيين ضد شعب آمن بوطنه وأحب بلاده،

(95) فردان مدينة بمحافظة الميز.ش.ق فرنسا، وتقع على نهر الميز، ضمت إلى فرنسا عام 1552 وصارت بعد 1871 قلعة منيعة التحصين وشهدت عام 1916م أطول وأشرس معركة جرت خلال الحرب العالمية الأولى، اشترك نحو مليوني مقاتل في هذه المعركة الطاحنة، قتل منهم مليون رجل، ومع أن القوات الألمانية انتزعت بعض الحصون الخارجية إلا أن ڤردان نفسها التي كان يدافع عنها المارشال بيتان. أو الجنرال نيفل، صدت جميع الهجمات، وكان شعار الفرنسيين أنهم لن يعبروا، وتعد المدينة والأراضي التي جرى عليها القتال والمدافن الضخمة لقتلى المعركة، مزاراً وطنيا وبقعة طاهرة عند الفرنسيين؟؟ الموسوعة العربية 1284.

فلم يستسلم ولم يقبل حكم الفرنسيين أبدا، وفي هذه الفترة أي فترة الأربع سنوات ركزت فرنسا قوات غزوها أكثر على منطقة تازة مركز الاتصال بين الشرق والغرب، حيث دارت الحروب ضد غياتة، والتسول، والبرانس، وبني سادن، وبني وراين، بحيث كانت حتى في وسائل الإعلام تركز على تلك المنطقة كما جاء في صحيفة السعادة، «ومما يستحق الذكر بكل فخر وشكر قيام المناطيد بغزو تراب العصاة في غياته وجزناية ورميها بالقنابل الانفجارية على مجتمعات العصاة، ولا غرو أن قنابلها ستنفرهم من مكانهم حتى يأوون كالوحوش أو يهيمون على وجوههم كالوعول بين الهضاب والشعاب، وهكذا فعلت في سوق أربعاء مولاي عيسى بن ادريس بتاريخ 5-12-1916م بقيادة الجنرال دلاموط الذي هدم بالقنابل في 1916/12/2 قرية بوصالح في حدود آيت عتاب، وآيت بوزيد، حيث تبعد الأولى 9 كيلومترات شمال أزيلال.." فاقتضى نظر الجنرال دلاموط أن يدك تحصيناتها، وأن يفرق ما اجتمع فيها من العصاة»(96) حتى ينال هو الآخر ماناله دوري من جزاء وتقدير من محمد "كاباص" بل كان جزاء اليوطي نفسه من دولته أن عين وزيرا للحربية تقديرا لما حققه من نصر لفرنسا على حساب أبناء المغرب العربي الكبير، حيث نقل اليوطي إلى باريز ليحل مكانه الجنرال غورو كمقيم حتي يعود، وكان أيضا هذا بالنسبة لغورو جزاء قيادته للمغاربة في حرب الدردنيل(97).

وإذا هو حل بالمغرب(98) فإنه لم ينشغل بشيء أكثر من العمل على احتلال ما أمكن احتلاله حتى يرقى في نظر حكومة بلاده إلى مقام اليوطي، لكنه ورغم انتهاء الحرب وعودة اليوطي 1917/5/29م سوف لم ولن تعرف فرنسا في المغرب استقرارا، خصوصا في تلك الناحية ، حتى إن وزارة الخارجية الفرنسية منعت غزو تافيلالت بسبب ما كان يكلفها ذلك الغزو من تحملات(99) بل تكلفت القيادة العسكرية بعمليات

(96) جريدة السعادة 12-12-16ص 1 ع2.

(97) جريدة السعادة 1915/5/31.

(98) كان وصوله يوم السبت 23-12-1916م حيث وجد مكتوبا على صورة اليوطي وبخطه اهداء لغورو "أسلم المغرب لصديقي العزيز الجنرال غورو" راجع جريدة السعادة 27-12-1916ص 1 عمود3. وفي هذا دليل على صلف وغرور الفرنسيين وغبائهم "أسلم المغرب" كأنه يسلم قرعة يملكها..

(99) راجع كتاب هنري دوبوردو حول ابن أخيه دوبورنازيل الكتاب 4 فصل 2وجريدة السعادة بتاريخ 6 يونيه 1917م ص 1.

الاستنزاف التي دامت خمسة عشر عاما قبل الغزو النهائي كما سنرى، بل بقيت بأرفود الذي احتلته دون أن تتمكن من دائرته منذ 22-12-1916 ثم شيدت في جبله حصنا، لا يزال قائما لم تعرف القوات المرابطة فيه راحة، حيث كان يتعرض للهجمات المتكررة حتى عام1919 حيث استقدموا للمنطقة قوات كبيرة مزودة بما استغل في الحرب مع الألمان من طائرات وعربات مصفحة.

كانت قوات الفرنسيين لما استقرت بأرفود وحتى لا تستضعف من طرف المواطنين، تقوم من حين لآخر بجولات عسكرية حيث توجهت إلى أوفوس، وأولاد عميرة، ثانية بتاريخ 3-1-1917م ثم إلى سيدي بوكيل في 23/1/1917م وأعالي زيز في أوائل يوليوز من نفس السنة، وإلى تيزيمي بتاريخ 1-9-1917م وإلى قصر حنابو بتاريخ 10-8-1917م، ولئن عمل الخليفة السلطاني مولاي المهدي بن الرشيد، على تركيز قوات الاحتلال في تافيلالت، فإنها لم تزد على شبه إدارة اتخذت مقرها في قصر تيغمرت، لكنها دوما كانت مستهدفة لمناوشات المواطنين خصوصا أهل السفالة وأبو عام، الأمر الذي دفع إلى توجيه قوات ردع إلى قصر تازكزوت(100) وقد كانت في الكثير الغالب تعتمد في مثل هذه المواقف على بعض رجال المنطقة الذين أصبحوا من العاملين في ركاب الغزاة أمثال عبد الرحمن الحمزاوي واب سيدي(101) بن التقي وأقمني قائد آيت بو مريم، والحبيب بن هدي من سكان المعاضيد، والذي كان قد أصبح المسؤول الأول على رأس جماعة المعاضيد الجديدة التي نصبها الفرنسيون ضد جماعة المجاهدين الذين كانت القيادة فيهم للأحسن، إلى أن قام بابا بن عبد الكريم من فريق التغيان وهو الذي دبر قتل هشوم بن مولود، ثم حصل اتصال بين فاطمة بنت الحاج لعرابي والشاوش مرغاد الذي تقربت عن طريقه للحاكم الفرنسي وقتها وهو تيابو، بصنع جلباب فاقترح قيادة المسمى حبيبي "الحبيب" بن هدي الذي نصب بالرغم ضد إرادة كبار المعاضيد، مما دفع حبيبي المذكور إلى المغالات في خدمة الفرنسيين والإخلاص لهم، ولو بقتل المسلمين، لكنه سرعان ما لقي حتفه عام 1934 في معركة أم سيسي قرب تاجرومت حيث قتل برصاص المجاهدين، هو والمسمى عمى بن الحاج، وابن الشيخ، ربيب الطاهر ابن عطية، وآخرين لم يتذكر الراوي بل الرواة

(100) راجع جريدة السعادة 14-8-1917م.

(101) راجع جريدة السعادة 30/ماي 1217ص1.

أسماءهم، وليس هذا فحسب، بل انضم إلى الفرنسيين آخر ضد الوطن والدين وهو المعروف عند أهل تيزيمي بـ"القزم الأسود" المسمى "باب" بن الحاج عمر(102) من قصر أولاد معطى الله، وهو الذي نصبوه قائدا على تيزيمي مكان المجاهد عم والد المؤلف ابن الحاج اسعيد، ومثله المسمى حماني بن الهاشمي الجرفي الذي نصبوه مكان حماني بن قدور، المتآمر عليه والذي هاجر إلى مدينة سلا، حيث توفي، وإذا ما أطلق الفرنسيون أيدي هؤلاء العملاء للعبث بمصالح المسلمين ثم ساندوهم بقوة الحديد والنار، فإنهم سرعان ما شرعوا لهم من القوانين الجائرة ما دفع بالخونة إلى الغنى، وبالإدارة إلى التمكّين، ذلك أنهم فرضوا على المواطنين في كل من المعاضيد، وتيزيمي والجرف بعدما جردوهم من السلاح دفع آتاوة تمثلت في دفع غرامة دائمة سميت بـ :

1) لفريضة على الرأس "الشخص" 2) لفريضة على الملك "العقار" 3) على البقرة "أقية سمن" 4) بيضة لكل دار 5) خشبة للأذن"أي للنفس" 6) من جرائد النخل للنفس إلخ..

وحتى تؤكد الإدارة الجديدة أنها صاحبةالأمر والتي أعادت تنظيم جماعة المعاضيد بما يتفق، وهوى العميل الجديد، ومثل ذلك فعلت في كل من تيزمي والجرف(103)

---

(102) لقد كان مشوه الخلقة أسود قاتم وقصير جداً مما زاده مركب النقص مبالغة في الطغيان وإهانة المواطنين اعتمادا على قوة الفرنسيين. حتى أنه كان يفرض عليهم الأشغال الشاقة في الممتلكات التي اغتصبها إلى درجة أن بعضهم كان يضطر تحت نير مشقة الحصاد صيفا للافطار في رمضان. كما كان يفرض عليهم حراسة منزله ليلا وهو الذي كان قد اختار يهودية حسناء «حنا» اتخذها عشيقة. وفي منزلها كان يقيم الولائم لضيوفه ويفصل في قضايا المواطنين، ولما قرر يهود أرفود الرحيل إلى إسرائيل تركوها بعد ما فارقها زوجها اليهودي ووقتها قيل إنها أسلمت ثم بقيت إلى أن ماتت في مدينة أرفود، وقد لاقت التكريم من الذين حسبوها أسلمت، أما صاحبها فقد كانت نهايته وقد بالغ في تحديه للمواطنين بعد نفي العاهل الكريم محمد الخامس وبيعة ابن عرفة التي كان من السباقين لها بطريقة جد خبيثة سواء منه أو من أولاده الذين كان من بينهم عسكري خبيث مسؤول عن الدبابات التي حاصرت القصر الملكي يوم 25 فبراير عام 1951 اسمه لخلافة. وهو اليوم متقاعد بمدينة مراكش وبفضل فرنسا الاستعمار يتقاضى مرتبا ضخما على حساب المغرب والمغاربة الذين أذلهم وتطاول على مقدساتهم أما والده القزم الأسود فإنه لم يفارق الحياة إلا بعدما اقتص الله منه وعاش الناس مالاقاه من ويلات في هذه الحياة حتى كان الدود يسرح في جنباته من غير أن يجد رحمة من أولاده ولعذاب الآخرة أخزى وأشد.

(103) أصبحت جماعة المعاضيد مثلا على الشكل التالي: باب حمادة بن الغالي، ولخلافة بن الطاهر، والطيب بن عريب، والحاج التهامي بن الحاج محمد بن طلحة، وعمار بن الراضي، والمدني بن بوبكر، وعن قصر لقصيبة "تصغير قصبة" الجلالي بن رحمون، المكي بن منصور، باب ماني، أحمد بن امبارك، ويلاحظ أنه لا يوجد من بين أسماء السابقين من قادة المجاهدين ولا واحد.

والسيفة، وبني محمد، وغيرها، مما جعل النفوس تثور وتتطلع إلى الفرج عن طريق الفئة الباقية التي كانت لا تزال تقاوم في شكل غارات على مراكز الفرنسيين يقوم بها آيت عطا، وآيت مرغاد، ثم آيت حديدو، من حين لآخر، لكنها غير منظمة، ولا هي تحت قيادة معينة مما أفقدها الفعالية، وذلك ما كانت جموع المجاهدين تتلمسه فلم تجده من بين رجال المنطقة، إلى أن قدم عليها وفي ظروف مواتية رجل من الغرب اليهودي الأصل وهو المسمى «مبارك بن الحسين بن محمد بن أحمد "بداح" وبداح هذا هو الذي أسلم وهو من سكان قرية "توزونين" والذي ما كادت تظهره سذاجة آيت عطا كثائر في تافيلالت، حتى سمته الصحافة الفرنسية بـ "السملالي"(104) والثاني قدم من شرق البلاد وهو محمد بن بلقاسم الزروالي النكادي نسبة إلى النجاد ناحية وجدة، والذي كان من جنود الجلالي الزرهوني أبو حمارة، والأول دجال ظهر في نفس السنة بضريح بني علي المسمى "محمد نيفروتن" وسط ركاكة، حيث بقي بعدما تظاهر بمظهر المتفقرة، ثم أسدل شعر رأسه وذقنه بشكل يدل على "الزهد" الذي عززه باستعمال سبحتين غليظة ورقيقة ثم انقطع كلية عن الاتصال بالناس إلا ما كان أحيانا من توجيه بعض النصائح الدينية للذين كانوا يتصلون به من آيت عطا. بل وبطريقة سطحية حيث يظهر أنه نفسه كان غير متفهم للدين بعمق.

ولنترك التزونوني على هذه الحال ثم نترك فكرته وأهدافه تختمر في أذهان بسطاء آيت عطا وعقولهم، إلى أن تواتيه الفرصة وتخدمه الصدف بعد أن يلتقي بابن القاسم النكادي ثم يصبح السلطان المبايع من بعض آيت عطا باسم "مولاي محمد بن الحسن" وذلك ما أوحى به بلقاسم الذي كان مع الجلالي بن ادريس الزرهوني الذي سمى نفسه محمد بن السلطان المولى الحسن والذي لما ألقى عليه القبض عبد الحفيظ قيل إنه اختفى ولسوف يظهر. وقبل ذلك سنأتي على ترجمته والجو الذي وجد عليه منطقة تافيلالت التي

(104) راجع جريدة السعادة بتاريخ 20-1-1919م ونسبة السملاليين لآل البيت معروفة، ومعنى هذا أن إدارة الحماية التي كانت تشرف على جريدة السعادة وهي بلا شك لم تكن تجهل حقيقة التزونوني اليهودي الأصل، والذي قيل في بعض المصادر إنه عميل استعماري لصالح الاسبانيين؟ المعسول ج 20-363 ومعنى هذا أنها كانت تقصد التضليل، وهو ما وقع فيه كل الذين كتبوا حول ثورة الفيلاليين وآيت عطا بما فيهم الأستاذ علال الفاسي في الحركات الاستقلالية، والذي سماه "محا السملالي" ص 122 ط القاهرة 1948م.

بلغت النهاية في التذمر مما كان عليه الخليفة السلطاني المهدي بن الرشيد، ومعه المسمى "السيد عبو" بأولاد عيشة، وكذا الذين انضموا لقيادة الجيش الفرنسي وأصبحوا حربا على البلاد والعباد، بالإضافة إلى ما كانت تختزنه قلوب وعقول الفيلاليين من حزازات ترجع إلى الماضي القريب والبعيد معا، كما سنرى بعد استعراضنا للمعارك الساخنة التي عرفها المغرب في كثير من جهاته في هذه السنة التي هي سنة 1917م. الأمر الذي جعل الفرنسيين يقفون ولا يتقدمون في غزوهم للأماكن البعيدة، والشديد بأس أهلها.

كانت الحرب العالمية في هذه السنة قد ارتفعت حرارتها، لكن دلائل الانهزام كانت توجه سهامها نحو الألمان وحلفائهم مما زاد من تعنت الفرنسيين في المغرب ودفع بالعسكريين منهم للعمل على إتمام ما لم يتم غزوه وإخضاعه من القبائل ومن أجل ذلك وكما سبق عين الجنرال غورو الحاقد مكان اليوطي، فلم يكن له بد من رسم تخطيط لتعميم الغزو(105) وبطريقة جد فاضحة ومكشوفة الحقد والكراهية التي تمكنت من بعضهم حتى أصبحت خلقه وسلوكه المتمكن نحو المغاربة مثل جوان الذي سيصبح جنرالا ثم ماريشالا، والذي قاد المجندين لإخضاع منطقة تازة وهو الذي سيندفع بتهور حاقد عام 1947م وبعد أن يصبح مقيما عاما بالمغرب إلى كشف ذلك الحقد الذي تكون وتمكن في هذه المرحلة من تاريخ الوجود الفرنسي في المغرب، حيث دارت المعارك التالية في مختلف جهات المغرب وفي الوقت الذي كانت منطقة تافيلالت وقبائل آيت عطا تغلي كالمرجل، وتتطلع إلى من تتجمع حوله لتعطي لفرنسا درسا أشد قساوة وعنفا من ذلك الذي عرفته من محمد احمو الزياني في معركة لهري كما سبق(106) ومن المعارك التي دارت بعموم المغرب في هذه المرحلة: 1917 ـ1918م.

معركة الحمام ناحية زايان، وهدم قصبته: 3ـ1ـ1917م.

---

(105) راجع جريدة السعادة 6 يونيو 1917م ووقتها كان اليوطي قد عاد إلى المغرب بعد وزارته للحرب يوم19ـ5ـ1917م.

(106) لقد اعتمدنا في استخراج تاريخ هذه المعارك أكثر على جريدة السعادة ولا ننسى أن نتذكر ونكرر أنه كلما حقق الفرنسيون انتصارا كانت قرائح بعض الفاسيين من أولاد عبد الله بن عبد السلام الفاسي، وغيرهم تتفتق ثم تنطلق بشعر المدح للحماية راجع ما انشده مداح الحماية ومؤرخ الجلاوي وابن عرفة عبد الحفيظ الفاسي في جريدة السعادة بتاريخ 9ـ2ـ1917م ص 1 ومثله عبد المجيد الفاسي 1953م.

معركة كراندو، والريش : 6ـ1ـ1917م

معركة احتلال تيزنيت، وقبيلة وادي تازة، وتصفية تيزمي، وأرفود:9ـ1ـ1917م

معركة بني ملال وأولاد امبارك وآيت اعياط ورافع وآيت عتاب بعد الاحتلال:16ـ1ـ1917م.

معركة تيليشت وسيدي أبو وكيل وأزيلال: 23ـ1ـ1917م.

معركة قدارة: 27ـ1ـ1917م

معركة آيت عافي: 13ـ1ـ1917م.

معركة سوق الأربعاء بسوس: 17ـ2ـ1917م.

معركة گير وأوطا بوعبان: 27ـ2ـ1917م.

معركة وجان بسوس، وآيت حمو تالسينت: 14ـ4ـ1917م.

معارك تالانت ولخصاص وآيت باعمران 1917/4/11

معارك آيت بوراغ وآيت الساحل بسوس 1917/4/17

معارك إيزيگ وآيت بونعمان وأولاد جرار وأولاد الحاج وأولاد حرجان 1917/4/24.

معارك كردوس ، وقنبلته: 2ـ5ـ1917م.

معارك المدني لخصاصي بسوس: 8ـ5ـ1917م.

معارك سوق اثنين مغراوة: 8ـ5ـ1917/ 10ـ7ـ1918م.

معارك احتلال دبدو ناحية تازة والدشرات بغياثة ونواحي ملوية: 22ـ5ـ1917م.

معارك لقصابي، وسيدي بويعقوب: 30ـ5ـ1917م.

معارك بقريت بأرض آيت مجليد: 6ـ6ـ1917م.

زبزاط بأرض آيت وافلا وميدلت: 12ـ6ـ1917م.

معارك بني بويعلي ونواحيها: 20ـ6ـ1917م.

معارك تيسة ونواحيها: 29ـ7ـ1917م.

معارك امسون ونواحيه والصخور وعين قطارة وتيساف: 17ـ8ـ1917م.

معارك تاگنيت وتامگروت بوادي درعة ونواحيها 1917/8/24.

معارك آيت بوزيد ونواحيها 1917/9/1

معارك قصبة إيغرم ونواحيها: 1ـ9ـ1917م.

معارك أدخسان بزيان: 10ـ10ـ1917م.

معارك يافلمان: 23ـ 10ـ1917م/ 30ـ11ـ1917م.

معارك تافراوت ونواحيها: 17ـ10ـ1917م.

معارك الشاون ونواحيها: 17ـ10ـ1917م.

معارك غياتة: 26ـ10ـ1917م(107).

معارك بني بوقيطون: 3ـ11ـ1917م.

معارك النجيل بأرض آيت يوسي: 6ـ7ـ1918م.

معارك جبل الحبيب: أبريل 1918م.

معارك جبل بومهاريس على حدود قبائل البرانس: 22ـ23/5/1918م.

معارك متيوة: 4ـ9ـ1918م.

معارك قصر جاوز بتافيلالت غشت 1918.

ثم معارك معسكر عبد الملك بن محيي الدين الجزائري:

19 جوان 1918م.

معارك تيفرنيت(108) 22/2/1919م.

استيلاء أبو حمارة الثاني على بني بويحمد(109) 19ـ10ـ1919م.

---

(107) في هذه الفترة كانت الفرق المتنقلة التابعة لبوذنيب وبدافع ما ظهر لها من هدوء مفتعل، كان لابد منه بحثا عن الذات من الذين فوجئوا بذلك النوع من السلاح الفتاك الذي كبس عليهم ثم قتل الكثير منهم بعدما استسلموا وسلموا سلاحهم، الأمر الذي أغرى إدارة الغزاة ثم اتجهت بفرقها لمساعدة القوات التي أخذت تواجه تحركات ناحية تازة، خصوصا منها تلك التي كانت بـ "طويهر" والتي انتقلت منه إلى يناون، على بُعْدِ 8 كيلومترات شرقي قصبة بني مكارة، ثم نزلت في السهل المشرف على ثنية مريرت حيث شاركت في الحملة التي وجهت ضد غياتة معززة بقوات من التسول قدمت من جهة أمليل حيث قتل من غياتة نحو الثلاثين قبل نشوب معركة يوم 30ـ10ـ1917م. والتي كانت السبب في احتلال غياتة حتى المكان المعروف "بوهلو" وإذا ما أخمدت ثورة عبد الملك واتباعه في تازة، ومثلها في ورغة، وإذا ما تفرقت الجموع التي كانت في الجاية فإن غياتة بالتالي قد انتهت إلى انزال السلاح ثم الإستسلام، وبذلك انتهت حروب حوض ملوية وبقي على قوات بوذنيب آن تساهم في أمن ميسور ولقصابي الذي أصبح موكولا إلى قبائل آيت يوسي التي نظمت من خيلها ورجالها من يقوم بذلك، ثم راجع جريدة السعادة 3ـ10ـ1917م ص1 عمود2.

(108) جريدة السعادة في نفس التاريخ.

(109) نفس التاريخ.

الفصل السابع والعشرون بعد المائتين

انخداع العطاويين لزعامة التوزنوني اليهودي الأصل الذي نصبوه سلطانا في تافيلالت

امبارك التوزنوني من أقا بسوس الذي استعمل النصب والاحتيال ثم ادعى النسب لآل البيت.

بعد معركة البطحاء بتافيلالت 1918م تلك التي خاضها الفيلاليون والعطاويون ضد الاستعمار الفرنسي والتي كذلك تعرف بمعركة الكارة، وهي التي قضي فيها المجاهدون نهائيا على فرقة كاملة في ثلاثة أيام قال الفرنسيون عنها إنها من السنغاليين، وكأنهم بذلك يحولون دون تمرغ شرف فرنسا في الوحل ونسوا أن التاريخ بذلك لا يغفر لفرنسا بل يضعها في طليعة قائمة المجرمين، إذ ماذنب السنغاليين الذين اقتيدوا للذبح بالمدى كالشياه وكان عددهم أكثر من ألف ومائتين يماثله عدد المؤطرين من رجال القبائل المقاومين حسب رواية من حضر، حتى إن ما حصل في هذه المعركة كان السبب يقول هنري دوبورد ومثله العقيد فوانو "ان وزارة الحربية الفرنسية بقيت وحتى عام 1932م تبدي تخوفاتها فيما يخص احتلال هذه الناحية ـ تافيلالت ـ لأنه سبق أن أبيد فيها فوج من السينغاليين سنة 1918م وبعدما أمر الجنرال بوميرو بالتراجع إلى أرفود لأن الحرب الفرنسية لم تسمح بإرسال التعزيزات اللازمة لمواجهة الحالة"(110).

عرف اقليم تافيلالت أكثر من بقية أقاليم المغرب ألوانا من الأمراض الاجتماعية

---

(110) راجع كتاب الملحمة المغربية "الاثار المجيدة لفاتحي المغرب" الكتاب 4 فصل 2 للعقيد فوانو وكتاب دوبورنازيل لعمه هنري دوبوردو عضو الأكاديمية الفرنسية، وبورنازيل هذا ابن أخ هنري دوبوردو وهو الذي أشرف على غزو تافيلالت 1932م وسوف يلاقي حتفه في معركة صاغرو في بوغافر 1933م بطريقة يختارها أحد الاشراف العلويين من الذين شاركوا في المعركة كما سنرى.

التي لم يعرف الناس لها دواء رغم سهولة علاجها في كثير من المجتمعات بواسطة المصلحين والمرشدين والدعاة قصد التمكين لروح الإسلام وأخلاقه وعدالته، وتلك هي أمراض العرق التي نشأت أول أمرها بسبب التشيع الغير المتزن كل للأصول التي تستهويه وترضى هواه ثم تحقق له الإستعلاء الذي عنه نتج ما عرف الإقليم من طبقية لا تعتمد على الاقتصاد بقدر ما تعتمد على الأعراق التي فرضت أعرافها بحكم سطوة الفروسية وسلطان القوة، حتى إنك لتجد وحتى اليوم ونحن على أبواب نهاية القرن العشرين في مجتمع تافيلالت، ألوانا من النعوت غير معروفة إلا بين المتساكنين في اقليم تافيلالت وما حوله من الأقاليم التي تأثرت بسلوك أهله، وهي أقاليم فجيج وتوات شرقا، ودرعة إلى شنقيط غربا، فهناك تسمع ما ينعت به الناس مما يحدد مراكزهم في المجتمع، غير معتمدين لا على مال ولا نفوذ ولا قوة، بقدر ما هم يعتمدون على مقاييس تعارف القوم عليها وأخضعوا لها كل من يريد العيش في مجتمعهم الذي رتبوا طبقاته كما يلي:

الطبقة الأولى: طبقة الأشراف من آل البيت ثم العلماء وقد عرفنا قبل نظامهم وما كانوا عليه أيام النقابة.

الطبقة الثانية: العرب: وهم ذوي الأصول المعروفة بحفاظها على أصولها وعاداتها وتقاليدها.

الطبقة الثالثة: "البربر" ووسيلتهم في فرض وجودهم القوة، وقد كان قبولهم للوضع ناتج عن حب آل البيت الحب الصادق الذي ركزه التمسك بالإسلام والاعتزاز به والعناية بآل البيت إلى درجة أن بعضهم يعيش عالة على هبات البربر ثم يوزع بينهم صكوك الغفران..

الطبقة الرابعة: طبقة العبيد المستوردين من السودان والذين كان لهم رواج في سوق النخاسة إلى آخر القرن 19م 13هـ.

الطبقة الخامسة: طبقة الحراثين الإسم الذي قلب إلى "الحراطين" وقد فصلنا الكلام عنهم قبل حين كلامنا على دولة بني مدرار والفاطميين 140-296هـ/ج 1 من هذا الكتاب.

وكل طبقة من هذه الطبقات كانت تتمتع بنوع من العصبية حسب التنظيم والعرف الذي تمكن باتفاق مختلف الجماعات عليه، بحيث كان لكل طبقة نظامها وعرفها الذي

لايمكن أن يخرق وإذا حصل ما يؤدي إلى التحاكم أمام السلطة المعروفة بفصلها في الموضوع، إن كان داخليا تكون جماعة القبيلة نفسها، وإن كان بين قبيلة وأخرى تتدخل الطبقة الأولى بالحسنى وهي طبقة الأشراف من آل البيت والعلماء، وإذا لم تتمكن يرفع الأمر إلى دوائر المخزن المحلية، ثم العليا، بخلاف آيت عطا في المنطقة، فهم الذين لم يكن للمخزن بينهم وجود، ولا لسلطته اعتبار، كما أن المخزن نفسه بحكم عدم تمكنه منهم أهملهم، فبقيت حياتهمَ السياسية بصفة عامة عرضة لمن استطاع أن يدرك نزعاتهم ثم يحركها في النفوس ويعمل على استغلالها في الاتجاه المقصود منه، ولقد كنا نود هنا أن نتعرض لأصول وفروع آيت عطا لأنهم الذين كان لهم أكبر دور في نصرة امبارك بن الحسين التزوتوني اليهودي الأصل الذي بايعوه سلطانا بتافيلالت عام 1918م لكننا أخرنا التفصيل في قبائل آيت عطا وفروعهم إلى حين كلامنا عن معارك صاغرو وبوكافر 1934م حيث تواجدت كل أصولهم وفروعهم.

ومهما يكن فإن هذا النوع من الطبقية، ولكن بشكل مغاير كانت تعرفه "حواضر المغرب وبواديه التي اتفقت على إكبار آل البيت وتقدير العلماء، وكل من كان له جانب من المعرفة الدينية، وهذا الجانب هو الذي انتحله رجل من إقليم سوس ومن قرية "توزونين اقليم آقا" أسلم جده الذي عرف باسم محمد بداح ومنه تسلسل صاحبنا الذي سمى "مبارك بن الحسين التزونوني" الذي لا نعرف تاريخ ميلاده، لكننا عرفنا بواسطة بلديه محمد المختار السوسي أنه في سنة 1322هـ 1904م كان قد انتهى به التجوال من أجل طلب الرزق إلى قرية "أومسنات" حيث صادف بعض فقراء الشيخ الألغي الذي هو من تلامذة الشيخ محمد العربي الدرقاوي ساكن مدغرة عن طريق الحاج علي الألغي، وبواسطة هؤلاء الفقراء الذين تعلم منهم ما عرفه على أحد رجالات سوس وهو السيد مولود اليعقوبي، الذي تعرف عليه ثم لازمه فترة، وربما كانت تبدو منه أفعال تستوجب عدم الرضا مما كان اليعقوبي معها يلقبه بـ"الجني العريان"، يقول صاحب المعسول(111) رحمه الله" وذلك أقبح ثلب، وما كان يقولها لأحد" كان ذلك سنة 1323هـ 1905م أي في الوقت الذي كانت فيه ثورة الجيلالي الزرهوني قد فعلت فعلها في جنبات المغرب الذي

(111) ج 264/16 ط النجاح البيضاء 1961م.

بدأت الحكومة وقتها تستنجد بمختلف قبائله ضد العميل، ومنها قبائل الجنوب ما عدا آيت عطا التي لم تستجب قط للنداء لأنها كانت نافرة أكثر منذ عهد المولى الحسن وما ذاع وانتشر من عدم رضاه على عمل محمد العربي ومقاومته للفرنسيين في الحدود الشرقية، بل أبو حمارة الذي استمد قوته وتخطيطه من الفرنسيين أفاد من ذلك في تلك الناحية، ومعنى هذا عندهم أن كرامة الشيخ محمد العربي أخذت تظهر لأنه لو استمرت المقاومة لما عرف المغرب ما يلحقه به الخونة بتوجيه من فرنسا، وهذا مفهوم لا يستبعد إدراكه من الفقراء الذين كان المعروفون منهم قد تعرضوا للإضطهاد من المخزن زمن المولي الحسن خصوصا فقراء الناحية الساخنة من الجنوب الشرقي وغربه مجال تحرك آيت عطا باستمرار(112) بل وفي هذه الفترة أيضا كان مبارك بن الحسين التزونيني يتكون في مدرسة المتفقرين بطريقة لم يكن القصد منها التقرب إلى الله عن طريق العبادة والذكر السليم، بل كان باسم التفقر يبحث عن الطريق الموصل إلى شيء آخر لم يتورع عن الكشف عنه لزملائه كلما أمكنه ذلك، خصوصا عندما انتقل من حمي السيد مولود اليعقوبي الذي ربما كان قد تعرف على بعض مقاصده الدنيوية، وإلا ما وصفه بـ"بالجني العريان" إلى حمى الفقيه المتمكن "الشيخ سعيد التناني الذي قيل إنه ولغرض طلب منه أن يعلمه أذكارا خاصة لها أسرار قوية، فعلمه عددا من حسبنا الله ونعم الوكيل" وآية الكرسي «فأقبل اقبالا عليهما»(113) وهو يقصد أن يحقق بهما ما حققه أبو حمارة لأنه كان كثيرا ما يقول لرفاقه من الفقراء لابد أن أكون سلطانا فيتضاحكون منه "وإذا ما توفي التناني عام 1328هـ 1910م فإنه قد مضى عليه بالزاويتين من السنين ما جعله بلاشك يتعرف على كثير من أسرار السياسة المعاصرة، خصوصا إذا علمنا أنه عام 1330هـ/1912م عندما ظهر الهيبة بمراكش وهو أبو حمارة الألمان كان من الراحلين إليها مع محمد ابن الشيخ التناني، والشيخ مولود اليعقوبي، وغيرهما من الذين قصدوا مقاومة العدو الكافر الذي تسلط على البلاد، وإذا كانت الرحلة الجهادية التي قام بها

(112) كان من الذين اضطهدوا ثم أبعدوا إلى مدينة مراكش مولاي عبد الملك لمراني من قصر دادس والذي اتصل به التزونيني فزوده عبد الملك برسالة إلى آيت عطا يوصيهم به خيرا وهو لا يعرف مقاصده.

(113) المصدر السابق.

الشيخ مولود والذين رافقوه، بلا شك جمعت بينهم وبين آخرين، ثم هم علموا ما انتهى إليه أمر الهيبة بمراكش وغيرها كما سبق، ثم هو رأى ألوانا أخرى وهيآت أخرى دفعت به إلى اتخاذ زي آخر عرف به بعض المتهوسين حيث ضخم من عمامته، وإذا نحن قلنا برأي الأستاذ محمد المختار السوسي وأنه اتصل بالإسبان الذين كان لهم رواج في المنطقة وربما هم الذين دفعوا به إلى المكان الذي لم يعرفه أهله حيث آيت عطا الذين هم في حرب مع الفرنسيين وفيهم مجال لمن هو مستعد للمغامرة، ولا يكون للمغامر بينهم نصيب من النجاح عن طريق التظاهر بالدين إلا في مراكز الاضرحة. ولذلك سيقصد ضريح محمد نيفروتن بقبيلة آيت ايعزا آيت عطا، وهنالك سيسدل شعر رأسه وذقنه بطريقة زادت عن تلك التي بدأها قبل في سوس، الأمر الذي دفع الكثير من زملائه إلى النفور منه، لأن ذلك لم يكن شائعا بين أهل سوس، بل إن الشيخ مولود صارحه بقوله وقد لمس منه أنه يسعى بواسطة ذلك النوع من التدليس لتحقيق ما سبق أن عرفنا أنه كان يصرح به من قوله «لابد أن أكون سلطانا» فقال الشيخ مولود، لا يمكن أن يستقيم لك ما تريد في بلاد سوس، وربما لا يتم لك ما تريد إلا في قبائل القبلة الجاهلة"(114) وقبائل القبلة يقصد بها آيت عطا، وهم الذين بقوا رغم حدة ذكائهم بعيدين عن كل ألوان المعرفة.

هذه العبارة من الشيخ مولود اليعقوبي، وهو رجل ثقة ومتمسك بالعروة الوثقى بشهادة المرحوم محمد المختار السوسي الذي نعرف صدقه وسلامة مقاصده، تدل على أن أحوال قبائل آيت عطا وما كانوا عليه من فطرة يسهل معها استمالتهم حسب الهوى، إن هم أقبلوا كان من الممكن لكل ذي قصد يعرف كيف يستولي على كبارهم والزعماء الموجهين لهم، وحتى إذا كان أمثال مبارك بن الحسين التزونيني يسمع بذلك فإنه وربما لم يتأكد منه إلا بعدما سمع مقالة الشيخ مولود التي حركت هواه ثم دفعت به وبلا تردد إلى مغادرة أرض سوس والبحث عن مكان صالح لتحقيق مقاصده، وتقول الرواية المحلية بين أهل تدغة أنه ظهر أول ما ظهر في تلك الديار عام 1333هـ/1914م ولا ندري كم قام

(114) نفس المصدر ص 265.

في تدغة، لكنه بعدها رحل إلى قبيلة آيت ايعزا من آيت عطا النيف(115) وهناك قضى من الزمن ما قضى بعيدا عن الناس حيث نزل بالمكان المعروف "سيدي محمد نيفروتن" وفيه أظهر من النسك والانقطاع ما جعل الكثيرين يعتقدون أن للرجل رسالة إسلامية ولا شك سينال التأييد من الله، وبقدر انقطاعه وزيادة طول شعر رأسه وتضخم عمامته كانت الدعاية تتمكن وتنتشر لفائدته بين أهم بطون آيت عطا الموجودين في المنطقة وهم بالإضافة إلى آيت ايعزا :آيت اسفول، وآيت علوان، وآيت انير، وآيت والال، وآيت أنبكي، وآيت عيسى مزيان، وآيت اخليفة، وآيت الفرسي، وآيت واحليم، وآيت بوكنيفن، وآيت حسو، وآيت عيسى بن ابراهيم، وكناوة، وآيت بوداود، وآيت اعروض، وإيلمشان، وآيت خباش، وإيمسوفان(116).

هذه هي القبائل والبطون التي تأثرت بالدعاية لفائدة امبارك بن الحسين التزونيني، أما الذين كانوا متحمسين لهذه الدعاية أكثر، فهم: من آيت ايعزا، على ابن اعمرو أنبكي، وعلى نايت أحمد التوروكي، وباها بن الحاج، وبركة قشا، ولحسن بن برداهم، وباها بن بلال، وهؤلاء الستة هم الذين سيؤطرون المقاتلين ضد الفرنسيين وهم الذين أشرفوا علي التسيير، وإلى جانبهم من آيت الفرسي: علي بن شاكوس، ومحمد نايت حدو، وسعيد نايت ابراهيم، ومن آيت اسفول: هدي خيي، ومحمد بن علي، وحمو نايت عدي.

وقبل أن يبدأ التزونوني في تنفيذخطته التي سيستجيب لها العطاويون ثم يقبلون، هم وأهل رگ، وغيرهم بحماس كبير، نرحل إلى الناحية الشرقية وإلى بوذنيب حيث

---

(115) أصلها أنيف من أشجع، وبنو أشجع قبيلة من العرب وهم بطن من غطفان جدهم أشجع بن ريث، بن غطفان، وكانوا عرب المدينة "يثرب" وكان سيدهم معقل بن سنان، من الصحابة، وكان منهم نعيم ابن مسعود، بن أنيف بن ثعلبة بن قند بن خلاوة، بن سبيع بن أشجع الذي شتت جموع الأحزاب عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن خلدون، وليس منهم لهذا العهد - أواخر القرن 8هـ بنجد أحد إلا بقايا حوالي المدينة، وبالمغرب الأقصى منهم حي عظيم الآن، يظعنون مع عرب المعقل بجهات سجلماسة، ووادي ملوية، وحذاء فجيج قرية اسمها "بني ونيف" ولهم عدد وذكر، ولبني أشجع ذكر يوم الرقم، ويوم النباة وغيرهما، راجع البستاني 700/3 والجمهرة لابن حزم 442ط دار المعارف مصر 1971م وعنده أنهم في الأنصار - رضي الله عنهم - منهم عبد الرحمن، بن عبد الله، بن ثعلبة، بن بيجان، بن عامر، بن مالك، بن عامر، بن أنيف الخ وفي نهاية الأرب للنويري ج 339/2 أنيف قبيلة من بلى من قضاعة وهو ما عند كحالة في قبائل العرب. ج 48/1.

(116) سنلاحظ بعد أن هذه القبائل كلها وغيرها ستشارك في معارك بوغافر 1934م.

نتعرف ولأول مرة على شخص آخر لاندري هل كان قاصدا لتحقيق نفس الهدف في المنطقة، أم فقط هي الصدف التي كثيرا ما تخدم القاصدين وغير القاصدين، إنه محمد بن بلقاسم النكادي نسبة إلي "آنكاد" بالناحية الشرقية ما بين تازة ووجدة، وهذا له أهل وعشيرة ينتمون للزرواليين المعروفين في المنطقة بثبوت نسبهم، وهو ما لم يعرف به ابن بلقاسم في تافيلالت التي أصبح فيها سلطانا ولمدة أكثر من عشر سنوات بعد قتل التزونوني كما يستدل على مدى دهاء الرجل وقتها وكما سنرى.

كان محمد بن بلقاسم النكادي(117) وكما عرفنا ينتمي إلى المنطقة التي ساد فيها سلطان أبي حمارة وتمكن نفوذه باسم أنه مولاي محمد بن الحسن، والذي وإن هو قبض باليد ثم قتله المولى عبد الحفيظ، فإن طائفة من قبائل المنطقة بقي أفرادها يعتقدون أنه حي لم يمت، ولسوف يظهر ثانية لا محالة، وبالفعل كان هذا معتقد التسول، والبرانس، وأهل أنكاد، خصوصا منهم الذين كانوا قد عرفوا من طلاسمه ما أبهرهم وجعلهم يغالون في ما يعتقدون، ومن هؤلاء محمد بن بلقاسم النكادي(118) الذي لا شك أن الفرنسيين تعرفوا على مؤهلاته ثم دفعوا به إلى منطقة تافيلالت حيث كانت المعارك الساخنة تظهر من حين لآخر، والتي كان لا بد من اضعاف شوكة أهلها حتى يمكن الاستيلاء على بلادهم وإذا كان مثل هذا النوع من البشر سرعان ما ينخدع أو لربما كما قيل إن منهم من كان يعتقد أن وجود الفرنسيين في خدمة أبو حمارة الذي انتحل إسم "مولاي محمد بن الحسن" إنما هو تسخير من الله وعنايته بالرجل الذي لا محالة سيظهر ثانية، ويقول السيد قدور الورطاسي في كتابه المطرب في تاريخ شرق الغرب ص 243 ط 1985 ماكتبه بكل بساطه ومن غير تكلف، وبعدما روى لنا من خرافات ابن أخي أبو القاسم يقول

---

(117) وقد قيل إن محمد بن بلقاسم أزروال أصلا من قبيلة إيمدران من آيت دادة اعلى قبيلة بني بوزكو، بأنكاد غرب وجدة، وانكاد من النجد، وهو ما ارتفع من الأرض وصلب، الجمع، ونجود ونجاد، وأنجد، راجع المعجم الوسيط.

(118) ترجم له الأستاذ قدور الورطاسي فيما كتب عن تاريخ شرق المغرب 231/1، ط الرباط 1985م رواية عن شخص مضطرب الرواية لا معرفة له لكنها ترجمة تعتمد في غير ما يتعلق بوجوده في تافيلالت «أي مكان مولده وقبيله فقط»إذ مثل الورطاسي في ذلك مثل الأستاذ علال الفاسي في الحركات الاستقلالية، فكلاهما ضحية الرواية الكاذبة، وبمثل هذا ضاع التاريخ وضلل في مراحل متعددة على أن قدور الورساطي عاش ظهور كتاب المعسول.

الورطاسي «وكنت أسمع أن أبا القاسم صنيع الغزاة. ولم أكن في مستوى الوعي الذي يساعدني على إدراك الحقائق" وما بدل رأيه فيه كما يعترف إلا ما قرأه في الحركات الاستقلالية لعلال الفاسي، ولو تأخر الفاسي نفسه ولم يكتب ذلك قبل وقد أدرك خطأه مما كتب المختار السوسي في المعسول لولم يفعل الفاسي لما حصل من الورطاسي نفسه ما حصل من ضلال دفعه إليه صاحب الرواية، بل لو فقط قام بعضهم بجولة في وثائق المتحف العسكري بباريز، بل وفي وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بمديرية الوثائق الملكية أو الخزانة الملكية لتبين له الكثير من الحقائق التي تهدم مزاعم ما قيل في حق ابن القاسم النگادي خصوصا ما كتبه الفاسي والورطاسي وكان من حقه أن يطلع على حقيقة ما ورد فيه حول هذه المرحلة وما قام به صاحب المعسول من دراسة ميدانية مما يفند الرواية الكاذبة، لليهودي الأصل الذي هو عندهما شريف سملالي وبلقاسم عند ابن أخيه الذي روى عند الورساطي رغم أنه كان يتصل ببطل الريف محمد بن عبد الكريم في الوقت الذي غادر النگادي أرض قومه ثم وجد ببوذنيب قبل قيام الريفي بخمس سنوات أي عرفناه في الجامع بالقصر الكبير ببوذنيب عام1917م، وكان الذي عرف به هو الحاكم الفرنسي "ماطر" حسب رواية من حضر وهو الشريف محمد بن الحسن لمراني بل وإن المقاومة التي استغل التزونوني فيها العطاويين والفيلاليين بدأت 1918م إلخ وبها توفي في الخميسنات، وبالتالي لو لم يكن هذا التاريخ يعني الموطن والأهل والعشيرة لما وجهنا هذه الضربات العنيفة لما كتبه القوم.

ومهما يكن فنحن لا نعرف عن الرجل غير ما قاله بعض الذين عاشروه، ثم عاشروا الذين التحقوا به من قومه وأهل بلده بعد، وأنهم كانوا في صفوف رجال أبي حمارة، لكننا سنتعرف عليه وعلى كل اتصالاته وتنقلاته حيث ظهر في بوذنيب أوائل 1336هـ/1917م يقول الشيخ محمد بن الحسن العلوي المراني وهو حي يرزق.

لما حل بلقاسم ببوذنيب قصد الجامع بالقصر الكبير الذي كان يسكنه القائد الغالي العلوي لمراني، وإذا كانت العادة وحسب أعراف البلد أن يتكلف ناظر الأوقاف أو قيم الجامع أو الإمام بحاجيات وضروريات الضيف الذي يطرأ مدة إقامته ما لم يتطوع أحد من المواطنين بأخذه معه إلى منزله بعد صلاة العشاء، فإنه ولمدة دامت أكثر من

أسبوع كان ضيفا على الناظر الذي هو أحمد بن محمد لمراني، وتارة على الإمام الذي هو محمد بن عبد الله لمراني؟ وذات يوم أقام أحد أعيان القصر وهو محمد بن الحسن، وليمة للقائد الغالي لمراني وجماعته ولما كانت ليلا والجمع يكون أمام الجامع قبل صلاة العشاء، فإن اللياقة حتمت استدعاء الضيف للحضور في الوليمة، وإذا كان قد مضى على محمد بن بلقاسم أكثر من أسبوع في البلد، فإنه بلا شك تعرف على بعضهم وذلك ما شجعه على المشاركة في المحادثة التي كانت تروج بين القوم، وعلى رأسهم القائد الغالي الذي ما كاد لسان الضيف ينطلق بالمشاركة فيما لم تكن له به دارية من شؤون القوم الذين كان حديثهم حول ما يعني شؤون إحدى السواقي، حتى بادره القائد الغالي بقوله، وما دخلك أنت في هذا اسكت ، ثم أضاف هل تعشيت نوض "قم" سر للجامع" وفعلا قام الرجل ثم ذهب إلى الجامع الذي نام فيه دون أن يتلقى أي اهتمام من أحد، خصوصا في الصباح الذي كان بعضهم يأتيه بما يفطر به، ترك للإهمال لأنه ذاع وانتشر أن القائد نهره زجرا على فضوله وتدخله فيما لا يعنيه، وفي الضحى حين ذهب القائد الغالي إلى مقر الإدارة المركزية، وكان على رأسها وقتها الضابط الفرنسي المسمى "ماطر" الذي لاحظ على القائد تصرفه مع الضيف ثم قال له: إنه شريف ابن عمكم ويجب أن تعاملوه بمايليق هذا مع العلم ان المنطقة كانت تحكم عسكريا وأن الحراسة عليها مشددة، لكنه سرعان ما اختفى الرجل حيث ذهب رأسا إلى تافيلالت وقبل أن نلاحقه مرحلة بمرحلة ودارا بعد دار حيث نزل واتصل، نريد أن نستبين والحالة في البلاد كما عرفنا من الحكم العسكري الذي كان وحتى بعد مضى أكثر من خمسة عشر عاما، بعد لا يمكن لأحد من غير أهل البلد يستطيع اللحاق من مركز إلى آخر، ولا من قبيلة إلى أخرى حتى لو كان معروفا، ما لم يحصل على تصريح بذلك من حاكم قريته أو قبيلته الفرنسي وليس من المغربي، وهذا حل بأخطر مركز، ورحل إلى أخطر منطقة، فكيف نعلل ذلك؟ ألم يكن للرجل محرك دفع به إلى المنطقة لغرض ثم تحول حسب ظروف البلاد وطبيعة سكانها، مما دفع بالمغامر وقد تهيأت له الفرصة في السلطة والنفوذ والثراء أن يساير العطاويين من أجل ذلك كماسنرى.

ومهما يكن فإنه لما رحل إلى تافيلالت توجه إلى زاوية من لا يخاف وهو قصر

معروف حتى اليوم حيث نزل على المسمى علي بن الشيخ الذي أخذ بيده بعدما قضى مدة، ولست أدري هل وقتها أو قبلها علم بوجود التزونوني في آيت عطا أم بعدها، وهذا ما لم نتحقق منه، ومهما يكن فإن الدعاية بأحوال التزونوني وقتها وما أصبح له من شأن كرجل دين بين آيت عطا كانت قد انتشرت، ثم عمت تافيلالت بواسطة الذين كانوا يتواردون على سوق الريصاني(119) الذي من وقتها كان ولا يزال يعمر مرتين في الأسبوع الأحد والخميس، تقول الرواية إن أهل زاوية من لا يخاف كانوا يتاجرون في الملح مع آيت عطا، ولما استعد بعضهم للرحلة التي كان يقوم بها من حين لآخر، وكانوا هذه المرة من قصر زاوية من لا يخاف ثم قصر الماطي، وقصر تازگزوت، وما كادوا يقتربون من منطقة آيت عطا، حتى اغتصبت منهم جماعة من المسلحين حمرهم وما كانت تحمله ثم أطلقوا سراحهم بعدما ودعوهم بعبارات التحقير، لأنهم في رأيهم كانوا خاضعين لحكم الفرنسيين الذين نصبوا إدارتهم في قصر «تيغمرت» وهو محل إكبار وتقدير من الخليفة السلطاني وغيره، من بعض الفيلاليين المخزنيين لأنه قصر السلطان كان قد جدده عبد العزيز.

كان لابد لعلي بن الشيخ وهو كبير زاوية من لا يخاف، خصوصا وهو يعرف أن الخباشيين وغيرهم من آيت عطا الذين قطعوا الطريق على قومه وغيرهم، يحترمون أصحاب الزوايا أن يقوم بدور الانقاذ، ولو بالرحيل إلى حيث الذي يقدرونه ويعملون على قبول تشفعه، وإذا كان قد بلغه أنهم اتجهوا بالحمر والبضاعة ناحية آيت ايعزا، فإنه ما كاد يعلن العزم على الرحيل حتى ارتمى ابن بلقاسم بين قدميه يطلب منه أن يصحبه إلى حيث الرجل "الصالح" الذي ذاع خبره وانتشر وفعلا حمله معه إلى (رگ). وهو المكان المعروف في المنطقة براء مفتوحة وكاف معطشة بشد وسكون وإذا هو فعل فإن ابن بلقاسم أصيب بالرمد في الطريق. ولما وصل "ابن بلقاسم" إلى مقر التزونوني وعلم هذا

---

(119) هو إسم قصر عرف باسم رجل من قبيلة ريصانة، بين القصر وتطوان، كان الزياني أبو القاسم قد استقدمه كحارس مشرف على حراس القصر الذي عرف باسمه حتى اليوم دار الزياني ثم أطلق على مركز أصبحت به قيادة ثم دائرة، وهو في الأصل من بناء السلطان المولى سليمان بن محمد بن عبد الله، بناه لما كان خليفة لوالده بتافيلالت عام 1203هـ/1788م.

بخبره من هو، ومن أين جاء رفضه ورفض مقابلته والتحدث إليه يقول من روى عن علي بن الشيخ من لا يخاف الذي كان يتردد على مكان التزونوني بواسطة أصدقائه والمعتقدين في زاويته من آيت إيعزا، ورغم أن الضيف ابن بلقاسم، كان يلح كثيرا ويبدي من التذلل ما يشفع له عند الرجل، خصوصا وأن ابن ابي القاسم كان يصيح وينادي بأعلى صوته كلما أقبل على التزونوني «إنه مولاي محمد إنه هو» ورغم ذلك فقد بقي مدة شهر وأكثر قبل أن يقبله ويقبل عليه، لكنه كيف تم ذلك، تحول النگادي إلى عدو ضد الفرنسيين، هذا هو ما لم نتعرف عليه والذي يعطينا صورة أن الذين كانوا يناصرون أبا حمارة كانت مقاصدهم شريفة ضد العدو الغازي وهم الفرنسيون ومساندة لأكبر أبناء المولى الحسن الذي هو المولي محمد المتظلم من أخيه عبد العزيز الذي أصبح لعبة في يد جماعة من المرابين كونوا حوله عصابة مخزية بعد موت أحمد بن موسى، وربمايكون محمد " بن بلقاسم" من هذا القبيل لكن الذي لم يمكن كشف الستار عنه هو ما عرفناه عليه في قصر بوذنيب ثم تدخل الحاكم الفرنسي ماطر، كما وأننا نستطيع القول أن الذي غير وجهته هو واقع قبائل آيت عطا وعداوتهم الشديدة ضد الاستعمار الفرنسي.

وبعد فترة طالت عاد بعدها علي بن الشيخ من لا يخاف، إلى رگ فوجد أن الرجلين أقبل كل منهما علي الآخر، وأنهما وضعا خطة للمقاومة ضد الفرنسيين في تافيلالت حسب رغبة العطاويين والمرغاديين وأهل رگ وذلك ما كانت تنشده قبائل آيت عطا التي نشر التوزنيني بينها أن يوم ميعاد اللقاء للجهاد هو عندما يرون حصانا مسرجا بلا رسن يتجول بين قصورهم، ومن حل بقصره لا يتركه يستقر بل يوجهه إلى أهل القصر الذي يليه، ثم يستعد ويقدم، وسيفعل ذلك قبل يوم الهجوم بخمسة عشر يوما وأثناءها وقعت غريبة عجيبة ورغم ما فيها من غرابة فهي حقيقة وواقع عاشه الناس وتحدثوا بما حصل وهم بالعشرات في تافيلالت وبين جموع آيت عطا وعنهم رويت والغريبة العجيبة هي ما يلي:

كان امبارك بن الحسين التزونوني في الفترة التي قضاها بين آيت عطا وركاكة، قد استطاع أن يتمكن من قلوبهم إلى درجة أنه أصبح يعد المتفانين منهم، بقصور في الجنة، ولكن بطريقة تختلف عن التي كان يقوم بها الحسن بن الصباح مع فرقة الحشاشين

الفدائيين، بل حتى بعض الاشراف من أهل البلد مع العطاويين حيث كان الشريف أو المرابط يضمن للعطاوي قصرا في الجنة مقابل أن يحميه ومن إليه زمن السيبة. بل صاحبنا التزونوني استطاع أن يقنع أحد رجال ركاكة ايملوان، وهو المسمى يوسف أزمو(120) أنه إن هو نفذ ما سيأمره به يضمن له قصرا في الجنة يدخله بمجردما يقوم بالمهمة التي لم تكن صعبة في نظر التزونوني الذي بلا شك كان قد تعرف على الوضع في قصور تافيلالت وسلوك الحاكم الفرنسي لويسترى بها بل هي سهلة وسيجد يوسف أزمو الطريق أمامه ممهدا ولا يحتاج إلى عناء، إنها مهمة قتل الفرنسي حاكم منطقة تافيلالت المسمى "لويستري" الذي كان مركزه بالقصر المخزني "تيغمرت"(121).

كان هذا الفرنسي أول أمره من رجال المخابرات الذين عاشوا في المنطقة متسترين برداء الإسلام والدراسة، قيل انه حفظ القرآن لأنه قضى سنين طويلة تجول فيها بين قصور تافيلالت إلى درجة أنه أصبح يعرف عن البلد ما لم يعرفه أهلها، ولذلك اختارته القيادة العليا لحكم المنطقة التي عرف كيف يتودد إلى أهلها إلى درجة أنه رفع الحجاب بينه وبينهم، يدخل عليه من يشاء ويتردد على مكتبه من يريد دون حرج، وهذا ما أفاد منه التزونوني، أن مهمة يوسف أزمو ستكون سهلة وليس معها عناء، ولم يدخل في اعتباره أن لويستري لم يختر سلوك المرونة إلا بعدما قضى على المشكوك في نفورهم، وهكذا وبكل بساطة قبل الرجل القيام بالمهمة دون أن تكون له من ضمانة ولا قوة تساعده، إلا ما كان من سذاجته التي زادته قوة في الاعتقاد الضال أن المدعى يضمن له قصرا في الجنة، مما يدل على أن الرجل كذلك كان متيقنا انه سيموت لامحالة، ولم يصرف التزونوني على الفدائي يوسف أزمو أكثر من رسالة يتوسل بها للدخول إلى المكتب الذي يوجد به لويستري ونسي أنه حتى لو لم يتخذ الفدائي أي مبرر لأمكنه أن

---

(120) في المعسول خطأ بالحاج محمد نقلا عما سماه المهدي الناصري ج 274/16 والمهدي هذا كان بوادي ذرعة بعيدا عن تافيلالت بمآت الكلومترات.

(121) يعرف ركاكة بالحراطين قلب "للحراثين" كما عرفنا قبل وهم وأهل أشبارو بأنيف اخوة وهم أهل مروءة ودين وخلق، ثم هم في تنافس قديم مع آيت عطا تافيلالت والنيف، ولربما كان هذا هو الدافع ليوسف أزمو حتى يتمكنوا من القوة المقبلة ويكون لهم عليها سلطان ما دام الاعتماد فيها على الدين وليس على العرق أو العنصر، مما هو ليس من الإسلام ولا من خلق المسلم.

يدخل على الرجل، وأنه سيقدم إليه دون أن يقف في طريقه أحد إلا ما كان من الحارس قاتل الشهداء الجريري الطالب لخليفة الذي كان قد تلقى الأوامر بعدم الوقوف في وجه أحد ممن يريدون الدخول على لويستري الذي فعل ذلك عن خبرة، بعدما كان قد استعمل من القسوة ما أمكنه ضد بعض الضعفاء، حتى يتعرف الأقوياء ما يمكن أن يفعل بهم إن لم يستسلموا، وبين الفيلاليين كما هو الشأن في المجتمعات المتحضرة توجد جماعة الأثرياء من ذوي المصالح. وهم الذين يتقدمون الصفوف ويرومون الحاكم من أجل تحقيق مصالحهم، وهؤلاء عادة أكثرهم جبناء.

كتب التزونوني - وطبعا كتب له، لأنه لم يكن يكتب بالمستوى الذي يليق - رسالة ملخص ما ورد فيها "لقد جئت لأقتلك" لكن بما سيقلته؟ إنه في رحلته التي بدأت بعد العصر، والتي لم يصحبه فيها غير «المسمى الحو والمختار الزقوري» حتى يحمل الخبر بما تم في الأمر، وطالت رحلة الرجلين حتى صباح اليوم الثالث، وإذا كان قد مضى على بداية نشر فكرة العزم على الجهاد نحو الشهرين ونصف في بيئة مغلقة فإن أفكار القوم كانت معلقة ومشدودة إلى هوى التزونوني الذي بحق في رهان مع الأيام التي ما بقي من الخمسة عشر منها إلا ما يحقق له مقاصده، وتلك إرادة الله حيث شاء القدر أن يتوجه يوسف أزمو قاصدا هدفه دون أن يلوى أو يتصل بأحد حتى لا يثير فيه الجانب الواعي من فكره المخدر، أو يقول له قولا يقلل من عزمه، بل ما كاد يحل بتافيلالت ثم ينفصل عنه مرافقة الزقوري ليراقبه من بعيد حتى توجه إلى تيغمرت وهو القصر المخزني الذي كان السلطان مولاي عبد العزيز أو بالأحرى أحمد بن موسى قد أدخل عليه تحسينات جد هامة بواسطة العملة الذين استقدموا من مدينة فاس يشرف عليهم المسمى "بنونة"(122) وإذا كان لويستري الذي أصبح حاكما في المنطقة قد تعرف عليه وعلى غيره منذ كان يعيش في البلد تحت ستار الإسلام والدراسة، حيث طالت إقامته جدا في قصر أصرغين بالغرفة، وهو القصر الذي كان مقصودا من مختلف جهات المنطقة من فجيج إلى وادي درعة، ومثله قصر أمسيفي لدراسة القرآن مع فهم التجويد ومختلف العلوم والفنون.

كان لويستري أثناء وجوده بتافيلالت كحاكم يعتمد على نفوذ الخليفة السلطاني

(122) راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي ملف تافيلالت بالخزانة الملكية أو مديرية الوثائق الملكية.

المهدي ابن الرشيد بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام الذي كان قبل معززا أكثر، وإلى جانب القصور الموالية، بجماعة ذوي منيع الذين هم في الحقيقة وحسب ظروف عيشهم كانوا على استعداد للعمل مع كل ذي سلطان قوي مهما كان حتى ولو كانوا هم الفرنسيون الذين وجدوا في بعضهم وفي بعض أولاد جرير من الإقبال ما لم يجدوه في غيرهم، كما كانت عصبية الخليفة السلطاني لا تعتمد على أبناء عمومته من الأشراف بقدر ما كانت تعتمد على ذوي المصالح الذين لهم تعلق بالمخزن أكثر.

ولذلك كانت تافيلالت ممزقة كل التمزيق، حين حكمها الفرنسيون الذن لم تكن لهم بها قوات جيش ولا معسكر، وإنما فقط كان لهم شبه مركز في جبل أرفود، أما الجيش النظامي فقد كانت كثرته في بوذنيب احتياطا واستعدادا للطوارئ، وبالتالي حتى يكون قريبا من مختلف المراكز التي تم فتحها شرقا، وشمالا، وغربا، من اقليم تافيلالت والأطلس المتوسط.

كانت القصور المتفق أهلها مع الخليفة السلطاني مولاي المهدي بن الرشيد هي قصور: أولاد عبد الحليم، والفيضة، واخنوس، وگحايگ، والحاج هارون، ثم قصبات سيدي ملوك، والمستعين، والظاهر، ومولاي سليمان، وأما قصور السفالة فقد انساق منها لجانب الخليفة والإقبال علي الفرنسيين قصور سيدي الغازي، حيث المقدم الغالي، وكذا قصر الماطي، وأما بقية القصور التي كانت على طرفي نقيض مع المخزن فهي جل السفالة، وأهل أبو عام، بل إن أهل السفالة وأهل أبو عام كانوا يعيشون الفتنة التي تمكنت بسبب تنازع أهل قصبة لحدب أحرارا وحراثين، كما كان أهل السيفة يعيشون الفتنة مع أهل الغرفة، بسبب سقوط سد الماء الخاص بهم، والذي هدمه أهل الغرفة الموالين للمولى الرشيد قبل ثم خلفه، المهدي من بعده.

وهكذا فإن الجو الذي عاشته منطقة تافيلالت قبل أكثر من عشرين سنة والحروب الطاحنة التي سببتها معزتكما سبق أن عرفنا في عهد المولى عبد العزيز، تلك الحروب التي أثارها أهل السفالة ضد الخليفة السلطاني المولى الرشيد صنو السلطان المولى الحسن وعم السلطان عبد العزيز والتي ضاع فيها عام 1314هـ/1896م ما قدر بـ 1800 ألف وثمانمائة رجل، من حلفي آيت عطا المعادين للمخزن وآيت يافلمان الموالين هذا الجو

الساخن الخانق سرعان ما عاد بمجردما عرف أن يوسف أزمو الركي(123) دخل على لويستري ثم مكنه من الرسالة التي ما كاد يقرأ عباراتها ثم يسأله ساخرا "أنت تقتلني" كما سمع الحارس الذي أخبر حتى انهال عليه بالمدية المسقية سما، والتي هي من صنع الحداد المحلي باشباروا "الزيتوني" الذي صنعها خصيصا لتلك الغاية، والتي ما كادت تغوص في ترقوة لويستري حتى سقط متدرجا في دمائه بعد صيحة عالية، ثم أخذ يتمرغ والقاتل يكرر طعناته وهو يردد: خذ أعدو الله الكافر، كما طعن زوجته اليهودية التي ظهرت خلف الباب الواصل بين غرفة المكتب والدار التي كان يسكنها لويستري، وقبل أن يسرع يوسف أزمو خارج البهو المحادي للمكتب كان قد التحق به ثلاثة من الحراس حيث أردوه قتيلا ثم أغلقوا الأبواب، وبعد برهة عم الخبر فتهافت الأهالي على قصر تيغمرت يتقدمهم الخليفة السلطاني، ومحمد بن عبو زين العابدين الذي كان ألصق به من ظله، والذي سرعان ما انقلب عليه وعلى أسرته ثم أصبح عميلا للفرنسيين، وسيصبح إلى جانب التزونيني ثم ابن بلقاسم، وبعدهما مع الفرنسيين أيضا إذ كان هو الذي أشار على الفرنسيين يوم نزلوا بغابة أولاد الزهراء بالعودة إلى أرفود، ثم هو الذي اقترح على الخليفة مولاي المهدي أن يطلب منهم فتح مكتب في تيغمرت، وهو الذي اقترح وقتها أن ينقل الخبر توا إلى أرفود، ومنه إلى بوذنيب، وإذا ما كانت المسافة الفاصلة بين آيت ايعزا، وقبائل آيت عطا حيث جموع المنتظرين للإنطلاق نحو تافيلالت، هي بالتقريب المسافة الفاصلة بين تافيلالت وبوذنيب جنوب يردي أقرب، وإذا كانت النجدة سوف لا تصل قبل أن يكون المجاهدون قد تجمعوا من هنا وهناك، ثم أولوا وجهتهم تافيلالت، فإن وصول الغزاة كان أسرع ماداموا قد تلقوا الإخبار بالهاتف.

كان قوام جند الغزاة أغلبه من السنغاليين والمجندين من رجال السباهي "اسبايس" الجزائريين، والتونسيين، ثم الفرنسيين، المغامرين "لالجو" وغيرهم من بعض الأوربيين، وفعلا كان في استقبالهم الخليفة السلطاني مولاي المهدي ورفيقه بن عبو وكل

(123) تقول الرواية وأن قاتل القاتل هو: الحو والمختار الزقوري الذي كان قد رافق يوسف أزمو مما يدل على أن الأمر كان بتدبير وفيه دهاء ومكر إذا صحت الرواية التي استبعدها لأن يوسف أزمو رحمه الله قتل بأيدي حراس مكتب لويستري كما يقول الراوي الأصح رواية بإقرار آخرين.

الذين كانوا قد أصبحوا من المستسلمين للواقع، ورغم الحقد البادي على القيادة والضباط، ورغم عدد الجند الذي قيل إنهم ألف ومائتا جندي، فإن المدفعية لم تشارك في المعركة لأن وسائل المواصلات وكل قوات الغزو في ميادين الحرب الدائرة ضد الألمان أو استهلكت ولم تعوض بعد ولم يبق غير الخيل والبغال التي اغتصبت من الأهالي، والتي هي الأخرى لم تعلف بما يكفي، فكانت تزم بثقلها ولا تستطيع السير مما عطل وصول المدافع المجرورة، لكن عوضتها قنابر(124) الطائرات التي كانت ترى قبل اسقاطها، فكان الناس يتفادونها قبل النزول، وبذلك لم تفعل فعلها أكثر إلا في المباني، حيث أن ماهدمته لا نزال نشاهده حتي الآن في بعض القصور.

كانت قوات الغزو وحتى تتجنب الصدام مع الفيلاليين الذين حكمت بلادهم قبل سنتين قد اختارت البعد عن القصور لخوض المعركة، ناهيك وأن القيادة علمت من عملائها أن مصدر الاغتيال والاستعداد للثورة إنما هو أهل ركاكة وآيت عطا، ولذلك خرج جيش الغزاة بعيدا عن غابة تافيلالت(125) ثم أرسى قواته غرب قصور السيفة تجاه النيف، وفي المكان المعروف بـ "البطحاء" الطريق الذي ستأتي منه جموع العطاويين كما أخبرت القيادة العسكرية للغزاة، وإذا كان جيش الغزاة مبالغة في الحيطة تتقارب جموعه ولاينتشر في مساحة كبيرة، وإذا كان يتقدم تحت حماية الطائرات مفروزة الجناحين التي لم يكن في إمكانها التحليق كثيرا لمدة أطول ولا على مسافة أعلى كثيرا، فإن المواطنين الفيلاليين وقبل أن يقدم عليهم العطاويون وبعدما ارتفعت فيهم حرارة الحماس الوطني وانتشر خبر فتوى العلماء بوجوب الجهاد يتقدمهم عبد الواحد بن الهاشمي الانصاري، وكذا خطب أئمة المساجد قبل، وفي يوم المعركة بالذات، كل ذلك قلل من شأن وقيمة جيش الغزاة، وفعلا أخذت الاستعدادات تعم كل القصور المشار إليها قبل، والتي كان أهلها على طرفي نقيض مع الخليفة السلطاني مولا المهدي بن الرشيد، بل حتى عبد الله بن الرشيد وهو صنو الخليفة تحمس ضد الغزاة، واختار جانب المقاومة والجهاد ضد

(124) توجد واحدة من تلك القنابر الحديدية بخزانة المؤلف، وهي مستديرة لا يزيد قطرها على 45 سنتيم.

(125) سبق لنا أن تعرفنا على خطة المجاهدين في معركة لمعاضيد وتيزيمي وكيف كانوا يتخذون من النخيل مواقع للهجوم المباغت، مما كلف جيش الاحتلال الكثير من القتلى.

الفرنسيين، كان الشهر العربي يقول بعضهم أواخر شهر رمضان من عام 1336هـ(126) والعجمي 15 من شهر أكتوبر عام 1918م ولا أحد قط اليوم يستطيع أن يتصور كيف كانت روحانية هذا الشهر في المغرب عموما، وفي البادية خصوصا، وفي الجنوب من سجلماسة إلى فجيج بالأخص، بل ومن سجلماسة إلى سوس الأقصى مرورا بتامجروت ووادي درعة حيث كان الناس يتمتعون بروح إسلامية عالية ألحقت الخسارة الكبيرة بجيوش الغزاة وعملائهم زمنا غير قصير، وتخبرنا رواية من حضر وعددهم كثير أن عدد المجاهدين لم يكن أكثر من تسعمائة أقل من الثلث منهم من الفيلاليين، كانت المعركة يوم الجمعة، وإذا ما اغتر الفرنسيون بما حسبوه من أن نفوذ الخليفة السلطاني سيحمي ظهرهم، مما دفع بهم إلى اختيار مكان البطحاء خارج العمارة بعيدا عن غابة النخيل، فإن سكان قصور تافيلالت وجدوها فرصة حين اندفعوا من الخلف في الوقت الذي أقبل آيت عطا من الأمام وفي دائرة طويلة وعريضة مما دفع لانتشار الجنود ومحاولتهم الاحتماء بغابة النخيل بطريقة لم تكن منتظرة في ميدان متسع فوق ما كانوا يقدرون، مما أدى إلى الارتباك فعادت القيادة بهم إلى حيث كانوا قبل الانطلاق، وهنا يقف المرء أمام عناية الله بعباده في ذلك اليوم الذي قال فيه خطيب الجامع الكبير بقصر لجلاجلة «لقد تعين عليكم الجهاد أيها العباد، فقوموا قومة رجل واحد عملا بأمر الله واحتسابا ليوم التناد، واعتقدوا أن لاخوف عليكم ولا مين وكما وعد الله المجاهدين المخلصين، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين(127).

وفعلا فمن سلامة الاعتقاد أن الرياح جند من جنود الله، فقد عرف ذلك اليوم منها وهي موسمية ووقتها ذاك ـ ما أثار من الزوابع المهلكة التي حركت التلال وحالت دون رؤية الناس بعضهم بعضا، في حين أن لرجال المنطقة عادة في مثل هذه المواقف، وكلما

---

(126) تقول رواية آخر أن لويستري قتل يوم 20 رجب 1336هـ.

(127) من مخطوط خاص، وبخزانة المؤلف الكثير من الخطب في موضوع الجهاد والتي كان مجالها صلاة الجمعة في مختلف القصور بتافيلالت كما سجلت القصائد الشعبية تلك الحروب وما عرفته من شدة حين قال شاعرهم

انهار الجمع يا ام صارت عبارا تافيلالت يأم دخلوها انصارا

والقصيدة مع غيرها في ملف تافيلالت ضمن وثائق خزانة عبد الكريم الفيلالي بالخزانة الملكية ومديرية الوثائق الملكية.

ثارت الزوابع، يتلثمون بعمائمهم الخفيفة الشفافة فيتحركون كالعادة كما يشاءون، وكأن شيئا لم يحصل، بخلاف جند الغزاة الذين اختلط عليهم، فصار بعضهم يضرب البعض الآخر بالإضافة إلى ما وقعوا فيه من كماشة العطاويين والفيلاليين الذين كبسوا عليهم، فلم ينفعهم غير الفرار في تجاه بساتين النخيل حيث كان الجندي منهم يلقى سلاحه ويرفع يديه، ومع ذلك يقتل إما بالهراوة أو بالحجارة إن لم يوجد من له سلاح ناري أو أبيض، ودام الناس في نشوة المعركة التي استمرت مدة ثلاثة أيام والناس فيها كأنهم ينحرون الاكباش في يوم عيد، فلم ينتهي شهر رمضان ويقبل عيد الفطر حتى كان الناس يهنئ بعضهم البعض بالانتصار الذي طهر أرض الفيلاليين من رجس ونجاسة الغزاة المعتدين من الفرنسيين، وللأسف لم يكن الانتصار لفائدة روح الإسلام ورسالته وماحث عليه من توادد وتراحم، بل كان الذي اقتطف ثمار الانتصار هو امبارك التزونيني من آل بداح سكان آقا الذي أصبح من يومها وبعدما عقدت له البيعة بقصر "تاجرومت" كسلطان أطلق عليه مولاي محمد بن الحسن، وهو الاسم الذي اختاره له محمد بن بلقاسم النگادي الذي هو الآخر نصب قائدا للجيوش.

لقد كان مع ابن بلقاسم النگادي في معركة البطحاء من العطاويين كمؤطرين ما يلي من الرجال وغيرهم:

1) أب يشو "يوسف" أزواوي من آيت ايعزا.
2) امبارك أعلى من قصر إيگلي.
3) علي والترمون: من عمرو وگاحي آيت مرغاد.
4) محا والقايد: من قصر اربيبن من آيت مرغاد.
5) محمد العربي: من أسرير قصر بگلميمة.
6) سيدي الحسن ولد سيدي الهواري.
7) القائد أعرجي من آيت محمد كلميمة.
8) باسو وعدي من تاديغوست آيت مرغاد.
9) عبد القادر ولد آب عيسى من فزنة لكفيفات الجرف.
10) باها حداش من فم اللعب، وقد أصبح هو "قتال" المحكوم عليهم، أي منفذ حكم

الاعدام الذي كان يحكم به اليهودي الأصل امبارك التزونيني.

11) الزبيري وهو شرادي الأصل "لص مجرم" فر زمن المولى عبد العزيز من الرحامنة إلى الجرف تافيلالت ثم استوطن بين أهله، ويعرف خلفه حتى اليوم أولاد ازبيري

12) الملالي ويعرف خلفه اليوم باسم "مهاجر" وقد تعرض لانتقام الفرنسيين رحمه الله لأنه كان صادقا في جهاده، وقد أدركته ورويت عنه الكثير من الحقائق.

13) امبارك بوركعة.

14) ومحملوك أرساسن من توروگ....

15) سيدي موح ابراهيم من قصر تيزي آيت عطا النيف ومنه أيضا

16) محمد احماد

17) عمر وحدا

18) ابراهيم أكرو.

19) محمد احمو بوراس.

20) أحماد الحو

21) باسو وسعيد.

22) باسو به.

23) سكو واحماد

24) محمد وعمرو

25) باسو والد رموح

26) باسو وشط.

27) محمد أعراب.

28) ابراهيم وعزيز.

29) عمرو ولحو وأخوه أحماد ولحو.

30) وعدى وعمرو، وباسو وترماس.

كان هؤلاء هم المؤطرون لمجموع المقاومين أما عددهم جميعا فقد كان حوالي تسع

مائة وأما الموتى من العطاويين في معركة البطحاء فمنهم الكثيرون جدا، صعب علي التجوال بين قومهم.

وهكذا فبالنسبة للخليفة السلطاني ومن كان معه مازال عنهم إذلال الفرنسيين موقتا حتى جثم على صدورهم وضيق أنفاسهم قهر الجماعة التي التفت حول التزونيني بقية العطاويين، وتشفى الناقمين، الأمر الذي دفع كل من كان يمت بصلة إلى المخزن أن يغادر منطقة تافيلالت بنفسه وأهله، أما القصور والمتاع فقد أصبحت نهبا مباحا ومشاعا بين ركاكة وآيت عطا، بل ظهر من أبناء البلد من كان أشد قسوة، مثل البوعامي محمد بن الحاج علال "ولد اجميعية" وأخوه حتى إن التزونيني ما كاد يستقربه المقام في تافيلالت التي اختارها مركزا حتى أخذ يقتل كبار القوم واخيارهم بايعاز من ولد اجميعية، رغم أن هذا كان على جانب من التفقه، إلا أنه كان يختزن أحقادا ضد القاضي عبد الواحد بن الهاشمي الانصاري وعبد الله بن الرشيد بن السلطان محمد بن عبد الرحمن، ولخلافه، قيم ضريح المولى علي الشريف، وهم الذين قتلوا ظلما وعدوانا بتحريض ولد اجميعية وأمر التزونيني. كما قتل الربى اليهودي داود أبي حصيرة حفيد دفين طنطا بمصر والذي يرجع أصلا إلى قصر تابع صامت وفي رواية بعضهم آن الذي قتله هو ابن بلقاسم وهو غيرصحيح عندي إلا آنها رواية أربعة مقابل واحد.

وإذا ما بدأ بسفك دماء هؤلاء الذين لهم شأن واعتبار، فإن الشهية تفتحت وأصبح التوزونيني لا يتورع عن القتل لأتفه الأسباب كما كان لا ينادي الآخرين من الذين تغضبه بعض تصرفاتهم حتى من المقربين إليه بغير اسم "الحمار ـ اليهودي" وهذا انعكاس لما يختزنه عقله الباطن وتحتفظ به ذاكرته من مركب ومن خوف أن يتعرف الناس على أصله اليهودي، وما ذلك إلا من جهله بأصول الإسلام الذي يجب ما قبله، بل يخبرنا صاحب المعسول نقلا عن محمد بن سعيد الجراري الذي عمل كاتبا لمحمد بن بلقاسم النكادي أن رجلا حدادا من قريته توزينين بأقالما سمع ما تحقق لبلديه امبارك بتافيلالت شد الرحال إليها بأسرته عله يجد عنده خيرا ينفعه ويغير حال أهله، وما كاد يتعرف عليه حتى أمر بردمه واسرته حيا في حفرة، وهم يتصايحون، وكان من المنفذين أعمرو اباسو العطاوي

من قصر إيگلي(128) آيت عطا مركز كلميمة والذي عنه رويت قصة الردم أيضا كما نفذها وهذا ما فات الجراري وصاحب المعسول رحم الله الجميع، ولقد علمنا التاريخ أن جبروت الحكم الفردي في كل زمان ومكان يشتد ويزداد حدة كلما بدأ منه تسلط ثم وجد من يحبذ ويساعد على التنفيذ، وهذا ما وجده التزونيني في سذج آيت عطا وركاكة الذين كانوا لا يعرفون، بل لا يدركون نتيجة ما يفعلون، حتى إنه قتل خيرة الرجال من كل فريق كان لآيت عطا معه حساب قديم، فقد قتل من أولاد جرير الذين قدموا عليه بقيادة الطالب الحاج الذي قتل في المقدمة والحق به: علي بوفلجة، والمومن بوصبع، وبوحراگ، وبوعلام، مع أنهم قدموا عليه بهدية ضمنها سرج حصان مطرز بخيوط الذهب.

كما قتل مولاي اسماعيل ولد مولاي عبد العزيز بقصر تاگرزا بفركلة جوار أسرير، ثم الحو وحداش ، واعصمو، بفم اللعب، كما قتل كبار قبائل المعاضيد الذي سنذكر أسماءهم بعد، ورجال قبيلة المعاضيد(129) الذين دفعتهم نخوتهم وشهامتهم للذهاب إليه مهنئين بالانتصار رغم أن بلدهم تحت حكم الفرنسيين وليعرضوا عليه تطوعهم وقومهم في صفوف المقاتلين ضد الفرنسيين، وإذا كان هؤلاء وغيرهم من ابطال المعاضيد الذين قتلوا العميل الفرنسي المتلبس الذي كان قد سمى نفسه قبل مولاي الحاج "ثم انتسب لآل وزان عام 1906م ولما اكتشفوا أمره قضوا عليه كما سبق، وهذا لم يكن يعلم به التزونيني لأنه غريب عن البلد، وقد مضى على الحادث أكثر من عشر سنوات، ولكنه رأي محمد بن الحاج علال ولد اجميعية الذي أصبح له وزيرا بلا شك، وفعلا فإن التزونوني خير كبار رجال المعاضيد بين أن تحلق لحاهم أو يقتلوا لأنهم كما قال لهم: إن ما فعلتموه بذلك الإنسان، إنما فعلتموه بي أنا لأني أنا ذاك الذي زعمتموه مقتولا فعلقتم رأسه، فبهتوا، ثم أمر بهم فقتلوا(130) وهؤلاء الرجال منهم:

---

(128) إيگلي بكاف معطشة اسم ويطلق على أربعة آيت حديدو ب) أموگر، ج) ميسور قرب لقصابي، كما يعرف بتوات، واعمرو هذا كان لا يزال على قيد الحياة 1965م وقد شارك في معارك بوكافر ويسكن بقصر السوق في حالة تشرد، وقد رويت عنه ما عاش.

(129) لقد قال الجراري الذي اعتمده صاحب المعسول في تقويم فلتات المهدي الناصري أنه لم يسمع قط بقضية المعاضيد هذه ولو كانت لسمعها كما قال على أن علمه ليس من الضرورة لكنها حصلت وقتل فيها ظلما أربعة من خيرة الرجال، وأبناؤهم لا يزالون أحياء يرزقون والقصة مشهورة عند المعضاديين.

1) أب خيي ولد الحاج بلقاسم،
2) الغالي ولد عمي حيدة.
3) العربي بن عبد الكريم
4) التهامي بن مولود، وغيرهم ممن قيل إن عددهم اثنى عشر.

ولعل من هذه القصة وهي حقيقة وواقع والتي تدلنا أوضح دلالة على دجل الرجل وخبث نواياه، وأنه ما فعل ما فعل إلا من أجل تحقيق الثروة التي كان متلهفا لها، إلى درجة أنه أرهق الفيلاليين بالذعائر حتى جمع له من المال ثلاث صناديق قيل انها مطمورة حتى اليوم في مكان مجهول بالريصاني، وتزوج من النساء عشرا حسب رواية أب سيدي بن التهامي" العلوي القائد السابق في عهد الاستقلال رحمه الله، وقد عاش حياة الرجل وكان ممن يدونون الحوادث.. والزوجات اللائي خرج بعددهن عن حد الشرع هن:

1) ابنة الشريف محمد بن الصديق من القصر البراني.
2) وعزة بنت الفقيه محمد بن قاسم من حوش تاوريرت مدغرة.
3) بنت بن عرفة من قصر أسرغين الغرفة.
4) أخت أبا باري من قصر أمسيفي من الغرفة أيضا.
5) بنت مولاي المهدي.
6) والتي أتى بها من آيت عطا حين نزل بينهم وهي من شريفات تامصلوحت سكان تدغة(131).
7) وغيثة بنت ادريس من قصرأبوعام.
8) وعزة بنت محمد بن الحسن الشريف من أبو عام.
9) ومرغادية.

---

(130) المعسول 273/16 ولو أن صاحب المعسول طيب الله مثواه التفت إلى قصر المعاضيد وكان على مقربة منه في الطريق الذي مر منه إلى الريصاني، ثم سأل عن القصة وأسماء الرجال لجاءنا بالقصة كاملة. ومهما يكن فإن من كلام التزونيني ما يستدل به على دجله وبهتانه حين قال لأهل المعاضيد الذين سبق لهم أن قتلوا الفرنسي المتلبس الذي انتسب لال وزان وأنه هو الذي زعموا أنهم قتلوه إلخ.

(131) كان لها أخ يرافقه اسمه أحمد، ولما قتل التزنوني فر خوفا من بلقاسم، المصدر السابق المعسول جـ 273/16.

10) وزوجة ثانية أتى بها من آيت عطا وقيل انهن بلغن ثلاثة عشر بكرا.

وهكذا لمجرد أنه قضى مدة ثلاثة أشهر في ضيافة أولاد اجميعية في أبو عام منتظرا استصلاح قصر الريصاني الذي هو قصر المخزن، ومن بناء المولى سليمان أيام خلافته بتافيلالت في هذه المدة القصير تزوج اثنتين زادهما على ماكان عنده، وزيادة كان يعتبر نفسه وهو الأجلف من الملوك، من طلقها يخبر أهلها أنه ليس من العرف زواج المطلقة من الملك ثانية، بل يجب أن تبقى على حالها حتى تموت لكن من لقن هذا الاجلف هذه الأباطيل إن لم يكن ولد اجميعية الذي زاده شرها وتعلقا بالمال إلى درجة أن العطاوي حتى يقطع الطريق على التزونوني وطمعه قال سجعا يدل على الواقع وعلى نفسية القوم وذلك بلهجة العرب سكان المنطقة.

اللي ابْغَى امْلا كْتُوتَبْطَ(132) يَفْرْقَ مْعَ أولَادْ عَطَا
اللي انْكَرْ مْعَاهُمْ المَعْطَا يَنَوْضُو مْعَاهْ العَيْطَ
وَحَقْ دَادَ عَطَا اللي عَمَّرُوا مَا اعْطَا
أَذَاكْ المَعْطَا لا تْنَعْطَا وَخَايَوَ لِي اجْبل صَاغْرُو وْطَا.

ومهما يكن فإن تصرفات هذا المجرم الذي استغل حماس وشجاعة آيت عطا بل وسذاجتهم ونقمتهم على ظلم ولاة المخزن كانت العامل الأساس في اضعاف تافيلالت التي هاجر منها كثير من الأشراف والعلماء والفقهاء، بل وعرفت الجمود الاقتصادي الذي كان مزدهرا مع كل من فاس ومراكش وغيرهما، وباستثناء معركة البطحاء للعطاويين والفيلاليين فإن هذا المجرم لم يحرك ساكنا ولم يدفع الناس إلى حرب الفرنسيين الذين كانوا قد تركوا تافيلالت، بل وحتى أرفود ثم اقتصروا على بوذنيب وقصر السوق، بل أصبح شغله الشاغل هو الفتنة والتسلط على ذوي الجاه والثراء بحيث بقي ولمدة سنة كاملة أو تزيد قضاها كلها في تصفية الأوراح واغتصاب الأموال وخطباء الجمع في المساجد يدعون له بالنصر والتأييد، مما جعل الناس في خوف ورعب منه ومن

(132) تبط باللهجة المحلية من البطء أي تستمر وتطول.

تصرفات الذين عودهم على الظلم والنهب من بعض فرسان آيت عطا وأحلافهم، ولم يتنبه البعض من الواعين إلا عندما حصل ما حصل من الشيخ الوقور على الهواري الذي حين علم بما تم في معركة البطحاء، ثم تأثر بما روجته الألسنة من عناية الله ونصره للمجاهدين، تحمس هو الآخر ثم قام بدعوة آيت مرغاد لمقاومة المد الاستعمار ومساعدة المجاهدين في تافيلالت.

وفعلا استطاع أن يكون جماعة من المقاتلين من آيت عمرو امنصور بقيادة محمد اعشا، ومن آيت محمد، بقيادة محمد وارخو، ومن قبيلة اربيبن بقيادة محمد بن الحسين بعوان، ومن آيت أيوبَ بقيادة محمد أحاتي ومن أكراض ايخسان بقيادة سكو والحو آيت، وأهل اسرير بقيادة حمو بن علي، وآيت الزين بغريس، بقيادة الصديق بن حدو، لكنهم بعدما عرفوا من التزونوني وسفكه للدماء ما عرفوا، وبعدما تحققوا من أصله ومقاصده فضلوا أن يقاوموا شروره، وبذلك عادت النعرة القديمة بين آيت عطا وآيت يافلمان، خصوصا آيت مرغاد، فكانت المعارك التي واجهوه فيها بشدة وعنف، في كل من تينغير، وتدغة، وفي تلك المعارك ظهر مجرم آخر وجد ضالته في اتباع التزونوني، ذلكم هو علي بن التهامي المسمى "أب اعلي"، وهو من الحراثين أهل تازارين، أمكنه بواسطة رجال آيت عطا أن يتمكن ويصبح سفاكا يقتل أئمة المساجد أنا اتجه وحيثما وجد كما كان يتزوج في كل أسبوع فتاة بعدما يستولى على أموال الأغنياء التي كان يصادرها، ولقد كان لهذا المجرم أكبر دور في التمكينَ لابن القاسم بعد أكثر، بحيث كان يسفك الدماء ويجمع المال ثم يرسل منه ما يشاء بعد أن يستولى على ما يشاء، لكن سرعان ما انقلب هذا المجرم ثم انتحى جانب الفرنسيين الذين كانوا قد تمكنوا بعد في أرفود، إلا أنه قتل بزقاق الحاضي أمام قصر الجعرانة قتله عم المؤلف الحاج محمد بن مسعود في ليلة مظلمة وبمساندة آيت مرغاد الذين كانوا قد عرفوا من مخازيه ما عرفوا.

وبالتالي فإن الترونوني بعد معركة البطحاء وكأنها في نظره لم تكن فقط إلا من أجل أن يحقق بها من شهواته البهيمية ورغباته في جمع المال ما حقق،إذ لم يعد له من هم غير البحث عما يكمل بقية الصناديق من المال الذي كان قد حقق منه ملء ثلاثة

صناديق، في حين أن تطلعاته كما أخبر بذلك كانت هي اثنى عشر(133) وقد أقسم أن لا يرفع اليد على الفيلاليين حتى يملأها، ومن أجل ذلك أمسك حتى عن الانفاق عمن كانوا قد تجمعوا حوله باسم الجهاد بل ومن أجله، وظف على كل دار في تافيلالت، سواء كان في مقدور أهلها أم لا، أن تقدم للمقاتلين ملزومةمن التمر والخبز، الأمر الذي دفع كثيرين إلى الهجرة. ومهما يكن فإن نفوذ التزونوني وصل إلى مدغرة التي أصبح له خليفة فيها هو "امبارك الأعور" من عتبة الصديق بالقصر الجديد الرتب الذي حل بهاعشية يوم عيد المولد، الثاني عشر من ربيع الأول عام 1337هـ(134) حيث نزل بـ"جنان =بستان" قصر أولاد الحاج، وإذا هو ضيق عليهم التضييق الكبير، فإن أهل مدغرة رجاء أن يخفف عنهم كونوا وفدا توجه إلى التزونوني حتى يبايعه ويرجوه التخفيف كما حملوا إليه ما استطاعوا جمعه من "الهدايا" أما الوفد فقد كان مما يلي:

1) عبد الهادي بن محمد من زاوية عبد الله بن علي بن الطاهر من قصر تاوريرت.
2) محمد بن محمد بن أحمد بن السني الشهير.
3) محمد بن المهدي من قصر أبي عبد الله.
4) ديدي بن المصطفى من القصبة الجديدة.
5) عمر بن محمد من قصر تازناقت.
6) أحمد بن هاشم: من القصبة القديمة.
7) علي بن الفاضل: من القصر الدخلاني.

لكن هؤلاء ما كادوا يقفون بين يدي المدعى، حتى صاح في وجوههم بعبارات كلها بذاءة وتحقير، باستثنا محمد بن محمد ابن السني الذي بالغ في تكريمه إلى درجة أنه عرض عليه القضاء فرفض، أما الآخرين فلم يكتف بما وجه إليهم من بذيء كلامه، بل ألقى بهم في السجن، مما جعلهم وجعل أهلهم يتوقعون أنه سيفعل بهم مثل ما فعل بالذين تقدموهم خصوصا وأن م ادريس بن امبارك الادريسي من قصر لوجارشة الذي

(133) لقد صرح بن بلقاسم لبعض أهل تاندرارة حيث كان منفيا بعد انهزامه، انه ترك الثلاثة من الصناديق المملوءة مالا بقصر الريصاني وقد دفنها في مكان مجهول كان يعتقد "العودة إليها حتما".

(134) كان الذي سجل هذا التاريخ هو أب سيدي بن التهامي الذي أصبح قائدا بالمنطقة في عهد الاستقلال.

كان لما حل بمدغرة قتل التهامي من قصر بني موسى الذي كان يعمل دليلا لقوافل الفرنسيين، كما قتل حزانا يهوديا واعتقل علال ابن أحمد من قصر أولاد بوناجي، لكن الطائرة فأجأت المعتقل ومن معه فدمرتهم، مما دفع بالوجارشي إلى أن يتوجه نحو قرية الريش التي لحق بها كذلك ولد اجميعية "وزير" التزونوني الذي كان قد مر وقتها في أربعمائة فارس لمحاصرة منطقة كراندو، بعدما استولى على تيعلالين وعلى قصر آيت فركان، وجرس، ثم أعالي وادي زيز، وبعدما استولى على دار المجرم به نايت ارهو والد عدي وبه المجرم في عهد الاستقلال والذي كان قد ارتمى في أحضان الفرنسيين ثم أخذ يقاتل المسلمين، لكن الفتح لم يتم حيث أرسل الفرنسيون حامية انطلقت مرورا على وادي بوبرنوس ثم نزلت أمام القصر البراني، وقصري زاوية مولاي عبد الله وأولاد الحاج الأمر الذي اضطر امبارك بن إدريس لوجارشي إلى العودة عن طريق مخالف(135) ثم دخل تافيلالت عن طريق توروگ.

(135) راجع جريدة السعادة 2ـ1ـ1919 ـ22 منه 14 يونيه 1919 وهذا الهامش تابع رقم 36 كتاب المغرب للصديق بن العربي ص98 ط 2 دار الغرب الإسلامي 1984م.

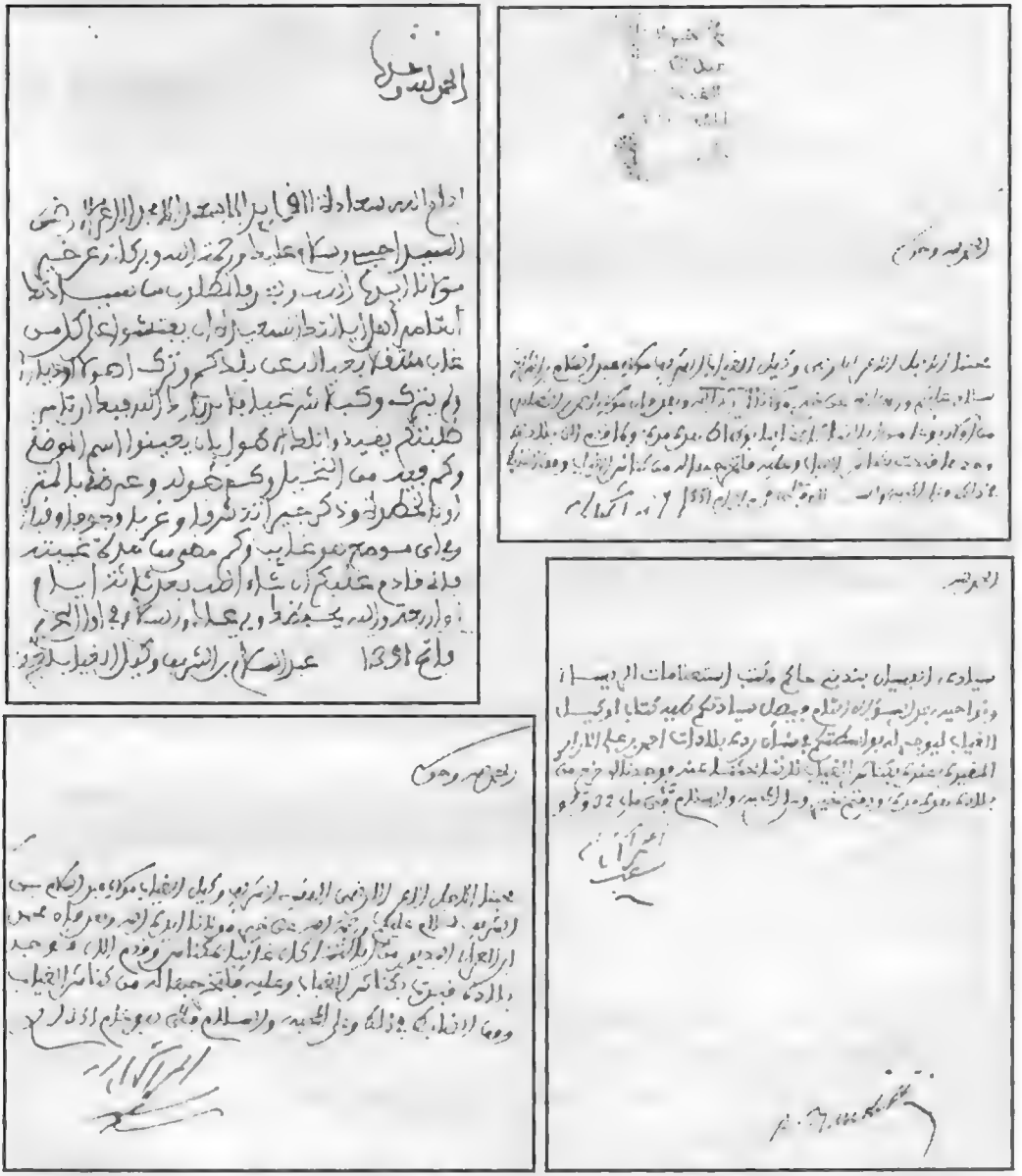

رسائل عليها توقيع المدني الجلاوي، وهي موجهة إلى بعض الحكام الفرنسيين بتافيلالت يوصيهم فيها خيرا على بعض المواطنين

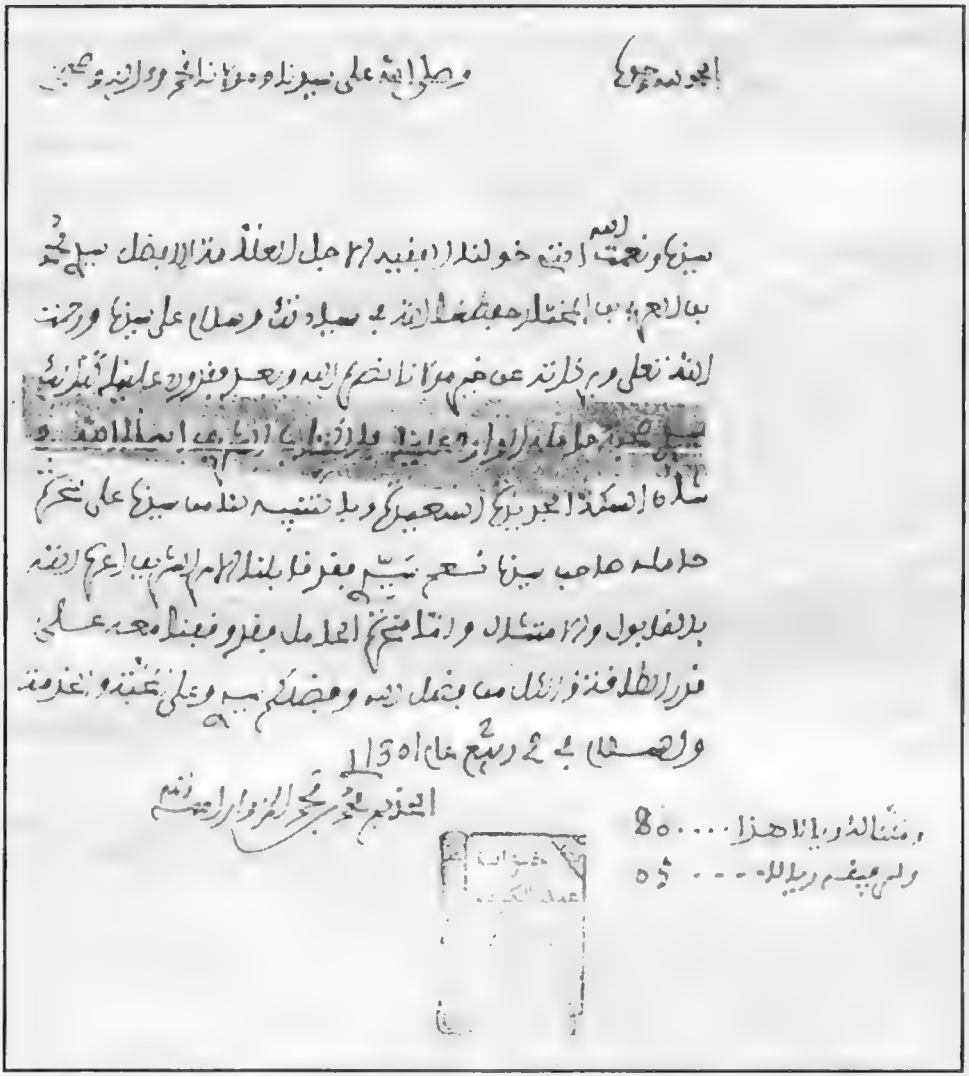

الشيخ محمد بن محمد الجلاوي والد المدني والتهامي والمزوار تعني «الشيخ» وقد حولها العبد الابق إلى المزواري وهو أخزاه الله اصلا من حراطين تاسّاوت

القايد المدني الكلاوي الذي بدأت خيانته أيام فتنة أبي حمارة حيث ارتمى في أحضان الاستعمار الفرنسي

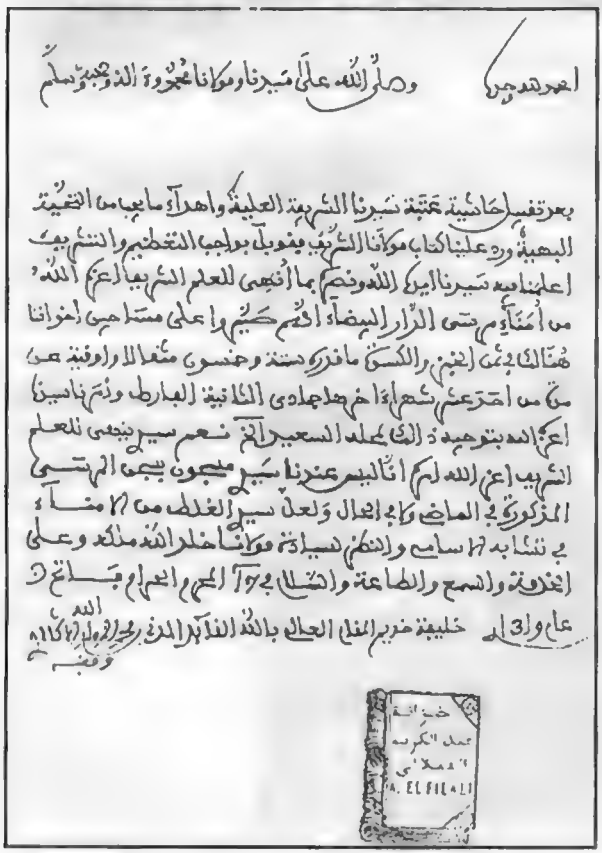

المدني الجلاوي وهو ابن محمد المزوار أي الشيخ وقد حولها المركب الثقيل الذي كان يمزق أحشاءهم وهم من الحراطين أصلا أهل تاساوت إلى "المزواري" بزيادة ياء النسبة فرع من الأدارسة "قُتل الانسان ما أكفره"

انها بصمات العبد الغاوي التهامي الجلاوي قصر تلوات منطلق حملات الغزو الفرنسي ضد قبائل الجنوب

التهامي الجلاوي وأخوه حموفي تلوات حيث كانت توجه المعارك ضد القبائل التي لم تخضع بعد للحكم الفرنسي.
لوليستراسيون 26 ماي 1928 عدد 4447 ص 541
L'illustration

الوثيقة تنص كيف كان المغاربة يستعملون بقوة الحديد والنار في خدمة المستعمرين وحراستهم وكأنهم عبيد يستوردون من سوق النحاسة

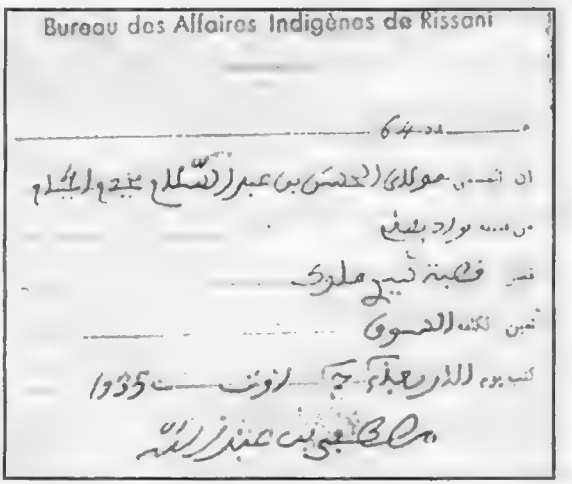

بعد حرب خمسين سنة ضد الفرنسيين في الجزائر وتوات من 1880 إلى 1932 وبعد الاستسلام وتسليم السلاح فرضت عليهم الأعمال الشاقة وبعد استقلال المغرب قبل أربعين سنة لاتزال دار لقمان على حالها بين القبائل المتظلمة!.

الفهرس

الجزء السابع

* الباب الثاني والعشرون
تاريخ ما أهمله التاريخ
الفصل الثاني بعد المائتين: تاريخ طلائع الجهاد والمقاومة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي ـــــ 7
الفصل الثالث بعد المائتين: ساكن مدغرة محمد العربي الهاشمي الدرقاوي شيخ المجاهدين ورائد المقاومين في القرن 19 ـــــ 17
الفصل الرابع بعد المائتين : المصلح المربي محمد العربي ومقاصده ـــــ 37
الفصل الخامس بعد المائتين: مشيخة محمد العربي الدرقاوي بين التنظيم السياسي والتربية الدينية ـــــ 45
الفصل السادس بعد المائتين: الزوايا الدرقاوية مراكز للتكوين السياسي وللمقاومين ـــــ 57
الفصل السابع بعد المائتين: محاربة السيبة والدعوة الى تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي1305هـ 1887م. ـــــ 67
الفصل الثامن بعد المائتين: الدعوة الى الجهاد ضد الاستعمار ومقاومة فساد الوضع من خلال كتاب تحفة الراغب ـــــ 85
الفصل التاسع بعد المائتين: منشور الدعوة الى الجهاد ضد فرنسا 1305-1887 ـــــ 103
الفصل العاشر بعد المائتين: غادة الأطلس يطو لقضيب وقصة محمد والطالب اليوسي العامل الظالم الذي أحرق حيا ـــــ 113
الفصل الحادي عشر بعد المائتين: أتباع محمد العربي وحسد أهل مدغرة ـــــ 135

الفصل الثاني عشر بعد المائتين: نهاية الشيخ قبل نقمة السلطان عليه وعلى الفرنسيين من أنصاره ـــــ 141
الفصل الثالث عشر بعد المائتين: درقاوة ومحمد العربي في نظر الأوروبي ومؤرخيهم ـــــ 151
الفصل الرابع عشر بعد المائتين: العالم البطل الرائد أحمد بن محمد بن لحسن السبعي الصغروشني الحسني الرجل الأول في تاريخ المقاومة المسلحة منذ 1880-1916 ـــــ 159
الفصل الخامس عشر بعد المائتين: معركة لمنابهة وبوذنيب في الجنوب الشرقي 1908 وأثرها في انقلاب السلطان عبد الحفيظ ـــــ 201
الفصل السادس عشر بعد المائتين: السبعي والحجامي أيام ثورة فاس 17 أبريل 1912 ـــــ 223
الفصل السابع عشر بعد المائتين: جهاد السوسيين والباعمرانيين بقيادة الناجم بعد جولات ماء العينين في شنقيط وسياحة أحمد المصيبة "الهيبة" أبو حمارة الألمان في مدينة مراكش ـــــ 241
الفصل الثامن عشر بعد المائتين : السلطان عبد الحفيظ والمقاومة المسلحة بعد فرض الحماية ـــــ 267
الفصل التاسع عشر بعد المائتين: السلطان عبد الحفيظ والبكري محمد أحمو الزياني وموقعة لهري 1914 ـــــ 281
* **الباب الثالث والعشرون**
الفصل العشرون بعد المائتين: مقاومة الجبليين بزعامة الشريف أحمد الريسوني الفارس المتظلم ـــــ 295
الفصل الواحد والعشرون بعد المائتين: موقف الريسوني البطل من الاستعمار ـــــ 325
الفصل الثاني والعشرون بعد المائتين: الريسوني وتنظيم المقاومة ضد الاحتلال الإسباني لشمال المغرب ـــــ 331
الفصل الثالث والعشرون بعد المائتين: الريسوني والمعارك التي كانت مقدمة لحرب الريف ـــــ 343

الفصل الرابع والعشرون بعد المائتين: مقاومة قبائل تافيلالت وعرب الصباح في معارك حركة الرجل وأوفوس والمعاضيد، وتيزيمي وقبائل الجوف اليمنية المعروفة بالجرف 357
الفصل الخامس والعشرون بعد المائتين: المفاجأة القاتلة أثناء حركة الرجل بوادي بوبرنوس نفمبر 1916 383
الفصل السادس والعشرون بعد المائتين: بطولات عرب الصباح بقيادة الشريف السليماني حمزة الحوتي وتاريخ المعارك الطاحنة 393
الفصل السابع والعشرون بعد المائتين: انخداع العطاويين لزعامة اليهودي الأصل امبارك بن الحسن التزونوني الذي نصبوه سلطانا بتافيلالت 411